وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

الجغرافيات الافتراضية

أجسامٌ وفضاءٌ وعلاقات

ترجمة:
عدنان حسن

علي مولا

الجغرافيات الافتراضية

أجسامٌ وفضاءٌ وعلاقات

تصمبم الغلاف

عبد العزيز محمد

الجغرافيات الافتراضية

أجسامٌ وفضاءٌ وعلاقات

تحرير

مايك كرانغ - فيل كرانغ - جون ماي

ترجمة: عدنان حسن

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١١م

العنوان الأصلي للكتاب :

Virtual Geographies : Bodies, Space and Relations

Edited by :Mike Crang ,Phil Crang and Jon May

Routledge-London and New Yourk1999

الجغرافيات الافتراضية: أجسام وفضاء وعلاقات/ تحرير مايك كرانغ، فيل كرانغ، جون ماي؛ ترجمة عدنان حسن .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١م .- ٥٢٨ ص؛ ٢٤ سم.

(دراسات فكرية؛ ٣)

١- ٣٠٣,٤ ك ر ا ج ٢- ٠٠١,٦ ك ر ا ج ٣- العنوان
٤- كرانغ ٥- كرانغ ٦- ماي ٧- حسن ٨- السلسلة

مكتبة الأسد

دراسات فكرية

«٣»

١- مقدمة

بقلم مايك كرانغ، فيل كرانغ، جون ماي

المجموعة:

من الصعب أن تفوتنا السجالات المتكاثرة حول أهمية الاتصال الاجتماعية والجغرافية بوساطة تقانات الحاسوب الجديدة، سواء تم تأطيرها في مفهوم الفضاء السايبري Cyberspace (*) الأكثر تعميماً، أو الظاهرات الأكثر تحديداً، كالشابكة [الانترنت] والشبكة العالمية (www) والواقع الافتراضي، والنص الفائق (**) وأجناس الخيال العلمي مثل الهراء السايبري cyberpunk (***). ينظر البعض إلى هذه التقانات بوصفها مسهلة، إن لم تكن منتجة لتجربة إنسانية مختلفة كيفياً للسكنى في العالم، وتمفصلات القريب والبعيد، والحاضر والغائب، والجسم والتقانة،

(*) الفضاء السايبري Cyberspace: عوالم تخيلية، يتم خلق تفاعلها بواسطة الحاسوب وذلك على شكل منتدى الكتروني يضم ملايين الأشخاص على الشابكة. ويقترح بعضهم مصطلح الفضاء الرقمي مقابلاً لها. (م)

(**) النص الفائق hyper text: هو نظام لعرض المعلومات (نصوصاً وصور) على شاشة الحاسوب بطريقة تمكن من الوصول إلى المعلومة المبحوثة والمعلومات المرتبطة بها. (م)

(***) الهراء السايبري cyberpunk: استخدم Bruce Bethke هذا المصطلح لأول مرة عنواناً لقصة قصيرة نشرها سنة ١٩٩٣ وهي منحوتة من كلمتي cybernetics وpunk، وتدل اليوم على نوع أدبي لقي رواجاً في أدب مابعد الحداثة، ويقدم عوالم تتفتت فيها العلاقات الاجتماعية التي أفرزتها حقبة الحداثة. (م)

والذات والبيئة (من أجل مجموعة من المقالات التي كتب معظمها بهذه الروح، انظر: فيذرستون وباروز ١٩٩٥). فيما يؤكد البعض الآخر على مقدرة الرقمنة digitalization على دمج العمليات المنفصلة قبلاً، كالحوسبة Computation والاتصال، والمراقبة، مع الظهور اللاحق لشبكات إعلامية جديدة و"فضاءات تدفقات" جديدة، مع مورفولوجيات [أشكال] الوصل والفصل المرتبطة بها (انظر كاستلز ١٩٩٦). في أي من الحالتين، فإن الرهان، والرهان الأقوى، هو الاقتراح القائل إنّ تقانات الاتصال بوساطة الحاسوب "تولد بعداً جديداً تماماً للجغرافيا... [هو] الجغرافيا الافتراضية (باتي ١٩٩٧: ٣٣٩).

هذه المجموعة المؤلفة من أربعة عشر مقالاً تحرضها مزاعم كهذه. تحرضها بحيث إننا نقر بالدعوات كي نأخذ تطوير واستعمال هذه التقانات على محمل الجد، ونخضعها للتمحيص المفاهيمي والتجريبي الدقيق، ونكون منفتحين على إمكانية أن تجسد أنواعاً مختلفة من المكانيات [تُضاف] إلى تلك [المكانيات] المهيمنة ضمن تنظيرات العوالم اللاافتراضية؛ لكن تحرضها أيضاً حالات القلق حول خطر الوقوع في ما يطلق عليه اوتو إيمكن Imken في مساهمته في هذا الكتاب اسم "المستنقع السايبري"، التضاد المبالغ فيه بين الواقعي والافتراضي، سواءً كان ذلك عبر إنتاج البلاغة التشجيعية (الذاتية) للمتحمسين للخائلي Cyber والمسوّقين له المتورطين فيه أو الرؤى الضالة للمتشائمين منه. بدلاً من ذلك في حين لا تخلو هذه المجموعة من بعض المزاعم لمصلحة تحول الحياة الاجتماعية تحولاً جذرياً، كما يتم تشكيلها من خلال التقانات الافتراضية (وفصل إيمكن Imken في هذا الكتاب هو مثال جذاب بشكل عجيب) فإنها تسعى إلى مقاربة الافتراضي بطرق تتيح تحليلاً جدياً لتطورات اجتماعية – تقنية بعينها، لكنها تتجنب أيضاً تصنيمها بوصفها مواقع جلية للخير الاجتماعي أو للشر الاجتماعي. إجمالاً، يمكن تحديد أربعة عناصر رئيسة تعود إلى هذه المقاربة.

[العنصر] الأول هو تحاشي أية حتمية تقانية بسيطة:

يقوم هذا العنصر، جزئياً، على الاعتراف بأن التقانات الافتراضية والجغرافيات الافتراضية ليسا [مفهومين] مترادفين. إذ إن فهم هذه المجموعة لـ "الجغرافيات الافتراضية" هو أنها تتضمن، بالتالي، التقانات الافتراضية، لكنها أيضاً تشكِّل العلاقات الاجتماعية، والخطابات والمواقع التي تُحتضن فيها هذه التقانات. فالتقانات ليست كيانات مستقلة بذاتها تؤثر على الاجتماعي. باستخدام مصطلحات نينا ويكفورد في مساهمتها حول مقهى الانترنت، لا يمكن دراسة التقانات بمعزل عن "مشاهد الترجمة" التي تُصادف فيها وتستخدم وتصمم من أجلها. أحد آثار ذلك هو أن التقانات يتعين النظر إليها على أنها تقانات مؤهلة اجتماعياً Socialised. وهذه ليست، بشكل حاسم، مسألة تقانات موجودة قبلئذ يعاد تشغيلها في عالم اجتماعي لا يمكننا تحديد موقعه بوصفه برانياً بالنسبة إليها. إذ لا يمكن لتقانة أن تظهر إلى حيز الوجود بدون تأهيلها اجتماعياً؛ وهذا التأهيل الاجتماعي سيرورة مستمرة في كل مكان من الدارات التي تربط الإنتاج والتوزيع والاستعمال التقاني. كمثال على العمل بهذا المزاج، نذكر العمل على جَنْوَسات(*) التقانات المتصورة والمتنازع عليها، وهي قضية تمت متابعتها في هذه المجموعة من خلال دراسة أشكال للتفاعل الاتصالي المجَنْوَسة المرتبطة بتقانات مثل الشابكة، ومن خلال أشكال [الحياة] الجماعية المجَنْوَسة التي تسهلها، ومن خلال أشكال الخبرة المجنوسة المرتبطة بالتقانات الرقمية والاتصالية (لاحظ الإمكانية المتاحة لأجل التعددية هنا)، ومن خلال صفات الأنسجة المكانية المجنوسة التي يدخل المستخدمون فيها (انظر مساهمات ويكفورد وجويس بشكل خاص). علاوة على ذلك، كما تمثل حالة الجنوسة كنموذج، لاتكون التقانات مؤهلة اجتماعياً تماماً كتقانات. إذ تكون مؤهلة اجتماعياً أيضاً كتشكيلة من الكيانات الأخرى- مثلاً كسلع ومُلكيات وبنية

(*) جَنْوَسة التقانة Gendering Technology: هي دراسة مدى خدمة التقانة لأحد الجنسين على حساب الجنس الآخر أو إمكانية تشغيلها أو تطبيقها من قبل جنس أكثر من الآخر. (م)

تحتية، كموضوعات اهتمام العاملين والمستهلكين، كأدوات للتنمية الاقتصادية والإقليمية، كمواد للزخرفة الداخلية، كأجناس أدبية - وبالنتيجة يتم تكوينها من خلال مجال الأبعاد الاجتماعية التي يمكن أن تبدو للوهلة الأولى أن لها علاقة ضئيلة بالتقانة، أو في الواقع، بالافتراضية (انظر أيضاً: سيلفرستون ومعاونوه، ١٩٩٢). بالطبع، من المهم في الوقت نفسه أن نعترف أن التقانات هي أيضاً مكوّنة جزئياً لهذه الأبعاد الاجتماعية. ومثلما أن التقانة لا تظهر إلى حيز الوجود خارج الاجتماعي، كذلك لا يظهر الاجتماعي إلى حيز الوجود خارج التقاني. إلى ذاك الحد، ورغم صعوبة اللغة هنا، يمكن للمرء أن يتكلم عن قدرة التقانة على التأثير على العلاقات الاجتماعية، بدون الخضوع للحتمية التقانية. إن إحدى الطرق للتعبير عن ذلك هي الكلام عن جدل مكون من إضفاء الشكل الاجتماعي على التقانة والبناء التقاني للاجتماعي (بيجكر ومعاونوه، ١٩٨٧، وبيجكر ولو ١٩٩٢)، انظر أيضاً مساهمة شتاين في هذا المجلد. أو بإعطاء ذلك زخماً آخر، يصل المرء إلى التشديد المفاهيمي على التقني - الاجتماعي techno-social (انظر بينغهام وهذا المجلد). ومما يرتبط بشكل خاص بكتابات Michel Serres ميشيل سيرز وBruno Latour برونو لاتور، يشمل هذا إعادة صياغة الاجتماعي بحيث لا يعود يستبعد العوامل اللابشرية الفاعلة والصياغة المفاهيمية اللاحقة للتشكيلات التقانية بوصفها إنتاجات مشتركة بين "البشر والأشياء" (بينغهام، هذا المجلد: ٢٥٣). لذلك تصبح مسألة الحتمية التقانية نافلة، عندما يتم تفكيك كياني التقاني والاجتماعي.

سيكون لدينا المزيد كي نقوله عن ذلك، وبالأخص حول المسائل البديلة وأشكال التحليل التي يوحي بها هذا التفكيك، عندما نصل إلى تقديم المساهمات الفردية. أما فيما يتعلق بالوقت الحاضر، فدعونا، مع ذلك، نلتفت إلى سمة ثانية تميز هذه المجموعة ككل: تشديدها على **الجغرافيات التاريخية للافتراضية**. نظراً لهالة علم المستقبل Futurology التي تحيط بنقاشات الافتراضي، قد يبدو

ذلك منطوياً على مفارقة. على كلٍ، من المهم، كما سنحاول أن نبطل، أو على الأقل أن نشكك في الجدة والانتقال من عصر إلى عصر آخر التي تتعلق بموضوع الجغرافيات الافتراضية. فعلى سبيل المثال، يمكن للمرء أن يشير إلى كيف أن للاحتفالات والهموم المعاصرة حول الاتصال بوساطة الحاسوب ما يوازيها في السجالات الدائرة حول التقانات الافتراضية "الماضية" كالتلفزيون أو الهاتف (انظر شتاين – هذا المجلد) أو حتى الحجرة المظلمة (إننا نضع علامتي الاقتباس الإلزاميتين حول كلمة "الماضية" لنشير إلى أن ارتباطات التقانة بالحداثة هي ارتباطات طارئة ليس تاريخياً فحسب بل جغرافياً أيضاً؛ بالنسبة للكثيرين، وفي الواقع بالنسبة لمعظم العالم لا زال الهاتف جديداً وحديثاً تماماً). على سبيل المثال، كما تجادلُ جنيفر لايت في مقالتها حول فضاء المدينة، والفضاء السايبري، في حين أن عبارات مثل "شيء ما غير عادي يحدث اليوم في العلاقة بين الحقيقي والخيالي" (سوجا، ١٩٩٦: ٢٤٢). . . يمكن تطبيقها اليوم، فقد ميزت أيضاً تعليقات مئة وخمسين عاماً مضت (هذا المجلد: ١٢٤). من المهم أيضاً أن نشدد على مخاطر الوقوع في الاحتفال اللانقدي بالجديد بوصفه جديداً (إيديولوجيا التحديث العزيزة على قلوب محبي التقانة) أو التفجع عديم الجدوى على كل ما يُعتبر مهدَّداً به (ايديولوجيا الحنين إلى الماضي Nostalgia التي حشد المصابون برهاب التقانة(*) الكثير منها، لكنها غالباً ما حشدت بوصفها مشوهة للفهم النقدي للماضي مثلما هي مشوهة لأي وصف للحاضر والمستقبل). وعلى صعيد أكثر واقعية، فإن المرء بحاجة لأن يميز كيف تؤهل التقانات الجديدة اجتماعياً بشكل جزئي عبر منحها شكلاً وفقاً للتقانات القديمة القائمة. وإن أياً من ذلك يجب ألا يعد إنكاراً لإمكانية أن تكون الجغرافيات الافتراضية المعاصرة جديدة ومختلفة في بعض الوجوه الهامة. على كلّ حال، إن ذلك يلقي الضوء على كيف يمكن لاستقصاءاتنا لهذه الجغرافيات الافتراضية المعاصرة أن تستفيد

(*) رُهاب التقانة technophobia: موقف سلبي من التقانة قوامه الرفض أو النفور أو التوجس من الاختراعات العلمية وتطبيقاتها في مجالات الحياة اليومية (م).

من المنظور التاريخي. أولاً، من خلال التركيز الأشد للضوء الذي يسلطه هذا [المنظور]، بالضبط على ما هو مجرد مختلف وجديد فيها. وثانياً، من خلال الإلحاح على تجاوز التحقيبات(*) التبسيطية [للزمن] [بتقسيمه] إلى مستقبل افتراضي وحاضر افتراضي جزئياً، وماضٍ لافتراضي، نحو مفاهيم أكثر تعقيداً للأشكال المتنوعة من الافتراضية المعمول بها من خلال التقانات المختلفة في أزمنة وأمكنة مختلفة. وثالثاً، عن طريق مفهمة [صياغة مفاهيم] التغيرات المعاصرة والاستجابة لها، على سبيل المثال، بلغة تواريخ الرؤية (هيليس)، أو تماسف الزمكان (بينغهام) أو الحياة المدنية (لايت)، أو الاتصال بوساطة وسائل الإعلام (فروهلينغ) أو الكتابة والقراءة والتمثيل (جويس).

إن وجود عدد من التواريخ الطويلة المختلفة في الجملة السابقة التي يمكن من خلالها تأطير الجغرافيات المعاصرة للاتصال بوساطة الحاسوب إنما يزيد من وضوح شيء لطالما كنا نلتف حوله، لكن مما لاشك فيه أن القراء لازالوا يتأملونه. إنه مسألة ما الذي نعنيه بالضبط نحن أو أي شخص آخر بالافتراضي في الجغرافيا الافتراضية. تعالج المجموعة هذه المسألة على مستويين، يساهمان أيضاً في المزاج العام ethos الملطف للغلو الآني المتعلق بالافتراضية. ثمة تأكيد في الواقع ضمن المقالات وفيما بينها على **تغاير الممارسات المادية ـ السيميائية المكونة للجغرافيات الافتراضية.** إذ إنّ ثمّة تنوعاً في كل من تكوين وسمة الجغرافيات الافتراضية. من هنا، على سبيل المثال، نستطيع أن نرى كيف يحدث "إنتاج واستهلاك أفكار الفضاء السايبري في سياقات كثيرة مختلفة جداً" (نيل، هذا المجلد ص: ٢٥٢) بما في ذلك: تقانات وتقنيات الكتابة والقراءة المصطلَح عليها كأجناس أدبية (المصطلح يعود إلى روايات وليام جيبسون وقصصه القصيرة) (انظر نيل وجويس في هذا المجلد)، والرؤى الأكثر استراتيجية لمخططي ومطوري المكان (انظر ويكفورد وفروهلينغ، هذا المجلد)، بالإضافة إلى تطبيقات الشبكة والتطبيقات

(*) التحقيب: periodisation تقسيم الزمن أو التاريخ إلى حقب متمايزة (م).

على الشبكة (أنظر: لايت – هذا المجلد). بالفعل، إن الاستنتاج الممكن الوحيد هو أن الفضاء السايبري يتم إنتاجه في الواقع من خلال العلاقات المتبادلة بين هاتين الممارستين، بقدر ما يقرأ المخططون (أو، على الأقل، يقتبسون) وليام جيبسون، أو بقدر ما يستعمل قراء وليام جيبسون الشابكة ويستخدمونها لفهم معنى ما يقرأونه، أو يسوِّقون الشابكة عبر أجواء مستنبطة من الخيال العلمي الهرائي السايبري و/ أو التخطيط المديني الافتراضي. لا توجد، إذاً، طبعة وحيدة من الفضاء السايبري، بل جملة من التصورات المشبوكة، كل تصور متصل بمواقع عامة وجغرافية خاصة، ويترجم للآخرين بدرجات مختلفة من النجاح. هذه المواقع، والشبكات وترجماتها هي ما نحتاج لفهمه إذا كنا بصدد أن نتقصى إنتاج الفضاء السايبري أو الجغرافيات الافتراضية الأخرى (يستخدم راي وتالبوت هذه المقاربة في تحليل الاستعلام الريفي عن بعد).

بشكل عام أكثر، تشدد الأعمال المجمعة هنا على كيف يكون من غير المجدي أن نبحث عن سمة منفردة للجغرافيات الافتراضية أو نطالب بها. وهذا يستحق التأكيد نظراً لأنه، ربما بسبب الحجم والعمق المحدودين للأعمال التي تدور حول الافتراضية، لا يزال ثمة نزوع إلى خوض السجال في هذه المصطلحات: أن نسأل ما إذا كانت العوالم الافتراضية تصير ديموقراطية (تتمقرط) أم تسلطية، ما إذا كانت تتحرر من بنى وعوائق العالم اللاافتراضي أو تتسم بتكثيف لعلاقات "العالم الحقيقي" القائمة وعلاقات اللامساواة والهيمنة؛ وهلم جرا. هذا المنطق الجامع ينتج بلادة المحاكمة التحليلية، ويصنّم ويبالغ في تبسيط الافتراضي واللاافتراضي (الذي سنتكلم عنه أكثر فيما بعد)، ويفسح مجالاً ضئيلاً لأجل التعبير عن التغيرات عبر الزمان والمكان الافتراضيين. من المفاجئ بالكاد، إذاً، في المقابل، أن تكون الحجج الموجودة في هذا المجلد لصالح الجغرافيات الافتراضية بوصفها لامركزية ومتمركزة، ذكورية وإناثية [نسوية]، مرتبة منطقياً وغير مفهومة للعقل المنطقي. وهذا، في جزء منه،

انعكاس للالتباسات الأساسية المكونة لجغرافيات افتراضية معينة. فعلى سبيل المثال، يشير وصف كن هيليس للواقع الافتراضي إلى توليفه المتناقض للواقعية العقلانية المتركزة على الذات. من خلال التشديد على المشاهدين الذين يفهمون معنى ماهم غاطسون فيه – والتجاوز trancendence السحري اللامركزي – من خلال الاستسلام لهذه البيئة الافتراضية المتلقاة. وكما يعبر عن ذلك بقوله:

((يحقق الواقع الافتراضي بذلك ميزة ثقافية مع رعايا ينشدون الحفاظ على السيطرة على إنتاجهم الفردي للمعنى حتى عندما يمكن أن يلعبوا بشبح التنازل عن الحفاظ الشكلي على الهوية الحديثة إلى مصادر برانية مثل الواقع الافتراضي و"الأدائية" performativity التي يشجعها))(هيليس، هذا المجلد: ٣١).

أما بشكل أكثر واقعية، فإن المشاكل مع أية "أحكام قاطعة" حول سمة الجغرافيات الافتراضية هي نتيجة للأنواع العديدة من الجغرافيات الافتراضية الموجودة والتي لم تظهر بعد إلى حيز الوجود. لذلك، على سبيل المثال، تكون الشابكة، على نحو لا يثير الاستغراب، أبعد ما تكون عن التجانس. وهكذا يورد فصل نينا ويكفورد، الذي يدور حول جَنْوَسَة الشبكة، في هذا السياق المعايير الأخلاقية المتغيرة بالنسبة لأساليب الاتصال التي توجد في الـ MUDS (*) و MOOS (**) المختلفة، وبين قوائم المناقشة وجماعات الأخبار، إلى حد أن المشاهد على on-line الخط المباشر لايمكن وصفها بأنها مجموعة واحدة من العادات والتقاليد المرتبطة بالجنوسة (هذا المجلد: ١٨٧). وبالطبع لا يمكن اعتبار الشبكة بمثابة نموذج قابل للتعميم لأجل كافة الاتصالات بوساطة الحاسوب، ناهيك عن الجغرافيات الافتراضية المعاصرة. إذ تمتلك matrices مصفوفات الاستعلام

(*) MUDS. الأحرف الأولى من عبارة Multi User Dimension وهو عالم افتراضي حقيقي الزمن متعدد اللاعبين يوصف أساساً في نص، يُستخدم في الألعاب التفاعلية على الشبكة التي تتطلب أكثر من لاعب، وكذلك في المحادثة على الشبكة وخوض الحروب الافتراضية على الشبكة. (المترجم)

(**) MOOS. اختصار لعبارة MUD,Object Oriented وهي منظومة واقع افتراضي على الشبكة ذات أساس نصي يوصل إليها مستخدمون (أو لاعبون) متعددون في وقت واحد، وموجهون نحو هدف واحد.

عن بعد المدمجة عدداً من الأذرع المختلفه: يتفحص فصل ستيفن غراهام، على سبيل المثال، اندماجات المراقبة، والتقانات الحسابية والمحاكاتية (التي هي بحد ذاتها متنوعة مثل تلفزيون الدارة المغلقة CCTV الرقمي، والتعقب الالكتروني والتقانات الجيو- موقعية (*)، والخدمات المنزلية عن بعد) وفي مقابل التشديد على مصاعب التحكم بعمليات الشابكة (انظر على سبيل المثال Shade ١٩٩٦) توسع دورها في تطبيقات الدولة المكثفة والتطبيقات التجارية للمراقبة. تعتمد سمة الجغرافيات الافتراضية على نوع النشاطات الاجتماعية التقنية الافتراضية التي يختارها المرء للتركيز عليها.

من الناحية الواقعية، إذاً، يتعين علينا أن نفكك مقولة التقانات الافتراضية، من خلال تحديد هوية الأشكال المختلفة التي يتم بها تطوير الشبكات الاتصالية بوساطة الحاسوب و، كما اقترحت سابقاً، من خلال الاعتراف بالتواريخ الطويلة من الافتراضية التي سبقت هذه التقانات وتتعايش معها. وعلى نحو أكثر أهمية، يتطلب ذلك أن يوازيه **تفكيك مفاهيمي للافتراضية**، سبر للأبعاد التي ينبني من خلالها هذا التنوع التجريبي. ثمة أربعة أبعاد مفاهيمية، كما نعتقد، يمكن تسليط الضوء عليها وتظهيرها في المقالات التالية. ونصطلح على تسمية هذه الأبعاد **بالمحاكاة والتعقيد والتوسيل والمكانية**. هذه الأبعاد - هي بعيدة عن الاستبعاد [الإقصاء] المتبادل، لكن كل واحد منها يشير إلى مقاربة مختلفة نوعاً ما للافتراضية، ويثير قليلاً من الأسئلة المختلفة حولها. تركز الأبعاد الثلاثة الأولى على التكوين الافتراضي لجغرافياتنا البشرية، فيما يسلط الأخير الضوء على التكوين الجغرافي للافتراضي. سنتكلم الآن قليلاً حول كل واحد من هذه الأبعاد بدوره.

أبعاد الافتراضية Dimensions of Virtuality:

ربما تكون simulation المحاكاة هي البعد السائد الذي يتم من خلاله تصور التقانات الافتراضية شعبياً. بغض النظر عن تأثيرها في فهم الافتراضي،

(*) geo-positional التقانات الجيو - موقعية هي التي تستخدمها الأقمار الاصطناعية وطائرات الاستطلاع لتحديد ورصد المواقع والأهداف الثابتة والمتحركة على الأرض (م).

فإننا نستخدم المصطلح هنا ليس كإشارة إلى التمسك بالصياغات الخاصة لجان بودريار (a 1994)، بل للإشارة إلى مجموعة أكثر تباعداً من المفاهيم التي يحدد بها موقع الافتراضي بالنسبة إلى الواقعي، في الواقع بصفته other الآخر، في الجغرافيا التخيلية التضادية التي تؤكد في الوقت نفسه على التكوين المتبادل للواقعية والافتراضية (said 1978). ينجم عن ذلك عدد من المقاربات الممكنة للجغرافيات الافتراضية. أولاً، كما يجادل ماركوس دويل وديفيد كلارك في مقالتهما الختامية المتبصرة، يحدد هذا التأطير التضادي في كثير من الأحيان موقع الافتراضي بوصفه نسخة تسعى دوماً، لكنها لا تنجح أبداً، إلى تحقيق صورة مطابقة محاكية تماماً للواقعي. من هنا، وجدت العبادة المرائية [المنافقة] للأصالة في الافتراضي، التي تولد كلاً من الاحتفالات التشجيعية بكل خطوة تزداد قرباً من هذه الصورة المطابقة للأصل (سواء ضمن ثقافة الوقائع [ج واقع] الافتراضية الجديدة والمؤثرات الخاصة الرقمية التي تكون حتى أكثر رقمية، أو في الثقافة الأكاديمية للجغرافيات الحوسبية التي تقدم صورة جانبية أكثر دقة للواقع "على الأرض")، لكنها أيضاً [أي النسخة] تولد انتقادات للافتراضي بوصفه تراجعاً، وبديلاً فقيراً، عن الحياة الواقعية (مثال ذلك الصورة النمطية المشوهة لمستخدمي chat الدردشة على الشابكة بوصفهم أفراداً حزينين إلى حد ما، عاجزين عن التلاؤم، أو منفصلين كثيراً عن التفاعل الاجتماعي وجهاً لوجه، أو النقد الاجتماعي الأوسع للافتراضية بسبب الانسحاب إلى عوالم الخيال idealised المثلَنَة بدلاً من مواجهة مشاكل العالم الواقعي)..

ثانياً وعلى الرغم من بلاغة المحاكاة السائدة، ثمة إمكانية داخل بُعد المحاكاة للبرهان على الطبيعة التمثيلية المستمرة للجغرافيات الافتراضية؛ ولأجل التأكيد على أنه بالرغم من بعض المزاعم المقدمة دفاعاً عن الاتصالات بوساطة الحاسوب فإنها لا تؤسس نظاماً ما بعد رمزياً. إنها تحقق ما تدعوها دونا هاراواي God trick "حيلة الرب". في موازاة أشكال التحليل النقدي المطبقة على التمثيل الأدبي والفني، يمكن للدراسات في هذه المضمار أن تتضمن عرضاً لشعرية

[جماليات] وسياسة العوالم والموضوعات الافتراضية التي يتم إبداعها في الفضاء الافتراضي: التصويرات الجسدية للشخصيات المجسّدة للآلهة، والمشاهد الاجتماعية والجغرافية للألعاب والمحاكيات الأخرى، وهلم جرا. وربما يمكنه أيضاً بشكل أكثر استفزازية أن يحرض على استقصاء الاقتصادات التمثيلية المختلفة للنشاطات الاجتماعية التقنية الافتراضية المتنوعة. في هذا المجلد، على سبيل المثال، يقدم فصل كن هيليس تحليلاً كهذا بالضبط للواقع الافتراضي، على الأقل بلغة التشديد على البصرية، مثيراً تصورات علم البصريات optics المعقدة والملتبسة غالباً، والحقيقة التي يحشدها. وبشكل ضمني أكثر، فإن استدعاء مايكل جويس للنصية الفائقة هو تفكير على درجة عالية من الإيحاء عبر إعادات تشكيل السلطة التمثيلية التي يمكن للنص الفائق أن ينتجها، مثلما يعيد تشكيل تأليفات ومواقع المؤلفين والنصوص والقراء وعلاقاتها.

ويمكن أيضاً الكشف هنا عن مقاربة ثالثة لتضاد الافتراضي - الواقعي: الاعتراف ليس بمجرد الوقائع الافتراضية بل "بالافتراضيات الواقعية"(كاستلز ١٩٩٦)، الفاعلة بالتوازي مع "الواقعي-الواقعي". فالافتراضي ليس بمثابة نسخة أو تمثيل بل بمثابة بديل. في بعض الأحيان يتم تصور هذه البدائل الافتراضية بوصفها بدائل إشكالية؛ وفي بعض الأحيان بوصفها بدائل تقدمية اجتماعياً وسياسياً. لقد طور عالم الإناسة داني ميلر Danny Miller مؤخراً حجة قوية من الطراز الأول في تحليله المضامين الاجتماعية - السياسية الرجعية للافتراضي، والعوالم المجردة للمنمذجين [المخططين] الاقتصاديين، ومدققي حسابات الخدمات العامة ومنظري ما بعد الحداثة (ميلر ١٩٩٨). إن المقاربات الواردة هنا هي بحد ذاتها استفزازية، لكن دعونا نبقى مع الأولى منها. إن جدال ميلر، الذي هو جزء من معارضة مستمرة أطول للمشروع الفكري المهيمن لعلم الاقتصاد المهيمن، إنما هو جدال مزدوج: إذ إنّ مفاهيم علماء الاقتصاد لعلم الاقتصاد مستقلة بشكل محزن عن العوالم الواقعية، المعيوشة، للمنتجين والمستهلكين المتورطين في ممارسة

الرأسمالية المعيوشة؛ لكنهم أيضاً، وهنا المشكلة، يمتلكون السلطة لفرض رؤاهم المستقلة على أولئك المنتجين والمستهلكين الواقعيين. فالتعديل البنيوي [إعادة الهيكلة] هو الصورة المصغرة عن هذه virtualism الافتراضوية الوحشية. إن رأي ميلر يستحق الاقتباس بكامله هنا:

يشمل التعديل البنيوي ... سلسلة من الإجراءات والنماذج التي استنبطتها جماعات علماء الاقتصاد العاملين داخل بعض المؤسسات الكبرى التي أنشئت على أثر مؤتمر بريتن وودز التاريخي. هذه النماذج، التي يرعاها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وأشباههما، هي نماذج أكاديمية صرفة، بمعنى أنها لا تعير اهتماماً للسياق المحلي. فهي ببساطة نماذج ممثلة ومجردة تمثل أقسام علم الاقتصاد الجامعية المشاركة في النمذجة الأكاديمية. هكذا في حين أن الرأسمالية بوصفها سيرورة تسعى الشركات بموجبها إلى إعادة إنتاج وزيادة رأس المال من خلال الصناعة والمتاجرة بالسلع التي أصبحت بشكل متزايد مُسَيْقَنة [أي مدرجة ضمن سياق بعينه] ومعقدة ومتناقضة غالباً (ميلر ١٩٩٧)، فقد برزت قوة أخرى أصبحت مجردة بشكل زائد. [هذه القوة] هم الأكاديميون الذين تدفع لهم الدول والمنظمات الدولية الأموال وتمنحهم الحرية في الارتفاع فوق السياق لكي يشاركوا في عمليات النمذجة التأملية إلى حد كبير. في حين كانت الرأسمالية المبكرة مجبرة على التعاطي مع العالم ولذلك كانت عرضة لتحولات السياق، فإن علم الاقتصاد قد بقي متحرراً من ذلك. إن العلماء الاجتماعيين قد لا يفكرون بالأكاديميين بوصفهم أقوياء بشكل خاص، لكنهم عندئذ لا يكونون علماء اقتصاد. إذ يمتلك علم الاقتصاد شكلاً من السلطة التي تتجاوز مرة أخرى الرأسمالية المبكرة، أي التفويض الشرعي لتحويل العالم إلى صورته. باختصار، في كل حالة لا يكون فيها العالم القائم مطابقاً للنموذج الأكاديمي، فإن المسؤولية لا تقع على تغيير النموذج، بل على تغيير العالم. وسلطة بهذا الشكل الجديد من التجريد تحديداً هي التي يمكن في الواقع

أن تعمل على إزالة خصوصية العالم بوصفها سلسلة من التشوهات التي تمنع العالم من العمل كما يتوقع منه النموذج أن يعمل. هكذا فإن مبادئ السوق ليست هي التي تمثل الرأسمالية، بل إن الرأسمالية هي التي يفترض بها أن تتحول إلى تمثيل أفضل لنموذج السوق.

(Miller ١٩٩٨: ٨-٩)

حجة ميلر، إذاً، هي أن التعديل البنيوي ليس نتاجاً لمنطق الرأسمالية المتأصل والصلب، بل نتاجاً للتجريدات و[عمليات] نزع السياق(*) لشكل بعينه من الافتراضوية: النمذجة الاقتصادية الأكاديمية. في حين أن ميلر متردد بخصوص قابليتها الأوسع للتطبيق- إذ يكتب: "لا أدعي أنني واثق... بخصوص مدى سريان مفعول هذه الحجة بالنسبة إلى ظواهر أخرى مثل... افتراضوية الواقع الافتراضي ضمن تقانات الحاسوب" (١٩٩٨: ٢) - فإننا نعتقد أن تحليله يثير قضايا هامة يمكن توسيعها بشكل مفيد إلى أشكال أخرى من الافتراضية غير تلك التي يعالجها مباشرة. أحد هذه الأشكال هو إمكانية عكس الاقتصادين الواقعي والافتراضي، بحيث يصبح الواقعي هو المحاكاة البائسة للافتراضي أكثر مما هو العكس بالعكس، وأن الواقعي هو الذي يتعين عليه أن "يتعدَّل". أما الشكل الآخر فهو القدرة الكامنة للافتراضي، من خلال التجريد، على حشد وإنتاج أشكال من السلطة الشديدة التموضع التي تعمل عملها تحديداً من خلال إنكارها المحتَّم لسياقية الممارسة والمعرفة (بما في ذلك ممارستها ومعرفتها هي).

مع ذلك، يشير آخرون إلى سياسة مختلفة وجغرافيا سياسية مختلفة، يمكن للافتراضيات - الواقعيات أن تؤديها: تحرير الذين يلجونها من سياقات "الواقعي - الواقعي" ذاتها التي يود ميلر الدفاع عنها. فعلى صعيد أول، يتم تأطير هذه المزاعم لصالح الافتراضي بلغة نزع الصفة المحلية(**) عن مظهر

(*) decontextualisation: نزع السياق أو التجريد من السياق أو الإخراج من السياق (المترجم).

(**) delocalization نزع الصفة المحلية.

الأحداث، وبالتالي عن مظهر الخبرة أيضاً (أنظر على سبيل المثال Wark 1994 b)، لهذا فإن world wide web الشبكة العالمية يتم تشجيعها كأداة تعلّم، كفضاء يتيح حرية الوصول إلى المعارف واللقاءات خارج المحلية. وعلى صعيد آخر، يكون هذا متصلاً بجانب تقدمي، وإن كان على الدوام مثيراً للقلق إلى حد ما، من الوضع المعاصر؛ إنه نزع الصفة التراثية(*) عن مجال الممكن وكشفه لإتمام مجال العُرفي (من أجل مراجعة نقدية أنظر: Heelas et al 1996). وعلى صعيد آخر أيضاً، يُنظر إلى قيمة الواقعي- الافتراضي بلغة الصفات الخصوصية للمعمارات والأنسجة والمأهوليات المكانية التي يسهلها؛ على سبيل المثال، من خلال قدرته الكامنة على إعادة تشكيل الأنظمة السائدة من التجسيد البشري، وعلى السماح بميوعة ومرونة أكبر من الواقعي - الواقعي الأكثر لزوجة والمنظم بشكل انشطاري (plant 1995). بالطبع، من الممكن والمطلوب حشد هذه المزاعم لصالح الإمكانية الإيجابية للواقعي الافتراضي. إن المعايير التنظيمية الأخلاقية المحلية لتفاعلاته وأداءاته، وارتباطها بتلك المعايير السارية في الواقعي - الواقعي، تتطلب الاعتراف بها واستقصاءها أكثر مما هو مفترض (انظر مثلاً مساهمة ويكفورد حول جنوسة التفاعل على الشبكة). إن الطرق التي ينخرط بها المستثمرون فعلاً ويفهمون معنى "الأرض الموسعة" التي يصلونها من خلال "شبكات الاتصالات عن بعد المتشابكة فوق العالم" هي حاسمة كما أظهرت دراسات مشاهدات التلفزيون (سيلفرستون) وكما تؤكد أيضاً كتابات ديبوره لوبتون حول التصورات الشعبية للحواسيب الشخصية. وبالطبع، لا يمكن المبالغة في أهمية من الذي يمتلك بالضبط حرية الوصول إلى هذه الأراضي، وبأية صفات [تخوله ذلك] (أنظر على سبيل المثال ديركتون ١٩٩٦ حول البريد الالكتروني من جامايكا). تتضمن مساهمة نك بينغهام المعطيات الإحصائية

(**) detraditionalisation نزع الصفة التراثية.

المزعجة التالية ولو أنها غير مفاجئة لدى التأمل فيها للحظة: إن حوالي نصف سكان العالم هم على أبعد أكثر من ساعتين عن أقرب هاتف. يمتلك العالم الافتراضي جغرافيات تشميل وإقصاء محدودة جداً. مع ذلك، لا يمكن للمرء أن يتجاهل ببساطة هالات الإمكانية التي تحيط بالجغرافيات الافتراضية. إذ يجب اتخاذ الحيطة عند اكتشاف إلى أي مدى يتم تحقيق هذه الإمكانيات ولأجل من، لكن بقدر ما تصبح الجغرافيات الافتراضية ميداناً يقع فيه الممكن، يمكنها أن تعمل عملها كحقل مختلف جداً عن* ذاك الذي انتقده ميلر، ليس بوصفه فرضاً متجانساً لتواريخ مفردة، بل كزمكان space-time يتصف بالاحتمال وحس ملموس بالانفتاح على التغيير.

في الواقع، إن هذه الصفات هي صفات أعراضية لاتجاه ثانٍ في مفهمة الافتراضية. هنا يكون تعقيد الجغرافيات الافتراضية لازمة متكررة، سواء بشكل أكثر تعميماً من خلال التشديد على غموضها و"تعقيدها الذي لا يمكن تصوره" أو من خلال التلاوات الأكثر تفصيلاً، لكنها تظل غالباً تعويذية نوعاً ما، للاخطيتها nonlinearity وتنظيمها الذاتي وأنظمتها الطارئة، وفوضاها، ومكانيتها الجزئية المتعددة الأبعاد، وخصيصتها ذاتية التكوين. مرة أخرى، مع ذلك، ليس هذا التعقيد صفة ثابتة. إنه يميز حقلاً من النزاع المفاهيمي والمادي. على سبيل المثال، يوحي في بعض التصورات بمكانية سيبرنتية(*) تتجاوز الترسيمات العقلانية للعوالم الذكورية. وكما يعبر عن ذلك اوتو إيمكن في سبره للرحم العالمي، فهي مكانية تتميز بأبعاد متعددة، غير قابلة للتبادل فيما بينها. إذ لا يمكن ترسيمها أو دراستها بسهولة، وتتطلب وسائل بديلة للاجتياز والبناء، تكون متجذرة في مقاربة ظرفية موجَّهة بالحدث (هذه المجلد: ٩٥). ففي المكانية تتجسد أشكال جديدة للذات

(*) نسبة إلى السبرنتيك: وهو علم يُعنى بكيفية تنظيم المنظومات وضبطها وإعادة إنتاج نفسها وكيفية نشوئها وتعلمها، وجعل الآلات تتصرف مثل الكائنات الحية، كما في حالة الروبوت. (م).

والعالم، قد يفقد فيها المرء ذاته (الواقعية - الواقعية) من خلال الضياع والعيش في الظرف. إنها المكانية التي تعني أن "الفضاء السايبري، رغم أصول الكثير جداً من الافتراضي في ثقافتي التقانة والنزعة العسكرية الذكوريتين، ربما يكون مكاناً حتى لإثبات المرأة. . . ، ليس لماضيها البطريركي الخاص، بل لما ستكون عليه في مستقبل لم يصل بعد لكن يمكن مع ذلك استشعاره مسبقاً". يمكن للمرء على كل حال أيضاً أن يشير إلى الكيفية التي يتم بها تهميش هذه الإمكانيات، ليس أقله من خلال التأكيد السائد على السطوح البينية(*) الصديقة للمستعمل وعلى محركات البحث؛ وكيف أن المكانيات السائدة للفضاء السايبري لا تتميز بالانحراف أكثر مما تتميز بتسميات تعيد إنتاج العالم الواقعي والبنى الشائعة ذات القابلية للفهم. يمكن للمرء، مثل إيمكن، أن يعزو ذلك إلى عملية التطلع إلى السلطة والمصالح القوية؛ مثال ذلك أولئك الذين يريدون من الافتراضي أن يشكل نفسه وفقاً لنموذج المتجر الشامل mall وإيديولوجياته الاستهلاكية. أو يمكن للمرء أن يؤكد على رغبة الكثير من المستعملين في فهم الافتراضي، بتصوره بأشكال واضحة وقابلة للتفسير (كما يجادل جيمس نيل في مساهمته حول قراءة وليام جيبسون). في كافة الأحوال، مع ذلك، من الواضح أن تعقيد الجغرافيات الافتراضية ليس تعقيداً فطرياً (متأصلاً)، إنه عرضة لبناءات وإعادات بناء عديدة.

إذا كانت الافتراضية بوصفها محاكاة والافتراضية بوصفها تعقيداً هما طريقتان شائعتان ومترابطتان لتصور الجغرافيات الافتراضية، فإن الطريقة الثالثة هي الافتراضية بوصفها توسيلاً(**). إننا نقتبس هذا المصطلح من تحليل جون طومبسون النظري الاجتماعي لوسائل [الإعلام] الحديثة ونستخدمه للتأكيد على

(*) السطوح البينية interfaces: هي نقاط التماس بين برنامجين حاسوبيين أو قطعتين من الأجهزة الحاسوبية (المترجم).

(**) التوسيل mediazation: استخدام وسائل الاتصال كوسائل للإعلام والعكس. (المترجم).

إمكانية فهم الاجتماعيات التقنية الافتراضية بوصفها تطورات حديثة في تواريخ أطول بكثير من الاتصال الموسَّل والمماسَف. تنطوي حجة طومبسون على أربعة عناصر رئيسية. فعلى الصعيد الأكثر عمومية، يقارب طومبسون الوسائل media بوصفها متورطة في "البث الثقافي للأشكال الرمزية"، لكن هذه الوظيفة السيميائية تُجسد أيضاً بشكل كلي من خلال الاهتمام بـ "الأجهزة المؤسساتية" و"الطبقات التحتية المادية" أو "الوسائل التقنية" للاتصال، ومن خلال التأكيد على تناسج الشكل الثقافي مع الأشكال الأخرى من السلطة – الاقتصادي والسياسي والعسكري (طومبسون ١٩٩٠: ١٣).

ثانياً، من خلال وضع مخطط لتاريخ يمتد من المطابع الأوروبية في القرن الخامس عشر إلى تكتلات الاتصال في الوقت الحالي، يحدد طومبسون موقع وسائل الاتصال بوصفها مكونات أساسية للعالم الحديث: "إذا كنا نرغب في فهم طبيعة الحداثة – أي طبيعة الخصائص المؤسساتية للمجتمعات الحديثة وشروط الحياة التي تخلقها – فيجب علينا أن نعطي دوراً مركزياً لتطور وتأثير وسائل الاتصال. على وجه الخصوص، وهذا هو الجانب الثالث من هذه المقاربة، إن أهم مظهر من مظاهر حداثة الاتصالات الجماهيرية هو تسهيلها لتماسف الزمكان: (Space - Time Distanciation)

«ينطوي بث شكل رمزي بالضرورة على انفصال هذا الشكل إلى حد ما عن السياق الأصلي لإنتاجه؛ إذ يُماسف عن هذا السياق، مكانياً وزمانياً، ويُحشر في سياقات جديدة تقع في أزمنة وأمكنة مختلفة .... إن جزءاً مما يكوّن المجتمعات الحديثة بوصفها "حديثة" هو حقيقة أن تبادل الأشكال الرمزية لا يعود محصوراً بالدرجة الأولى بسياقات التفاعل وجهاً لوجه، بل يكون موسلاً على نحو واسع ومتزايد عن طريق مؤسسات وإواليات الاتصال الجماهيري» (Thompson 1990: 13 , 15).

لذلك فإن توسيل الثقافة الحديثة "يحول التنظيم المكاني والزماني للحياة الاجتماعية"، معيداً تشكيل سياقيتها على وجه الخصوص. على سبيل المثال، يعتمد طومبسون على عمل عالم النفس الاجتماعي جوشوا ميروفيتز (١٩٨٤) Joshua Meyrowitz ليشير إلى دور الاتصال الجماهيري في تخلل بعض التخوم [الفاصلة] بين سياقين مختلفين، ما يزيد من مرئية ميادين الحياة الاجتماعية البعيدة والمحجوبة سابقاً. ويشدد آخرون على إعادات السيقنة(*) التي تجرى من خلال التأثيرات التقطيعية [المونتاجية] للقوى الموجهة للوسائل والاستهلاكات المحددة الموقع لقراء أو مستمعين أو مشاهدين بعينهم. إن التأثير الإجمالي هو أَشْكَلَة(**) المعاني المحدودة للصور المحلية والمجانَسة(***). تنتج جغرافيات التوسيل محليات معولَمة وعالميات مُمَحْلَنة(****). رابعاً وأخيراً، يتفحص طومبسون المعاني الضمنية لإعادة تشكيل سياقية الحياة الاجتماعية. إن اهتماماته الخصوصية هي بآثارها على خصيصة الفعل والتفاعل الاجتماعيين (حيث يُقابل التفاعل وجهاً لوجه بالتفاعل الكاذب الموسَّل، الحواري)؛ وتأثيرات وفرة المواد الموسولة لأجل سيرورات تشكيل الذات؛ وأشكال الحياة العامة التي تسهلها ويمكن أن تسهلها الوسائل الحديثة. ويندرج تحت هذه كلها الاعتقاد بأن الوسائل الاتصالية تقوم بأكثر من بث المعلومات ببساطة بين الأشخاص والأمكنة. بالأحرى، ينطوي استعمال وسائل الاتصال على خلق أشكال جديدة من الفعل والتفاعل في العالم الاجتماعي، وأنواع جديدة من العلاقة الاجتماعية وطرق جديدة من الارتباط بالآخرين وبالذات (طومبسون: ١٩٩٥: ٤).

(*) إعادة السيقنة recontextualizations أي إعادة تشكيل السياق لحدث أو الشيء أو إعادة الحدث أو الشيء إلى سياقه. (المترجم).

(**) problematise. بمعنى يحول أو يتحول إلى إشكال أو مشكلة يتعين حلها (المترجم).

(***) homogenised. اسم المفعول من الفعل يُجانس أو يتجانس والاسم منه تجانس أو مجانسة (مترجم).

(****) Localized. مُمَحْلَن اسم المفعول من الفعل يُمحلن أي يُحول أو يتحول إلى محلي أو يكتسب طابعاً محلياً (المترجم)

إن أنواع الأسئلة التي يطرحها اعتبار الافتراضية توسيلاً إنما يوضحها وصف طومبسون الشامل: ما هي الأجهزة المؤسساتية والطبقات التحتية التقنية التي تميز الاتصالات بوساطة الحاسوب؛ وبأية طرق، ومن خلال أية أصناف من الافتراضية، تعيد تشكيل سياقية الحياة الاجتماعية وأية أشكال من تماسف الزمكان تجسد؛ وأية أشكال من التفاعل تحدث من خلالها، وبالأخص ما هي درجات وأشكال الحوار التي تكون ظاهرة؛ وكيف تحدد موقع الذوات [الأشخاص] المشمولة فيها؛ وما هي أشكال العمومية، وفي الواقع الخصوصية، التي يمكنها أن تكوّنها؟ تقدم المساهمات في هذا الكتاب أساساً مفاهيمياً لهذه الهموم (انظر على سبيل المثال مقالة بينغهام التي تجادل دفاعاً عن تصور الفضاء السايبري بوصفه منظومة تحمل رسائل(*)) وبعض التحليلات الأكثر تفصيلاً لحالات خاصة (ربما على النحو الأكمل في وصف فروهلينغ لتوسيل حركة زاباتيستا المكسيكية من خلال الشابكة، الذي يجادل دفاعاً عن قدرة الشبكة على تقديم الأحداث من خلال اقتصاد حواري للمعرفة الجغرافية يشجع ليس مجرد "التعلم من مسافة"، بل التحالفات المماسَفة).

يسلط وصف طومبسون للتوسيل الضوء أيضاً على مأخذ رابع على الافتراضية يتكرر عبر هذا المجلد: **الافتراضي بوصفه مكانياً**. هذا التكوين المكاني للافتراضية هو، كما نأمل، ظاهر ضمنياً قبل الآن من الفقرات السابقة. مع ذلك، فإن ما يجدر تأكيده هو أن عنوان هذه المجموعة يشير ليس فقط إلى حاجة دراسات الجغرافية البشرية إلى أن تأخذ الافتراضية على محمل الجد بل، بشكل هام بالقدر نفسه، إلى حاجة دراسات الافتراضية إلى أن تضع أسئلة الجغرافية في مركز اهتمامها. لهذه الحجة ثلاثة سندات رئيسة. أولاً، إذا كان يتعين اجتناب صور الافتراضي المفرطة التعميم، فيجب الانكباب على توزع الافتراضية: عبر توثيق الفوارق في إمكانية الوصول إلى الأشكال الافتراضية (على

(*) message-bearing system.

سبيل المثال، عن طريق معالجة السؤال الواضح، لكنه لا يزال دون أن يحظى بإجابة كاملة، وهو من الذي يستعمل ويقدر على استعمال الشابكة)، وبتحليل السياقات التي توضع ضمنها التقانات الافتراضية قيد التطبيق (على سبيل المثال، السؤال عن لماذا وكيف، وخصوصاً أزمنة وأمكنة استعمال الشابكة). ثانياً، وبناء على هذه النقطة الأخيرة، فإن إعادات الأقلمة(*) [التوطينات] المنتَجة من خلال دمج الافتراضي في الجغرافيات بحاجة إلى الاختبار. في هذه المجموعة، مثلاً، يبين جيريمي شتاين كيف أن التطوير المبكر للهاتف، في لندن على الأقل، قد اكتسب شكله بقوة خصوصاً عن طريق الجغرافيات السياسية - الاقتصادية القائمة لحيازة الأرض المدينية وحقوق الملكية. يحلل كريستوفر راي وهيلاري تالبوت كيف تم تفعيل أفكار وممارسات الاستعلام عن بعد من خلال التوطينات [الأقلمات] المتعددة عندما دمجت ضمن خطابات "التنمية". ثالثاً، إن الأبعاد الأخرى للافتراضية التي عرَّفناها- التوسيل، التعقيد، والمحاكاة - هي بحد ذاتها جغرافية أساساً. هكذا يتوصل المرء إلى فهم طومبسون للتوسيل بوصفه إعادة تشكيل للسياقية؛ بالإضافة إلى حجج الآخرين دفاعاً عن كيف أن "المنظومات الحاملة للرسائل" تفعل ما هو أكثر من نقل المعلومات، بل تنتج كيانات مكانية، وشبكات الوصل، ومواقع المركزية والمحيطية [الهامشية] (أنظر مراجعة بينغهام لعمل لاتور وسيريز)، يمكن مناقشة شكل هذه المكانية الموسولة، وهو في الواقع أبعد ما يكون عن الشكل الموحد - قارن على سبيل المثال وصف ستيفن غراهام لكيفية استعمال التقانات الافتراضية لتكثيف جغرافيات المراقبة الكلية الرؤية panoptical الجابذة [الجاذبة نحو المركز] مع تشديد مايكل جويس على جغرافيات النصية الفائقة الكلية المكان pantopical [كل مكان في الوقت نفسه] النابذة، اللامركزية - لكن التكوين الجغرافي للافتراضي بوصفه توسيلاً يظل ثيمة ثابتة. يصح الشيء نفسه على تصويرات الافتراضي بلغة التعقيد. رغم كل

(*) إعادة الأقلمة أو التوطين reterritorialisation هي نقل أي اختراع أو منتج من موطنه الأصلي إلى موطن آخر أو بيئة أخرى كتوطين تكنولوجيا المعلومات وغيرها . . . (المترجم).

شيء، فإن هالات التعقيد التي تحيط بالمجاميع الافتراضية المحددة يتم تصورها بطرق مكانية أساساً (انظر على سبيل المثال مقالة أيمكن Imken حول الرحم العالمي ومقالة جويس حول "محدودية" النصية الفائقة). أخيراً، إن مفهومات الافتراضي بوصفه الآخر بالنسبة للواقعي، تُعنى بالقدر نفسه بالفضاء، وإن يكن بشكل أقل وضوحاً أحياناً. يصيغ الفصل الختامي لماركوس دويل وديفيد كلارك هذه الحجة على مستوى مفاهيمي عام. إذ يقترحان تنظيراً للعوالم الافتراضية:

((إن ما هو موضع رهان ... ليس فقط كيف نفكر حول الواقعية والافتراضية والواقع الافتراضي: بل أيضاً كيف نتصور الزمان – المكان نفسه. . . . إنها الحاجة إلى إعادة التفكير بالزمكان، بدلاً من أية تقانات حديثة، الأمر الذي يطرح التحدي الأكثر إلحاحاً)) (دويل وكلارك: ٢٧٩).

بتناسق متقن تتطور مساهمة كن هيليس الافتتاحية حول الواقع الافتراضي وفق مسار موازٍ، على سبيل المثال، عن طريق سبر توضيعها للذوات (على سبيل المثال، بوصفها مغمورة في العالم و/ أو مماسفة عن العالم) وتعريفاتها للواقع والتنوير. فالافتراضية، إذاً، ليست مجرد شيء ما يعمل من خلال وعبر الفضاء. إنها في جوهرها ظاهرة مكانية.

المقالات:

كما تبين الفقرات السابقة، فإن هذه المجموعة هي ذات مجال عريض على نحو متعمد في كلٍ من المادة والأسلوب. وهذا في جزء منه لأننا في حين قد أدخلنا في ملاحظاتنا التمهيدية بعض التعليقات على المقالات التي ستلي، نود أن نتكلم قليلاً حول كل مقالة على حدة. يبدأ الكتاب بثلاث مساهمات تؤكد على الجغرافيات التاريخية للافتراضي. تشرع مقالة كن هيليس، "نحو الضوء من الداخل". . . . . في الاشتباك نقدياً مع الغشاوة المؤثرة المحيطة بالتقانات الاتصالية والحوسبية الجديدة، ولهذه الغاية يضعها في سياقها [يسيقنها]

"ضمن التواريخ الأطول لعلم البصريات والضوء والتصور والتوسيل". إن كن هيليس، إذ يركز بالدرجة الأولى على تقانات الواقع الافتراضي، (VR)، يجادل بأنها، مثل الأمثلة المعاصرة الأخرى على الاستعلام عن بعد لا تدمج الحوسبة الرقمية مع الاتصالات عن بعد فحسب بل تشدد أيضاً تشديداً كبيراً على الرؤية والخبرات التي تقدمها، خصوصاً عندما تُوسَّل من خلال الشاشة. وهذه أكثر من سمة تقنية. بالأحرى، إن كثيراً من القدرة المنسوبة إلى هذه التقانات على إعادة قولبة العالم والذات، وتقديم مصدر جديد للتنوير، إنما هو مقيد ببصرياتها. إن هيليس، الذي ينسج تعليقاً على الواقع الافتراضي من خلال تحليل "التقانات التصورية السبقية"(*) للرؤية كالحجرة المظلمة والفانوس السحري والبانوراما والمجسام، يرسم أربعة أبعاد يمكن من خلالها فهم هذه البصريات: توضيعها للذات في علاقته بالعالم؛ وتحديدها موقعاً للمعرفة والتنوير؛ وتفضيئها Spatialisation للواقعي والصورة؛ وفهمها المجازي للضوء وعلاقته بالحقيقة. إن التأثير الإجمالي هو جعل بعض المزاعم المغالية لصالح الواقع الافتراضي قابلاً للفهم- على سبيل المثال من خلال شرح كيف يصبح الضوء والحقيقة واقعين ومحلين في التقانات – ومفتوحاً للنقد التحذيري.

يشاطر فصل جيريمي شتاين حول "الهاتف؛ تشكيله الاجتماعي وتفاوضه العمومي..." هيليس "الاهتمام [بالسيقنة التاريخية](**)، وإن كان يتابعه بضربات فرشاة أقل عرضاً، من خلال تسليط الضوء على لندن أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. إذ يجد شتاين أن السجالات المعاصرة حول تحولات الفضاء المديني التي يحدثها نشوء المدن المعلوماتية والشبكاتية كان لها ما يوازيها منذ حوالي ١٠٠ سنة في السجالات حول الاتصال الهاتفي المديني.

(*) prefigurative technologies. التقانات المساعدة على توقع حدوث الشيء قبل وقوعه (المترجم).

(**) historical contextualisation. وضع الأشياء أو الأحداث ضمن سياق تاريخي (المترجم).

إذ يستعرض السجالات في الصحافة القومية حول ما أصبح يعرف باسم "مسألة الهاتف"، يظهر كم طغت القضايا نفسها: تأثير هذه التقانة الاتصالية الجديدة على الحياة الاجتماعية بشكل عام، والتفاعل وجهاً لوجه بشكل خاص؛ وعلاقاتها بالمدونات القانونية الأخلاقية القائمة للخصوصية [السرية] والمنزلة الاجتماعية؛ والتنميط الاجتماعي لحرية الوصول إلى الهاتف؛ وآثاره الاقتصادية والجغرافية؛ ودوره الرمزي كعلامة على المنزلة الشخصية، والتنظيمية والبلدية.

لذلك فإن المساهمة الأولى لمناقشة شتاين هي إثارة بعض الشك حول جدة [حداثة] تقاناتنا الجديدة المعاصرة. علاوة على ذلك، فإن مقاربة شتاين للهاتف هي التأكيد على إنتاجه الاجتماعي (المتواصل) بدلاً من التأكيد على قدراته الجوهرية. فهو يجادل بأن الهاتف قد "تأسس" حرفياً في جغرافية لندن السياسية والمؤسساتية الفريدة من نوعها، وفي منظومة بنية أرضها وفي مجال الخطابات السياسية (هذا المجلد ص: ٤٥). وهو يولي اهتماماً خاصاً للدور الحاسم الذي تلعبه علاقات الملكية العقارية القائمة علاوة على كل الصعوبات القانونية التي واجهها مزودو الهاتف في تحقيق "صلاحيات المرور في أرض الغير" لتسهيل إنشاء البنية التحتية الهاتفية – والإيديولوجيات المؤسساتية – حيث اصطدمت الروحان الاحترافية (المهنية) والمقاولية. أما التأكيد الكلي فهو على كيف "أن الطريقة التي تطورت بها منظومة الهاتف في بريطانيا لم تكن حتمية". فهذه التقانة الافتراضية لم تظهر وهي تامة التشكل، بل تطورت، وهي تستمر في التطور، في سياقات خاصة وبالارتباط مع التقانات الأخرى، والإيديولوجيات المؤسساتية والاقتصادية وأشكال الفضاء القائمة.

إن فصل وندي لارنر بعنوان "مستهلكون أم عمال؟ إعادة هيكلة الاتصالات البعيدة في اوتياروا بنيوزيلندا"، يصف تغيراً يمتد في الزمان إلى الثمانينات، وفي المكان. لكنه، بطرق عديدة، يتوسع في المقاربة التحليلية التي طورها شتاين. وإذ تتفحص لارنر التغير الدراماتيكي الذي جرى في الاتصالات البعيدة لنيوزيلندا

من "حكم الدولة" إلى "حكم السوق" الليبرالي الجديد الذي يصور قبلئذٍ بشكل ألطف بكثير في مناقشة شتاين للسجالات حول شركة الهاتف القومية في لندن قبلئذٍ بـ ٨٠ عاماً - فإنها تركز على العلاقات بين تقانات الاتصال والأشكال المؤسساتية والهويات الاجتماعية. وتتفحص بشكل خاص كيف تصبح شخصية "المستهلك" التي يتم اختزالها إلى معجم اقتصادي بحت أكثر من كونها معجماً اجتماعياً بالكامل. بالمناسبة، مما تجدر الإشارة إليه، كما تفعل لارنر، أن كلاً من المستهلك والعامل هما، بالطبع، تصوران افتراضيان إلى حد ما؛ رغم كل شيء، فإن المستهلكين الحقيقيين هم عمال أيضاً في الغالب، ولذلك فإن الكثير مما يُفْعَلُ باسمهم هو مؤذٍ لهم إلى حد كبير (ميلر ١٩٩٥). لكن حجة لارنر الأساسية هي أن تقانات الاتصالات البعيدة تحتاج إلى وضعها في سياقها في أزمنة وأمكنة محددة، وبلغة الأشكال المؤسساتية والهويات الاجتماعية التي تتشكل عن طريقها. وتصبح المسألة الآسرة لمزيد من الدراسة، بدورها، هي إلى أي حد تسهل تلك التقانات نفسها (الممنوحة شكلاً اجتماعياً)، استطرادياً وعملياً، تطور هذه الأشكال المؤسساتية والهويات الاجتماعية. هكذا، على سبيل المثال، بأية طرق يعتمد حكم السوق على الرمزية والمادية المتعلقتين بالاتصال عن بعد لكي يبني تأكيداته على تجاوز الدولة من قبل العولمة؟

يقدم الفصل المأخوذ من لاورا تشرنايك، "تخطي الحدود القومية، والعلم التقني والاختلاف"، أسلوب تحليل مختلفاً نوعاً ما. وإذ تعتمد تشرنايك بشكل خاص على كتابات دولوز وغواتاري وهاراواي ولاتور، تسلط الضوء على عدد من المفاهيم المثمرة للتفكير في الافتراضي. مما له أهميته بشكل خاص، ربما، توكيدها، المأخوذ عن هاراواي، على تجاوزات تضادات المادي والسيميائي (العلاماتي) من خلال التشديد على التطبيقات المادية - السيميائية. نظراً للنزعة الازدواجية والتناقضية إلى تصور الافتراضي بوصفه سريع الزوال، والتقانة بوصفها، بشكل ما، خارج الاجتماعي وشبكات المعنى الخاص به،

فإن هذا التصحيح هام على جبهتين. ثمة مساهمة ذات صلة مفترضة بمفهوم دولوز وغواتاري "للآلات"، التي، بعيداً عن رؤيتها بوصفها أشياء محدودة تعاملها كجماعيات، تجمع كيانات من طائفة من الفئات المختلفة (بشرية ولا بشرية، عضوية ولا عضوية)، فقط ومن خلال هذا التجميع، بدلاً من كونه من خلال مقدرة جوهرية وتقنية بشكل ضيق، تمتلك القدرة الفعالة على "تصوّر طريقة جديدة في الكينونة والتفكير". إن مقالة اوتو ايمكن حول "تقارب الافتراضي والفعلي في الرحم العالمي" تتبنى بالتأكيد مثل هذه المقاربة. إنها تفتتح بعبارة: أظن أنه من الافضل أن أسقط كل خوف وأبدأ بمعاملة رحم الاتصالات العالمية عن بعد كشكل حياة اصطناعي جديد: ليس مجرد متعضٍ . . . . . بل وظيفية (تابعية) لا خطية، لا تناظرية مجمّعة بشكل فوضوي بحرية أكثر بكثير من وظيفية كيان مغلف بالجلد أو محدود بكونه تكتلاً لأعضاء متميزة. يقدم ايمكن، إذاً، بديلاً للمديح المتحفظ، مشدداً على كيف أن التقانات الافتراضية، من خلال ترابطها في مجموعة أوسع من الشبكات والتجميعات، تكون مشمولة ضمناً في التحول الكيفي للجغرافيات البشرية إلى شكل "رحم". بالفعل بالنسبة لإيمكن، فإن المحاولات لإخفاء هذا الاختلاف الكيفي، على سبيل المثال عن طريق إنشاء سطوح بينية صديقة للمستعمل تقدم الرحم في هيئات مألوفة، يومية، هي [محاولات] إشكالية بشكل متأصل. ويجادل قائلاً "إذا أردنا أن نفهم أي شيء حول الرحم، فيجب علينا أن ننظر إليه بلغته الخاصة . . . .". على كلٍ، يشدد إيمكن على كيف أن سياسة الرحم هي أبعد ما تكون عن الثبات. إنّ السبب الرئيس في أننا يجب علينا أن نعترف بطبيعتها ودلالتها هو غير موجود، لذلك يمكننا أن نكون عناصر فاعلين أكثر من كوننا مشاركين منفعلين فيها. على وجه الخصوص، يشدد إيمكن على الحاجة إلى العمل على تطوير إمكانية الرحم من أجل جغرافيا لامركزية وممكنة، جغرافيا يمكن فيها إحداث شيء ما أصلي، ليس أقله من خلال صنع الروابط والصلات

غير المتوقعة. وفي حين يعترف إيمكن بالضغوط الشركاتية والمؤسساتية التي تحاول تقييد ذلك، يرى الأمل على الأقل في أن روحاً جماعية ظرفية إبداعية يمكن حفظها حية في العالم الرحمي للجغرافيات الافتراضية، وأن تبقى [هذه الروح] في الواقع مُعززة عن طريقه.

إن مراجعة جنيفر لايت النقدية للسجالات حول تأثيرات الفضاء السايبري على الحياة المدينية: "من فضاء المدينة إلى الفضاء السايبري"، هي بالشكل نفسه منتقدة للصور المفرطة التشاؤم. إنها تستعرض كيف أن نقدين متوازيين للجغرافيات المدينية الافتراضية قد كبرا وعكس كل منهما الآخر: واحد يتفجع على ضياع الحياة المدينية الأصيلة تحت (انعدام) ثقل الفضاءات المحاكاة [المصطنعة] والمدبرة (أسواق التسوق والمتنزهات . . . وهلم جرا)؛ وآخر يتميز بـ "تفاؤلية خائلية" حول تأثيرات تقانة المعلومات. هذان النقدان يبنيان، معاً، ويستخدمان ثنائية الافتراضي والواقعي التي تكون فيها المدينة الواقعية أصيلة، عضوية، عمومية، ومشاعية. وتكون "المدينة الافتراضية" غير أصيلة ومسلّعة ومخصخصة ومفردنة. إن كل عناصر هذا الانقسام، كما ترى لايت، مشكوك فيها، وهو شيء تبرهنه من خلال تحليل موجز للطرق التي تستخدم بها الشابكة من قبل منظمات الجاليات في شيكاغو. فالمدن الواقعية والافتراضية، إذن، ليست مختلفة اختلافاً تضادياً ولا هي غير مترابطة. بالنتيجة، إن تقانات الاتصال الجديدة، بعيداً عن الإشارة إلى موت المدينة، يمكن أن توفر بالفعل فرصاً قائمة لإعادة إحياء المشاركة الأهلية بطرق جديدة.

إن تعقيد وتعددية الجغرافيات الافتراضية توحي بهما مساهمة ستيفن غراهام اللاحقة حول "جغرافيات المحاكاة المراقبة". كما لاحظنا قبلاً في هذه المقدمة، أشار غراهام لاحقاً إلى أن التطورات المعاصرة في الاستعلامات عن بعد المدمجة قد تم تصورها غالباً بطرق ضيقة بشكل مفرط مع كون الشابكة على وجه الخصوص

تمثل نموذجاً لكل شيء. بالاعتماد جزئياً على أفكار وليام بوغارد (١٩٩٦)، يعاكس ذلك بالتركيز على الصلات التي تمت إقامتها مع تقانات وتطبيقات المراقبة (التي تتسم بالمتابعة والضبط المجرَّبين للسلوك)، والحوسبة (ببنائها لقواعد البيانات) والمحاكاة (بتمثيلاتها في الزمن الحقيقي للسلوك والبيانات).

ثمة ثلاثة أمثلة رئيسية يُسلط الضوء عليها: تلفزيون الدارة المغلقة CCTV الرقمي والتعقب الالكتروني، كما يتم تطويره لأجل مكافحة الجريمة؛ والخدمات المنزلية عن بعد والتسوق السايبري، وبشكل خاص المعلومات المولّدة بشكل تفاعلي والشخصيات الاستهلاكية الرقمية المنتجة عن طريق ذلك؛ و "معلوماتيات النقل الطرقي"، أو تطوير الطرق السريعة الذكية المتحكم بها رقمياً. بدون الإقرار بأي شكل من الحتمية التقانية – إذ يستنتج غراهام أن تقانة المراقبة يمكن استعمالها وتنظيمها اجتماعياً بطرق أكثر تقدمية – فإن التشديد الكلي هو على تكثيف المراقبة، وهيمنة اهتمامات الشركات والمؤسسات بالربح، والمرونة والاستهداف الفعال للأفراد.

كما تبرهن الفصول التي كتبها شتاين ولايت وغراهام، تقع مواجهات الجغرافيات الافتراضية مع الجغرافيات "الحقيقية" غالباً بشكل تحليلي في المدينة. لذلك فإن وصف كريستوفر راي وهيلاري تالبوت لـ "الاستعلامات الريفية عن بعد: مجتمع المعلومات والتنمية الريفية" يقدم تكملة تجريبية هامة. مع ذلك، ربما تكمن مساهمة الفصل الأساسية هي إكمال التحليل المستند على أرض الواقع للافتراضية الذي باشره شتاين ولارنر؛ بقدر ما [تكمن] في اهتمام راي وتالبوت بكيف يعاد توطين الاستعلام عن بعد، وأجوائه من غزو للفضاء متجرد من الموطن(*)، من خلال إدراجه ضمن عدد من برامج التنمية الريفية. يتم جزئياً تكوين هذه التوليفة من التجريد من الموطن وإعادة التوطين ضمن خطابات الاستعلام عن بعد ذاته، على الأقل كما يصيغها محبو الاتحاد الأوروبي، من

(*) de-territorialising conquest of space.

خلال التأكيد على قدرتها على تجاوز الفضاء والمسافة وقدرتها، في الوقت نفسه، على إعادة القيمة إلى المكان، مثلاً من خلال مقدرة الريفيين اللاحقة على البقاء في مناطقهم المحلية والعمل منها، أو على ترقية مجتمعهم إلى [مستوى] العالم الأوسع. مع ذلك، فإن جدل التجريد من الموطن وإعادة التوطين ليس بهذه الدقة تماماً، لأنه لا توجد إعادة توطين واحدة توضع موضع التنفيذ. باستخدام دراسة حالة (ميدانية) لشمال إنكلترا، يظهر راي وتالبوت كيف أن خطابات الاستعلام عن بعد تكون مقيدة بجهود بناء الشبكة لطيف من المؤسسات والمنظمات الموطّنة بشكل مختلف: أوروبية، قومية وريفية. في النهاية، فإن ما هو موضع رهان في مفاوضاتهم ونزاعاتهم هو معنى ومادية المكان الذي يأتي منه الاستعلام عن بعد، وما هي أنواع الجغرافيات التي تكون منتجة لها.

إن فصل أوليفر فروهلينغ حول "رواد الشابكة ورجال العصابات: تمرد زاباتيستا في تشياباس، المكسيك وامتداده إلى الفضاء السايبري" يتابع هذا الامتحان لجدل التجريد من الموطن وإعادة التوطين. إذ يركز فروهلينغ على "إعادة تصعيد" حركة تمرد زاباتيستا من خلال تغطيتها [الإعلامية] وتوسيعها على الشابكة. لقد لعب هذا دوراً حاسماً في تحويل ما كانت الحكومة المكسيكية تريد تحديدها بوصفها قضية محلية في منطقة تشياباس إلى كفاح معروف ومدعوم أممياً. يعيد هذا المقال، إذاً، إلى حد ما، بيان تفاؤلية جنيفر لايت المبكرة بإمكانيات الشابكة على إحداث وعي عام وممارسة عامة متضافرين. مع ذلك، فهي تمضي أبعد من ذلك. لأن فروهلينغ تحديداً لا يرى أن أفراد زاباتيستا استخدموا الشبكة كجزء من حملتهم بل، بشكل خاص، نظراً لأن غالبية المواقع المخصصة لعناصر زاباتيستا "تقع" خارج تشياباس وفي الواقع خارج المكسيك، وقد شملت هذه الإعادة للتصعيد عمليات معقدة من البرمجة والتوسيل، وبناء التحالفات. على سبيل المثال، إن العامل الأساسي في شعبية زاباتيستا هو سياستهم الصديقة للشبكة (الشابكة) وتقديمهم لأنفسهم: يمكن رؤية

روحهم الجماعية اللامراتبية بوصفها مسايرة لتصورات مستخدمي الشبكة لسياسة الشبكة؛ وقد تصدر ظهورهم على الشبكة نائب القائد ماركوس، الذي أصبح بازدرائه وفكاهته شخصية سايبرية أيقونية. أما "اللقاءات العالمية" وجهاً لوجه التي حدثت في عامي ١٩٩٦ و١٩٩٧ وأنشأت "أممية الأمل" المؤيدة فقد أبقت بؤرة الضوء مسلطة على تشياباس، لكنها أوجدت معارضة عالمية أوسع ضد الليبرالية الجديدة. يشير فروهلينغ إلى كلٍ من الإمكانيات الإيجابية والتوترات الحتمية هنا، لكن اهتمامه الأساسي هو بالتشديد على كيف يكون المرء لذلك بحاجة لفهم الشابكة كجزء من فضاء الوسائل (الميديا) media space الأوسع، جزء يؤدي إلى حد كبير نفس الدور الذي تؤديه الصحف والتلفزيون، ولكن مع اختلافات هامة في التنظيم (بما في ذلك، في هذه الحالة سيطرة الحكومة المكسيكية الأقل)، والسمة التفاعلية (امتلاك القدرة على أن يكون حوارياً بشكل أكثر صراحة وتشاركياً) و"الأنصار" وروح الانتماء الشعبية (بحيث أن الحجج والخطابات التي تعمل على بناء تحالفات على الشبكة تكون مختلفة بالنسبة عن تلك التي تعمل في تشياباس أو في وسائل أخرى).

يتوقف الفصل التالي الذي كتبته نينا ويكفورد عند موضوع الشابكة وأشكال جماعيتها، كما يناقش "الجنوسة ومشاهد الحوسبة في مقهى الشابكة". إنه ينطلق من وعبر منطلقين نظريين. الأول هو مقاربة الجنوسة والتقانة بوصفهما "متبادلي التكوين"، بحيث أن التقانة لا تكون مجنوسة فحسب بل تلعب أيضاً دوراً هاماً في صنع مراتب الجنوسة المجسدة وتطبقها بنفسها. أما الثاني فهو تحديد هوية ثلاثة مشاهد مختلفة للحوسبة والشبكة (المشاهد on-line على الشابكة، والمشاهد البصرية والنصية المتفاعلة معها عندما يجري تدوينها)، "المشاهد الخبيرة للآلة" (الخبرة التقنية التي تؤسس الشبكة وتكون ضرورية لسكنى مشاهد الشبكة الأخرى)؛ و"مشاهد ترجمة الحوسبة" (المواقع التي يتم فيها إنتاج

وتفسير الشابكة لأجل "الناس العاديين"). تفحص هذه المشاهد الشابكة الثلاثة وجنوساتها إذاً من خلال حالة مقهى الشابكة في لندن؛ وهو مكان يجري فيه الدخول إلى الشابكة مع فنجان جيد من القهوة، شريحة من أسلوب الهراء السايبري cyberpunk، الايديولوجيات المؤنّثة للضيافة والخدمة، ورغم جهود المقهى ذاته، الايديولوجيات المذكرة للكفاية التقنية. هكذا تقدم ويكفورد مثالاً على كيفية مقاربة التقانات الاتصالية ليس بوصفها كيانات مفترضة مسبقاً بل مندمجة في أمكنة وتطبيقات بعينها، في حين تقدم في الوقت نفسه الشابكة بوصفها تتكون عن طريق جَنْوسات متعددة ومتنازعة.

يواصل فصل جيمس نيل حول "الواقعين الافتراضيين للتقانة والتخييل: قراءة الفضاء السايبري لوليام جيبسون" التأكيد على ما يتم فعله بالافتراضي، ووضعه في نسيج الحيوات الأوسع للمستخدمين. وهو يفعل ذلك بفحص فهم القراء لاستحضارات وليام جيبسون للفضاء السايبري، وهي استحضارات يجادل نيل بأنها تقدم فضاءً خيالياً معقداً وغامضاً لأجل القراء ليستكشفوا فضاءً مرتباً بشكل عقلاني [على سبيل المثال من خلال الترتيب الشبكي للمصفوفة] لكنه يكون أيضاً مفتوحاً على الشك [الارتياب] الخيالي. في الواقع، إن بحث نيل مع القراء قد أوحى ليس بالاعتراف بهذا الشك بل بنزعة إلى اختزاله أكثر من اعتناقه، من خلال إبراز شذرات من الواقعية العلمية ومن خلال حشد كل التمثيلات والخبرات الأخرى للفضاء السايبري. بشكل عام أكثر، هذه الحجة تسخر وتوسع مفهوم ويكفورد لمشاهد الترجمة، من خلال تحليل للاصطلاحات العامة والاشتباكات المحددة الموقع التي تشمل الفعالية الترجمية للقراءة.

الجانب الآخر من مساهمة نيل هو الاعتراف بتكوين الفضاء السايبري من خلال تقانات الكتابة والقراءة. هذهِ الثيمة يتخذها مايكل جويس في استحضاره للنصية الفائقة في مقاله: "حول المحدودية: فضاء أجسام النص الفائق". إن الطبيعة الدقيقة للنصية غير ثابتة بالطبع، لكن يمكننا القول بطريقة التعريف إنها

تؤكد على الأقل على إنتاج نص (فائق) محوسب، مشبَّك يضم «فضاءً صالحاً للملاحة» بدون وجود مسار مرخص من خلاله (خلافاً للسردية الخطية) وغالباً ما يدمج هذا مع التفاعل بين القراء والنص وبين قارئين مختلفين. يحاول جويس أن يستحضر شيئاً من هذا في فصله. كما يشرح نفسه "في محاولة للاقتراب من فضاء النصية الفائقة في هذا الشكل الخطي، فإن هذه المقالة مكتوبة في سلسلة من التراكبات". في الواقع، من خلال تجسيد توترات الكتابة "حول" النصية الفائقة في مجلد نصي غير فائق – مطالباتنا التحريرية ارتدت علينا هنا – يكشف فصل جويس بشكل آسر تماماً ما يمكن أن يكون موضع رهان في النص الفائق: إعادة تشكيل السلطة (المرجعية) والقارئية والمكانية النصية. بأخذ هذه [العناصر] بالترتيب المعكوس، تُفهم النصية بوصفها مكانية أساساً. هذه المكانية توصف بلغة "الحتمية" أكثر مما توصف بلغة المحدودية، أي "كفضاء يصنع نفسه دوماً، شريحة شريحة، مقطعاً مقطعاً، كفافاً كفافاً، . . . .). بشكل أكثر تحديداً، تشمل هذه الحتمية مخيلة كنائية Metonymic تؤكد العلاقات بين الأجزاء: الجماليات الطباقية، المنتجة لكل من الانفصال والكمال، و، بالاستشهاد بماركوس نوفاك، شرط "إمكاني" للكينونة في كل الأمكنة في وقت واحد، أو على الأقل لإعادة تشكيل الحالة الوجودية (الاونطولوجية) لهناك وهنا والآن. (يكتب جويس عن كون أحد أشكال ذاته "لا أمكنة في أوقات كثيرة ورغم أنه لا مكان كله مرة واحدة في مكان آخر هنا !") ثمة اعتراف بأن مثل هذه المكانيات يمكن سبرها بأشكال مختلفة من قبل قراء مختلفين وقراءات مختلفة: على سبيل المثال يقارن جويس "الرجال الشبان على أشباه المنحرف الطائرة [الذين] ينتقلون من وصلة إلى وصلة" مع استحضار لإحدى طالباته، سامانثا تشايتكن التي تقول "إنها تفضل أن تقفز في الهواء وأن تدع الأرض تعيد ترتيب نفسها". مع ذلك، فإن النصية الفائقة تسهل، كما يجادل، طريقة بعينها لاختبار الفضاء النصي، طريقة للـ "عبور" بواسطتها،

وهو شيء يقترحه من خلال مفهوم "الكفاف النصي الفائق"، إحساس بتغير متغير عبر سطح نص شيء ما أقل إيزوبارية(*) من الأيروتيكي.

يبدأ الفصل التالي الذي كتبه نيك بينغهام في إعادتنا إلى التأملات الاستنتاجية. هذا الفصل الذي يحمل عنوان "تعقيد لا يمكن تصوره؟ الفضاء السايبري من نواح أخرى"، يقدم حجة قوية ضد مقاربة التقانات الافتراضية بوصفها مواقع للجليل(**)، الخبرة بكائن آخر التي تكون خبرة مرعبة، قوية، غير قابلة للمعرفة وبالتالي فهي مرغوبة. إننا نعتقد أن هذه ليست مسألة إنكار أنواع الخبرات بفضاءات أخرى التي يثيرها جويس. إنها، مع ذلك، [مسألة] تأكيد أهمية عدم تحويلها إلى تصورات أكثر عمومية للافتراضي، الافتراضي يعامل عندئذٍ بوصفه مجموعاً totality ذا قاعدة تقانية مبنية تقانياً تؤثر بطرق مرعبة على المجتمعات والذوات اللا افتراضية. بدلاً من ذلك، يعتمد بينغهام على كتابات سيرز وبرونو لاتور لكي يدافع عن فهم للفضاء السايبري بوصفه منظومة حاملة للرسائل؛ أي بوصفه شكلاً حديثاً من تاريخ أطول بكثير من التطورات الاجتماعية التقنية بما في ذلك الكتابة والطباعة والنقد والأنظمة البريدية والخرائطية والهاتفية التي تجمع الأشياء والناس بحيث ينتجون ويجمعون فضاءات مختلفة من الحياة البشرية. النتيجة، كما يجادل، هي فتح مقاربة للفضاء السايبري لا تموضعه ككيان منفرد، يوصف بلغة "الكليشات السايبرية" العادية، بل كمركب من الشبكات والوصلات والانقطاعات التقنية - الاجتماعية.

المقالة الأخيرة "العوالم الافتراضية: المحاكاة، النضوب، الإغواء والصور المحاكية" بقلم ماركوس دويل وديفيد كلارك، تقارب مسائل الإمكانيات

(*) الايزوباري isobaric المتساوي الضغط الجوي (المترجم).

(**) الجليل sublime: مصطلح نقدي وجمالي ينسب إلى الفيلسوف اليوناني لونجينوس. يستخدم لوصف الأدب الرفيع، وخاصة الشعر، وفقاً لمواصفات العصر الكلاسيكي. واستخدمه أيضاً الفلاسفة الرومانتيكيون أمثال كانط (المترجم).

الافتراضية هذه من خلال استقصاء لأفكار الافتراضي والواقعي. فكلاهما، كما يجادلان، يُفهمان فهماً بائساً في أغلب الأحيان. على وجه الخصوص، عمل دويل وكلارك عبر نقد موقفين: موقف يفهم الافتراضي بوصفه نسخة عن الواقعي، بوصفه "زيروغرافيا مزدوجة"؛ وآخر يعاكس هذا المنطق ليرى الافتراضي كحل للواقعي، بوصف تحسينه الواقعي المفرط وحله (تمظهر آخر للجيل التقاني لبينغهام ربما). وكلاهما، كما يجادلان، يتركان المهمة التحليلية الملحة حقاً سليمة إلى حد كبير؛ وهي مهمة تقلب بنقلة واحدة منطق معظم المساهمات في هذه المجموعة مع تأكيدها على الواقع المؤسس للافتراضي. يرى دويل وكلارك إعادة النظر في الزمكان بطرق تنكب على افتراضية الواقعي. هذه نهاية لائقة. لأنه إذا كان بالإمكان استخلاص درس واحد من المقاربات المتنوعة المتضمنة هنا، فهو أن الجغرافيات الافتراضية، بغض النظر عن كونها شأناً تخصصياً ذا أهمية فقط لمرتادي الشبكة أو العارضين المجانين أو المتتبعين المكرسين للموضة الفكرية، فإنها [الجغرافيات الافتراضية] متضمنة في الأسئلة الأكثر اتساعاً للحياة البشرية والجغرافيات البشرية والواقع البشري.

القسم الأول

ترسيخ الافتراضي

٢- نحو الضوء "في الداخل"

التقانات البصرية، والمجازات المكانية، والذاتيات المتغيرة (*)

بقلم: كن هيليس

((لكن علم البصريات من بين كل العلوم هو الأكثر خصوبة بالحيل العجيبة)).

السير دا نييل بروستر، رسائل في السحر الطبيعي، (١٨٣٢: ٥).

مـدخـل:

في كتاب وليام ميتشل مدينة النُتَفْ *City Of Bits* أنشودة شكر لتقانات المعلومات وإعادة تشكيلها الحياة الاجتماعية المدينية لوليام ميتشل، يجادل المؤلف في أن الانغماس في البيئات المصطَنعة التي تجعلها تقانة الواقع الافتراضي (VR) ممكنة يشكل تغيراً في الهوية الذاتية. فإذا كان الشخص أو المشاهد سابقاً يحدق في شاشة مستطيلة، فإنه مع الواقع الافتراضي يصبح (تصبح)/ قاطناً (قاطنة)، ينتقل (تنتقل) من متلصص إلى مشارك متورط[١] (ص. ٢٠). إن ملاحظة ميتشل، رغم [كونها] جزءاً من اللغط غير المبتوت فيه المحيط بالواقع الافتراضي "والوسائل الجديدة" الأخرى، يشير مع ذلك إلى وسط مكاني متبدل تُكتسب ضمنه الخبرة وعبره، وتُفاوض ويُتعامل بها، وتُشكل بشكل متزايد عن طريق التفاعلات مع التمثيلات البصرية التي تجعلها التقانات البصرية والرقمية

(*) Toward the Light "within": optical technologies, spatial metaphors and changing subjectivities.

ممكنة. هذا الفصل، المكتوب من موقف أكثر نقدية، يتفحص بعض الطرق التي تكون بها تقانات "الرؤية" seeing الجديدة كالواقع الافتراضي مقيدة بالمكانيات والذاتيات الجديدة.

إن الواقع الافتراضي، مثل الشبكة العالمية (www)، والشابكة، والشبكات الداخلية Intranets، وتقانة المحادثة بوساطة الانترنت Internet Relay Chat (IRC)، هو مثال على الاستعلام عن بعد telematics الذي لا يدمج الهاتف مع الحوسبة الرقمية فحسب بل يعول أيضاً على الرؤية وخبرتها، الموسلة جزئياً من خلال أنبوب الأشعة الكاثودية (المهبطية) أو شاشة LED. إن توكيد ميتشل للمشاركة المتورطة في الواقع الافتراضي يعتمد على القدرة الظاهرة للواقع الافتراضي، التقانة "القابلة للارتداء wearable"، على تقليص المسافة بين التصورات التي يقترحها عن طريق السطح المفلطح لشاشة الكومبيوتر الذي يرتديه المستخدمون وبين الإدراكات الحسية الفردية للمستخدمين. مثلما أن جهاز اقتفاء الموقع قادر على تركيب شيء يقترب من الاستمرارية التي لا تنقطع بين حركية الجسد وصور الشاشة، فإن استخدام الواقع الافتراضي للعرض المجسم (الستريوسكوبي) الشامل يقلص إلى العدم تقريباً خط الإبصار بين السطح البيني للتقانة وإبصار/ رؤية مستخدمه.

إن تحديد موقع الواقع الافتراضي بوصفه تقانة **جديدة**، الشيء التالي، يعبر بالتالي عن توق فائق إلى إنكار التاريخ والظروف المتنازع عليها لصنعه، والحدود الضرورية التي تلازم الوقائع المادية وأشكالها المرافقة. ويبدو أن (التفضيء) spatialisation الأقصى للواقع الافتراضي، وقدرة المستخدمين النسبية على إعادة صياغة البيئة الافتراضية حسب الرغبة، يثبتان فعالية إنكار التاريخ بوصفه سردية خطية، في حين يؤكد تعويل التقانة على البرمجيات والشيفرات الحجة البنائية الاجتماعية [القائلة] إنَّ "كل العالم نص" بما في ذلك أجسادنا. فإذا قبل المرء أنَّ العالم والواقع يكونان دائماً مبنيين اجتماعياً مسبقاً، عندئذٍ سيبدو

"طبيعياً فحسب" أن نعيد توجيه الرغبة الغربية القديمة العهد في التجاوز نحو تقانات مثل الواقع الافتراضي حيث تبدو الحدود غير مقيدة سوى بالمخيلة والسياقات الاجتماعية التي تعمل ضمنها. يلاحظ أفيتال رونل Avital Ronell (١٩٩٤) أن ما يدعى "موت الإله" قد بدد المعنى المقدس، الذي صار جزء منه يسكن ضمن التقانة. إن الأفراد الحديثين، المسؤولين عن إنتاج المعنى والمنظمين بوصفهم المصدر "لحقيقتهم" الخاصة، يمكن أن يقاربوا الواقع الافتراضي بالرغبات في ارتداء أو "أداء" هويات جديدة كنوع من تجاوز مشترك لسلطة التقانة. في تفسيرهما الشعبي للواقع الافتراضي، يرى المشجعان Sherman شرمان وJudkins جودكنز أن التقانة "ليست وظيفية بشكل غير نزيه ولا شبه علمية بشكل مبتذل. . . . . إنها شعرية، غامضة، مراوغة" (١٩٩٣:٣٨).

يعكس تحديد موقع التقانات الجديدة بوصفها الشيء التالي بحثاً متواصلاً عن التقدم التقاني متجذراً بشكل جزئي في معتقد يربط الاكتمالية البشرية بالجراحة الترقيعية protheses، وأن التنوير والنواة الأخلاقية للصلاح موجودان بداخلنا كذوات، إذا اشتغلنا بالأدوات المتوفرة بين أيدينا لإيجاده. إن التقانات البصرية القائمة على الضوء، كالحجرة المظلمة، والفانوس السحري، والواقع الافتراضي، جنباً إلى جنب مع المجازات التي تتموقع بها هذه التقانات استطرادياً واستراتيجياً ضمن الثقافة، تُطبق لجعل هذه المهمة الممجدة للصيرورة في تماس مع الضوء أقل مشقة، وهذا وحده يصبح تبريراً أخلاقياً كافياً لأجل التركيز الحالي على آلات التجاوز الافتراضي. إن الأدوات والتقانة توسعان إدراكنا، رغم اختلافات مقياسيهما. فالأدوات المبكرة كمجازات وهندسات الضوء كانت مفاهيم تستعمل لأجل الوصول إلى الحقيقة والفهم الإلهيين. هذه الأدوات كانت إواليات تجسير بين البشر، وتقانتهم الثقافية الأرقى والأكثر غموضاً وطرقاً لعصرنة وإعادة إحياء مفهوم الإله بوصفه الأسمى. بالنسبة لمنظري التنوير اللاحقين الذين يدعون لنفسهم نوراً من الداخل، فإن المنبع

الثابت للنور المطلق المذكور أعلاه لا ينطفئ كلياً. رغم أن الإله الذي يقف خلف هذا النور هو اليوم بالنسبة للكثيرين مفقود، أو ملغى، أو مشطوب، فإن التقانات البصرية يمكن النظر إليها على أنها تقدم بديلاً موفراً للجهد: للسماح للأفراد بالتواصل أحدهم مع الآخر كمشاركين ضمن دائرة مثالية من الاتصال الدائر بشكل متواصل. إن الرغبة في إنجاز هذه الحالة هي التي تحرك رؤية كيفين كيلي (1994 a) للاستعلام عن بعد والميتافيزياء (ما وراء الطبيعة) والسياسة. فكيلي هو محرر مجلة *wired*، ذات الانتشار الجماهيري الناجح التي تشجع الواقع الاستعلامي عن بعد لعالم مسلَّك قادم. إذ يقترح أن نتحد "كمرابط صماء" في وحدة انتشائية عبر شبكة سيبرانية تشبه الريزوم(*) [الجذمور] لتحقيق حالة يعرّفها "بعقل خلية النحل". فعقل خلية النحل هو طبعة تقنو - إنسانوية من مفهوم «روح العالم» الميتافيزيقي القديم الذي قدمه لأول مرة أفلوطين. أما بالنسبة لأفلاطون، فإن روح العالم هي المبدأ المحرك لكل الأشياء.

ثمة فعل توازن دقيق يعمل عمله في الواقع الافتراضي. فكما إنّ للرؤية والإبصار تواريخ، كذلك أيضاً لتقانات الرؤية. على الرغم من أن الواقع الافتراضي والأجهزة البصرية الأخرى هي "جزء من إعادة تشكيل كاسحة للعلاقات بين الذات وأنماط التمثيل" (Crary 1994: 1)، فإن التقانة بقدرتها المستجدة ظاهرياً على الإيحاء بأن الذاتية يمكن إعادة تخيلها، بطريقة متحررة من الجسد تحرراً جذرياً، توسع جوانب من تقانات بصرية أبكر وتستمد من عدد من فلسفات الفضاء (المكان) والرؤية والنور التي تحمل "تشكلاتها الاستطرادية" آثاراً عمرها آلاف السنوات.

إن الرواية التالية، المدبجة كمناقشة للاستمراريات والانقطاعات التي تشكل تقانة الواقع الافتراضي الغامرة، تساعد في شرح السبب في أن التقانة تحظى بقبول ثقافي **كفكرة** idea. إنني أضع تقانات الاتصال والمعلومات الجديدة ضمن

(*) الريزوم Rhizome أو (الجذمور) هو الجذر الرئيسي للنبات الذي يثبته في التربة (المترجم).

سياق التواريخ الأطول للبصريات والضوء والتصور والتوسيل. إن تشجيعات التطورات التقانية الراهنة تؤكد جِدَّتها. فأنا أعمل من خلال قضية الجدة بتقديم تاريخ يركز على الواقع الافتراضي كما تأثر بتقانات الرؤية ومجازات النور، والتي تمتلك جميعها تاريخاً سابقاً. هكذا، أدرس "complete vision الإبصار الكامل" الذي [كان] يعتقد أنه ممكن ضمن التقانات السابقة للضوء والرؤية، ومسائل immersion الاحتجاب وfantasy الاستيهام من خلال دراسة للحجرة المظلمة، والستريوسكوب (المجسام)، والبانوراما، والفانوس السحري.

يوسع الواقع الافتراضي جوانب من التقانات البصرية السابقة؛ لكنه بفعل ذلك فإنه يجدد أيضاً ويدمج مفاهيم الفضاء الغربية القديمة العهد المتصلة بعدد من مجازات النور والرؤية. لذلك يقتفي هذا الفصل أيضاً التغيرات الهامة (التي تعتمد نفسها جزئياً على إدخال التقانات التي كانت فيما مضى جديدة) في مجازات النور وكيف تؤثر على فهم الضوء ذاته. تثبت هذه التحولات أنه على الرغم من أن للتقانات مسارات، وتواريخ وفاعلية، فإنها ليست حتمية بل عارضة. بالنسبة للقدماء، يكون النور أولاً في العلى، في السماء مثل الإله والشمس. لاحقاً، عندما تنحسر الطبيعة مادياً من المجالات الثقافية، يُنظّر للنور بأنه قد أعاد تموقعه [بالنسبة] إلى دائرة الثقافة ومن ثم حتى بداخلنا **كما لو** كنا آلهة. عندما تصبح التقانات البصرية أكثر قوة، قادرة على أن توازي بشكل **مضطرد** "نسخة كاملة" من الواقع، نكون قادرين على إعادة موقع هذا النور إلى داخل التقانات التي تثبت "طبيعية" النور الداخلي للذاتية المفرَّدة. فأنا أربط تاريخ مجازات النور بكيف أن الطرق المختلفة، المائعة، والمتواكلة التي تربط بها الذاتية بالنور والتجاوز تكون ظاهرة وتساعد في إعمال التقانات الافتراضية، التي تعكس بحد ذاتها مرونة التفكير اليوتوبي في الغرب. يوحي الواقع الافتراضي أننا "نرى رؤى" عندما نغمض أعيننا عن العالم الخارجي. هذه الرؤى، كما أجادل، هي رؤى مثالية تثبت "صحة" الارتباطات الأفلاطونية الجديدة بين الضوء و"الرؤية"

والمنبع الأصلي للحقيقة. إن منبع الحقيقة هذا، الذي كان فيما مضى يربط على نطاق واسع بـ"إله في السماء" يفهم الآن كجزء من تطبيق praxis التقانة؛ كنتيجة لذلك، تصبح التقانة البصرية الناشئة نفسها هي الحقيقة، وبالنسبة للبعض، [تصبح] حتى إلهاً.

الدخان والمرايا: إلقاء ضوء جديد على "الذات"

كما هو الحال مع معظم التقانات الجديدة، فإن الواقع الافتراضي يوسع ويمزق التواريخ المتواشجة، في هذه الحالة تواريخ التقانات البصرية، تواريخ الضوء والرؤية، وتواريخ العلاقات بين الناظر /الذات/ المستخدِم والآلة. بوضع ذلك في الذهن، من المفيد أن نناقش أربع تقانات بصرية "تنبؤية" توحي بكيف أن تموقعها وإعادة تموقعها الاستطراديين على مر الزمن يشكلان بداية التطبيقات البصرية الراهنة المشكّلة للواقع الافتراضي. بسبب التاريخ الأطول للحجرة المظلمة، وكونها جُعلت مجازاً لأجل نظريات مختلفة، وحتى متعارضة، للذاتية، فإنها على وجه الخصوص توحي بالطرق التي يوسع ويمزق بها الواقع الافتراضي هذه المجازات الأقدم. ثم أعرض الفانوس السحري، والمجسام والبانوراما لتقديم سياقٍ لأجل مناقشة أوسع لكيفية انعكاس هذه الحيل، وخصوصاً الحجرة المظلمة والفانوس السحري، ضمن حدود الواقع الافتراضي.

الحجرة المظلمة Camera Obscura:

من المعتاد أن يُنسب إلى Giovanni Battista dell Porta جيوفاني باتيستا دلا بورتا النابولي [من] عصر النهضة اختراع الحجرة المظلمة، قبل عام ١٥٥٨؟ ببعض الوقت. إن السعي ضمن أبحاث الواقع الافتراضي الأميركي هو لجعل الواقع الافتراضي يماثل على نحو متزايد العالم الطبيعي، ولإنجاز "نسخة كاملة" من الواقع تكون غير قابلة للتمييز عن الواقع الذي تمثله، بوساطة التقانة (see Bryson 1983; Coyne 1994). إن الإيمان بإمكانية التحقيق النهائي لهذا التماثل،

جزئياً، إنما يتسع ويتشكل بفعل الديناميك [القوة المحركة] الذي يشكل الأساس لمذهب التواقيع النهضوي doctrine of signatures. هذا المذهب ينفخ الروح في مفهمة بورتا للعالم المعاش وتنظيره لكيفيّة إمكانية استعمال الحجرة المظلمة لتمثيل وحتى لمضاعفة ذاك العالم. لقد جزم مذهب التواقيع أنّ بصمات وإشارات المعنى الباطني موجودة في كل مكان في العالم الطبيعي، وهي تعكس أو توصل استعمالاً أو قصداً يمكن قراءته والعمل به وفقاً له (See Sack ١٩٧٦). يتفق المذهب أيضاً مع الاعتقاد القروسطي أنّ اللوحات يحييها عالَم الطبيعة الواقعي، الذي يشكل كل شيء، بما في ذلك اللوحات، جزءاً منه. كما جادلت في مكان آخر، فإن الوصف بالرسم بالنسبة للقروسطيين هو وصف صادق بشكل حرفي، ويُفهم بوصفه متعاصراً مع الواقع المادي أو التخيلي الممثَّل (Hillis 1994: 4). بموجب مذهب التواقيع، يصبح الدال referent والدلالة reference شيئاً واحداً؛ فكل الأشياء مترابطة بغض النظر عن الزمان أو المكان أو الدرجة أو (اللا) مادية. مع ذلك بالرغم من أن التمثيل قد حل منذئذٍ محل التشبيهات التي يطرحها المذهب، فإنه تقانة فكر إلى درجة أنه يجعل سيرورات الفكر أكثر تمثيلية. على سبيل المثال، بالنظر إلى شكل لب الكستناء وربط ذلك بالفكرة العامة [القائلة] إن الكستناء يجب لذلك أن تفيد الدماغ، كما كان يعتقد القروسطيون، فإنه يوحي بنوع من التفكير الجدلي أو المقاربة الجدلية من طرف المراقب الذي يمنح المعنى للأنماط والأشكال المكشوفة للبصر (See Manovich 1992). يرى فالتر بنيامين Walter Benjamin، إذ يلاحظ أن إطار الحياة الذي كان يبدو في السابق "محكوماً بقانون التشابه" هو إطار شامل (١٦٠: ١٩٧٩) أن القدرة على (أو موهبة) إنتاج التشابهات أو ما يطلق عليها مصطلح "التماثلات الطبيعية" تساوي أيضاً موهبة تمييزها. هذه التماثلات توقظ ملكة التقليد لدينا. فهي تبدو فطرية ومع ذلك فإن تمظهراتها تعكس السياقات الثقافية والتاريخية التي تحدث فيها ومن خلالها. بالتوسع في بنيامين، فإن النظر إلى الكستناء ليس مثل التحديق في عالم

مولّد بالحاسوب ولو فقط لأن التورط التخيلي الذي طرحه مذهب التواقيع قد كان، بمعنى ما، مبنياً أو مكوناً من عوامل التطبيقات التقانية للواقع الافتراضي. بعبارة أخرى، قد ينشأ الواقع الافتراضي عن إيقاظ مخيلة التقليد الذي أوحت به الأشكال الأبكر للتماثل.

يتنبأ وصف بورتا للحجرة المظلمة بشيء ما من الإمكانية لأجل الواقع الافتراضي الذي يعلن عنه مشجعوه:

في حجرة مظلمة.... يمكن للمرء أن يرى بوضوح وبسهولة، كما لو كانت أمام عينيه، حفلات الصيد والمآدب، وجنود الأعداء، والمسرحيات وكل الأشياء التي يتمناها. افترض أنه يوجد مقابل تلك الحجرة، حيث ترغب في تمثيل هذه الأشياء، سهل فسيح، حيث يمكن أن تسطع الشمس بحرية: عندئذٍ سترى أشجاراً مصفوفة بالترتيب، وكذلك الغابات والجبال والأنهار والحيوانات، التي توجد حقاً هكذا، أو يصنعها الفن، من الخشب، أو من مادة أخرى..... افترض أنك تسمع أصوات المزامير المزامير الترومبيتات؛ فأولئك الذين في الحجرة سيرون الأشجار والحيوانات ووجوه الصيادين، وكل البقية بسهولة بالغة، بحيث لا يمكنهم أن يميزوا ما إذا كانت حقيقية أم أوهاماً.... من هنا قد يظهر للفلاسفة، والذين يدرسون البصريات، كيف تُصنع الرؤية. (التشديد مضاف 364: 365-Porta 1658).

إذا كان مذهب التواقيع، كتقانة ثقافية، قد افترض تماثل المعنى أو تشابهاً بين الأشياء التي تبدو متماثلة، فإن الازدياد الأسي(*) في قدرة التقانات البصرية للقرن العشرين على الإيحاء بالحقيقة التجريبية لوهم الواقع الذي تقدمه لا يستأصل هذه التصورات التخيلية الأقدم فحسب بل يوحي أيضاً، بشكل مفارق، بأن التقانات الحديثة هي جديدة حقاً وتفترق عن المفاهيم والحيل الأقدم. إن التقانات

(*) الازدياد الأسي exponential: هو الازدياد وفق متوالية هندسية أو وفق تابع رياضي تكون الكمية المتحولة فيه أساً.

قيد المراجعة هنا تثير قضايا كيف تعمل فيزيولوجيا البصر. لقد كان هذا هماً دائماً للعلم الحديث المبكر. رغم أن الواقع الافتراضي يعتمد على الاكتشافات العلمية المبكرة المتعلقة بالبصر، فإن تطور الواقع الافتراضي هو "كأداة لإعادة تقديم وإدارة البيانات في عالم ازدادت فيه مستويات المعلومات ازدياداً أسياً" (Bleeker 1992: 11- 12). فالواقع الافتراضي هو شكل جديد من "أرض تدريب" يتعلم عليها وفيها المستخدمون أن يتغلبوا على ما كان حتى وقت متأخر مقاومة للاقتراح غير المتساوق بأنهم يمكن أن يحتلوا فضاء الصورة. على كلٍ، إن هذا التعلم تستحثه بقية باقية من الإيمان بالتشبيه: بالرغم من أننا اليوم نزعم أننا نميز بشكل كامل بين الصور والدلالات، فإن المستخدمين لا يدركون أن الصور نفسها حقيقية فحسب، بل قد يختارون أن يسمحوا للصورة بأن تنوب عن الواقع الذي تمثله. بذلك، تكون سفسطة التقانة حرجة؛ مع ذلك، فإن هذا الاختيار الذي يقوم به المستخدمون ينم عن جوهر **الصور المصْطَنَعة** simulacra لبودريار ويعكس رأس المال الثقافي غير المعترف به الذي لا يزال يستثمر في **التشبيه**. إن مظاهر التفكير السحري حية في ممارسات مطبوعة بطابع تقاني كهذه. فافتراق القرن العشرين المذكور أعلاه باتجاه البيانات data وبعيداً عن الفيزيولوجيا، مع ذلك، لم يكن من الممكن أن يحدث إلا ضمن نمط من التفكير يحابي العين بوصفها جهازاً بصرياً منفصلاً. وبهذه الطريقة، رغم أن الواقع الافتراضي يتضمن أجساد المستخدمين، فإنه يوحي أيضاً ببيت بصري لأجل ذاتية بصرية مبتورة أو مستأصَلة موجودة قبلئذٍ في دراسة ديكارت للحجرة المظلمة بعنوان **La Dioptrique**، المنشورة في عام ١٦٣٧. يظهر بورتا بشكل واضح توليفته الخاصة للفكرة والتقانة وتعريفه للحجرة المظلمة كجهاز علمي وسحري. يمكن قراءة بورتا بشكل مفيد على خلفية وصف مايكل بنديكت لتعدد القوى في الواقع الافتراضي. إذ يرى بنديكت أن الفرضية التالية تعكس ازدياداً مذهلاً في الإمكانيات المستقبلية لأجل الاتصال العقلاني في الواقع الافتراضي:

[قد تمد يدك إلى سيجارة هي في عالمي قلم، قد أجلس على كرسي جلدي هو في عالمك مقعد خشبي. [ما] تبدو لك كزوبعة سلكية، [تبدو] بالنسبة لي كشريط من اللون. في حين أنني أنظر إلى قفص ثلاثي الأبعاد من مآخذ بيانات تعمل بعصبية، فيمكنك أن ترى البيانات نفسها بسرعة بطيئة، ربما حقلاً متموجاً من "القمح"] (Benedikt 1991: 180).

إن الحجرة المظلمة لبورتا هي إوالية يستعملها الأفراد لرؤية وفهم عالم خارجي مشترك وهبه الرب. يرى بنديكت أن الواقع الافتراضي يسمح بحرية الوصول إلى عالم معطى ذاتياً لا يمكن اقتسامه، رغم زعمه العكس، بالضبط لأن عالم كل مستخدم على حدة يمكن أن يكون شديد الاختلاف. في الواقع، يفترض بنديكت واقعاً يمجد الجماعية التي يُعبر عنها بوصفها اختلافاً متحد الجوهر بالتوازي مع تقانة تمثيلٍ تستغل كل الايمان المتبقي، المذكور سابقاً أو المتجدد، بالتشابه. رغم أن الأشكال، والسياقات الثقافية للحجرة المظلمة والواقع الافتراضي تختلف، فإنها جميعاً تنكب على رغبة غربية مستمرة في التعالي عن "هذا المستوى الدنيوي"، وكل واحد على حدة يوحي أنَّ ذلك يمكن التوصل إليه، ولو افتراضياً فقط، من خلال دمج الصور والواقع، والتخلي عن القيود المجسَّدة للأمكنة الحقيقية.

ينبغي الانكباب على اعتراضين ممكنين على أطروحتي. فالتقانات البصرية، المفهومة بوصفها حشداً من الممارسات الاجتماعية المتحدة في شكلها والمستخدمة طائفة من الرغبات والأهداف والإيديولوجيات وممارسات العمل والاستراتيجيات الاستطرادية وهلم جرا، تمتلك بشكل واضح تطبيقات "نفعية"؛ مع ذلك، فإن هذه لا تمنع بأي طريقة من الطرق كونها متوضعة ضمن "المتخيّل الاجتماعي" بوصفها أجهزة متعالية. ثانياً، مع أن المرء قد يجادل، مثلاً، أنّ الواقع الافتراضي هو في طفولته، مثل نموذج فورد Ford Model T، فإن السيارة المعاصرة هي أكثر شبهاً بالموديل T من كونها مختلفة عنه. في الأساس تبقى التقانة

هي نفسها. رغم أن كل جهاز على حدة يفتح إمكانيات جديدة، فإن الحجرة المظلمة والواقع الافتراضي، كما نظّر لهما بورتا وبنديكت، يوفران وصولاً تخيلياً إلى عالم مواز يمكن فيه للمستخدمين، كما لو بالسحر، أن يصبحوا الخالقين لأرضهم الأونطولوجية الخاصة. ولا أرى أن للتجاوز دالاً كونياً. فبالنسبة للبعض إنه هروب من الجسد، ولآخرين [هروب] من الكوكب، ولآخرين [هروب] من كليهما. ولدى بعضهم يتبع الطريق مساراً نحو الفضاء السماوي أو الخارجي، أما لدى الآخرين فإن ذاك "الفضاء" هو داخلي على نحو مثير للسخرية، سواءً كان الفضاء السايبري على "الطرف الآخر" من السطح البيني للكومبيوتر، أم "عالم" المخيلة، أم كلاهما يجمعهما "الفضاء" الهجين لبيئة افتراضية غامرة.

ليست التقانات حيادية. فهي تساعد كمكونات مادية للإيديولوجيات في تكوين وكذلك في نمذجة السيرورات والمصالح الاجتماعية. لقد أثبتت الحجرة المظلمة لعصر النهضة الإيمان بوحدة جوهر كل الأشياء، إيمان أرى أنه يتجدد بشكل مثير للسخرية، على سبيل المثال، في توكيدات بنديكت حول فوائد تعدد القوى الأقصى للشكل ضمن الواقع الافتراضي. في فكر التنوير، وضعت الحجرة المظلمة كنموذج للحقيقة البصرية، يثبت الجوانية الذاتية للمشاهدين (Crary 1994). يمزج الواقع الافتراضي ويواءم مفاهيم عصر النهضة للحجرة المظلمة بوصفها تثبت تكافؤ المحاكاة والواقع، مع فهم عصر التنوير للجهاز بوصفه يثبت صدق الرؤية الذاتية الفردية، ومن هنا إيمان بنديكت أنّ الواقع الافتراضي سوف يقوي الاتصال بجعل رؤية كل مستعمل متاحة للمستعملين الآخرين. فأي اتصال في هذا النموذج هو بين ذاتيتين أو ذاتيات قريبة جذرياً تعتقد أن السيطرة على الصور كهويات هي أساسية لاتصال أكثر مباشرة مع صور أخرى وآلات أخرى، و(بشكل مزعوم) أشخاص آخرين. بعبارة أخرى يأمل بنديكت في آلة تحكم على الرغبة المعبّر عنها بالعبارة، "ليتك تستطيع أن ترى ما أعني". هذه الرغبة تنسى أن الرموز البصرية والصور، مثل اللغة، هي دوماً معطوفة ثقافياً.

إنها أيضاً تشجع الاعتقاد الرغبي أنَّ الواقع الافتراضي بوصفه فضاءً اتصالياً من شأنه أن يتفادى بشكل ما الحاجة إلى الخطاب ومفاوضة المعنى.

الفوانيس السحرية والبانورامات والمجسامات:

من المرجح أن دانمركياً في عام ١٦٤٦ اخترع الفانوس السحري أو Phantasmgoria كما كان يسمى غالباً في القرن التاسع عشر (Godwin 1979: 83)، مع أنه غالباً ما يُنسب إلى ناشره اليسوعي أثاناسيوس كيرشر، كان يستعمل كمقصورة إسقاط (عرض) يتم فيها انكسار منبع ضوء اصطناعي عن طريق ومن خلال سلسلة من العدسات، كل واحدة ذات خيال مسلَّط عليها. يمر الضوء من خلال الخيالات فيسقطها على جدار أو شاشة (أحياناً تُشكل من البخار أو الدخان) أمام مشاهدين جامدين نسبياً، يكونون إلى حد كبير، كما في السينما، في حجرة معتمة بين جهاز الإسقاط والخيال.

أما **البانوراما** فكانت لوحة اسطوانية ٣٦٠°، عندما يُنظر إليها من المركز، تعطي إحساساً بعالم مزيف يحيط بالمشاهد ويضعه في مركز العرض المتناهي. هذا الجهاز، الذي صممه الإيرلندي روبرت باركر، وعرضه في إطار تجاري في ساحة لايسستر بلندن في عام ١٧٩٢، قدم أيضاً تجربة قابلية التحرك المكانية والزمانية. خلافاً للفانوس السحري، كان المشاهدون يعتمدون على حركة الجسم لكي يشهدوا المحيط المتناهي إنما غير المحدود. كانت المشاهد المرسومة للريف الرعوي "الأقدم" تجلب شيئاً من الريف إلى المدينة، ومن الماضي إلى الحاضر (Friedberg 1993: 22). وانحسار الإطار، أحد السمات الرئيسة للواقع الافتراضي الغامر، هو موجود قبلئذٍ في تجربة البانوراما.

كشف اختراع تشارلز ويتستون للعرض المجسَّم stereoscopic في عام ١٨٣٣ بوسائل مساعدة أهمية الرؤية باستخدام العينين في إدراك العمق (Schwartz 1994: 40). فالمجسام والتصوير الضوئي المجسّم هما نتاجان

للإزدياد الشديد الحاصل في دراسة الفيزيولوجيا بين عامي ١٨٢٠ و ١٨٤٠ (Bleeker ١٩٩٢). يقوم المجسام على الخيالات المزدوجة المنفصلة، كل واحد يصور المشهد نفسه من نقاط أفضلية مختلفة قليلاً، تحاكي معاً المسافة بين عينينا (Rheingold 1991: 65). تقوم اسطوانة العرض الرئيسية view master على اختراع ويتستون وهي، مثل الواقع الافتراضي، تتطلب الاحتكاك الجسدي القريب للمشاهد مع الجهاز. عندما يعرض بشكل منفصل على العينين اليمنى واليسرى للمستعمل، فإن حاسته البصرية تدمج الرؤيتين المنفصلتين في مشهد واحد ثلاثي الأبعاد 3-D. إن العرض المجسم المختلق ضمن مربطي عرض فيديو توأمين (VDT) المركبين على هيئة أجهزة العرض المعاصرة المركبة على الرأس (HMD) تعمل بطريقة مشابهة في خلق الإيهام بالإنغمار في فضاء افتراضي.

وصل النقاط .....

في حين يرسم خطاب القرن الثامن عشر حول الحجرة المظلمة فصلاً جذرياً بين العالم الخارجي والذات، فإن الحجرة المظلمة والعالم الافتراضي هما في الأساس غامرين، وكنت قد جادلت بأن هذه الغامرية أيضاً تلهم رؤية بورتا ما قبل التنويرية، ما قبل الحديثة "للنور في الداخل". فرؤيته هي رؤية انفتاح العالم على الاستكشاف والتمثيل (التمثل) بطرق جديدة. يتطلب مفهوم المستكشف/ الاستكشاف تحرراً للمخيلة القروسطية المتشرنقة لم يقرن، مع ذلك، بالنسبة لبورتا، بالثقل الكالفيني للمسؤولية التي تلازم اشتراط أن ينتج الأفراد معناهم الخاص بهم. يجادل جوناثان كراري (1994: 38-40) Jonathan Crary أنه منذ أواخر العقد الأول من القرن السادس عشر (١٥٠٠)، أصبحت الحجرة المظلمة هي الموقع للتفرد الذاتي. فالمراقب يكون معزولاً، مطوقاً، مستقلاً، من داخل الحدود المستدخلة interiorising والمستخصصة privatising للجهاز يشهد/ تشهد التمثيل الآلي للعالم الموضوعي ويقرر/ تقرر الفروق بين هذا العالم والتمثيلات البصرية داخل الآلة (ibid: 41) هذا الحكم أو التقييم الجمالي المسيّس، ينبع، جزئياً، من رغبة في استبعاد الفوضى وتفضيل المنطق.

إن مفهوم العالم الخارجي المشترك الذي يهبه الرب لا يُرفض بقدر ما يحل محله إدراك متنام لوعي جواني (يؤكده استعمال الجهاز) متركز بشكل متزايد على كيف ينتج المعنى ويرتب العالم من حوله. فالتكنولوجيا نفسها التي أثبتت فيما مضى مخطط الإله تسهل الآن الإدراك الحسي المقرون للعالم عن طريق Cogito الكوجيتو(*) الديكارتي ويمكن للمستعملين أن يضعوا أنفسهم في موقع مهيمن مناظر لعين الإله. في القرن الثامن عشر سوف يعاد تموضع الحجرة المظلمة لتثبت تفوق الفرد المستدخل المنتج للمعنى على مسؤوليته، وذلك في انسجام تام مع اكتشاف عصر التنوير أن النور في داخل الفرد الحديث يمكن رعايته من خلال العقل والذوق والاجتهاد (Taylor 1994: 27 -30).

يجادل كراري (Crary (1994: 33 ضد إقامة روابط بين الحجرة المظلمة والفانوس السحري. إن تحريه الهام في ذات [شخص] القرن التاسع عشر ذاته يتعارض مع حجج عصر التنوير حول علاقة الحجرة المظلمة بالحقيقة المستدخلة والذاتية (البروتستانتية) المتعصرنة ضد السياق المضاد للإصلاح الذي يروّج كيرشر Kircher الفانوس السحري ضمنه. مع ذلك، فإن هذه التضادات تعتمد دوماً اعتماداً جزئياً على السياقات الزمكانية (الزمانية – المكانية). فرغم أن كراري يلاحظ مركزية كل الأشياء البصرية بالنسبة إلى القرن العشرين، فإن مشروعه لا يعالج بشكل خاص كيف تساهم تقانات الرؤية السابقة بشكل جماعي، بطرق جزئية متنوعة، في الاختراعات والعمليات البصرية الحالية. لقد اقترحت قبلاً وجود صلات بين الحجرة المظلمة والواقع الافتراضي، ومن الممكن بالقدر نفسه التنظير حول كيفيّة أن مشهد الفانوس السحري يمثل مسبقاً الضيائية الفائقة والخيالات الطيفية والخارقة للطبيعة للعوالم الافتراضية ليومنا هذا. علاوة على ذلك، فإن النجاح التجاري للفانوس السحري في القرن التاسع عشر اعتمد بشكل أقل على الترابطات مع المنبع الأصلي للتنّوير الإلهي

(*) الكوجيتو Cogito: مقولة ديكارت الشهيرة "أنا أفكر، إذاً أنا موجود" (المترجم).

وبشكل أكثر على الترابط الشرير المستقل مع الروحانيات. إن حشد الفوانيس السحرية من أجل التسلية الشعبية بعد عام ١٨٠٢، في تمييز بالتضاد لكيف أن التقانة وضعها علماء أمثال السير ديفيد بروستر Sir David Brewster في موقع لتبديد النزعة الصوفية والإواليات المحجوبة للخداع، هذا [الحشد] قد أثبت تجربة الأطياف والأشباح وعالم الأرواح[٣]. إذا كانت الحجرة المظلمة والفانوس السحري فيما مضى يعكسان الاستراتيجيات الدينية والإيديولوجية المتعارضة للذاتية وعلاقات الذات بإنتاج الحقيقة، فإن الواقع الافتراضي يستعير جوانب من أي تقانة بصرية أقدم تحتوي على إواليات مبشرة مرغوبة ومؤكدة لذاتية مفكرة تنشد التجاوز. بذلك يحقق الواقع الافتراضي صفقة ثقافية مع ذوات [أشخاص] يسعون إلى حفظ السيطرة على إنتاجهم الفردي للمعنى حتى عندما يمكن أن يتلاعبوا بأطياف التنازل عن الصيانة الشكلية للهوية الحديثة إلى المصادر الخارجية كالواقع الافتراضي و"الأدائية" التي يشجعها. إن الواقع الافتراضي، المعبر عنه بأشكال أخرى، هو عالم الصور (الخيالات) والبيانات الذي يقحم فيه المستخدمون أنفسهم بحثاً عن إنتاجية أكبر، أو ذاتية مقواة أو عن مَهْرَب، أو توافقيات منها. سواء كان الواقع الافتراضي محدداً بوصفه آلة تجاوز أو جراحة ترقيعية نفعية تعزز الفكر، فإنه يعكس رغبة في العودة إلى حالة ما قبل لغوية أو ما قبل شفوية، أو كلتيهما.

إن الواقع الافتراضي، مع داخله البراق من الصور (الخيالات) التي تتطلب أن تحمل علاقة واهية بالعالم الخارجي باستثناء تصورات مصممي برمجياته ومستخدميه المحرَّفة اجتماعياً للواقع، هو عالم من الضوء الاصطناعي؛ فأي عالم مَوضوعي يشكل نموذجاً له يكون محتوى ضمن برنامج كومبيوتر. لذلك، فالتقانة لا تحيد فقط الهرمية (المراتبية) الزمكانية بين الموضوع الخارجي والصورة الداخلية، بل توحي أيضاً بأن الصلات السببية بين دلالات العالم الواقعي والبيئات الافتراضية هي أقل ضرورية مما كان يحكم عليه في الماضي أنه هو الحال. بعبارة

أخرى ، رغم أن الواقع الافتراضي يستغني عن النموذج الديالكتيكي للوضوح الذي آمن فكر عصر التنوير بأن ربط الحجرة المظلمة بين الموضوع الخارجي (الواقعي) والتمثيل الداخلي يشكل نموذجاً له ، بإعادة تموقع ثنائي الموضوع – الذات هذا بالكامل ضمن أفقها بطريقة مشابهة للبانوراما ، فإن الواقع الافتراضي يبدو أنه يحافظ على الفوارق بين البيئة والمستخدمين (أو الفضاء والذات). مع ذلك ، فإن هذه الفوارق تُبنى ثقافياً . في تراث الحجرة المظلمة يبدو الجدل بين الذات والعالم مؤكداً ، حتى عندما تحل الصورة واللغة والدلالية محل الواقع . لذلك ، يحافظ الواقع الافتراضي على الفوارق بين "واقع سابق" ومدلولاته حتى عندما يعيد تموضع هذه الفوارق بعيداً عن مراقب يستعمل التقانة ليؤكد هذه الفوارق إلى واقع يُقحم فيه المستخدمون أنفسهم في جدل التقانة لكي يثبتوا واقعية الأوهام التي تقدمها بما في ذلك صور ذواتهم . بذلك يوحي الواقع الافتراضي أن الجوانية أو "الصندوق الأسود" لبرمجيات software وعتاد hardware الكومبيوتر يمكن أن تعمل بطريقة كفؤة لتوحي [بوجود] خارجية [برانية] في تضاد للمستخدمين الذين يجب عليهم برغم ذلك ، وبطريقة ديكارتية ، أن يضعو أجسادهم جانباً بشكل تخيلي ليجلو عالماً افتراضياً ويندمجو مع العرض بطريقة إنكارية تكاد تكون re-medievalised معادة إلى جوّ القرون الوسطى .

هذا المفهوم التهكمي للاندماج يعتمد أيضاً على نوع التعليم البصري الغامر الذي يوفره المجسام . إذ يلاحظ كراري (Crary (1994: 40 أن هذا الجهاز قد حسّن الدمج بين الواقعي والبصري . فاختزال فكرة الرؤية الذي يقتضيه ذلك إنما يعتنقه كلياً أعضاء كثيرون من مجتمع الواقع الافتراضي الأمريكي وينعكس في المجادلات القائلة بأننا سنرى قريباً ما نعنيه . يعتمد الواقع الافتراضي ، مثل المجسام ، على إشباع الميول والسطوح التي يواجهها المستخدمون بأنواع التفاصيل البصرية التي يلاحظ كراري أنها كانت تملأ الصور المجسامية للقرن التاسع

عشر. إن الإحساس بالتسطح يتأكد في الحال مع أنه يُنكر من خلال إشغال إنتباه العين بالتفصيل بحيث أن الإحساس الموحد الخواص isotropic الضمني بالفضاء المبرهن في تقانة الواقع الافتراضي الغامر يبدو مخففاً أو يُمنح مزيداً من الصفات المنسوبة لمكان مخبور في صورة ملتقطة عن قرب شديد. خلافاً للبانوراما، يمكن للواقع الافتراضي في بعض الأحيان أن ينتج ظاهرة اختلاف المنظر(*). هذة الصفة الهلوسية الزائفة تحرف الأنتباه عن التسطح الملازم للشاشة والصور والخيالات ثنائية الأبعاد.

في مناقشاتها لتقانة الفانوس السحري في القرن التاسع عشر، تلاحظ تيري كاسل (Terry Castle (1995:141 أن "شيئاً ما خارجياً وعمومياً"، الأوهام الطيفية التي ينتجها الجهاز، صارت تحيل إلى شيء ما داخلي [جواني] أو ذاتي بالكامل: صور الذهن الاستيهامية. إن العالم المتعدد القوى الذي تنبأ به بنديكت، الذي تكون فيه أنت شريطاً من اللون وأكون أنا مأخذ بيانات يعمل بعصبية، يعيد إنتاج الاعتقاد الحديث، الذي لخصته كاسل، أننا "نرى" الأشكال والمشاهد في أذهاننا، مسكونة بأفكارنا التي يمكن أن تتجسد أمامنا مثل phantoms السرابات في لحظات الهلوسة، أو حلم الاستغراق أو حلم اليقظة (ibid: 143) وما يعكس الاعتقاد بأننا نرى مثل هذه التجسدات هو البروز المستمر لبعض المفاهيم الرواقية phantasiai للاستيهامات أو التجليات أو التمثيلات لما تنشد النفس رؤيته أو الإيمان به (Goldhill 1996: 23). يوحي الواقع الافتراضي ليس فقط باقتران الرؤية والرغبة، بل أيضاً باقتران برانيته الخاصة (وعموميته التي يمكن أن توفرها تطبيقاته المشبوكة) بجوانية المخيلة البشرية "الموسعة" ليشارك بمشاهد البيانات الجوانية المستخصصة للتبادل الفكري واللذة المقدسة والمدنسة المتولدتين ضمن الألة. في عام ١٩٣١ كتب بنيامين أنه في كل يوم تصبح

(*) ظاهرة اختلاف المنظر parallax effect: انزياح ظاهري لجسم بعيد (بالنسبة إلى خلفية أبعد) عندما ينظر إليه من موقعين مختلفين.

الحاجة أكثر إلحاحاً إلى إمتلاك الموضوع في لقطة مقربة في شكل صورة، أو بالأحرى **نسخة** (١٩٧٩: ٢٥٠). كما توحي مرثاة بنديكت، في بيئة افتراضية يمكننا مجتمعين وكل واحد منا على حدة أن نكون المسيطرين على الفوانيس السحرية Phantasmagoria الخاصة بنا عندما نتابع التوافقيات الفردية "للحقائق" حالما تكون متوفرة عن طريق الحجرة المظلمة، مهارب يؤمنها الفانوس السحري والإحساس الخادع بامتلاك موضوعات مألوفة عن طريق التلاعب بصورها في المجسامات. إن الواقع الافتراضي الغامر يدمج هذه الأنواع من التحكمات السارة مع الوهم بأن المستخدمين يمكن أن يسكنوا شيئاً مثل "فضاء حلم" ويتعايشوا ويتخالطوا هناك مع نسخة من خواطرهم الداخلية وتخيلاتهم وأوهامهم. كل هذا يعتمد على اللعب بالضوء في العوالم الافتراضية. فالواقع الافتراضي هو إشراق جواني متجسد، إشراق ذاتي يُضم إلى الآلة في تعويذة هجينة أو سيبورغية(*) للذاتية الجوانية، حتى عندما تثبت التقانة أيضاً ضوء ذاتية داخلية متميزة. فالواقع الافتراضي هو ضوء اصطناعي، إشراق مولّد ثقافياً يمزج الضوء والخيال ليوحي بأنه يمكن أن يكون المنبع للضوء "الطبيعي"، ولو افتراضياً فقط. يبدو الواقع الافتراضي أنه يوحي أنه من الطبيعي فقط أن الضوء كمنبع للحقيقة سيكون اصطناعياً بالكامل في الطبيعة. إن تكوين هذا الانقسام الظاهر، أو حتى التنافر، هو موضوع الفقرة التالية.

مجازات النور والتقانة الافتراضية:

إن فهم الغرب للعلاقة بين الرؤية والبصر والنور شكلته مفاهيم متناقضة ومتنامة يعبر عنها غالباً من خلال مجازات النور. فالتداخل بين الرؤية والبصر والنور يؤلف جوهر الخبرة ضمن بيئة افتراضية. في الصفحات التالية سأنظر في الطرق التي (تعيد) بها المجازات الثلاثة للنور(٤) تموقع العلاقات المكانية بين الذات الباحث /المشاهد/ والنور بوصفه منبعاً للحقيقة. أرى أيضاً كيف أن هذه

(*) السيبورغ cyborg: كائن افتراضي يجمع مابين الآلة والكائن الحي مثل أبطال وشخصيات أفلام الخيال العلمي ومسلسلات الاطفال (المترجم).

المجازات تكوّن الواقع الافتراضي. فالصلات بين المعنى والصورة، مع ذلك، هي صلات مائعة؛ فهي مصانة، مضبوطة، متنازع عليها وعرضة للتغيير. إن تجاهل قدرة المجازات من شأنه أن يحسب كل الصور تعبيرات حرفية (Bal and Bryson 1994: 193)، [وهي] نزعة مثالية يعززها على نحو مفارق كثير من الغلو المحيط بالواقع الافتراضي الذي يوحي ضمناً بأننا مجهزون لإدراك الواقع مباشرة من خلال الرؤية، وأن هذا الشكل الجديد من الرؤية المعزّزة تقانياً سوف يقود إلى الأرض الموعودة "للإتصال ما بعد الرمزي" (Biocca and Lanier 1992: 160-161) رغم أن السياقات والاستعمالات ذات المعنى للمجاز تتطور، فإن جوانب من الروابط المحددة، الموحى بها في مجازات النور الهلنستية القديمة، بين الفضاء والنور والذات تحتفظ ببروز مستمر. إن التقانات الافتراضية تجمع ما بين البصر الفيزيائي ومجازات الرؤية [الإبصار]. وبفعل ذلك، إنما تشارك في ميتافيزياء للنور قديمة قدم كهف أفلاطون.

من المفيد أن نفكر بالمفاهيم، كالمفهوم المكاني للكينونة في النور، مثلاً، بوصفها مجازات نسينا أصولها. إن أقدم مجاز ضوئي أدرسه يحدد موقع الرائين بكونهم في الضوء [النور] الذي يشع في السماء. في المجاز الثاني، بعد أن يُجعل النور ينسحب مفاهيمياً من الأرض بوصفها بيته، لا يعود البشر في النور، بل ينعمون النظر فيه من مسافة. أخيراً، فإن الذات الحديث هو في ومن النور؛ بالإضافة إلى النظر [بإمعان] في النور، فإن نوراً داخلياً (جوانياً) مستقلاً يُفترض أنه يضيء البحث العقلاني للفرد عن التنوير [الاستنارة].

في النور in the light

كان النور وارتباطه بالنهار مركزيين لمجازات التعالي والخير والحقيقة والقدرة في كثير من الثقافات. فقد كان الفيلسوف اليوناني القديم بارمنيدس يعتقد أن الظلمة يتم قهرها في جوهر النور (Blumenberg 1993: 32). يعود

مفهوم النور في نشوئه إلى الرؤية البدئية للعالم بوصفه ظلمة ونوراً. فالعداوة بين هاتين القوتين تولد إدراك أن لا شيء بيّن بذاته، بما في ذلك الحقيقة. هذا لا يعني أن الظلام يُنكر حقه. فلكل شيء مكان في التوقعات الهلنستية القديمة، بما في ذلك الظلام (Walters 1988:185). في جوهر النور، تُقهر الظلمة ويسمو العقل فوق الواقع المادي. فالنور هو حيث **wherein** الطبيعة وليس جزءاً مكوناً. النور لا يكون مرئياً إلا عندما تعكسه الأجسام ويكون مبهماً لأنه ليس من المادة التي يكشفها. بالأحرى، إن النور، مثل الفضاء، يبني العلاقات بين هذا وذاك، بين هنا وهناك. كان الفكر الكلاسيكي القديم يفهم البشر بأنهم في النور. بطريقة مشابهة، يمكن أن نفكر بأنفسنا بوصفنا أجساماً منثورة في فضاء نرتبط فيه وعن طريقه بالأشخاص الآخرين وبالأشياء الأخرى(٥).

مع ذلك، فإن مجاز كهف أفلاطون يحول النور إلى مثل أعلى للخير. بالنسبة للقدماء، فإن النور، الذي يمنح المرئية لكل شيء آخر، لا يمتلك خصيصة الشيء. من المثير للسخرية ربما، أن تجريد النور بهذا الشكل بات طريقة للتعبير عن طبيعة الحقيقة في ضدها: الحقيقة تصبح "متوضعة" في الغموض (Blumenberg 1993: 33) يصبح النور حقيقة ميتافيزيقية، وبسبب ذلك جزئياً، فإن النور، بالتوازي مع الحقيقة التي يحملها، يُسْتَرد مفاهيمياً من الكوزموس أو العالم. علاوة على ذلك، رغم مماهاة أفلاطون لـ "عين الروح" و"نور العقل" وربط أرسطو بين الرؤية والتوق إلى المعرفة والبهجة الحسية، فإن أي مفكر يوناني لم يشرح فعلاً ما هي الخواص **المادية** للبصر التي يمكن أن تؤهله لمثل هذا "الشرف الفلسفي العالي" (Jonas 1982: 135). إن أفلاطون، إذ يكتب حول **الإبصار**. يستعمل في أغلب الأحيان مجاز البصيرة أو السبيل إلى المعرفة والاستنارة. إن تضمينه **للبصر** بحد ذاته per se يحدث من خلال استعماله المجازات الإبصارية التي تستغل إواليات الرؤية.

إن تأثير بارمنيدس على أفلاطون ملحوظ، ومرموزة allegory كهف أفلاطون لا تنكر وجود الأماكن المظلمة بقدر ما توحي بالصلة الطبيعية بين الكينونة والنور والحقيقة. فالكهف هو مكان كناية عن الكون Kosmos. وإن "مبدأ حصر المعرفة البشرية المفروض من قبل الجسد "هو الذي لا يسمح لنا بفهم الحقيقة، بل الظلال والأصداء فقط. يتعلم الناس المحبوسون في الكهف أن يحبوا الخيالات المسقطة على جدران زنزانة اللحم البشري"، وهنا أيضاً يتم القبض على النور، ويُستنزف ويُفقد. إن الذين سجنواسابقاً في الكهف يمكنهم، وقد تحرروا من إغراءات هذا العالم الدنيوي المحدود، أن يصعدو إلى عالم الفكر الفاعل. مع ذلك، فإن عدداً قليلاً من البشر (الفانين) يكونون أهلاً لهذه المهمة رغم القاعدة الكلاسيكية القائلة بأن التماس مع الرب أو مثال الخير "هو ضروري للكينونة التامة"(٦). هذا اللغز الأخلاقي يقدم سبباً ثانياً لماذا يُفصل النور عن العالم الأرضي ويمجّز كناية عن الخلاص والخلود. زد على ذلك، إن "النور، الخالص والمنتمي إلى العالم الآخر الآن . . . . . يتطلب انتباهاً انتشائياً استثنائياً" يصبح فيه "تحقق التماس والإنبهار المنفر واحداً". مع مجاز الكهف يسحب النور تماماً، في نوع من "الهروب الكوني"، من الارتباط بـ الطبيعة (البشرية) إلى عالم أكثر خرقاً للطبيعة. فأي سجين سابق للكهف يمكنه أن يصعد نحو النور الخالص، سوف يتطلع إلى الوراء بشفقة على أولئك الذين تخلفوا في الجهل. هذا الفرد الكوزموبوليتاني المنوَّر لن يعود أبداً إلى الكهف أو إلى الحياة بين الظلال (المجسَّدة) حتى رغم أن الحكمة الكاملة أو الفضيلة الكاملة سوف تروغ قبضته كما لو كان يبشر بالديناميك المثالي في القرن العشرين للدوران الذي لانهاية له ضمن العوالم الرقمية للمعلومات.

لقد جعل شيشرون (١٠٦ ق.م – ٤٣ ق.م) البصيرة اليونانية متاحة للثقافة الرومانية بترجماته للفلاسفة اليونانيين. إن شيشرون، الذي يدمج نظريات النور المختلفة، قد طور مفهوم "النور الطبيعي"، رابطاً مجاز النور بالبينة الذاتية

الأخلاقية الجوانية (Blumberg 1993: 35)، معيداً بذلك توجيه ميتافيزياء النور بشكل ما. فهذا النور الطبيعي naturalis lux سوف يتصفى في النهاية ليشكل توكيدات عصر التنوير أن البشر أيضاً يألفون منبعاً للنور بفضل إمكانية بلوغ هذا النور الداخلي بوصفه منبع تصور لأجل النفس. في الفكر اليوناني الأقدم كان النور يكشف عن فضاء يضاء فيه كل شيء بالتساوي. مع ذلك، فإن شيشرون، يتصور الحياة البشرية بوصفها موجودة في بقعة مكشوفة يصنعها النور لأجل إقامتنا. إنه يشع بشكل "مقتصد" بالنسبة للفضاء الذي ينيره، حتى رغم أن هذه البقعة المكشوفة هي غلاف مبهر . . . خالص ومطلق (ibid: 36). الظلمة هي خارج البقعة المكشوفة [إنها] نطاق أرض خلفية طبيعية.

"يقلص" شيشرون الفضاء القديم الذي يضيئه النور من العلى إلى فضاء أكثر انسجاماً مع المتطلبات المكانية المحدودة التي يمكن ضمنها حدوث ثقافة (رومانية) متقدمة. ليس الخيرون والأخلاقيون فقط في مركز هذه البقعة المكشوفة المتميزة التي تكون مرئية مضاءة من فوق، بل إن نوراً "مستبطناً" ثانياً يبدأ بالإنبعاث من الداخل، ويأخذ الشكل الأخلاقي/ الجمالي **للفضيلة**. فإذا كانت المعركة بين النور والظلام قد أوحت لبارمنيدس بأن لا شيء بيّن بذاته self evident، فإن إعادة موضعة شيشرون للنور تبدأ سيرورة تطويرية تبلغ ذروتها في فكرة أن النور يضيء كينونة "موجودة لذاتها". تشرع النفس في تأسيس زعماً أخلاقياً على تقرير ما يمكن أن يكون حقيقياً وبالإحالة إلى القضايا المدروسة في هذا الفصل، يكشف هذا الزعم في توكيدات تربط الحجرة المظلمة لعصر التنوير، والذات الداخلية والحقيقة. مع الواقع الافتراضي، يتم اللجوء إلى التنوير الذاتي لتعزيز كون المرء موجوداً لذاته. إن النور الخارجي سوف يعزز حقيقة الذاتية الداخلية، رغم أن هذا يدخل المخاطر التهكمية لإعادة [الوعي] إلى روح القرون الوسطى remedievalisation أو إعادة تجسيد "الوعي".

عندما يجدد التفكير المسيحي مجازات النور الإغريقيّة – الرومانية، فإنه بالتالي يقدم تفريقاً بين النور السابق للكائنات الأرضية الذي خلقه الرب في اليوم الأول، والعدد الكبير من الأنوار الدنيوية. في سفر الخروج (٣:٤)، يظهر الرب لموسى في دغلة مشتعلة. يستخدم الكتاب المقدس عنصر النور بوصفه الوسط الذي يصبح فيه الرب مرئياً للإنسان. أما العهد الجديد فيماهي الرب بالنور بشكل واضح. في إنجيل يوحنا (٨:١٢) نقرأ: Ego sum Lux mundi [أنا نور العالم] يصبح الرب المنبع المصدري وراء النور الذي ينبعث من مشيئته الإلهية. هذا التماسف الذي يجعل النور شيئاً ورمزاً، ينسجم إلى حد ما مع التموقع النيو– أفلاطوني للرائين بوصفهم يمعنون النظر في نور منفصل، يكون منبعه مسحوباً إلى "السماء". إن الصراع المنطقي بين إلحاح مسيحي على النور في مقابل الشر وفهم أقدم مُفْسَد كلاسيكياً إنما يتم تلطيفه بعودة بعض القدرات الميتافيزيقية للنور إلى الرب بوصفه الأصل.

إن تحول أوغسطين (354BC – 430BC) إلى المسيحية قد سهلته قراءته للفلسفة الأفلاطونية. إنه يعيد توجيه التنظير المسيحي للنور إلى الوراء إلى الرؤية الكلاسيكية في النور، مع ذلك فإنه يتصور أيضاً نوراً داخلياً يقع "خلف" النفس [في] نقلة مكانية تعيد مفهوم الأصل أو (الحيث) إلى النور لكنه أيضاً يجعل التمعن فيه مستحيلاً. يفترض أوغسطين تفريقاً ثانياً بين نوعين من النور: Lumen "اللومن" وهو الإشعاع الموضوعي، الذي لا ينضب، المدرك بالعقل فقط، المخلوق إلهياً، الذي يخترق ويضيء الفضاء؛ واللوكس Lux هو الإنعكاس الأرضي، البشري للومن، خبرتنا الفيزيولوجية بالنور وقدرتنا على تلقيه. يصبح الإنسان نوراً يضيئه النور (İbid: 43) وتبدأ الصلة بين العين والإرادة الحرة بالتأسس.

إن ربط أوغسطين المقترح بين العين البشرية والإرادة الحرة يمكن رده إلى احترامه الأفلاطوني للهندسة geometry الملهمة إلهياً التي تجعل قدراتها الاختزالية ظاهرة عن طريق قيام العين بدورها كوكيل عن الإرادة الحرة، كوسيط ذهني

وكمجاز. إن أفلاطونية أوغسطين، مع ذلك، تسمح له أيضاً بتأكيد أولوية الهندسة على الإدراك الحسي. قد تكون العين مركزية لسطوة الهندسة؛ ومع ذلك، فإن أوغسطين يميز بين الرؤية والبصر. فعلى حد تعبيره: "تقدم العقل إلى حقل العينين . . . . فوجد. . . . أن لا شيء تشاهده العينان يمكن مقارنته بأي شكل من الأشكال بما يتبينه الذهن. هذه الوقائع المتميزة والمنفصلة يختزلها أيضاً إلى فرع من المعرفة ويسميها الهندسة"(٧).

إلى النور:

في مقابل أوغسطين، كان الصوفيون الأفلاطونيون الجدد المسيحيون الأوائل قد تصوروا أنقى سبيل إلى الحقيقة هو التمعن في النور، عندها كان يعتقد أن النور متصل باللانهائي والسماء، وليس من هذه الأرض. هذا السعي إلى "الإدراك الحسي المباشر" يعكس الشك باللوغوس logos ويشير الواقع الافتراضي (غالباً باسم الفعالية) إلى البحث المستمر عن تطبيقات الاتصال ما قبل اللغوي. هذا الشك وجه هؤلاء الأفلاطونيين الجدد إلى تسليم أنفسهم من خلال الإدراك الحسي المباشر إلى الانبهار عن طريق اللومن بشكل غير موسول قدر الإمكان. مع ذلك، مما يثير السخرية بشكل مفارق، نظراً للإعتقاد بأن المرء يتمعن في النور، أن المسافة الحرجة، المتضمنة بين الرائي والألوهية، بين المتلقي والمرسل، تتطلب قناة لأجل التوسط، بغض النظر عن كم يكون وجودها مشجوباً من قبل هؤلاء الصوفيين الذين هم الأسلاف ناكروا الثقافة لمشجعي الواقع الافتراضي الذين يدافعون عن "الإدراك الحسي المباشر".

تواصل الأفلاطونية الجديدة القروسطية تراث أفلاطونية جديدة أقدم كانت قد عكست التموضع اليوناني الأصلي للرائي في النور، وضمن [حيث] الطبيعة. إن رائي عصر الظلمات ينظر في النور أملاً في دخول حقيقته "في ذاك المكان" أو في الخارج هناك. مع ذلك فإن النور القروسطي قد حوّل هذا الفهم

إلى نظريات النور التي طورها شيشرون وأوغسطين. فالنور القروسطي يُستبطن لمنع "الظلام الدنيوي من الإختراق الكلي للذات وتجريدها من القوة". تصبح الزنزانة الرهبانية الشبيهة بالكهف متراساً للثقافة ومعتزل الذاكرة (Carru Thers 40 :1990) إن شيئاً مثل الأثر الذاكري للنور الأفلاطوني يكون محمولاً بداخله، في حين أن الواقع البربري للعالم الطبيعي الذي سُحب منه النور يكون محجوباً عن الرؤية [٨].

رغم أن قدرة المجاز الإبصاري تكون مخفّفة نوعاً ما أثناء العصور الوسطى، فإن كتاب روجر بيكون الذي يحمل عنوان Opus Majus المكتوب أثناء ستينات القرن الثالث عشر (١٢٦٠)، يتوسل إلى السلطة البابوية أن تعيد توجيه الاستعلام المسيحي وفقاً لمنظور رؤياوي. إن بيكون، بوضع الرؤية بشكل مباشر على محور الحقيقة إنما يحذو حذو أوغسطين في رفع منزلة الهندسة. مع ذلك، يقترح الهندسة بوصفها مساعدة أو تعزيزاً للرؤية المجسدة. فكتابه **opus Majus** يعكس اهتمام القرن الثالث عشر بالبصريات والرياضيات الذي أعقب التأثير المتجدد للفكر الأفلاطوني الجديد، وتصوره للفضاء بوصفه لا نهائياً ومفتوحاً.

يوحي وصف فيكتور برغين Victor Burgin (١٩٨٨) توليف عصر النهضة للهندسة الإقليدية مع فكرة **المنظور** الأولي بوجود طرق دعم فيها هذا التوليف تطوير صلة موازية بين النور المطلق في العلى [السماء] والنور الداخلي للذاتية الناشئ ببطء. يقدم برغين الاختلافات بين عملين لإقليدس، هما كتابه **عناصر الهندسة** Elements of Geometry، الذي يصنف عدداً من النظريات السابقة التي تتنازع مع بعضها البعض، وكتابه البصريات Optics. ففي كتابه البصريات ينظّر لمخروط الرؤية(*) لأول مرة. في عام ١٤٢٥ نظّر برونيليشي لهذا المخروط ليتقاطع مع سطح مستو، كجزء من استنباط برنامجه المنظور الأحادي النقطة.

(*) مخروط الرؤية Cone ef vision: هو خلية على شكل مخروط في شبكية العين البشرية (المترجم).

رغم أن الهندسة الإقليدية قد أقترحت فضاء ثلاثي الأبعاد مطلقًا وقابلاً للإمتداد بشكل لانهائي، فإن مخروط الرؤية قد ساعد على ترسيخ اعتقاد متناقض نوعاً ما بأن لهذا الفضاء اللامتناهي مركز. إن المخروط، المدخل إلى تقنية المنظور الأحادي النقطة، قد أوحى بأن الراصد هو في مركز الفضاء، كما هو الحال مع بانوراما القرن الثامن عشر. كل راصد حديث هو في المركز، يستحوز على نور يمكن توجيهه بالممارسة نحو الخارج أو نحو الداخل، نحو الأمام أو نحو الوراء. هذا النور الداخلي يضيء رؤية فردية تمتد نحو الخارج على إمتداد إحداثيات لانهائية لشبكة [إحداثيات] هندسية وعقلية ممهورة مفاهيمياً على سطح الأرض. بعد ترونيليشي ومخروط الرؤية، يتبع النور خطوط البصر عبر فضاء ممتد إلى مالانهاية يمكن للعين أن تبحر فوقه كما لو في السماء، كما لو كان النور نفسه. إن العالم الداخلي للواقع الإفتراضي سوف يخلق فضاءً تخيلياً من أجل تمديد هذه الرحلة الداخلية أكثر، ما يوحي بأن الداخلي هو لانهائي إن لم يكن أبدياً. مع وضع البشري في مركز ديناميك البصر، يُقلب المعنى الأفلاطوني للنور المطلق، الأكثر ارتباطاً بالرؤية والمجاز من البصر والفيزيولوجيا. إن الذات أيضاً يتحرك نحو مسرح المركز وإلى داخل النور. تعطي فيزيولوجيا البصر غطاءً من وعي الذات. لقد جادل أفلاطون بالضرورة الأخلاقية لأجل الصعود إلى داخل النور المثالي بحيث يمكن للبشر أن يحرزوا بشكل ممكن الكينونة التامة، مجازياً؛ فالباحثون عن الحقيقة المصعَّدة كانوا ينجزون الترتيب الموسَّع من المُثُل والأشكال المقدمة لهم ضمن الفضاء المنقى للرؤية المثالية. إن عصر التنوير لا يغير قاعدة أفلاطون بقدر ما يعيد تشكيل المجازات المكانية التي يعطى بها هذا الواجب البشري اتجاهاً. كما توحي مناقشة الحجرة المظلمة، يجب علي الباحثين الآن أن يجهدوا أنفسهم لإيجاد النور في الداخل، والتوجه الناتج نحو الداخل يساعد في شرح أولية الذاتية الحديثة.

ثمة تلميحات لدى شيشرون، عبر عنها أوغسطين بشكل أكثر كمالاً، مفادها أن الإرادة الحرة والعين لهما دور كي تقوما به في إنتاج النور أو الخير. فمع اعتقاد التنوير في القرن الثامن عشر بأن البشر محبوون بحس أخلاقي جاء الفهم الأكثر تطوراً وهو أن هذا المنبع المضيء للخير يكمن أيضاً عميقاً بداخلنا. بشكل مشابه لكيف أن الذات الحديثة المبكرة ضمن الحجرة المغلقة تنتج المعنى ضمن مختلى داخلي، صارت النفس يُنظر إليها على أنها تؤوي قدرة ضيائية منفصلة عن ذاك الذي يستقر في العلى. النور الداخلي هو كناية عن الخير، والحجرة المظلمة والفانوس السحري هما مجازان يؤكدان مظهرين مختلفين من الاعتقاد بأن النور المستبطن يشع الآن من الداخل. يمكن التنظير لهذا الاختلاف أيضاً باقتراح توازياً بين اللومن الإلهي والحجرة المظلمة؛ فالحجرة المظلمة هي تقانة اللومن. إنه يعكس بصدق العالم الموضوعي للواقع الخارجي عندما يمنح إلهياً بالكامل، مع أنه، بالنسبة للذوات الحديثة المبكرة، يُبدع ثقافياً أيضاً. بالمقابل، فإن الفانوس السحري وعالم ظلاله وخيالاته، هو تقانة لوكس، أو انعكاس أرضي للومن وبالتالي أكثر عيوباً بشكل كامن. عندما يموضع الذات المستبطن نفسه أو نفسها بشكل متزايد بوصفه المنتج والقاضي للحقيقة، فإن الفروق بين اللومن واللوكس تصبح أسهل تحديداً.

علاوة على ذلك، فإن المشاهد الحديث المبكر، سواء كان يلجأ إلى حجرة مظلمة أو إلى فانوس سحري أو سواهما، لا يمتلك مع ذلك المال الكافي أو الحاجة الثقافية لأن يتخيل أنه أو أنها يمكن أن يسلّم هويته أو هويتها إلى النور كشرط لأجل الدخول التخيلي إلى عالم افتراضي لا مادي يقوم على التوهم والضيائية والبكسلة(*) والمعلومات كبيانات، ومحدَّد الموقع بشكل تخيلي أصدق من "الواقع" الحقيقي المستنزف للعالم الطبيعي. على نحو مفارق، تميل مظاهر من

(*) البكسلة pixilation من البيكسل pixel وهي إحدى النقاط الصغيرة التي تؤلف الصورة على شاشة الحاسوب أو على بعض أنواع أجهزة الاستقبال التلفزيونية، إذ يزداد وضوح الصورة بازدياد عدد البكسلات التي تعطي لكل واحدة سطوعاً ولوناً.

التفكير العلمي الحديث المبكر مع ذلك إلى تأييد مثل هذا التسليم القرن عشريني التخيلي. فمع إسحاق نيوتن، يجري تأكيد الوحدة الأساسية للمادة والضوء (Koyre' 1957: 207). يمكن قراءة وحدة نيوتن في اتجاهين. فإذا كان الضوء مادة عندئذ فإن الحافة الميتافيزيقية للواقع الافتراضي يتم إسكاتها بشكل كامن. مع ذلك، من الممكن بالقدر نفسه إعادة توضيع المادة مفاهيمياً إلى "حيث" **wherein** بصري. منذ ماكس بلانك في عام ١٩٠٠ وألبرت أينشتاين في عام ١٩٠٥، إذا كان الضوء شكلاً من الحركة الموجية وجسيماً متحركاً بسرعة أو "حزمة"، عندئذ من الممكن تصور تقانة غامرة بصرية كالواقع الافتراضي تنزع الصفة المادية عن فيزيائية العالم الذي تمثله [محولة] إياها إلى "حيث" مبهم.

إذا قبلنا أن الفكر الحديث يحتفظ بتشكيلة من المؤثرات الأفلاطونية الجديدة الحاذقة، فإن هذه المسافة بين الذات والنور الحقيقي [لله] الذي ينشده المرء تتطلب قناة. إن مجاز قناة الاتصالات يقتضي ضمناً ويتطلب مروراً غير مفسد للرسالة (من السماء). يصبح التوسط عبر المسافة هو الجوهر. عندما يدمج مجاز النظر في الضوء في التقانات الافتراضية، فإن ضرورته الأخلاقية الأفلاطونية الجديدة الأبكر، التي كانت تشترط نقاء الاتصالات عن بعد من الرب إلى الإنسان، يتم تحديثها وصونها عن طريق الجزم بأن التقانة خالية من القيمة.

فيما يتعلق بالصوفية (الباطنية) الأفلاطونية الجديدة والإنبهار، لا أحد قادراً على الاعتياد على الشدة المطلقة لهذا الانبهار، التي يضاء بها المرء ويُعمى، لو بقيت عيناه مفتوحتين بالكامل ومغمضتين عمداً. هذا الغموض الصوفي اتخذته الأفلاطونية الجديدة المبكرة لإثبات حضور الرب المضيء والمتعالي الذي يتجنب السيرورات الاتصالية والفكرية البشرية (ibid: 45). فأن تكون مبهوراً هو أن تُغمر بنور اللّه الكوني، وهي حالة من "الإدراك الحسي المباشر" لا يمكن تحقيقها إلا بتعليق الإنعكاسية والمسافة الحرجة التي توفرها المعرفة المعيارية العاملة ضمن بيئة ثقافية. مع ذلك في الوقت نفسه عندما تشكل هذه المباشرة الميتافيزيقية عن

بُعد كمحور للإيمان، يجادل أوغسطين أيضاً بأن المرء يمكن أن يفتح عينيه في الظلام أو يغمضهما عن الضوء، محولاً تحديقه إلى الداخل. هذه الإرادة الحرة تعتمد جزئياً على الضوء الذي أصبح ينظر إليه بشكل متزايد على أنه "يشع من الداخل" كانعكاس لله وبالتالي فوق أو "قبل" الثقافة. كانت الذاتية المعتمدة على البصر غائبة في الفكر الكلاسيكي، الذي لم يمنح، بمجازات الرؤية المختلفة، هذه الدرجة من الأولية للعين. فالنفس الداخلية التي تظهر إلى حيز الوجود في فكر عصر التنوير يخصبها إعلاء الفلسفة لسلطة العين، التي خلقت لتشتغل ضمن الانفتاح الذي بدأ في التطور بين الطبيعة والثقافة في الفلسفة ما بعد الهلنستية.

إن الإدراك الحسي المباشر الشيشروني والأفلاطوني الجديد المحقق عن طريق تأمل النور الخالص، كما لو أنه يستبق الخبرات المتفردة ضمن البيئات الافتراضية الغامرة، هو فعل انعزال رائع، وربما لا يمكن تصوره إلا ضمن دائرة الترف luxury [٩] المبهر والثقافة – فعل يمارس تأثيراً جغرافياً أو مادياً على التشكل الفلسفي، يتم غالباً تجاهل تأثيراته السوسيو–سياسية. على كل، عندما يبدأ المرء بالاتصال ليس فقط مع الرب بل مع الناس الآخرين أيضاً، لابد أن تنشأ العلاقة بين النقاء ومجاز قناة الاتصال. إذا كانت قناة نقية (شاقولية) مطلوبة لبث كلمة الرب بشكل غير مُفسَد قدر الإمكان، مزيلة بذلك "التشويش" من البث السماوي، فعندما تصبح القناة "أفقية"، تمتد بين الأمكنة الدنيوية، الناقصة، عندئذ يكون نقاء القناة متاحاً بشكل ضمني لتنقية الرسالة المبثوثة إلى مستقبلين ناقصين. فالدلالة تُعلى على تلك الدلالة التي تشير إليها أو ممن أو من أين أرسلت. إن القناة أو التقانة إذاً يُعتقد أنها ليست فقط خالية من القيمة بشكل كامن بل هي ذات امتياز أكبر ومتفوقة أخلاقياً على الرسالة، والمرسل والمتلقي. لذلك، فإن الاتصال عبر وسيلة، هو امتلاك المرء إحساساً بأن رسالته يمكن أن يلمسها الرب. ادخل الميتافيزياء (ما وراء الطبيعة)، كلما كانت التقانة

أكثر اعتماداً على الضوء كانت أكثر ميتافيزيقية تلك الاستعمالات التي يمكن أن يُسخر لها بحثاً عن الحقيقة. كما لو كان يستبق، مثلاً، تمجيد العصر الجديد العلمي الزائف لقدرة الحصر والتوجيه [التَقْنية] على حل المشاكل التقنية للاتصال (Ross 1991: 37)، فإن نقاء الضوء الأفلاطوني الجديد يُروحن [يضفي طابعاً روحانياً على] المعلومات ووسائل التنوير والاتصال.

في ومن الضوء:

لقد أوجدت صلات بالواقع الافتراضي في كل مراحل تاريخ الضوء الوارد أعلاه. فأنا الآن في موقع [يؤهلني] للمجادلة بمزيد من الاستمراريات بين التقانات البصرية الأقدم ومفاهيم الضوء والفضاء والعالم الافتراضي المعاصر. بلغة **الغشتالت** gestalt، فإن البيئات الافتراضية الغامرة تقرن "الأرض" الحديثة للشبكة الديكارتية المتمفصلة بـ"حقل تشكلات" الهوية المتعددة القوى التي تعين موقعه. فهي تُعرف بالضوء، الجوهر المكون للبصر. نظراً للالتباس المكاني الذي يلازم "التموضع" الأفلاطوني للحقيقة بوصفها نوراً في الغموض، فإن الحيث الذي يمكن أن يوجد مثل هذا الموضع السامي يبدو مقدراً له أن يبقى لغزاً أبدياً. مع ذلك، فإن تموضع الحقيقة في الغموض عبر النور يقتضي ضمناً أن تصبح الحركة، وتوسعاً، الاتصال وتقاناته مواقع تهكمية للحقيقة في ذاتها ولذاتها. في الغرب، تربط هذه الحركة غالباً بالقدرة على إصدار الضوء. تصبح الحقيقة متصلة بالحركة "والفضاء" الخالص، اللامادي والمثالي للاتصالات. يؤكد الواقع الافتراضي الإنقطاع الجذري عن الأمكنة الحقيقية بالممارسة الحديثة للبحث بداخل ذات المرء عن نور الحقيقة. فالأمكنة الحقيقية تجعل لتبدو خارج الموضوع عندما تكون الحقيقة «مُوضعة» بالنسبة إلى الغموض والحركة والضيائية المعتمدة على الألياف البصرية.

يلاحظ ستانلي كافل Stanley Cavell أن "الشرط" الغربي قد عوّد نفسه على طبيعية إقامة صلة بالعالم عن طريق رؤيته. إذ يكتب "أننا لا ننظر إلى العالم

بقدر ما ننظر خارجاً إليه out at it ، من وراء النفس". مع الواقع الافتراضي، يجب على المستخدمين قبل كل شيء أن "يقاربوا" التقانة، وهي نقلة مكانية مألوفة للباحثين الذي يدخلون الضوء أو ينظرون فيه. بالشكل الأفلاطوني الجديد، ينظر المستخدمون في عالم افتراضي مكون من الضوء. مع ذلك، بإعادة تموضع جزء من مفهوم هؤلاء الأفراد بالنفس إلى أيقونة تقع في الضوء ومنه، يهدم الواقع الافتراضي المسافة الأفلاطونية الجديدة بين الضوء والنفس. هذا الهدم جرى قبل الآن مع المجسام؛ مع ذلك بتموضع الرائي من الضوء وفيه، بوصفه حيثاً ومضاءً، يتجاوز الواقع الافتراضي المجسام ليوحي بالازدواج الغامض: هو وذاك الجزء من النفس المؤيقنة iconised للرائي "داخل" التقاني الذي يمكن الآن أن يشكل مكاناً طبيعياً. بكلمات باحثي الواقع الافتراضي ريتشارد هيلد وناثانييل درلاتش؛ بتحوير كلمات شكسبير، يمكننا أن نقول إنّ "كل العالم استعراض، وكل الأفراد فيه هم المشعوذون في الاستعراض وعليه".

بالنسبة لهيلد ودورلاتش، يبدو كما لو أن المستخدمين قد توحدوا مع البرنامج. نظراً للمنزلة العالية الممنوحة للذاتية الداخلية والهوية الذاتية، يمكن النظر إلى البيئات الافتراضية على أنها إعادة تموضع للنور المطلق من السماء إلى مكان أكثر ابتهاجاً لهذا التوجه نحو الداخل، هجين من طبيعة فائقة من تأليف الذات مع أنها مفوضة مركزياً وصندوق فرجة ملفوفين في واحد. إن التمييز بين البشر الذين يرون العالم من حولنا والعالم الذي يتكشف لنا إنما يُهدم في الواقع الافتراضي، الأمر الذي يرتب ثنائية مختلفة يتفاعل فيها المستخدمون مع الصور (الخيالات) التي يمكنهم، في بعض البرامج، من تبديلها أو تصميمها، لكن فقط وفقاً للشروط المسبقة المصممة على هيئة التقانة. إن الواقع الافتراضي يضبط حركية جسد المستخدم بدوره ليعيد تشكيل الصور التي يقدمها. هذه الصور، مع ذلك، على الأقل يؤلفها جزئياً مصممو التقانة، وتترجم لاحقاً إلى الشيفرة التي يقوم عليها الواقع الافتراضي.

لذلك ، فإن البيئات الافتراضية ، هي أيضاً فضاء ثقافة مستبطن (مستذوت) خالص ، خشبة المسرح الافتراضية "حيث" يتوقع الآن أن نُوجد أن تكون أنوارنا الهادية الخاصة أيضاً. باستذكار مساهمات الفانوس السحري إزاء التفكير حول العوالم الافتراضية ، من الجدير بالاهتمام أن نتأمل التأكيد على الوهم الذي خُص به الفانوس السحري في مقابل هالة العلم والحقيقة التي تلف الحجرة المظلمة. لقد حدثت تجربة الفانوس السحري للقرن التاسع عشر في قبو أو غرفة معتمة واعتمدت بشكل كلي على الضوء الاصطناعي. إن التجربة تفسر معنى كهف أفلاطون ، [وهو] مجاز يعزز فصل ملكة البصر عن المعرفة الحقيقية. رغم أن متابعته هي خارج نطاق هذا الفصل ، فإن ما يستحق التأمل أيضاً هو أن الضوء الاصطناعي الكثير جداً أكثر مما ينبغي أو اللوكس يحرف البحث عن الحقيقة من خلال استعمال الضوء في متابعة الاستيهام ، المدرج اليوم بشكل أكثر شيوعاً تحت عنوان "اللذة" الذي لا ريب فيه. في كل هذا لا تزال العلاقات بين الوهم والمنفعة والتجارة والسيطرة التي تقام ضمن العوالم الافتراضية تلقى من الدراسة أقل مما ينبغي.

دعنا نتظاهر: جعل الاتصال يحل محل الوجود

في بداية هذا الفصل ذكرت عقل خلية النحل لكيفين كيلي ، معرّفاً إياه بأنه يحيي المفهوم الميتافيزيقي القديم لروح العالم. إن عقل خلية النحل هو أيضاً الطنين الجماعي للشبكات التي أصبحت فيها كل الأجساد معلوماتية. إذا لم يوجد موقع طبيعي لأجل الروح الكونية ولا إله من العالم الآخر متاح لكيلي اليوم ، فتوجد الإمكانية البديلة لاستيهام البصريات الليفية Fiber-optics وتقانات الشبكة القائمة على الضوء NET والعرض المكاني للواقع الافتراضي بوصفها التجسدات اللامادية ، اليوتوبية للمعلومة بوصفها إلهاً ، مشهداً غامضاً [لا يوجد] في أي مكان "حيث الحقيقة قد ولت". يسمح العالم السفلي الجليل للمعلومات بالوهم البصري الذي يمكن للأجساد البشرية أن تدمجه مع الحواسيب والضوء "في

الداخل". لنستشهد بـ بارع الكمبيوتر الصبي الأعجوبة، برايس لينتش، من شارة المسلسل التفلزيوني القصير العمر بعنوان Max Headroom: "إنك تنظر إلى السيد غروسمان المستقبلي - إلى البشر وقد تُرجموا إلى بيانات"[١٠]. إن إنجاز هذه الحالة التعويذية هو الوقاية من كل فيروسات الزمن الحقيقي والأوبئة الأخرى للحم البشري التي تعذب المتضرعين المعاصرين الذين يغادرون بسعادة شكلهم الأرضي "المشوب" وتجذُّرَهم في الهنا والآن. هذه المشوبية، بالنسبة لأمثال كيلي، تقوم على قصور الحواس، [وهو] اعتقاد يمكن رده إلى ديكارت على الأقل. لذلك أعتقد أني النقيض "للطرف الأصم"، وهو جسم أو إنسان آلي automata يتصل بطريقة ناقصة ولذلك فهو بحاجة إلى أجهزة جراحية ترقيعية لتوسيعه باتجاه الاستنارة/ التنوير[١١]. إن نقاء القناة التي يتطلبها النور الأفلاطوني الجديد لبث رسالته الإلهية من المرسل إلى المتلقين يكون مدمجاً في عقل خلية النحل في قدرة الشبكة على حل "مشاكل" الاتصالات الحسية المجسدة. فاختزال هلد ودورلاتش الوظيفاني للخبرة البشرية إلى مشغلين operators في العرض وعليه يشاطر منطق عقل خلية النحل، ويعكس الرغبة المستمرة في أن يمكن لتقانات الاتصال بشكل ما أن تنير وترمز إلى التجسد والأرض الأونطولوجية التي (نعتقد أننا) نقف عليها. الواقع الافتراضي: **كأن**.

هوامش

(١) إن حجة ميتشل مفحمة حول هذه النقطة؛ فالواقع الافتراضي لا يقدم الإمكانية لأجل الذاتيات الجديدة. مع ذلك، فإن كتاب City of Bits أيضاً يساهم في اللغط الإشكالي غير المحلول المحيط بالواقع الافتراضي. على سبيل المثال، في المقطع المذكور، يميل ميتشل إلى "الانغمار" immersion، كما لو أن مادية الاجساد البشرية يمكن أن تسكن في الـ "حيث" اللامادي للبيئات الافتراضية. فالإيحاء بأن الفرد يتحد مع ضوء الواقع الافتراضي، كما يوحي ميتشل ضمناً، هو جزء من السيرورة التاريخية التي تلخصها هذه الورقة واتناقشها أدناه.

(٢) Camera Obscura، تعني حرفياً "حجرة مظلمة"، هي أداة مؤلفة من حجرة أو علبة معتّمة، يُدخل إليها الضوء من خلال عدسة محدبة مزدوجة، فيشكل خيالاً للأشياء الخارجية على سطح من الورق أو الزجاج . . . إلخ، موضوع في محرق العدسة (Oxford English Dic-tionary S-V. Camera Obscure).

(٣) إن بروستر (١٨٣٢) مخادع بهذا الخصوص. فهو ينتقد الاعتماد على خدعة الدخان والمرآة من قبل الحكام والطغاة الرجعيين الذين يسعون إلي الحفاظ على السلطة من خلال الخوف والوهم (ص ص ٥٦ - ٥٧). ومع ذلك فهو أيضاً في خشية من تقانة الدخان والمرايا المعاصرة. فهو لا يصف فقط كيفية إنشائها بل يحبذ أيضا تلقيها من قبل عامة الناس الدافعة للنقود (ص ص. ٨٠ - ٨١).

(٤) يستفيد عرض مجازات النور من الدراسة التاريخية لبلومنبرغ ١٩٥٧ "النور ككناية عن الحقيقة" المنشورة بالإنكليزية في عام ١٩٩٣. بالنسبة لبلومنبرغ، فإن استعمال المجاز والسردية يعطي المعنى لما سيكون خلاف ذلك وجوداً بلا معنى. بالفعل، لا يمكن فصل فلسفة وتاريخ الفكر عن اللغة المجازية.

(٥) إن المفهوم القديم للضوء "للنور بوصفه "حيثاً" يسبق المادية التي يمنحها الضياء ولذلك لا تكون العلاقات المكانية مختلفة للغاية عن التعريفات الحديثة للطبيعة الاساسية للضوء، والنظرية الحديثة للضوء التي لا يمكن صوغها إلا بشكل رياضي (Brill 1980: 4) يلاحظ بيل أنه بدلاً من محاولة التوسع في شرح الضوء من المفيد أكثر أن نركز عل خواصه التطبيقية (ibid: 4)، وهو بيان تضخم فيه الإبستمولوجيا الانطولوجيا وليس خلافاً للتوكيد من قبل بعض الجغرافيين

الذين، في حماسهم لدراسة كيف يستخدم "الفضاء"، ينسون السياسة التي تحمل دوماً مفهماتها المتنوعة وكيف تصب بعدئذ في الخطاب.

(٦) يبدي كيتو (١٩٦٤: ١٩٤) ملاحظة مشابهة لملاحظة تايلور: [رغم أن أفلاطون لا يماهي صورياً الخير بالرب، فإنه يتكلم عن طبيعته الإلهية بطريقة بحيث أن المماهاة الصورية لن تشكل سوى اختلاف ضئيل.

(٧) أوغسطين Augustine, De Ordine 15: 42 استُشهد به لدى Hofstadter and Kuhns 1976: 180.

(٨) هذه النقلة الثقافية القروسطية الواقية للذات والمعزولة ليست مختلفة عن تلك التي يتخذها الرعايا المعاصرون الذين يفضلون الافتراضية على الواقعية.

(٩) تحتوي كلمة Luxury [ترف] على تبرير لحالة الأمر الواقع للتفاوتات الاجتماعية والامتياز الحاضري (المتروبولياني). فالـ Luxury يشير إلى المنتجع المفضل "الطبيعي" الذي هو حق أولئك الذين يعكس لوكسهم على النحو الأفضل الإشراق شبه الإلهي illumenetio[sicsi]].

(١٠) المقتطف من الشارة التي قدم بها كريساليس Chrysallis/Channel4, Blipverts, 1985.

(١١) أدخل توق جارون لانيير Jaron Lanier إلى عالم افتراضي "للاتصال ما بعد الرمزي" (Biocca and Lanier 1992: 161). تعبر رغبة لانيير عن عدم الأمان حول كيف نشتغل كعملاء أخلاقيين في العالم. فالاندفاع الثقافي باتجاه كل الأشياء الافتراضية هو توق سحري يردد صدى التوكيدات القبالية Cabalist، أن التناغم الكوني يمكن تحقيقه من خلال الصوت والشكل والعدد (see sack 1976: 321).

٣- الهاتف

تشكله الاجتماعي وتفاوضه العمومي في لندن أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين(*)

بقلم: جيريمي شتاين

مدخل:

في ضوء التطورات الحديثة في الحوسبة والاتصالات البعيدة تنبأ المعلقون المدينيون بظهور المدن المعلوماتية والمشبّكة وهي أمكنة مترابطة بشدة عن طريق شبكات الاتصال بحيث باتت المدن تُعرّف بشكل متزايد بموقعها العقدي على المسارات التي تسلكها تدفقات المعلومات العالمية، وبقدرتها على معالجة وإدارة مثل هذه المعلومات (Castells 1989; Graham and Marvin 1996) . إن التبعات بالنسبة إلى الطريقة التي تُخبَر بها المدينة وإلى بنية الزمن والفضاء هي تبعات عميقة الأثر. مع ذلك فإن هذه التطورات لا ينبغي أن ينظر إليها على أنها جديدة تاريخياً بل بوصفها أطواراً جديدة من سيرورات التغير المتواصلة التي بدأت على الأقل منذ قرن ونصف مع إنشاء منظومات التلغراف والهاتف. بالتركيز على مثال أقدم على مدينة "افتراضية" أو "مشبكّة" - هو "تسليك" wiring لندن لأجل أول منظومة هاتف لها في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين - يهدف هذا الفصل إلى إدخال المنظور التاريخي إلى التغيير التكنولوجي المعاصر.

(*) The Telephone: Its social shaping and public negotiation in late nineteenth-and early twentieth-Century London.

لقد فسر بحاثةُ الهاتف التقانةَ من منظورات مختلفة وهم يسبرون كثيراً من المسائل الهامة التي تطرح عادة حول تقانات الاتصالات الجديدة (see Pool 1977) . وعليه فإن غالبية الدراسات قد تناولت التبعات الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية للهاتف: متفحصة، على سبيل المثال، أثره على سرعة وحجم تبادل المعلومات، وعلى عمل الأسواق المالية الدولية (Garbrde and Silber 1978; Thrift 1996; Michil 1997) وتأثيراته على حياة الجماعات وعلى الشبكات الاجتماعية التقليدية القائمة على الاتصال وجهاً لوجه (Aronson 1971; Fischer 1992) ؛ ومخاطر الهاتف المفروضة، بسبب قدرته على الاتصال الفوري، على المجتمعين الفكتوري والإدواردي وعلى أشكال الخصوصية [السرية] privacy والمراتبية [الهرمية] والاتيكيت [آداب السلوك] الاجتماعية فيهما (Kern 1983) . ثمة دراسات أخرى سبرت أنماط انتشار الهاتف تثير أسئلة هامة حول سيرورة الانتشار وحول إمكانية الوصول الاجتماعية إلى التقانة (التكنولوجيا) (Robson 1973; Fischer 1988, 1992; Pike 1989; Martin 1991) وإن مجال الاستجابات الاجتماعية للهاتف ولظهور الكهرباء في أوروبا وشمال أمريكا هو أيضاً موثق جيداً (Marvin 1988; Nye 1990) . كل هذه الدراسات تحذّرنا في الحقيقة من القبول اللانقدي بالروايات الإطنابية للتطورات الحديثة في تقانة المعلومات بإثبات كيف أن التقانات الجديدة قبلاً والمهدِّدة بشكل كامن في نهاية القرن التاسع عشر قد ولدت تشكيلة من الرؤى اليوتوبية (الطوباوية) والحُصارات anxieties [أو العُصابات الحصرية] الثقافية المشابهة لرؤى وحُصارات عصرنا.

لكن تفسيري الخاص للهاتف يختلف عن هذه التفسيرات بثلاثة جوانب رئيسية: أولاً، بالتركيز الأقل على تبعات الهاتف والأكثر على التشكل الاجتماعي للتقانة؛ ثانياً، بتضمين مناقشتي للتقانة في سياق مديني؛ وثالثاً، باستعمال مقاربة بنائية اجتماعية. ترى Social constructivism البنائية الاجتماعية، التي طورها في السنوات الأخيرة أساساً مؤرخون وعلماء اجتماع أوروبيون، أن التقانة هي

اجتماعية بشكل متأصل ولهذا فهي موضوع للتحليل السوسيولوجي. لقد تطورت المقاربة جزئياً كاستجابة لانتقادات المقاربات السابقة لدراسة التقانة، وبشكل رئيس انتقادات technology determinism الحتمية التقانية. فالبنائية الاجتماعية تستكشف كيف أن العوامل والقوى والمؤسسات المختلفة هي التي تعطي تطور تقانة ما شكله. إنها ترفض الحتمية والترابط المنطقي لصالح الاحتمال: أن التقانة تُمنح شكلاً ويعاد منحها شكلاً باستمرار، وفي السيرورة تكون عرضة للصراع والاختلاف والمقاومة. إنها تسلط الضوء على الصفة المتنافرة للتقانة: المؤثرات العديدة على تطورها، والقيود والإمكانيات التي تقدمها هذه [المؤثرات]؛ وتشدد على أن التقانة كان من الممكن أن تتطور بشكل مختلف (Bijker et al. 1987; Bijker and Law 1992; Bijker 1995) إنني أقتفي تطور منظومة هاتف لندن الأولى، والسجالات العامة المحيطة به، وذلك اعتماداً على تبصرات البنائية الاجتماعية. إذ تثير مقاربتي مجموعة مختلفة من الهموم الاجتماعية والجغرافية لتفسيرات الهاتف المذكورة أعلاه. فأنا أهدف، على سبيل المثال، إلى إظهار أن تطوير الهاتف كان "مؤرضاً" حرفياً في الجغرافيا السياسية والمؤسساتية الفريدة للندن، في منظومة بنيتها الأرضية، وفي طيف من الخطابات السياسية. ففي صميم هذه الخطابات كانت الأسئلة حول أنسب استعمالات الهاتف، وإمكانية الوصول (المتاحية) الاجتماعية إليه، ودوره الرمزي بالنسبة لمدينة وعاصمة وامبراطورية، وحول حقوق المشجعين المؤسساتيين للتقانة في التحكم بالفضاءات العمومية والخصوصية للمدينة. هذه كانت قضايا ذات أهمية للندن، بل، كما هو الحال غالباً، للمدن عموماً، مثيرة بذلك أسئلة هامة حول إضفاء الشكل الاجتماعي على التقانة في بيئة المدينة المتعصرنة. إنني أجادل بأن تطور وجغرافية الهاتف كانا حصيلة لتفاوض معقد بين مجموعة من المؤسسات المدينية وايديولوجياتها وطيف من الخطابات السياسية و الرأي العام. كانت وسيلة

السجال – استعمال الحجة العقلانية – عنصراً هاماً إضافياً في سيرورة التفاوض. هذا الفصل ذو بنية كرونولوجية [تسلسلية زمنية] وثيمية[موضوعاتية]. فالقضايا تُناقش كما ظهرت تاريخياً.

الهاتف والحداثة ولندن، "المدينة العالمية":

كان الهاتف واحداً من مجموعة من التقانات التي أُدخلت إلى المدن الأوروبية والأميركية الشمالية بين عامي ١٨٧٠ و١٩٢٠. فالهاتف، الذي اخّترع ومنح براءة الآختراع لأول مرة في أمريكا عام ١٨٧٦، كان يرمز إلى الأهمية المتنامية في أمريكا للصناعات الكهربائية والتقانات المتصلة بها، وشركات الأعمال المتحدة والروابط المهنية والبحث العلمي المشترك. يتفق الدارسون على أنه ينبغي النظر إلى مخترعي الهاتف في سياق فئة كبيرة من الكهربائيين الذين يعملون في غالبيتهم في صناعة التلغراف. كما يلاحظ Platt بلات، فقد كان الوعي العام للمطالب بخدمات مدينية أفضل ضمن هذه الأخوية هو الذي يفسر السبب في أن بضعة مخترعين في بلدان مختلفة قد ادعو بشكل شبه متزامن أنهم أول من أنجز هاتفاً في منتصف سبعينات القرن التاسع عشر. لهذا كان الهاتف مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالثورة الصناعية الثانية، وهي عبارة تستعمل للإشارة إلى ظهور مجموعة من الصناعات الجديدة القائمة على التطورات في العلم الكهربائي والكيميائي في الفترة ما بين ١٨٧٠ و١٩٢٠، مع تغيرات متصلة بها في بنية وتنظيم الصناعة، بما في ذلك قدوم الإدارة العلمية، والدعاية الجماهيرية والاستهلاك الجماهيري والشركات الضخمة. (Hobsbawm 1968; Landes 1969; Chant 1989).

كان الهاتف واحداً من بضعة تقانات ربط الفضاء الجديدة التي كان تأثيرها الجماعي هو التبديل الدراماتيكي للعلاقات الخارجية للزمن والفضاء بين المدن. فقد ساهم الهاتف بشكل مباشر في سيرورات التحديث في أواخر القرن التاسع

عشر وما بعد. كانت قدرته على إقامة اتصال فوري عن بعد، وعلى تحطيم الحواجز الاجتماعية والمكانية، سبباً ونتيجة لنزعات الدمقرطة في المجتمعات الأوروبية وعزز سيرورة متواصلة لتقارب الزمان – الفضاء (Janelle 1968; Falk and Alber 1980; Kern 1983; Harvey 1989, 1990).

وهذا ما قوى الإحساس المتنامي بالوحدة، unity of disunity "وحدة اللاوحدة" بين الجماعات السكانية المدينية الأوروبية، التي يعتبرها برمان عنصراً هاماً لتجربة الحداثة (Berman 1991: 15). خلال هذا الوقت مرت المدن أيضاً بتغيرات داخلية كبيرة. إن شبكات الأسلاك والأنابيب والكابلات قد وفرت طيفاً جديداً من الخدمات المدينية التي توزع الماء والطاقة والمعلومات. لقد شهد قاطنو المدن إنشاء هذه المدن المشبّكة وخبروا النتائج (Tarr et al 1987 Tarr and Dupuy 1988). في السياق البريطاني يُعرف القليل عن كيف وجدت هذه المدن المسلكة أو كيف تم التغلب على المشاكل الحتمية في إنشائها.

قبل الشروع في وصف إنشاء شبكة هاتف لندن أريد أن أقدم بضعة أفكار أولية وأن أعرف بعض الثيمات الرئيسية التي تظهر في مناقشتي اللاحقة. أولاً، إن وقوع لندن في مركز التجارة والمال الدوليين، ومركز الإمبراطورية البريطانية لا يعني ضمناً أن منظومات الاتصالات قد ظهرت إلى حد كبير بدافع من الضغوط من الخارج. بالتأكيد إن لموقع لندن كمدينة عالمية أهميته، ويجعلها اختياراً واضحاً لأجل دراسة الاتصالات البعيدة الناشئة. مع ذلك، فإن مجيء الهاتف، وفتح مقاسم الهاتف في لندن منذ عام ١٨٨٠ فصاعداً، كان نتيجة لضغوط مدينية داخلية، وللنمو السكاني والتوسع الجغرافي، بقدر ما كان نتيجة للظروف الخارجية. فقد ازداد عدد سكان مقاطعة لندن من ٣ ملايين إلى ٤,٥ مليون نسمة بين أوائل ستينات القرن التاسع عشر (١٨٦٠) وعام ١٩٠١، وكان معدل النمو بين ١٨٧١ و١٩٠١ أسرع من المتوسط القومي وأسرع من

الشبكات الريفية. وكان نمو لندن، كما تصفه آسا بريغز Asa Briggs، فريداً و "بدى أنه لا يخضع لأية قوانين معروفة" (Briggs 1968: 311 – 12). كما هو الحال مع المدن الأخرى الآخذة في التوسع، فإن توسع لندن المكاني والسكاني والتجاري قد وسع أشكال الاتصال القائمة، خالقاً الحاجة إلى هذه الاستجابات الجديدة كالهاتف (Meier 1962). في ملبورن الاستعمارية، على سبيل المثال، عندما بلغ حجم المدينة عتبة حرجة كان ثمة تكاثر في منظومات الاتصال الثانوي: المقاسم، الوكالات، والمحلات التجارية، التلغراف والهاتف، المراسلين ومحققي الإئتمان، بوصفه متميزاً عن الاتصال المباشر أو الاتصال وجهاً لوجه (Davisos 1978: 131 – 133).

ثانياً، كانت بنى لندن المؤسساتية والسياسية القائمة هامة في تشكيل الطريقة التي تطور بها الهاتف. ففي إنشاء منظومته، واجهت شركات الهاتف الخاصة وضعاً كان فيه الكثير من الارض التي كانت ترغب في مد أسلاك الهاتف عليها مملوكاً من [القطاع] الخاص أو تسيطر عليه السلطات العامة للمدينة. وكان لهذه الأخيرة، بدورها، نطاقات سلطة (صلاحيات) على درجة عالية من التعقيد والتداخل. وقد مثلت هذه العوامل مجتمعة عوائق هامة كبيرة أمام تطوير منظومة الهاتف. ثالثاً، إن السجالات العامة المحيطة بتطوير منظومة هاتف لندن تكشف الكثير حول القيمة الاجتماعية والرمزية للتقانة، وحول مدى التورط الاجتماعي في إضفاء الشكل على التقانة من قبل الجماهير المتنوعة للمدينة. تبين السجالات أنه في بريطانيا الفيكتورية والإدواردية كانت النخب الاقتصادية والسياسية من الطبقة الوسطي للمدينة بشكل سائد هم المشاركون الكبار في المناقشات الصحفية والعامة الأخرى حول هذه القضية. لذلك ينبغي أن نفسر تطور الهاتف في ضوء مصالح الطبقة الوسطى هذه. سنرى، على سبيل المثال، أن التقانة [الهاتف] قد طورت في سنواتها الأولى أساساً من أجل وظيفتها كآلة تستعمل في الأعمال التجارية business machine، لتحسين كفاءة صناعة وتجارة المدينة،

وليس لأغراض غير تجارية مثل تعزيز المجتمع المحلي. ربما كانت الارتباطات الرمزية للهاتف بالحداثة مهمة بالقدر نفسه لنخب الطبقة الوسطى اللندنية؛ لأن في مطالباتها بمنظومة هاتف كفوءة كانت [تكمن] الرغبة في أن تظهر لندن نفسها مدينة رأسمالية وإمبراطورية كبيرة بإثبات أنها أيضاً متقدمة تقانياً وتجارياً.

تبرز قضايا أخرى عندما يدرس المرء التطور التاريخي لمنظومة الهاتف وجغرافيتها. إذ يجب التشديد على الفترة القصيرة التي كان فيها الهاتف تقانة عديمة الأهمية نسبياً، مع كون إمكانية الوصول إليه محصورة فعلياً بالأفراد الأثرياء وشركات الأعمال الضخمة الواقعة في أحياء الأعمال المركزية للمدن الكبرى لبريطانيا. بالأحرى كانت أهميتها تكمن في الإحداث الطويل الأمد لشبكة هاتف، وبالتضافر مع تقانات أخرى، إمكانية الوصول (المتاحية) الاجتماعية الموسعة إلى مختلف أشكال الاتصال المباشر. بسبب ذلك، ولأن الهاتف وسع السيرورات المستمرة للإندماج الإجتماعي والمكاني، ساهمت [هذه] التقانة في توسع المجال العمومي(*) (Habermas 1989). على مدى بضعة عقود عرفت منظومة الهاتف توسعاً كبيراً. ففي لندن، على سبيل المثال، ارتفع عدد مقاسم الهاتف من ثمانية إلى ثلاثين بين عامي ١٨٨١ و١٨٨٣، وارتفع مرة أخرة من ٤٧ إلى ٦٢ بين ١٩٠٠ و١٩١٢ (Baldur'n 1925: 51 – 53, Post 84). في عام ١٨٨٣ تجاوز حجم الرسائل الهاتفية في المدينة عدد البرقيات البريدية، رغم أن الرسالة [المكتوبة] بقيت الوسيلة الأكثر شيوعاً للاتصال غير المباشر (The times, 7 November 1883). على غرار النمط القومي، الذي اندمجت بموجبه مجموعة متنوعة من الشبكات الإقليمية لتشكل منظومة قومية أساسية في عام ١٨٩٢ تطورت شبكة هاتف لندن تدريجياً على مدى بضعة عقود. كانت لندن في الحقيقة معزولة نسبياً بالمقارنة مع المدن الشمالية. كانت

(*) public sphere: استعمل المجال العمومي كنقيض للمجال الخصوصي في الفلسفة اليونانية للتمييز بين عالم السياسة وعالم الأسرة والعلاقات الاقتصادية، أما في علم الاجتماع الحديث فيستعمل للإشارة إلى الفصل بين المنزل والعمل وهو الأساس للتقسيم الجنوسي للعمل (المترجم).

الخطوط الرئيسية تصل لندن ببرايتن في عام ١٨٨٤ و بكرويدون في عام ١٨٨٨ لكن الخط إلى برمنغهام، الذي كان يصل لندن بمانشستر وليفربول والشمال الصناعي، لم يكتمل إلا في عام ١٨٩٠ (Robson 1973: 165 – 177). رغم أن المخططات وجدت في عام ١٨٨٨ لربط لندن مع بريستول فإن هذا الربط الغربي كان لا يزال غير منجز في عام ١٨٩٢، مع أنه كان ثمة خدمة دولية عصرية (Robson 1973: 176; The Time, 5 July 1881). بمد الكابل الهاتفي الأول عبر القناة في عام ١٨٩١ افتتح مكتب البريد خدمة الهاتف إلى باريس. إن كون لندن موصولة إلى باريس قبل بريستول إنما يدل على الأهمية الاقتصادية السياسية للهاتف في ربط العواصم وأسواق المال الأجنبية. لقد تم مد كبلات أخرى إلى فرنسا في ١٨٩٧، ومرة أخرى في ١٩١١، و١٩١٢. دَشنت الخدمة إلى بروكسل في عام ١٩٠٣. لقد أظهرت الخدمتان استعمالاً زائداً مضطرداً. فارتفع عدد المكالمات بين انكلترا وفرنسا من ٧١,١١٤ في عام ١٩٠٩ إلى ٩٦,٨٠٦ مكالمة في عام ١٩١٢، وفي فترة السنوات الأربع نفسها ارتفع عدد المكالمات على الخدمة الأنغلو – بلجيكية من ٢٥,٩٢٨ إلى ٢٩,١٥٥ (Post 86). مع ذلك، قبل عام ١٩٢٠ بقي الاتصال الهاتفي الدولي متخلفاً نسبياً بالمقارنة مع الخدمات المحلية والإقليمية والقومية. كانت المكالمات الدولية غالية، ما يحصر إستعمالها أساساً بالأعمال الحكومية ولأجل تشكيلة من الأغراض التجارية لمؤسسات أعمالية ومالية أكبر.

الجغرافية الاجتماعية المحلية:

كان الوضع على درجة عالية من الإشكالية على الأرض لأن شركات الهاتف الخاصة ضمن لندن واجهت جغرافيا مدينية وبنية إدارية معقدة. فقد كشف تطور الهاتف اللحاف المرقع من بنية الأرض والسيطرة السياسية الإدارية البريطانيتين. على سبيل المثال، في عام ١٨٨٠ عندما أعلنت المحكمة العليا الهاتف تلغرافاً أُجبرت الشركات الخاصة على أخذ الرخص من مكتب البريد،

وهو ما يحصرها بمساحات عمل ضيقة. في لندن، تم الترخيص لشركة الهاتف المتحدة (UTC) بالعمل فقط ضمن دائرة نصف قطرها خمسة أميال من مكتب البريد العام. في عام ١٨٨٤ تم تخفيف هذه القيود المبكرة، ما سمح للشركات الخاصة بإنشاء خطوط رئيسية طويلة المسافة لكنه فشل في منحها السلطات الكافية لوضع تجهيزات الهاتف على الأملاك الخاصة أو على الأرض التي يسيطر عليها [القطاع] العام.

إن الافتقار إلى صلاحيات المرور القانونية قد سبب للشركات الخاصة مشاكل كبيرة. فقد كان إذن المرور وثيقة قانونية تصرح بالسماح لمالك عقار بأن يمنح لشخص آخر أو مؤسسة أخرى الحق في استعمال العقار المخصص لأغراض تمديد تجهيزاتهم على أو فوق أو تحت الأرض. لذلك فإن البرلمان، وقد فشل في منح شركات الهاتف الخاصة حقوق احتكار إذن المرور، أجبر الشركات على أن تطلب من ملاك الأرض الأفراد أو السلطات المحلية الإذن بوضع تجهيزات الهاتف على الأرض الخاصة والعامة. هكذا فإن شركات الهاتف، لدى إنشاء منظوماتها، واجهت التحامل السياسي من هيئات لندن العامة وفردانية الملكية الخاصة. في حالة ملاك الأرض الفرديين أو المؤسساتيين، اعترض الكثيرون على قيام الشركات الخاصة بوضع تجهيزات الهاتف على أرضهم لأن هذا كان يتعارض مع حقوق ملكيتهم الخاصة ولأن الجهاز المعني كان يعتبر قبيحاً. بسبب ذلك كانت شركات الهاتف الخاصة المبكرة تدفع للمستخدمين بناءً على تفويض لكي يقنعوا الناس بأن يسمحوا لها بنصب أعمدة الهاتف والأسلاك على أسطحتهم وحدائقهم.

في مدينة معقدة مثل لندن لم يكن هذا عملاً عادياً وكان تأثيره هو تأجيل توسيع منظومات الهاتف. لقد اعترف UTC في اجتماعه السنوي العام في عام ١٨٨٧، بالصعوبة الكبيرة في ربط المنظومة بالضواحي بسبب مشاكل إذن المرور (The times 6 July 1887). ففي لندن الوسطى، حيث كانت ملكية الأرض

المؤسساتية معتبرة، كان من الضروري الحصول على إذن كبار الملاكين. إذ كان بمقدور الملاكين المؤسساتيين أن يسببوا الدمار لشركات الهاتف. على سبيل المثال، إن رفض عقار بدفورد في عام ١٩٠٠ السماح لشركة الهاتف القومية بوضع الأسلاك العالية المحمولة على أرضه قد أدى إلى إرباك كبير للشركة وشركات الأعمال في المناطق المحيطة، وكان هاماً بما يكفي لأن يتم الحديث عنه في الصحافة. وقد تم المرور بمشاكل مشابهة في بلغرافيا ووستمنستر (The Times 18,19,21 April 1900).

مسارات التطور البديلة:

تم تطوير الهاتف في بريطانيا في البداية من قبل المصالح الخاصة. فقد اشترت مجموعات من الممولين والتجار المتمركزين في مدينة لندن من وكلاء مخترعي الهاتف حقوق تشغيل الهاتف في بريطانيا، وأسسوا شركتي هاتف متنافستين، واحدة تمتلك براءات اختراع بل Bell والأخرى براءات اختراع إديسون Edison. في عام ١٨٨٠، اندمجت هاتان الشركتان لتشكلا شركة الهاتف المتحدة UTC. لمراوغة إجراءات الترخيص التقييدية لمكتب البريد، أنشأت UTC مجموعة من شركات الهاتف المناطقية الفرعية، وقامت بتأجيرها تجهيزات الهاتف الضرورية لكن مع الاحتفاظ بشأن التحكم بهذه الشركات. بسبب شغل الهاتف الزائد، والانتهاء الوشيك لبراءاته، وتهديد التنافس، اندمجت UTC لاحقاً مع فروعها تحت اسم شركة الهاتف القومية المحدودة (NTC). هذه السيرورة اكتملت على نطاق كبير في عام ١٨٩٤، في الوقت الذي كانت فيه NTC تسيطر على ٩٠ بالمئة من سوق الهاتف في المملكة المتحدة.

منذ البدء كان الهاتف يعتبر من قبل مشجعيه أساساً كآلة تستعمل في الأعمال التجارية. افتتحت المقاسم أولاً في مديرية مالية لندن، في ٣٦ شارع كولمان Coleman st 36 وفي ٦ شارع لومبارد Lombard 6، مع توضع شغل

الهاتف قريباً من المصادر الممكنة للعاصمة وأسواقها التجارية الأكثر ربحية. لقد شجعت أدبيات الدعاية المبكرة المزايا التجارية للجمهور التجاري والحرفي المتنوع لمدينة لندن، مشددة في البداية على قدرة الهاتف على الاتصال المحلي القصير المسافة. لقد وجدت الرؤى البديلة لتطور الهاتف - فعلى سبيل المثال، تجادل السياسيون والمهندسون والأفراد المهتمون في الصحافة حول كيفية توسيع المتاحية الاجتماعية إلى الهاتف، المداخلات التي تكشف جوانب من السيرورة التي تم بها إضفاء الطابع الشعبي على تقانة النخبة. لكن هذه المجادلات كانت إلى حد كبير حول جعل الهاتف متوفراً لجمهور تجاري أكبر وأكثر تنوعاً، أكثر مما كان حول استغلال الهاتف لأغراض لا تجارية، مثل الحوار الاجتماعي أو من أجل تعزيز اندماج الجاليات المحلية.

كان التورط المباشر من قبل مكتب البريد في تأمين خدمة مقاسم الهاتف محدوداً حتى تأميم الخدمة المحلية NTC في ٣١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩١١. في تموز ١٨٩٧، لم تنتج منافسة مكتب البريد إلا ٣٧مقسماً هاتفياً، لم يكن أي واحد منها في لندن، و١,٧٠٨ مشتركاً (مقارنة مع ١٠٠٠٠٠ مشترك لـ NTC): بمعدل ٤٦ مشتركاً لكل مقسم (The times, 17July 1897). ومع ذلك مع الاستمرار في ترخيص شركات الهاتف، استمر مكتب البريد في تشكيل البيئة التي تطور فيها شغل الهاتف. فعلى المستوى البلدي لم يكن الهاتف في بريطانيا يعتبر مصلحة عامة كما كانت تعتبر إمدادات الماء والغاز والكهرباء والتراموای، ولهذا تطور بشكل مختلف عن هذه الخدمات المدينية الأساسية. رغم أن الإيديولوجيا السياسية لبلدية منتصف وأواخر العصر الفيكتوري لم تستبعد الملكية والتشغيل البلديين لمنظومات الاتصالات البعيدة المدينية، فقد كان هذا غير معتاد عملياً. رغم أن التراخيص البلدية توحي بأن خلق احتكار هاتف قومي يُشغل من أجل الربح الخاص لم يكن حتمياً، ، فمن بين ١,٣٣٤ سلطة محلية تقدمت ١٣ فقط بطلبات من أجل التراخيص البلدية وستة فقط منها افتتحت مقاسم هاتفية.

بقي الاتصال الهاتفي في بريطانيا شأناً قومياً أكثر من كونه شأناً بلدياً. كان ذلك لأنه في الفترة قبل ١٩٢٠ كان الهاتف يعدّ عموماً مادة لأجل الطبقات الغنية، وليس شيئاً ما سيصبح متاحاً على نطاق واسع. كانت البلديات، اعتقاداً منها بأن كلفة الهاتف سوف تحد بشكل كبير من استعماله الاجتماعي، ترى أنها وحدة اجتماعية وتقنية أصغر من أن تديم منظومة هاتف. من هنا فإن تطور الهاتف قد منحته السياسات والإيديولوجيات القومية شكله إلى حد كبير. سأبين، على سبيل المثال، في الفقرات اللاحقة كيف أن المؤسسات المسؤولة عن إدارة الهاتف تكشف عن تأثير المُثُل أو الإيديولوجيات المقاولاتية والمهنية الشائعة في بريطانيا منتصف وأواخر العصر الفيكتوري. فالمثل الأعلى المقاولاتي بلغ ذروته في منتصف العهد الفيكتوري وكان يقوم على قيم الرأسمالية الحرة laissez-faire، وعلى الفوقية الأخلاقية للطبقة الوسطى، وعلى فوقية الرأسمال الفاعل على الرأسمال المنفعل. أما المثل الأعلى المهني، الذي كان بحسب بيركين Perkin قد قوض إلى حد كبير الرأسمالية المقاولاتية في نهاية القرن التاسع عشر، فقد كان يقوم على إدارة المجتمع من قبل الحكومة، ومن قبل كادر من الخبراء التقنيين والعلميين. كان الهاتف يُمتدح أيضاً محلياً من قبل تشكيلة من المؤسسات كالسلطات المحلية، وغرف التجارة. ومن قبل الأفراد والرأي العام. كما هو الحال مع التقانات الأخرى، لفهم إضفاء الشكل الاجتماعي على الهاتف في أي مكان بعينه، يجب على المرء أن يدرس المؤسسات والفئات الاجتماعية ذات الصلة والأفراد الذين يمتدحون التقانة ويجمعون ما بين المقاييس الجغرافية المختلفة التي يحصل فيها مثل هذا الامتداح.

شركة الهاتف القومية ومنتقدوها:

كانت شركة الهاتف العمومية NTC، حتى تأميمها في نهاية عام ١٩١١، عرضة للنقد الشديد من السياسيين والسلطات المحلية والصحافة ومن العامة. يكشف النقد عن مختلف المشاركين وآراءهم في السجال العام حول منظومة

الهاتف الناشئة. إن NTC، دفاعاً عن نفسها، تكشف إيديولوجيا الشركة وتشرح كيف أن المنظمات الحديثة، المعرضة بشكل متزايد للتدقيق العام، كان عليها أن تدافع عن أفعالها في المجال العمومي.

انتُقدت NTC بشكل رئيس لكونها احتكاراً خاصاً غير كفؤ يشارك في ممارسات احتكارية جائرة ويتقاضى أسعاراً مرتفعة مقابل خدمة متدنية. على سبيل المثال، في تسعينات القرن التاسع عشر (١٨٩٠) أدلى دوق مارلبورو، المنتقد الأكثر تحمساً لـ NTC، بسلسلة من التصريحات العامة المنتقدة بشدة للـ NTC ولتطور الهاتف البطيء في بريطانيا. فقد كان يرى أن الأمور أسوأ في لندن، حيث لا يتعدى عدد المشتركين آلافاً قليلة، وحيث الكلفة العالية للهاتف تجعله بعيداً عن متناول الكثيرين (فقد كانت NTC تفرض مبلغ ٢٠ جنيهاً إسترلينياً p.a على المشتركين في لندن). وحيث المنظومة أحادية السلك المعلقة إلى حد كبير والمقاسم البدائية تنتج خدمة متدنية (The times, 29 August 1891). إن مارلبورو المقتنعة بأنه يمكن تطوير منظومة هاتف رخيصة وكفؤة في لندن، أسست شركة هاتف منافسة، هي شركة الهاتف الجديدة The New Telephone Company، التي خططت لمنظومة مقاسم هاتفية ذات سلكين تغطي ٢٣ ميلاً مربعاً من لندن المركزية وتخدم ٢٥,٠٠٠ مشتركاً بتعرفة سنوية قدرها ١٢١٢٥ £ (The times, 5 September 1891). لم يستمر المشروع، لأنه في حزيران/يونيو ١٨٩٢ اشترت شركة NTC ثلث رأس مال الشركة الجديدة، وبعد وفاة دوق مارلبورو، اشترت الشركة بكاملها، التي تمت تصفيتها نهائياً في ديسمبر/كانون أول ١٨٩٤ (The Times, 27 June 1892, 20 December 1894).

كانت انتقادات مارلبورو هامة لأنها طُرحت علناً ولأن انتقادات مشابهة طرحها السياسيون ومحررو الصحف. كانت NTC مجبرة على الدفاع عن نفسها. ففي تصريحات إلى اللجان البرلمانية المنتخبة، وإلى أصحاب الأسهم والمشتركين، وفي رسائل إلى الصحافة رأى ممثلو NTC أن الشركة محرومة

من الحقوق التي من شأنها أن تجعلها قادرة على تأمين منظومة هاتف قومية كفؤة. على سبيل المثال، في عام ١٨٩٢ اعترف ج. س. فوربز رئيس NTC، أن الشركة نفذت قدراً كبيراً من أعمالها "بشكل سيء على نحو مريع" لكنه لام البرلمان بسبب عدم منح السلطات الضرورية. عدّد فوربز العراقيل في طريق الشركة؛ فقد كان عليهم أن يحصلوا على التراخيص من مكتب البريد وأن يدفعوا للحكومة ضريبة عشرة بالمئة على المبالغ المقبوضة الإجمالية. فكانوا عرضة لمزاجية السياسة الهاتفية لمكتب البريد، ولتهديد منافسة مكتب البريد وللتهديد بأن الحكومة يمكن في أي مرحلة أن تؤمم خدمة الهاتف. العنصر الهام من مجادلة فوربز هو أن الـ NTC كانت تفتقر إلى سلطات إذن المرور القانونية: الإذن بطمر أو نصب الأعمدة والأسلاك على الأرض المملوكة من [القطاع] الخاص أو المدارة من [القطاع] العام. كانت المشكلة الأبرز في لندن هي أن أعمال الهاتف عرضة لجشع الأفراد ومالكي الأرض، وهكذا كانت عرضة للتشويش الدائم من ممارسة ذاك الجشع.

كانت حجة NTC شكلاً من النزعة المقاولاتية، وذلك في أنهم إذا منحوا السلطات القانونية الكافية، وإذا أطلق العنان لهم في تطوير منظومتهم كمشروع رأسمالي، فإنهم سوف يكونون قادرين على إنشاء منظومة هاتف كفؤة. (perkin 1969: 221-230, 271-339). وفقاً لهذه الرؤية، فإن انعدام مثل هذه البيئة هو الذي يفسر السبب في أن منظومة الهاتف لم تكن كفؤة كما يفترض بها أن تكون، والسبب في أن المقارنات مع بلدان ومدن أخرى هي مقارنات مغلوطة. في عام ١٨٩٠، مثلاً، شرح رئيس NTC، ف. ر. ليلاند لأصحاب الأسهم المقارنة المغلوطة بين كلفة وكفاءة خدمة الهاتف في المدن البريطانية وفي المدن الاسكندنافية. شرح ليلاند أنه في حين انه في بريطانيا أجبر انعدام سلطات إذن المرور الـ NTC على اختيار مسارات غير مباشرة من أجل أسلاكها، كانت تضاف إلى الكلف، فإن كلفة نقل الخشب في النروج

والسويد كانت أقل لأن الأعمدة موجودة في المكان، ولم تكن توجد ضريبة ١٠ بالمئة ولا رسم مقابل إذن المرور. كانت خدمة هاتف لندن غير الكفؤة والغالية نسبياً تلام من قبل ليلاند بسبب الكلفة العالية لأذون المرور، التي تبلغ ضعف تكلفة أذون المدن البريطانية الأخرى، وزعم أن لا شيء سوف يتغير حتى تمنح NTC السلطات الكافية (The times, 12 July 1890). كان مكتب البريد في هذا الوقت قد حد من حقوق إذن المرور القانونية الممنوحة لها بموجب مراسيم التلغراف لعامي ١٨٦٣ و١٨٧٨. وهذه منحته حقوقاً حصرية بالمرور على أرض سكة الحديد، وبموافقة السلطات المحلية، الحق في طمر الأسلاك ونصب الأعمدة على أرض السلطة المحلية، وإذا رفضت، الحق في اللجوء إلى قاضٍ مدفوع الراتب. تقدمت NTC بعريضة من أجل سلطات مشابهة. سعت كلٌ من NTC وسلفها الـ UTC إلى إصدار مشاريع قوانين برلمانية خاصة لتحقيق هذه الغاية. وكلها فشلت. ولقد نشرت NTC أيضاً دعواها علناً في عدة منابر: في الصحافة، أمام اللجان البرلمانية المنتخبة، وفي اجتماعات أصحاب الأسهم واجتماعات المؤسسات المنعقدة لمناقشة جوانب مسألة الهاتف.

أصوات أخرى:

في لندن كان لمكتب البريد تورط فاعل ضئيل في مسائل الهاتف حتى تأسيس مصلحة هاتف لندن التابعة لمكتب البريد في عام ١٩٠١. حتى ذاك الوقت ناقشت شركات الهاتف الخاصة والمهندسون وهيئات لندن العامة، والسياسيون والمنظمات النقابية وجماعات مستخدمي الهاتف كيف ينبغي تطوير منظومة الهاتف. وقد نُقل كل ذلك في الصحف، فقد كانت القضية موضع اهتمام وتعليق عامين. كان نقاد NTC في معظمهم يعتنقون النزعة المهنية، وضع مهارات المهندسين والتقنيين في الخدمة العامة، رغم أن التباين بين الإيديولوجيتين المهنية والمقاولاتية لم يكن واضحاً دائماً. على سبيل المثال، تظهر التصريحات العامة لـ NTC بعد ١٨٩٥ اهتماماً زائداً بتأمين خدمة الهاتف في المصلحة

العامة، في حين أعلنت الحكومة في عام ١٩٠٨ أن خدمة هاتف مكتب البريد سوف تُشغل منذ الآن فصاعداً وفق مبادئ شغل (بزنس) سليمة (The times, 2 April 1908). هذا التحول وضبابية الإيديولوجيات ينبغي ألا يحجبا حقيقة أن الإيديولوجيا كان لها شأن.

كانت القضية الأكثر إثار للجدل اثناء هذه الفترة هي الأجور المفروضة مقابل خدمة الهاتف. فأجور الهاتف كانت تعتبر على العموم هامة لأن التخفيضات في الكلفة، كما مع بريد البنس penny post وبرقية البنسات الستة، كان من المعروف أنها توسع إمكانية الوصول (المتاحية) الاجتماعية إلى الاتصال الذي يوسع بالنتيجة المجال العمومي. انتقدت شركة NTC على نطاق واسع بسبب رسومها الزائدة، كما كان ينتقد مكتب البريد بسبب خدمة خطوطه الرئيسية، وبسبب خدمته المحلية بعد التأميم. في لندن، كما في أماكن أخرى، شنت بضعة منظمات حملات من أجل التخفيض في الرسوم. من بين هذه المنظمات كانت رابطة حماية مشتركي الهاتف، التي تشكلت في نيسان ١٨٩١، بـ ٤٠٠ عضو، يضمون "الرجال القياديين والشركات في كل مهنة وحرفة في الحاضرة" (The times, 16 July 1891). انتقدت الرابطة شركة NTC بسبب رسومها العالية وعدم كفاءتها وطالبت بتخفيضات في الرسوم، ونجحت في الحصول على تخفيض في أجور الهاتف المنزلي الخاص، من ٢٠ جنيهاً إلى ١٠ جنيهات استرلينية بالسنة (The Pall Mall Gazette 20 January 1893; The times, 20 March 1893).

إن موضوع أجور الهاتف قد ناقشته أيضاً غرفة تجارة لندن. ففي اجتماع خاص للغرفة في شباط/ فبراير ١٨٩٢ عقد لمناقشة وضع خدمة الهاتف، تكلم الرئيس السير أ. ك. روليت عن أهمية النقل والاتصال المحسنين بالنسبة للتجارة: كانت السرعة عنصراً جوهرياً للأعمال الحديثة، مع كون توفير الوقت ليس فقط المصدر الوحيد للربح، بل وسيلة رئيسة لتخفيض كلفة الإنتاج والتوزيع. كان

رأيه هو أن الهاتف لم يصبح بعد فعالاً ولا متطوراً تماماً في بريطانيا، وأن البلدان الأخرى تحوز على مزايا اكبر بكلفة أقل. بعد الاجتماع مع ممثلي شركتي الهاتف القومية والجديدة، استنتجت لجنة الهاتف التابعة لغرفة التجارة أنه للحصول على منظومة هاتف كفوؤة لأجل لندن، فإن هاتين الشركتين تطالبان بسلطات قانونية كافية. اتباعاً لنصيحتهم فقد مررت الغرفة قراراً يلح على الحكومة أن تمرر مشروع قانون السلطات العامة في البرلمان لتحقيق هذه الغاية، وأن توسع الخدمات بين المقاسم في كل أنحاء إنكلترا لكي يتم تشغيلها إما من قبل الدولة أو من قبل الشركات الخاصة (The times, 23 February 1892).

كان المهندسون المهنيون [طرفاً] مساهماً هاماً آخر في السجال حول خدمة الهاتف. في بعض الأحيان وفرت خبرتهم التقنية ذخيرة لأجل الأطراف الأخرى ذات المصلحة. فقد بنى دوق مارلبورو، على سبيل المثال، مخططه من أجل خدمة هاتف رخيصة وكفوؤة للندن على كتابات وليام بريس، كبير مهندسي مكتب البريد، وعلى حسابات مهندس آخر اقترح إمكانية تشغيل منظومة مقاسم هاتفية في لندن مقابل اشتراك سنوي يقل عن ١٠ جنيه لكل مشترك. كان المهندس الأكثر صخباً هو س. ي. ويبر. كان ويبر، وهو مهندس ملكي بالتدريب، مديراً سابقاً لشركة UTC ورئيساً منصرماً لمؤسسة المهندسين الكهربائيين. فأصبح ناقداً متحمساً لشركة NTC ومدافعاً كبيراً عن الوصول الاجتماعي الموسع إلى الهاتف. في عام ١٨٩٢ لام شركة NTC بسبب تخلف وعدم كفاءة صناعة الهاتف البريطانية، مجادلاً بأنها لو تركت في ايدي احتكار خاص فإن الاستعمال المنزلي للهاتف سيكون محدوداً بـ ٢٠٠,٠٠٠ مشترك (The Times, 24 August, 13 September 1892).

نظراً إلى أن الهيئات الإدارية للندن كانت تسيطر على كثير من أرض لندن العمومية التي ترغب شركات الهاتف في أن تمد عليها أعمدتها وأسلاكها، فلم يكن بمقدورها أن تتجنب المشاركة في تطوير الهاتف. كانت سلطة السلطات

المحلية على الشركات الخاصة كبيرة في الواقع، كما تبرهن عليها أفعال هيئة مدينة لندن التي رفضت بين عامي ١٨٩١ و ١٨٩٥ الإذن للشركات الخاصة بأن تمد أسلاك الهاتف تحت الأرصفة "وطرق المركبات" العامة للمدينة. بفعل ذلك، سعت الهيئة إلى استخدام سلطتها بوصفها سلطة الطرق في تلك المنطقة للحصول على امتيازات من الشركات الخاصة بخصوص كلفة وفعالية خدمة الهاتف (The Times, 8 Dece 1893; Select Committee on telephone service 1895: 111 – 117).

وكان مجلس مقاطعة لندن (LCC) مشاركاً بفاعلية في شؤون الهاتف. وهذا لم يكن مفاجئاً نظراً إلى أن رؤية التقدميين، الذين هيمنوا على مجلس مقاطعة لندن حتى عام ١٩٠٧، كانت رؤية بلدية تدعم المشاركة جزئياً من خلال منظومة نقل منسقة. رغم أن الهاتف كان مقترحاً كعلاج ممكن لأجل تخفيف الاحتقان المروري للندن بعد التفويض الملكي لعام ١٩٠٥، حول النقل الميتروبولي، كان لاهتمام LCC بالهواتف صلة بكبح جموحات الاحتكار الخاص أكثر مما له علاقة بتعزيز الروح الجماعية والمدنية. هكذا ففي تفويض إلى المدير العام للبريد في شباط/ فبراير ١٨٩٥ جادل الرئيس الوكيل لـ LCC، ويلوبي ديكينسون بأن لندن هي في أيدي "احتكار عملاق" يقدم خدمة فقيرة ويتقاضى أجوراً من أجل خدمة الهاتف أعلى مما في المدن البريطانية أو الأجنبية الأخرى. كان ديكينسون يؤمن بأن خدمة الهاتف يمكن تأمينها في لندن بكلفة ١٠ جنيهات بالسنة. رفض المدير العام للبريد، ملحاً على أن الهاتف هو رفاهية لا يمكن تخفيض كلفتها تخفيضاً كبيراً، مانعاً بذلك الهاتف من أن يصبح متاحاً لعامة الناس. إن مجلس مقاطعة لندن، المهتم بشكل كافٍ بخدمة الهاتف، قد كلف مهندسين برفع تقارير حول إمكانية تشغيل وكلفة خدمة هاتف يشغلها مجلس مقاطعة لندن. قدر التقريران تكاليف إنشاء مثل هذه الخدمة بـ ٣٥٠ – ٤٠٠

ألف جنيه بكلفة صيانة سنوية قدرها ٧٥,٠٠٠ - ٩٠,٠٠٠ جنيه. وكانت هذه تؤمن ما بين ١٢ و٢٠ مقسماً لتخديم أكثر من ١٠,٠٠٠ مشتركاً.

ولتخفيض تكاليف رأس المال تضمنت إحدى الخطط استعمال بعض محطات فرق الإطفاء التابعة للمجلس كمقاسم هاتفية مع ميزة الاتصال المؤازر في حالة الحرائق. خمن التقرير أجور الاشتراك بمقدار أدنى بشكل ملحوظ من أجور NTC السائدة، بين ٨ و١٠ جنيه بالسنة. رغم أن LCC بعد ذلك ببضع سنوات درس طلب ترخيص هاتف بلدي، فإن أياً من هذين المخططين لم يثمر. لكنهما يشيران إلى مسارات التطوير البديلة، وإلى الجدية التي تعامل بها LCC مع مسألة الهاتف، وجهوده لترخيص وتحسين وتوسيع الخدمة إلى خدمة عامة تجارية أوسع. بقيت العلاقات بين الـ LCC والـ NTC متوترة حتى عام ١٩٠١. إذ كان الـ LCC ينشد الحصول على امتيازات من الـ NTC مقابل الحق في السماح للشركة بمد أسلاكها تحت شوارع المدينة، فيما كانت تجادل NTC بأن خدمة الهاتف (في لندن) يعيقها القادة السياسيون غير المتنورين الذين يحرمونها من أذون المرور مع عدم الحق في الاحتكام [اللجوء إلى القضاء].

مسألة الهاتف:

تقاطع النقاش العام حول تطوير الهاتف في لندن مع السجال حول تطوير الهاتف على الصعيد القومي. في عام ١٨٩٢ أعلنت الحكومة عن نيتها تأميم الخطوط الرئيسية وتوسيع صلاحيات الشركات الخاصة في المناطق المحلية، كون الهدف هو توسيع المرافق الهاتفية إلى العموم. مع ذلك بقيت القضايا الكبرى بدون حل، بما في ذلك ما إذا كانت خدمة الهاتف من الأفضل أن تدار من قبل الدولة، أو الشركات الخاصة أو البلديات، والأجور التي يتعين تقاضيها ومن ضمنها كيف ينبغي أن يكون الهاتف متاحاً اجتماعياً. القضية الأخرى كانت التخلف الملحوظ لخدمة هاتف المملكة المتحدة بالنسبة إلى

البلدان الأخرى. نوقشت هذه القضايا علناً تحت عنوان "مسألة الهاتف" The Telephone question وهو اصطلاح استخدمته صحيفة التايمز لأول مرة في عام ١٨٩٧. كان المشاركون في هذا السجال قوميين ومحليين، بمن فيهم محررو الصحف وجماهير قراء الصحف والسياسيون والمهندسون ومؤسسات مثل مكتب البريد والمنظمات المهنية القومية والسلطات المحلية ومُلاك الأرض الأفراد. جرى السجال بشكل رئيس من خلال الصحافة، ما يثبت الأهمية الزائدة للصحف القومية في تسعينات القرن التاسع عشر (١٨٩٠) والعقد الأول من القرن العشرين والضغط الاجتماعي الأكبر على المؤسسات لكي تبرر أعمالها علناً. كانت الوسيلة الأساسية للسجال هي استعمال الحجج العقلانية المصممة لمخاطبة عقل العامة.

ساهمت التطورات في لندن في السجال القومي حول مسألة الهاتف وتأثرت به. فكانت قضية تزويد لندن بمنظومة هاتف كفوءة موضوعاً لسبعة مؤتمرات للسلطات المحلية للمدينة، عقدت بين عامي ١٨٩٨ و١٩٠٤، واستضافها مجلس مقاطعة لندن أو هيئة لندن. عالجت المؤتمرات مختلف جوانب الخدمة الهاتفية للندن، بما في ذلك مشاريع القوانين البرلمانية لـ NTC لتعزيز صلاحياتها وأجور الهاتف وإمكانية دمج السلطات المحلية للندن لتقديم طلب رخصة هاتف بلدية. بإثارة قضايا ذات أهمية للسلطات المحلية للندن ذات صلة بتطوير خدمة الهاتف، تكشف المناقشات القيمة الاجتماعية للهاتف بالنسبة للهيئات الإدارية للندن.

كانت إحدى القضايا [المطروحة] في هذه السجالات هي حق الشركات الخاصة في السيطرة على الفضاء العمومي المديني، وفي هذه الحالة حق شركات الهاتف في مد تجهيزات الهاتف على الأرض المدارة من قبل القطاع العام. كانت القضية هامة وتحتاج حلاً قبل أن يكون بالإمكان تطوير منظومة هاتف. وقد عبر عمدة لندن عن المسألة بوضوح في عام ١٨٩٨ عند الكلام بالنيابة عن هيئة

لندن إذ أعلن أن "طرق وشوارع الحاضرة تعود إلى الشعب" ولا ينبغي التخلي عنها إلى أية شركة تجارية ما لم تتم حماية حقوق العامة. هذا التعليق من قبل شخصية عامة كبيرة يكشف أن تطوير شبكة الهاتف كان يتقاطع مع تفاوض متواصل وصراع إيديولوجي على السيطرة على الفضاء العام المديني في القرن التاسع عشر. لقد قرر مؤتمر ١٨٩٨ في الحقيقة رفض منح الإذن لشركة NTC بمد أسلاكها وأنابيبها تحت شوارع لندن حتى يتم ضمان المصلحة العامة عن طريق القانون، كما كان الحال بالنسبة لشركات الترامواي والإنارة الكهربائية. كانت القضية موضع سجال على مدى بضع سنوات، مع اعتقاد NTC بأنها تفتقر إلى الصلاحيات الملائمة لبناء منظومة هاتف كفوؤة، وسعيها إلى توسيع صلاحياتها عبر تمرير مشاريع قوانين برلمانية خاصة. لقيت مشاريع القوانين هذه معارضة شديدة من قبل السلطات المحلية في لندن ومن أنحاء البلاد، إذ كان الكثيرون يعترضون على مبدأ التنازل عن حقوقهم العادية.

كانت القضية الثانية هي حالة خدمة لندن الهاتفية، لأن التقانة لم تتطور على نحو يخلو من المشاكل أو يؤدي إلى تحسينات تلقائية في سرعة ومسافة الاتصال. فمنظومة الهاتف القديمة كانت في الحقيقة مشهورة بسبب تأخيراتها وعدم كفاءتها. في عام ١٨٩٨ و١٨٩٩ أصدرت سلطات لندن المحلية قرارات تدين NTC بسبب إدارتها لخدمة الهاتف، التي وصفتها بأنها "قاصرة وغير كفوؤة ومكلفة". كانت هذه ثيمة دائمة لأن المنظومة كانت تعقدها التأخيرات الناتجة عن السعة غير الكافية من الخطوط الرئيسية، والتشويش من أسلاك التلغراف المجاور، وأخطاء المشغلين والعجز الحيني. وكان يرتبط بذلك إدراك أن خدمة لندن الهاتفية هي قاصرة مقارنة بالمدن البريطانية والأجنبية الأخرى. هذه القضية كانت مضخمة في لندن، لأنه في الوقت الذي كان يعتقد فيه عموماً أن التقانة هي مقياس للحضارة، وللعظمة الإمبراطورية، تساءل المعلقون كيف يمكن أن تفتقر العاصمة الإمبراطورية والمدينة الأكبر في العالم إلى شيء حديث على نحو

معترف به كالخدمة الهاتفية. من هنا في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٨٩٧ وصف كاتب في رسالة إلى صحيفته The times بالبائس "كيف أن" أعظم وأغنى مدينة في العالم هي في ذيل الحضارة. . بدلاً من أن تكون بشكل ظافر في رأسها؛ وفي عام ١٨٩٩ حث المهندس تشارلز ويبر الحكومة على أن تدشن في لندن خدمة هاتف "جديرة بحضارة الإمبراطورية (The times, 3 November 1897, 23 January 1899).

ثمة قضية أخرى هي كلفة الهاتف وبالتالي إمكانية الإتاحة الاجتماعية للخدمة. كانت الهيئات الإدارية للندن تسعى إلى مقترحات لتحقيق خدمة هاتف أكثر كفاءة ومنالاً من الناحية الإجتماعية. فقد شرح رئيس مجلس مقاطعة لندن، السيد ت. ماكينون وود أنه ثمة اتفاق شبه إجماعي على أن استعمال الهاتف في ظل الشروط القائمة كان محدوداً بشكل رهيب؛ فلو أمكن تخفيض الكلفة من الناحية المادية وتحسين الخدمة من ناحية الكفاءة لكان من المتوقع [حصول] تطور كبير للمنظومة. كان ماكينون يعتقد أن لندن لها شكوى خاصة فهي تمتلك منظومة هاتف مكلفة وفقيرة التطور بالنسبة إلى حجم المدينة. الأنكى من ذلك، أن نسبة قليلة فقط من أهالي لندن كانت تستعمل الهاتف . . . بشكل رئيس البيوت التجارية الكبيرة "في حين كان الاستعمال الخاص محدوداً. هذه التعليقات تشكل نموذجاً لرؤية شائعة بين سياسيي لندن تقول بأن للهاتف أهمية عمومية عامة: لإدارة لندن، لكفاءة عملها التجاري (البزنس)، ولصون موقعها في مركز التجارة والمال الدوليين. ومنفعة الهاتف لم تكن موضع سؤال. فقد كانت منظومة الهاتف الكفوءة شيئاً ينبغي على أي مدينة تدعي العظمة أن تمتلكه. في فترة عندما كانت لندن محكومة من قبل شبكة معقدة من السلطات ذات النشاط المتداخل وغير المنسّق، وعندما كان اللندنيون غير معروفين باعتزازهم المدني، كانت وحدة المصلحة هذه غير مألوفة. إذ يمكن للمرء أن يخمن أنه بخصوص موضوع هام للندن مثل مسألة الهاتف، ربما لم تكن مؤسسات لندن الإدارية المختلفة متباعدة إيديولوجياً كما كانت تقتضي سياستها العملية.

هذه القضايا حلت بشكل مؤقت في أيار ١٨٩٩ عندما أعلنت الحكومة نيتها السماح للسلطات المحلية تقديم طلب من أجل تراخيص الهاتف ، وأن مكتب البريد سوف يفتتح قريباً مقاسم في لندن . أعلنت تفاصيل منظومة مكتب البريد في تشرين الثاني نوفمبر ١٩٠١ . كان الشيء الجديد في المنظومة هو إدخال الخط المشترك وخدمة الأجرة المقاسة ما يجعل من الممكن الإشتراك بالهاتف مقابل أجر ضئيل قدره £5 10p. a جنيه . كان هذا بالإضافة إلى أجور الاشتراك السنوية الثابتة مقابل الاستعمال غير المحدود للهاتف . هكذا سعى مكتب البريد ، استجابة لتوصيات اللجنة المختارة لعام ١٨٩٨ حول خدمة الهاتف ، إلى تلبية حاجات مختلف طبقات المشتركين بمن فيهم أولئك الذين يرغبون في الاستخدام المعتدل فقط للهاتف . ثمة اتفاقية بين NTC ومكتب البريد مكنت الاتصال البيني بين المنظومتين واتفقت المنظمتان على توفير خدمات متماثلة وعلى تقاضي نفس الأجور (The times, 20 November 1901) .

قوبل خبر المنظومة بالتهليل من قبل محرر صحيفة التايمز الذي كتب أن لندن هي "أخيراً على وشك أن تتمتع بخدمة الهاتف المحسنة والموسعة التي طالما وعدت بها فيما كان آخرون أقل حماساً . فلجنة الطرقات الرئيسية التابعة لمجلس مقاطعة لندن رحبت بالاتصال البعيد وبخدمة الرسائل المأجورة لكنها رأت أن الهدف من "المنافسة العامة والفورية والفعالة" التي نصحت بها اللجنة المختارة لعام ١٨٩٨ ، لم يتحقق . فقد جادل ج . و . بن رئيس لجنة الطرقات العامة ، بأن مواطني وتجار لندن يمتلكون الحق في خدمة هاتف رخيصة وكفوءة لكنه رأى أن اقتراحات الحكومة قاصرة عن هذا المثال ، كونها مرتفعة بمقدار ٥٠ إلى ٧٠ بالمئة وما لم تبدل ، من المحتمل أن تعيق أعمال لندن . دافع آخرون عن مكتب البريد ، مجادلين بأن الكفاءة هامة بقدر الكلفة ، وأن الرسوم المرتفعة التي لا مثيل لها ، ناجمة عن الحجم الشاسع للمدينة والتعقيد الإداري وعن كلفة وصعوبة الحصول على اتفاقيات أذون المرور . لم تكن هيئات لندن العامة مقتنعة . فقد

رتبت هيئة لجنة شوارع لندن مؤتمراً لسلطات لندن المحلية للاحتجاج على السلم المقترح للرسوم. إن المؤتمر الناتج، المعقود في كانون أول/ ديسمبر ١٩٠١، قد انتقد مكتب البريد بسبب رسومه المرتفعة وبسبب الفشل في تقديم خدمة هاتف كفوءة في لندن عن طريق "المنافسة الحقيقية والفاعلة" (The times, 10, 23 December 1901).

صممت منظومة هاتف مكتب البريد لتكون حديثة (مماشية للعصر) تقانياً ولتتجنب المشاكل المرتبطة بمنظومات الهاتف السابقة. فقد كانت مصممة لتخدم عدد سكان يبلغ ستة ملايين نسمة ضمن مساحة قدرها ٦٤٠ ميل مربع، تحدها تشيينغ بارنت و إنفيلد في الشمال، وبرونلي، وكرويدون وردهيل في الجنوب، ورامفورد في الشرق وهارو وهاونسلو في الغرب. كانت المنظومة بكاملها تحت الأرض تجنباً لمشكلة الأسلاك المعلقة في الهواء، ومبنية في كل أنحائها عن طريق دارات معدنية. فاستعمل الورق، وهو شكل جديد من العزل، لمنع التهييج، بدلاً من مادة صمغ جاوة gutta percha، وهو منتج نباتي صار نادراً وغالي الثمن. كانت الأسلاك تلف بالورق، وتجدل أزواجاً ثم تجفف بالأفران لإزالة الرطوبة. هذه الجدائل كانت تضفر معاً ثم تغلف بغمد رصاصي لتشكيل الكابلات. كانت الميزة الإضافية لاستعمال الورق من أجل العزل هي أنه ذو استطاعة كهربائية سكونية أدنى، ما يسمح بإجراء المكالمات من خلال كبل مغلف بالورق أطول أربع مرات من المكالمات من خلال الكبل المغلف بمادة صمغ جاوة. وكان الورق أيضاً أرق، ما يسمح برزم خمسة أضعاف الكمية من الأسلاك في كل مجراية نفقية. كانت أنابيب الحديد الصب والأقنية الخزفية تستعمل لحمل الكبلات تحت شوارع المدينة. فكان إنشاء الأنفاق من أجل الأسلاك ومد الكبلات تعهداً ضخماً (انظر اللوحة 3-1) فقد شبه كبير مهندسي مكتب البريد العمل بالإبحار في بحر مجهول مليء بالمياه الضحلة والصخور، لأنه كانت توجد تحت شوارع لندن قبلئذ تشكيلة من الأنابيب والكبلات الكهربائية

التي كان الكثير منها غير معلّم (محدَّد) على مخططات المدينة. كانت المقاسم مجهزة بلوحات ذات مفاتيح كثيرة ونظام البطارية المركزية، آخر التطورات التقنية في مجال الهاتف (The times, 3April 1902).

إن تدشين منظومة هاتف مكتب البريد لم يخفف الانتقاد القائل بأن لندن كانت، نسبياً على الأقل، مخدّمة بشكل فقير وغير كفؤ بالهواتف. فقد استمر المشتركون في الشكوى من التأخيرات في الوصل، والخدمة الفقيرة والمشاكل مع الاتصال البيني. فلا مكتب البريد ولا شركة NTC كانا حصينين من النقد. في تموز ١٩٠٣، تحدث رئيس شركة NTC عن توسع ملحوظ في أعمال الشركة لكن المشاكل بقيت قائمة، وعلى رأسها عدد الطلبات غير المنفذة، البالغ ١٠,٥٦٣ في شباط/ فبراير ١٩٠٤، الذي ارتفع من ٨,٣١٥ في العام السابق. وجه الرئيس اللوم إلى إنفاق رأس المال الإضافي الضروري من أجل كل طلب، والصعوبة المضطردة في الحصول على أذون المرور. في عام ١٩٠٤ في مؤتمر لسلطات لندن المحلية عُقد لدراسة اقتراح الحكومة لشراء منظومة لندن التابعة لشركة NTC، أعلن المحافظ أن لندن هي فريسة للشركات والتروستات، في حين كانت تنتظر من الحكومة أن تفي بوعدها لجعل الهاتف شعبياً. فأصدرت القرارات التي تطالب الحكومة بألا تشتري مشروع NTC إلى أن تنتهي رخصته، محتجة على الرسوم الهاتفية لمكتب البريد في لندن وعلى "خدمة الخطوط الرئيسية غير الكفوءة وغير المرضية" (The times, 13 19 May 1904).



اللوحة (٣,١): المدينة المشبوكة: صورة لطريق فرعي تحت الأرض

من أجل خدمة هاتف لندن لمكتب البريد. ١٩٠١

كانت النقطة الجوهرية في قضية أجور الهاتف هي لمن الهاتف في الحقيقة. فقد قبل الكثيرون في صناعة الهاتف البريطانية بأن السوق المحتملة لأجل الهواتف في بريطانيا هي سوق ضخمة، وأنها لم تُطرق إلا بشكل جزئي، ولكن إلى أي مدى يتعين على السوق أن تتوسع اجتماعياً؟ عندما أرسلت شركة NTC مديرها العام وكبير مهندسيها إلى أمريكا في عام ١٩٠٤ عادا بتقرير مفاده أنهما إذا أعطيا الحرية في تطوير عملهما فيمكن مضاعفة عدد مستخدمي الهاتف في بريطانيا

في فترة قصيرة. لقد وضع مسؤولو NTC اللوم في افتقار بريطانيا النسبي إلى التقدم في مجال الهاتف على "التعليم العام" غير الكافي وعلى العطالة والانسداد السياسيين، مشيرين إلى احتكار الحكومة، والممارسات اللاتقدمية للخزانة، والنزعة المحافظة العامة – خصوصاً في مسألة أذون المرور. هكذا ثار جدل بأن الفنادق عموماً في المدن الأمريكية الشمالية، خلافاً لما في بريطانيا، لديها هواتف في كل غرفة وتسمح البلديات للمؤسسات العامة بمدّ الأسلاك الكهربائية تحت الارض، وحتى أنها تلح على القيام بذلك (The times, 9 April 1904)).

استمر النقاش حول أجور الهاتف بعد أن توصل مكتب البريد إلى اتفاق في عام ١٩٠٥ مع NTC لشراء منشأتها في لندن في عام ١٩١٢، عند انتهاء مدة رخصتها. لقي الاتفاق ترحيباً لأنه ضمن استمرار خدمة الهاتف وتوسعها المضطرد، مع أن الحال بقي على ما هو عليه من حيث أن الهاتف كان يُستعمل ويجري تصوره إلى حد كبير على أنه آلة تستخدم في الأعمال التجارية، وليس من أجل الاستهلاك العمومي الأوسع. مع ذلك فقد كان ثمة أيضاً تحريض ملحوظ ضد أن يكون الهاتف محدوداً بالأغنياء. فعندما أدخلت الحكومة في عام ١٩٠٧ إلى مجلس العموم مشروع قانون الهاتف، لجمع مبلغاً قدره ٦ مليون جنيه لتطوير أعمال الهاتف على مدى أربع سنوات، كان الانتقاد الرئيس هو أنه مبلغ ضخم من المال من أجل شيء لن يفيد سوى "الموسرين". حفز التفكير المشابه المنظمات في لندن وفي أنحاء البلاد على شن حملة من أجل التخفيضات في أجور الهاتف. فقد سعى مكتب البريد نفسه لتوسيع إمكانية الوصول الإجتماعية إلى الهاتف عن طريق إدخال خدمات الأجرة المقاسة، المصممة لتخفيض كلفة الهاتف لصغار المستخدين، وتشجيع الفئات الهامشية على استعمال الهاتف، في المناطق الريفية على سبيل المثال. كانت سياسة مكتب البريد الأوسع منذ ١٩٠٨ هي تشغيل خدمة الهاتف على مبادئ أعمالية (تجارية) تحدد بذلك التخفيضات الكبيرة في الرسوم. منذ حوالي هذا الوقت عبر كبار مسؤولي مكتب البريد عن

الرأي القائل بأن التغيرات الكبرى في الأجور سيكون عليها أن تنتظر تأميم خدمة الهاتف. كانت القضية الرئيسة بالنسبة لهم هي تأمين استمرار خدمة الهاتف. إن اندلاع الحرب العالمية الأولى قد أجّل التحركات الهامة باتجاه الشعبنة(*) التي لم تعاود الظهور إلى السطح حتى الثلاثينات (١٩٣٠).

طوال مناقشة أجور الهاتف كانت المساعي الحقيقية لتوسيع إمكانية الوصول الاجتماعي إلى الهاتف متوازنة مع الاعتبارات لصالح ريع وكلفة وكفاءة خدمة الهاتف. رغم المساعي من قبل البعض لجعل الهاتف أكثر قابلية للإتاحة بشكل شعبيّ، بقي الهاتف في الفترة ما قبل عام ١٩٢٠ أداة أعمال تجارية. كانت القضية الرئيسة هي كلفته وكفاءته وأنظمة شحنه، بشكل رئيس بالنسبة للمجتمع التجاري الذي كان يستخدمه. هذا التطور شكل دعامة لسياسات NTC ومكتب البريد اللذان كانا يسعيان إلى جعل خدمة الهاتف مجزية. إن كون الجمهور الأوسع يمكن أن يكون بحاجة للهاتف وكونه سوقاً مربحة بشكل محتمل كانا لايزالان بحاجة إلى التعلم. ومع ذلك، بإدخال الخدمات الجديدة والتخفيضات في الكلفة منحت العامة بشكل تدريجي إمكانية الوصول إلى الاتصال الهاتفي، وأدرجت في مجال عمومي موسع.

استمرت شركة NTC، حتى تأميمها في عام ١٩١٢، تنتقد الدولة والإدارة البلدية لخدمة الهاتف وتجادل بأن الهاتف من الأفضل أن يدار من قبل شركة خاصة. إن المحاولات لتمديد رخصته من ٣١ إلى ٤٢ عاماً قد تم التخلي عنها بعد عام ١٨٩٢ عندما أعلنت الحكومة عن نيتها شراء الخطوط الرئيسة لشركة NTC، كخطوة أولى في تأميم خدمة الهاتف. بعد هذا التاريخ لم تعد NTC تتحدى قرار تأميم خدمة الهاتف. يمكن أن يفترض المرء أنه في هذا الوقت تحقق كبار موظفي NTC من أن الرأي العام، المنتقد منذ زمن طويل لـ NTC من

(*) الشعبنة popularisation، المقصود بها هنا هو جعل الاختراعات التقنية متاحة لعامة الشعب (المترجم).

أجل عدم كفاءتها، قد تحول بشكل لا يمكن الرجوع عنه لصالح تأميم الهاتف. أما العامل الآخر فكان القرار القانوني الصادر في عام ١٨٨٠ الذي أعلن أن الهاتف هو "تلغراف"، والذي تأسس بشكل مبكر على مبدأ سيطرة الدولة على خدمة الهاتف. ولا بد أن مسؤولي NTC قد تحققوا منذ البداية من أن أفق التأميم لم يكن في الواقع سوى مسألة وقت.

لقد حلت القضايا المرتبطة "بمسألة الهاتف" بنقل الملكية الباقية لـ NTC ومعظم طاقمها الإداري إلى مكتب البريد في ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١١. كان الحل مؤقتاً فقط. بعد فترة الانتقال بقي استعمال الهاتف في بريطانيا متدنياً بالمقارنة مع البلدان الأخرى. في عام ١٩٢١ كان ثمة هاتف واحد لكل ٤٧ شخصاً في المملكة المتحدة، مقارنة بواحد لكل ثمانية أشخاص في الولايات المتحدة وواحد لكل عشرة في كندا. إن اندلاع الحرب العالمية الأولى قد أعاق بشكل خطير مزيداً من التطوير. علاوة على ذلك، وقد صار الآن بالكامل تحت سيطرة الدولة لم يتبق أي إجماع بين مكتب البريد والخزينة حول سياسة توسيع خدمة الهاتف. ومع ذلك فإن مدراء مكتب البريد صاروا يعتبرون الكفاءة وليس الأجور الأدنى، هي أولويتهم العليا. إن الانتقادات السابقة لخدمة الهاتف قد عاودت الظهور في ظل إدارة مكتب البريد. وهكذا انتقدت الحكومة اللاحقة بسبب سياستها الهاتفية المتناقضة، وأجور الهاتف المرتفعة، وانعدام الاستثمار، وبسبب الفشل في تطوير خدمة هاتف رخيصة وكفوؤة ومتاحة مشابهة لتلك الخدمة في البلدان الصناعية الأخرى (أنظر على سبيل المثال: رابطة تطوير الهاتف ١٩٣٠). هذه القضايا استمرت موضوعاً لتحريات اللجنة المختارة (أنظر اللجنة المختارة حول رسوم الهاتف ١٩٢٠، اللجنة المختارة حول خدمة الهاتف ١٩٢١، ١٩٢٢).

استنتاجات:

لم تكن الطريقة التي تطورت بها منظومة الهاتف في بريطانيا حتمية. ففي لندن تطورت التقانة واتخذت شكلها بفعل عدة أطراف. كان من ضمن

هذه الأطراف مصالح الهاتف الخاصة، مكتب البريد، سلطات لندن المحلية العديدة، المهندسون، الصحافة والعامة. هذه الأطراف شاركت في سجال عام حول مسألة الهاتف؛ كانت مجموعة من القضايا تتعلق بالكلفة والإدارة وضبط خدمة الهاتف. ولصياغة قضيته فقد استخدم كل طرف حججاً عقلانية مركّبة ومصممة لإقناع الجماهير المدينية المتعلمة، وذلك للتأثير على الرأي العام. هذه الحجج تم التعبير عنها علناً، إن من خلال الصحافة أو وسائل أخرى حيث كان من المؤكد أن الصحافة تغطي الأحداث وكان الاحتكام الذي يتم بشكل مستمر إلى العقل المنطقي للعامة هو دلالة على الوسائل الحديثة التي تم بها نقاش مسألة الهاتف وحلها.

سعت NTC، وهي شركة هاتف خاصة، إلى تزويد السوق التجارية الأولى للبلاد بخدمة هاتف كفوؤة لكنها جادلت بأنها تعاق بشكل مستمر في مهمتها عن طريق الصلاحيات القانونية المحدودة، ومن قبل السلطات العامة المتقلبة والأفراد الخاصين. إن الإيديولوجيا المقاولاتية لشركة NTC قد تم الإفصاح عنها علناً في الصحافة وفي طيف من الوسائل العامة. فقد سعت إلى توسيع صلاحياتها من خلال تمرير مشاريع القوانين البرلمانية الخاصة، وتبرأت بسرعة من النقد العام لأفعالها. في بعض الأحيان، استعمل مكتب البريد، المعرّض لانتقادات مماثلة، حججاً مشابهة. هذا يبرهن كيف كانت المؤسسات الخاصة والعامة عرضة بشكل متزايد للرأي العام وكان عليها أن تدافع بشكل طقوسي عن أفعالها في الإطار العمومي. لقد واجهت NTC في إنشاء منظومتها مشكلة البنية العقارية التقليدية والنزعة الفردية للملكية الخاصة. جادلت سلطات لندن المحلية مجتمعة دفاعاً عن خدمة هاتف كفوؤة ورخيصة، جديرة بمدينة وعاصمة قومية وإمبراطورية. هذه الحجج الإيديولوجية تم تجسيدها فيزيائياً فوق شوارع المدينة وتحتها، على سبيل المثال عندما عملت هيئات لندن العامة لإنكار حرية NTC في الوصول إلى الفضاء العام للمدينة.

في الفترة السابقة لعام ١٩٢٠ كان الهاتف بشكل عام يعدُّ بمثابة آلة تستخدم في الأعمال التجارية لأجل الطبقات الغنية. فقد انتقدت المنظمات المهنية القومية ومستخدمو الهاتف والهيئات العامة عدم كفاءة خدمة الهاتف، وشنت الحملات بشكل مستمر من أجل التخفيضات في الرسوم. باستثناء قلة منعزلة من المهندسين والسياسيين، الذين قدموا حججاً حقيقية من أجل جعل الهاتف شعبياً، كان الهم الآني هو تحسين وترخيص خدمة الهاتف [جعلها رخيصة] من أجل جماعة تجارية حريصة على المصالح الشخصية ومن أجل نخب الطبقة الوسطى الذين كانوا مستعمليه الأساسيين. إن كون الهاتف من الممكن أن يكون مفيداً بشكل عام، ومفيداً بشكل مربح، كان لا يزال ينبغي تعلمه، أما كيف حدث هذا، وسيرورات الاتصال الضروري من أجل هذا التحول التاريخي الهام، فهو موضوع هام لأجل مزيد من البحث.

٤- مستهلكون أم عمال؟

إعادة هيكلة الاتصالات البعيدة في اوتياروا/ نيوزيلندا(*)

بقلم: وندي لارنر

مدخل:

إن كثيراً من السجال المحيط بتقانات الاتصالات البعيدة الجديدة والهويات الجديدة يُستقطب بين روايتين واحدة تمجيدية وأخرى شجبية. أما الأبرز فهي مناقشات هويات المستَعْمِل الجديد بما فيها تلك المناقشات حول المشتركات الشبكية والثقافات السايبرية والذوات السيبورغية. هذه الروايات تميل إلى تصوير إما "عالماً شجاعاً جديداً"(**) من الهويات السايبرية المائعة والمتعددة، أو التفاوت الاجتماعي المتنامي بين الأغنياء "haves" والفقراء havenots الالكترونيين. [ثمة] أدب موازٍ، لكنه غير مسرود إلى حد كبير حول ممارسات العمل المرنة، يسبر العلاقات بين تقانات الاتصالات الجديدة وهويات العاملين. في هذه التحليلات يتم استعداء الرؤى الطوباوية (اليوتوبية) لعالم التكويخ عن بعد tele-Cottaging ما بعد الصناعي ضد رؤى عالم كلي الانكشاف مرتبط بالمراقبة الزائدة للعمال والتحكم الزائد بهم.

(*) Consumers or workers? Restructuring telecommunications in Aotearoa/ New Zealand.

(**) عبارة مستعارة من عنوان رواية للكاتب الانكليزي ألدوس هكسلي (المترجم).

رغم الإطناب الذي يرافق هذه السجالات الثنائية القطب، فإنها تفيد في فتح أسئلة هامة حول العلاقات بين تقانات الاتصال والأشكال المؤسساتية والهويات الاجتماعية. إذ لا يمكن أن يكون هناك أي شك في أن تقانات الاتصالات الجديدة مرتبطة بالتشكلات الجديدة كيفياً للسلطة الاجتماعية والمكانية. مع ذلك فإن التحدي هو سبر هذه القضايا بدون الوقوع في شراك الحتمية التقانية و/ أو التفسيرات الحينية لما "بعد الحديث" التي تفترض تطابقاً أحادي الخط بين تقانات الاتصالات والمؤسسات والهويات.

تسمح لنا التفسيرات المضادة للجوهرانية Anti - Essentialist لتشكل الهوية، المنبثقة عن التنظير النسوي وما بعد الحداثوي، بالانكباب على هذه الأسئلة بطرق أكثر تنوعاً. بدلاً من قراءة الهويات الجديدة كتبعة مباشرة لسيرورات تقانية و/ أو اجتماعية أوسع، يفهم تشكل الهوية على أنه يمتلك ديناميكه الخاص به الذي يشمل مواقع اجتماعية متعددة متغايرة (Dean :165 1994). لأن هذه التفسيرات لا تفترض وجود أية علاقة بين تقانات الاتصالات والعلاقات الاجتماعية، فإن الاهتمام يحول إلى المنظومات المعقدة للمعنى والممارسة الاجتماعية التي ترسخ من خلالها المؤسسات والهويات بأشكال خاصة في مفاصل تاريخية محددة والميزة الأوضح لمثل هذه المقاربات هي أنها تسمح لنا بالانتقال خارج التشكيلات، القائمة على الأطر المفاهيمية المنفردة السائدة.

اعتماداً على هذه التنظيرات المضادة للجوهرانية، يناقش هذا الفصل العلاقات بين تقانات الاتصالات الجديدة، والأشكال المؤسساتية والهويات الاجتماعية في صناعة الاتصالات عن بعد في اوتياروا/ نيوزيلندا. في حين يوجد اتفاق عام على أن الاتصالات عن بعد هي الآن صناعة خدمات منتجة متقدمة في صلب "اقتصاد معلومات" جديد، فقد كان ثمة بحث تجريبي قليل حول المعاني الضمنية للتحول من البنية التحتية القومية إلى الصناعة المدوَّلة internationalised. علاوة على ذلك، تميل الدراسات العلمية الاجتماعية القليلة

القائمة إلى افتراض هويات معطاة مسبقاً وتركز على "آثار" إعادة الهيكلة، عادةً بلغة إمكانية الوصول [المتاحية] و/ أو الاستخدام [العمالة]. هكذا فإن التحليل المقدم، الذي يطور تفسيراً للتغيرات في الهويتين "مستهلك" Consumer و"عامل" worker، هو مداخلة في الأدبيات النظرية والواقعية حول تقانات الاتصالات الجديدة والهويات الاجتماعية.

"تجربة نيوزيلندا":

تحولت الاتصالات عن بعد، التي كانت تعتبر في الماضي بنية تحتية قومية بالدرجة الأولى، إلى صناعة تنمية جديدة تزدهر فيها كمية ونوعية المنتجات والخدمات. إذ إن شركات الاتصالات عن بعد المتعددة الجنسيات، وخصوصاً تلك التي تنحدر من شمال أمريكا، تهيمن الآن على الصناعة من خلال الاستثمار الأجنبي المباشر والتحالفات الاستراتيجية. في حين أن البنية العالمية المستقبلية للصناعة تبقى غير واضحة، فإن الأهمية الاقتصادية للصناعة ليست كذلك. فكما لاحظ أحد الباحثين البارزين، " كان جلياً، منذ أبكر التحركات، أن الاتصالات مقدر لها أن تكون، إن لم تكن، الصناعة المهيمنة في القرن الحادي والعشرين (schiller 1989:113). في هذا السياق، فإن تحليل صناعة الاتصالات عن بعد هو عدسة ملائمة خصيصاً ليتم من خلالها استقصاء التشكيلات الجديدة للسلطة الاجتماعية والمكانية.

ليس لصناعة الاتصالات عن بعد النيوزيلندية ما يوازيها في السرعة وفي المدى الذي ذهب إليه صناع السياسة باتجاه إزالة القيود والخصخصة. ففي أقل من عقد من الزمن انتقل تأمين خدمات الاتصالات عن بعد في نيوزيلندا من كونه مسؤولية قسم حكومي ذي تفويض لتوفير خدمة عمومية شاملة، إلى مسؤولية صناعة خدمة [ذات] منتج مدّول تملكها وتحكمها إلى حد كبير شركات اتصالات عن بعد متعددة الجنسيات. توحي المقارنات الدولية بأن نيوزيلندا الآن

تمتلك واحداً من قطاعات الاتصالات عن بعد الأكثر تحرراً [لبرلة] من جميع كافة بلدان رابطة OECD(*) (انظر، مثلاً، المنتدى العالمي الاقتصادي 1996، 1991 the Economist، Wired 1995).

تمتلك نيوزيلندا أيضاً هيكلاً تنظيمياً ناظماً فريداً. فبدلاً من وجود سلطة ناظمة مستقلة للاتصالات عن بعد، مثل المفوضية الكندية للراديو والتلفزيون والاتصالات عن بعد (CRTC)(**) أو المكتب البريطاني للاتصالات عن بعد (OFTE)(***) فإن قوانين المنافسة العامة والضبط الذاتي هي التي تحكم سلوك الشركات في هذا القطاع. يقوم "التقييد المتساهل"، كما يعرف هذا الهيكل الناظم، على افتراض أنه من المفضل إيجاد حوافز لأجل المشاركين في السوق لكي يفاوضوا حلولهم الخاصة بهم، باللجوء إلى النظام القانوني القضائي إذا دعت الضرورة، بدلاً من إيجاد الحوافز لأجل هيئة ناظمة للتدخل مباشرة. وفقاً لذلك، فإن السياسة الرسمية لأجل القطاع هي أن تحصر الحكومة دورها بتأمين عمل هذه الأسواق. هذا الشكل الجديد من الحكم هو شكل مختلف من الليبرالية الجديدة يشار إليه بوصفه "حكم السوق" (lee Larner 1997, 1997 b).

المبرر المنطقي الصريح لأجل حكم السوق هو تحسين تقديم الاتصالات عن بعد إلى المستهلكين. ففي خطاب حديث ألقاه هنتر دونالدسون، المدير العام لقسم الاتصالات في وزارة التجارة، لخص الخصائص المميزة للشكل الجديد من الحكم بالعبارات التالية:

المقاربة الأساس لسياسة الحكومة الاتصالاتية هي أن المنافسة هي أفضل ناظم للسوق. فالسوق المفتوحة والتنافسية هي الأكثر احتمالاً لأن تنتج صناعة كفؤة

(*) OECD: هي منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

(**) CRTC= Canadian Radio- television and Telecommunications Commission

(***) OFTEL= British Office of Telecommunications.

وتنافسية عالمياً في نيوزيلندا. الأهداف الخاصة هي ضمان أن يتمتع المستهلكون النيوزيلنديون لخدمات الاتصالات عن بعد بأفضل تقدمات خدمة ممكنة بأدنى كلفة ممكنة (Donaldson ٢: ١٩٩٤).

فالنيوزيلنديون، كمستهلكين، يشجعون على اتخاذ خيارات فاعلة ويرشدون حول استعمالهم لسلع وخدمات الاتصالات عن بعد، وبذلك يضمنون فعالية حكم السوق.

إنني أزعم أن إدخال حكم السوق من الأفضل فهمه ليس كتحسين قابل للقياس في الشروط الاقتصادية الموضوعية (كما يدعي مناصروه)، ولا كخداع ايديولوجي ناجح من قبل [الشركات] متعددة الجنسيات وداعميها (كما يجادل المعارضون الكثر للتغييرات الحديثة)، بل بالأحرى كنقلة نوعية في مصدر المعنى الاجتماعي من دائرة الإنتاج إلى الاستهلاك. بعبارة أخرى، إن حكم السوق لم يشتمل ببساطة على التخلي عن الحقوق المزعومة بالمواطنية القومية لكي يجذب رأس المال العالمي. بالأحرى كان ينطوي على إعادة تشكيل تلك الحقوق المزعومة كحقوق مزعومة للمستهلكين. إن العمل، بدوره، قد أعيد تسليعه والعمال لم يعودوا يعاملون كجماعة اجتماعية ذات حقوق مزعومة سياسية مشروعة [مستَحقَة] على أرباب العمل والدولة.

يبين هذا الفصل كيف أن الانتقال من حكم الدولة إلى حكم السوق كان مرتبطاً بشكل كامل بإعادة تعريف الهويات الاجتماعية. يسير التحليل كما يلي. بعد مناقشة نظرية موجزة، أدرس ظهور المستهلك بوصفه فئة الهوية المهيمنة في صناعة الاتصالات عن بعد. إنني أتتبع النقلات الكبرى في استعمال هذا المصطلح وأعيد ربط هذه [النقلات] بالأطوار المتميزة في التحولات من حكم الدولة إلى حكم السوق. وأبين أنه في سياق حكم السوق فإن هوية المستهلك قد ورثت تركة الاجتماعي. يسبر الجزء الثاني من هذا الفصل المعاني الضمنية لهذه

النقلة بالنسبة للعمال، مظهراً كيف تم إفراغ المضمون الاجتماعي لهذه الهوية. في الفقرة الأخيرة، أناقش المعاني الضمنية للحجة المقدمة هنا لصالح الاستراتيجية السياسية. أما زعمي فهو أن المفاهيم الضد جوهرانية للهوية تسمح لنا بتأكيد أن المستهلك والعامل ليسا هويتين متبادلتي الاستبعاد ومتخاصمتين بالضرورة. وهذا بدوره يفتح إمكانيات سياسية جديدة.

تنظير الهوية Theorising identity:

إن الارتباط بين الأشكال المعاصرة لإعادة الهيكلة والهويات الاجتماعية الجديدة- الهويات الأكثر فردانية بشكل ملحوظ كهويات المستهلك والزبون ودافع الضرائب- قد أُقر به على نطاق واسع. وما لم يتم تطويره على نطاق واسع بالقدر نفسه هو مناقشة كيف يتم تكوين فئات الهوية الجديدة وتصبح سائدة. في الواقع، غالباً ما تبدو الفرضية هي أن سلطة هذه الهويات الجديدة تتأتى ببساطة وبشكل مباشر من تجنيدها في بلاغة الجماعات السياسية والاقتصادية.

إن تشكيل الهوية، أو بشكل أكثر تحديداً المساعي لرسم شكل وإعادة رسم أشكال الذاتية، ليس ببساطة هو التأثير المقلوب، للنقلات البنيوية الاجتماعية أو الاستجابة لها. فقد أظهرت التفسيرات النسوية وما بعد البنيوية المعاصرة لتشكل الهوية أن الهويات لا توجد قبل، أو خارج، التشكيلات الاجتماعية الناشئة في العلاقة بالسياقات المتغيرة المكونة من الشروط الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسات الثقافية والسياسية والايدلوجيات (Alcofb 1988 :433). هكذا، بدلاً من السعي إلى إثبات أصالة أية هوية بعينها، من المفيد أكثر أن نستقصي كيف تنشأ الهويات من تعددية مواقع الشخص، لنبيّن أنها تنشأ بالنسبة إلى بعضها البعض وإلى تشكيلات داخلية المنشأ ومؤثرات خارجية، ونقبل بأنها من الممكن أن تكون متعددة، متقلقلة ومتقطعة تاريخياً.

مما له صلة خاصة بهذا الفصل هي تلك التفسيرات لتشكل الهوية التي تُعَّرف بالمناقشات النيوفوكوية " للحاكمية" governmentality. كما يشرح ميلر

وروز فإن " التحول في الهوية ينبغي ألا يدرس فقط على مستوى الثقافة، ولا حصراً بلغة تاريخ الأفكار [التي تدور] حول الذات. إن علم أنساب Genealogy الهوية يجب أن ينكب على الممارسات التي تؤثر على الكائنات البشرية والسلوك البشري في حقول محددة من الوجود، ومنظومات الفكر التي تشكل الأساس لهذه الممارسات وتتجسد ضمنها". في هذا الأدبُ يجادل بأنه ينبغي إيلاء الانتباه الحذر ليس فقط إلى الخطابات التي تؤطر من خلالها الهويات، بل أيضاً إلى التقانات السياسية– الممارسات الاجتماعية التي يتم من خلالها تكوين وتصليب هذه الهويات. بهذه الطريقة يصبح ممكناً أن نسبر بتفصيل أكثر كيف أن أشكالاً معينة من الهوية تصبح منحازة مع مشاريع سياسية بعينها بدون تصويرها كتبعة مباشرة لتحولات اجتماعية أوسع.

إن للانطلاق من هذه المقدمات النظرية معاني ضمنية كبرى بالنسبة للطريقة التي تؤطر بها المناقشات حول إعادة الهيكلة والهويات الاجتماعية. فالتحليلات الأكثر تقليدية ستبدأ بتعريف موقع الفاعلين المحددين في سيرورة الإنتاج، أو عن طريق عضويتهم في كيان سياسي بعينه مثل الدولة القومية، ومن ثم دراسة كيف أن الأشكال الجديدة من الهوية تنشأ في العلاقة بالتغيرات في الموقع البنيوي لهؤلاء الفاعلين. بدلاً من ذلك، يبدأ هذا التحليل من افتراض أن استحضار هويات اجتماعية محددة هو مكون أساسي للسيرورات المرتبطة بإعادة الهيكلة. هكذا، بتفحص الانتقالات في فئات الهوية، ومقتضياتها بالنسبة للعلاقات الاجتماعية، يكون من الممكن إحراز فهم أفضل لكيف كان من الممكن أن تحدث التغيرات المرتبطة بتصليب حكم السوق في قطاع الاتصالات عن بعد النيوزيلندية.

المستهلك The Consumer:

من النظرة الأولى تكون مركزية المستهلك – الذي يعرف أحياناً بالزبون أو المستعمل – بالنسبة إلى الشكل الجديد من الحكم واضحة لا لبس فيها. مع ذلك

يكشف الفحص الأدق عن تحولات كبرى في استعمال المصطلح " مستهلك" مرتبطة بلحظات تاريخية بعينها في تحول القطاع. وبفحص تحولات الهوية المرتبطة بالأطوار الأربعة لإعادة الهيكلة في قطاع الاتصالات - الدمج ، رفع القيود عن الشبكة ، الخصخصة والمنافسة - فإنني أكشف كلاً من علاقات السلطة المتضمنة في تشكيل هذه الهوية بعينها ، والأشكال الأخرى من الهوية التي تم تكوينها في مقابلها. هذا يسمح لي بأن "أنزع الصفة الطبيعية"denaturalise ، عن تكوين المستهلك بوصفه الشكل السائد من الهوية الاجتماعية في صناعة الاتصالات عن بعد النيوزيلندية.

لقد نشأ الخطاب حول حاجات المستهلكين لأول مرة في وقت مبكر من سيرورة الإدماج. فقد كان هذا التشكل الاستطرادي مرتبطاً بالطلب على الكفاءة الأكبر ضمن مكتب البريد والحصول منه على خدمة أفضل. هكذا ففي حين أن التقرير السنوي لمكتب البريد لطالما عرف جمهوره بوصفه "عامة" شاملة أو "شعب نيوزيلندا" فإن تقرير ماسون - موريس حول إصلاح مكتب البريد قد عرَّف بصراحة تفويضه بأنه يضمن "أن ينفذ مكتب البريد وظائفه" بالطريقة الأكثر كفاءة ومنفعة لأجل مستهلكي ومستعملي خدماته. في هذا الوقت ، مع ذلك ، كان التجنيد الصريح لهذه الهوية محصوراً إلى حد كبير بمستعملي الأعمال (البزنس) والمستعملين التجاريين الكبار الذين كانوا يحرضون بشكل ناشط على تحرير [لبرلة] قطاع الاتصالات عن بعد.

بناء على ذلك في السجالات السياسية حول الدمج - السيرورة التي تم بها تحويل مكتب البريد إلى ثلاثة مشاريع مملوكة من الدولة- لعبت المزاعم [التي] تستحضر هوية المستهلك إلى حد كبير جداً دوراً ثانوياً بالنسبة إلى هويتي دافع الضرائب والعامل. فقد أطرت الحكومة فوائد الاندماج بالدرجة الأولى بلغة الاستعمال الأفضل لمال دافع الضرائب (Larner 1997b). كما وضع

تشديد كبير أيضاً على الدور الذي سيلعبه الدمج في تحسين شروط الاستخدام [العمالة] ضمن الخدمة العامة – توفير إطار "يمكن لمستخدمي القطاع العام ضمنه أن يساهموا بشكل فعال وخلاق في الاقتصاد" (Hansard 1986:4725) .

في هذه السجالات استحضرت هوية المستهلك بالدرجة الأولى من قبل الذين يدحضون الدمج . [فأعضاء] الحزب القومي ، بصفتهم المعارضة الرسمية ، زعموا أن سيرورة الدمج مصممة لإرهاق المستهلك" . كان الأساس لحجتهم هو أن ـــ SOES يمكن أن يستغلوا موقفهم الاحتكاري بزيادة الأسعار ، وأن النيوزيلنديين سينتهي بهم المطاف إلى أن يدفعوا مرتين مقابل الاتصالات عن بعد – مرة كدافعي ضرائب ومرة كمستهلكين . أما التنظيم الآخر لحشد هوية المستهلك عبر هوية " المستهلك العادي" ، فكان اتحاد مكتب البريد . إذ جادلوا بأن خطط الحكومة سوف تضر بقدرة مكتب البريد على تقديم الخدمات إلى كافة النيوزيلنديين بأقل كلفة ممكنة وسوف تقوض الملكية العامة .

هكذا كانت السجالات حول الدمج ، في جزء منها ، خلافاً على الأهمية النسبية للحقوق المزعومة السياسية المدعاة على أساس ثلاثة أشكال مختلفة من الهوية: دافع الضرائب والعامل والمستهلك . فالمبرر المنطقي السياسي لأجل الاندماج كان يقوم على هوية دافع الضرائب ، بشكل مفترض على الأقل جزئياً بسبب الصلات التاريخية لحزب العمال بالعمل المنظم ، رغم أن فوائد الدمج بالنسبة للعمال قد تم تسليط الضوء عليها بشكل فاضح . إن هوية المستهلك ، من ناحية أخرى . قد دخلت في هذه السجالات بشكل غير مباشر فقط– جندها فقط أولئك المفندون للدمج ، الذين يأخذون غالباً شكل المستهلكين أو المستعملين ، واستجابة لأجندات سياسية أكثر تباعداً .

والحال هكذا ، فإن ظهور المستهلك في سجالات الاندماج قد أثر على لحظة هامة في إعادة تكوين الهويات الاجتماعية في قطاع الاتصالات عن بُعد .

أولاً ، تؤثر هذه المزاعم على بدايات الانتقال نحو تعميم المستهلك كفئة هوية . فقد شكل اتحاد الشركة القومية ومكتب البريد بشكل استطرادي النيوزيلنديين بوصفهم مستهلكين . بعد تسمية المستهلك في هذه السجالات ، فإن المزاعم السياسية المقامة على أساس هذه الهوية يمكن إدخالها بشكل مشروع في حقل تشكيل السياسة . نظراً لوجود خطابات أخرى تقوم على المستهلك ، بما في ذلك خطابات مستعملي الأعمال الكبار والخزينة (الذين حشدوا هويات المستعملين المستهلكين في حجتهم لأجل إصلاح قطاع الدولة) ، ليس مفاجئاً أن المزاعم السياسية القائمة على هوية المستهلك قد بدأت تكتسي أهمية أكبر – وإن بأشكال متنوعة ومتناقضة .

لقد بدأ المستهلك في السجالات حول إزالة قيود الشبكة يتعزز بوصفه الشكل السائد من الهوية الاجتماعية . فشملت إزالة قيود الشبكة إعادة تعريف مسؤولية الدولة بأنها تسهيل المنافسة ، عندما تولت الشركات في "السوق" المحدثة المسؤولية عن تأمين الاتصالات عن بعد . خلافاً لسيرورة الاندماج التي يشكل فيها سياسيو [حزب] العمال بشكل استطرادي النيوزيلنديين كدافعي ضرائب ، كانت فوائد إزالة قيود الشبكة مؤطرة أساساً بلغة المنافع للنيوزيلنديين بوصفهم مستهلكين . كان المبرر المنطقي السياسي لإجل إزالة قيود الشبكة هو أن إدخال المنافسة سوف يحسن الكفاءة ، وبالتالي يخفض تكاليف سلع وخدمات الاتصالات عن بعد بالنسبة لكل من مستهلكي [قطاع] الأعمال والمستهلكين المنزليين .

التفسير الأوضح للهيمنة الجديدة للمستهلك على دافع الضرائب والعامل هي أنها عكست الاختيار المشترك للسيرورة السياسية من قبل المستعملين التجاريين الكبار . بالتأكيد كانت جماعات الأعمال بما فيها TUANZ ، والـ ITANZ والطاولة المستديرة للأعمال النيوزيلندية تتلوب [تشكل اللوبيات أو جماعات

المصالح] بجد من أجل مزيد من المنافسة لكي تحفز الكفاءة الاقتصادية وتخفض تكاليف الاتصالات عن بعد لأجل مستهلكي قطاع الأعمال والصناعة. مع ذلك كانت المطالبة العامة بالتغيير في قطاع الاتصالات عن بعد أيضاً واسعة النطاق، خصوصاً في أوكلاند حيث كان ثمة أزمة هواتف كبرى في عام ١٩٨٧.

علاوة على ذلك، فإن التنظيم الكبير الوحيد الذي عارض بشكل فاعل إزالة قيود الشبكة، وهو اتحاد مكتب بريد نيوزيلندا، قد أطّر حملته أيضاً بشكل أساسي بلغة المستهلك. في غياب رابطة المستهلكين المنزليين في [هذا] القطاع، فقد صار الاتحاد يشير إلى انه في حين يزعم أن إزالة قيود الشبكة هي في مصلحة المستهلك، كان مستهلكو الأعمال فعلاً هم المرجحون لأن يكونوا المستفيدين الأساسيين من إزالة القيود. ففي حملته شدد اتحاد مكتب البريد على أهمية الحفاظ على الخدمة العمومية، مجادلاً بأن أي ابتعاد عن العمومية سوف يخفض جودة الخدمة إلى المستهلكين السكنيين والريفيين. وكجزء من استراتيجيته دافع الاتحاد (بشكل غير ناجح) عن تمثيل المستهلك في هيئة تيليكوم Telecom Board، الإطار لفئة مستهلكي كلاب الحراسة، وتأسيس قسم اتصالات عن بعد.

في حين أن حجج اتحاد مكتب البريد لصالح تمثيل المستهلك لم يتم تبنيها مباشرة، فقد كانت التبعة غير المباشرة هي التركيز [على] هوية المستهلك. وتأثير شكل التقانات السياسية المرتبطة بحكم السوق. وكانت استجابة حزب العمال للقلق العام حول مخاطر إزالة الشبكة هي تشجيع تيليكوم Telecom NZ على الإعلان عن ثلاث تعهدات مصممة صراحة لحماية مصالح الزبائن المنزليين. وقد شملت هذه وعوداً بالحفاظ على خيار المكالمة المجانية لأجل كل زبائن الهاتف السكنيين؛ لضمان أن معدل الزيادة في أجور الهاتف السكني لن يزداد بحدود حقيقية بالنسبة إلى دليل أسعار المستهلكين؛ وأن أجور الخطوط لأجل المستعملين السكنيين في المناطق الريفية لن تكون أعلى من الأجور السكنية المعيارية. هذه الحمايات لأجل المستهلكين المنزليين قد دونت في بنود ارتباط الشركة وبعد

أن أصبحت الخصخصة محفوظة "كحصة الكيوي" the Kiwi share . هذه التعهدات يمكن فهمها كتقانة سياسية ساهمت في اتجاه تكوين المستهلك بوصفه الشكل السائد من الهوية في هذا القطاع ، أكثر من كونها [التعهدات] مجرد ممارسة للعمومية ، أو حتى كإوالية ناظمة حيادية .

هكذا لم يحدث نشوء فئة هوية المستهلك بشكل مقلوب مباشرة . بالأحرى ، لقد عكس اندماج عدداً من الصياغات الاستطرادية المتنوعة ذات الأصول السياسية المختلفة ، التي اجتمعت معاً في السجالات حول إزالة قيود الشبكة ، وأنتج فهماً [مفاده] أن الشكل الجديد من الحكم ضمن قطاع الاتصالات عن بعد ينبغي أن يقوم على المستهلك . علاوة على ذلك ، فإن مركزية فئة الهوية هذه قد تعززت عن طريق التقانات السياسية المغروسة في قطاع الاتصالات عن بعد .

بقيت هيمنة المستهلك تتعزز مع الانتقال نحو حكم السوق . إن مناقشة المؤيدين والمعارضين للخصخصة – التي كانت تشمل بيع تيليكوم NZ إلى كونسرتيوم تهيمن عليه شركتا أميريتك Ameritech وبل أتلنتيك Bell Atlantic– كانت مركزة بشكل شبه كلي على التكاليف والمنافع لأجل المستهلك . بالفعل ، كان من الممكن المجادلة بأنه بسبب مركزية هوية المستهلك بالنسبة للخصخصة يمكن تهميش السجالات التي تدور حول الملكية الأجنبية لصناعة بنية تحتية أساسية . فالسجال البرلماني ، مثلاً ، لم يكن حول حسنات الخصخصة كمفهوم ، بل بالأحرى حول كيف أن احتياطات حصة الكيوي سوف تحمي بالفعل المستهلكين النيوزيلنديين بعد البيع . بالنتيجة فإن حجة القوميين لأجل فرض حد أعلى على مستوى الملكية الأجنبية لم تؤطر كحجة لصالح ملكية قومية بحد ذاتها ، بل بالأحرى عكست شكوكهم حول حصة الكيوي . إن وضع حد على مستوى ملكية ماوراء البحار قد تم تقديمه بوصفه الوسيلة التي سيضمنون بها أن تبقى منظومة الهاتف تحت السيطرة الفعلية والحقيقية للنيوزيلنديين فقط .

مع ذلك، بعد ظهور المنافسة، كما دل على ذلك تأسيس شركة كلير Clear للاتصالات في عام ١٩٩٠، أصبح المستهلك فئة الهوية الطاغية. كما شرح CEO [التابع] لكلير، "عندما بدأنا نعيد بناء هذا العمل التجاري في عام ١٩٩٠، كان كل واحد في كلير يعرف أن الميزة التنافسية الدائمة الوحيدة التي يمكننا أن نجلبها إلى السوق هي شركة تقوم على الجودة، مركزة ليس على إشباع حاجات زبوننا بل على تجاوزها. لقد كنا نهدف منذ البداية إلى تقديم خبرة زبونية كاملة، يعول عليها، كفؤة، ودودة. إن نجاح شركة كلير للاتصالات قد تجاوز توقعات الجميع، بما في ذلك توقعاتهم هم. ففي عام ١٩٩٥ كانوا يمثلون ٢٢ بالمئة من أسواق المكوس القومية و٢٣ بالمئة من سوق المكوس الدولية (وزارة التجارة ١٩٩٥). عندما وجدت Telecom NZ نفسها تخسر بسرعة حصة السوق، دخلت الشركتان في معركة حامية من أجل الزبائن. في سياق هذه المعركة هبطت الأسعار بشكل "دراماتيكي"، وأدخلت خدمات جديدة وحصل تحسن ملحوظ في الجودة الإجمالية لخدمات الاتصالات عن بعد. وبهذه التطورات تعزز الخطاب حول منافع المنافسة بالنسبة للمستهلك.

يؤشر تعزز المستهلك بوصفه فئة الهوية الطاغية، في قطاع الاتصالات عن بعد، على ظهور نظام اجتماعي جديد. في هذا النظام الجديد يتم تكوين المسؤوليات الاجتماعية المندمجة بحيث تشمل المستهلكين. بالنتيجة تؤكد تيليكوم NZ على تشميله في البرامج الاجتماعية التي تتضمن خدمة الطوارئ ١١١ وبرامج الاحتياجات الخاصة، مع برامج الرعاية (التمويل) الكبرى مثل جوائز تيليكوم للفنون الإقليمية وباليه نيوزيلندا، ودعم التعليم المدرسي. وكما تشرح الشركات، فإن هدفنا من المساعدة لتقوية النسيج الاجتماعي للبلاد وتحسين نوعية حياة أهلها هو كله جزء من كوننا شركة مفتوحة ومتقبلة لحاجات زبائنها: المجتمع. مما له دلالته أنه في هذا الفهم الجديد لا يعود الاجتماعي مقيداً إقليمياً ولا قائماً على موقع وحيد للتضامن. بالأحرى يكون الاجتماعي معرفاً

بلغة خدمات وبرامج موجهة لتلبية حاجات جماعات محددة. هكذا تتحدى هذه النسخة الجديدة من الاجتماعي بشدة أشكال التضامن الاجتماعي القائمة على التماسك القومي.

باختصار، ما أجادل به هو أن ظهور حكم السوق كان مرتبطاً بالكامل بتحصين المستهلك بوصفه الشكل المهيمن من الهوية الاجتماعية في صناعة الاتصالات عن بعد النيوزيلندية. ولم يتم خلق هذه الهوية الاجتماعية فحسب، بل كان ذلك يعني أشياء مختلفة في أزمنة مختلفة لجماعات مختلفة. مع تعزيز حكم السوق فقط تكثفت معاني المستهلك المتعددة والمتناقضة غالباً في فئة هوية مهيمنة قادرة على أن تشكل الأساس لأجل نظام اجتماعي جديد.

العامل The Worker:

ليس مفاجئاً أن نكتشف أن تعزيز المستهلك بوصفه الشكل السائد من الهوية الاجتماعية في قطاع الاتصالات البعيدة النيوزيلندية كانت له معاني ضمنية كبرى بالنسبة لفئة هوية العامل. في ظل حكم الدولة كانت هوية العامل هي التي ربطت الاقتصادي والاجتماعي في سياق أرض محددة قومياً (انظر على سبيل المثال ماكدويل ١٩٩١) أما في ظل حكم السوق فقد تم إفراغ المضمون الاجتماعي لهذه الهوية. بدلاً من ذلك يتم تكوين العامل كهوية اقتصادية تؤلف الرابطة الحاسمة بين الفرد والمشروع، في السعي إلى التنافسية الدولية. مرة أخرى، مع ذلك، لم يكن التحول في فئة الهوية هذه مباشراً، بل كان حصيلة سيرورة معقدة ومتناقضة تنطوي على نقلات استطرادية وتقانات سياسية.

في حين تميزت سجالات الاندماج بحشد ثلاث هويات مختلفة، فمن الواضح أن كل المشاركين في هذه السجالات اعترفوا بصحة المزاعم السياسية المقامة على أساس الهوية " عامل". في الواقع، كان حشد هذه الهوية حاسماً في إقناع النيوزيلنديين بأن الاندماج، رغم طبيعته غير المسبوقة، هو سياسة

ملائمة لكي تكون الحكومة العمالية مؤيدة لها. في الإجمال كان ثمة جدل مفاده أن ازدياد الوظائف سوف ينتج عندما يزداد الطلب على تأمين سلع وخدمات الاتصالات عن بعد. بشكل أكثر تحديداً، زعم أن الاندماج وإزالة قيود تجهيز مباني المستهلكين سوف يؤمنا فرصاً أكبر لأجل عمال مكتب البريد.

يمكن إيجاد بدايات إعادة تكوين فئة الهوية هذه في السجالات حول إزالة قيود الشبكة. في هذه السجالات كان ثمة تحولان حاسمان في الطريقة التي يتم فيها تكوين العمال بالنسبة إلى المستهلكين. الأول، في مقابل سجالات الاندماج، كانت إمكانية أن تنطوي إزالة قيود الشبكة على خسارة الوظائف في Telecom NZ معترفاً بها. مع ذلك فإن المزاعم السياسية للعمال ضمن Telecom NZ قد وضعت في مقابل المنافع الإجمالية لكل من عمال ومستهلكي صناعة سريعة النمو. الثاني، بروز نقاش حول الحاجة إلى تحسين إنتاجية العمل ضمن الصناعة لكي يتم تخفيض التكاليف لأجل المستهلكين. بهذين التحولين تم ترسيخ الأساس لتهميش العمال.

والحال هذا، بقيت مشروعية المزاعم السياسية التي أطلقها العمال معترفاً بها على نطاق واسع أثناء الفترة الفاصلة بين إزالة قيود الشبكة والخصخصة. فأثناء هذه الفترة كانت تيليكوم NZ مشمولة في تمرين إعادة هيكلة كبرى. شمل أحد مقومات إعادة الهيكلة هذه ما كانت تعتبر آنئذ وفورات ضخمة مرتبطة أساساً بإدخال تقانات جديدة وتقليص النشاطات غير الضرورية. لقد خفضت تيلكوم NZ نشاط التدريب بشكل دراماتيكي تمهيداً للخصخصة. مع ذلك، رغم الانتقالات نحو مركزة هوية المستهلك، وإزالة المركزة المقابلة لها للعمال، فقد كان لا يزال يوجد اعتراف واسع النطاق بحقوق العمال، مع عمل إدارة تيلكوم بشكل وثيق مع اتحاد مكتب البريد لإدارة كلاً من التغير التقاني والوفورات.

لم تفقد هوية العامل فاعليتها كأساس لأجل المزاعم السياسية إلا مع اشتداد المنافسة. فالتفسير المعتاد للمقاربة المتشددة الجديدة للعمال هو المجادلة

بأنها كانت نتيجة للخصخصة ، وأنها مرتبطة بالتغيرات الإدارية ضمن تيليكوم NZ . بالتأكيد ، بعد بيع الشركة ، حصل تعيين إدارة أكثر انقياداً بالسوق وهيئة مدراء جلبوا أسلوباً أميركياً شمالياً أكثر صدامية في التفاوض إلى قضايا العلاقات الصناعية . مع ذلك ، فإن هذا التفسير ، في ذاته ولذاته ، ليس كافياً . فحتى اتحاد مكتب البريد لم يكن متضايقاً من حصيلة البيع ، ملاحظاً أن المشترين الأميركيين الشماليين للشركة يمتلكون كلاً من الخبرة وسجل الأحداث للإيحاء بأنهم سوف يرعون عمالهم . بالفعل ، من المثير للانتباه أن نلاحظ إدراك الاتحاد أن المدراء الأميركيين يمتلكون فهما أوضح بكثير لأهمية المستخدمين مما كان يمتلكه نظراؤهم النيوزيلنديون . تكمن أهمية الخصخصة لأجل الحجة التي أسوقها في المزيد من إعادة تكوين هوية العامل . أثناء هذه الفترة كان ثمة تحولان استطراديان آخران . في حين أن مصالح العمال ، في السجالات حول إزالة قيود الشبكة ، قد استعديت ضد المستهلكين ، فقد كان العمال في سجالات الخصخصة غير مرئيين إلى حد كبير . بالفعل كانت إحدى المرات القليلة التي ذكر فيها العمال في هذه السجالات هي في سياق ملاحظة أن الناس العاطلين عن العمل قد لا يكونون قادرين على شراء الحصص (الأسهم) . التحول الثاني ، في الأدبيات التي تزكي تيليكوم NZ إلى المستثمرين فيما وراء البحار ، فقد استعملت إنتاجية العمل ، التي تقاس بأنها الخطوط المتاحة لكل مستخدَم ، على نطاق واسع كوسيلة لإثبات الإمكانية لمزيد من التعزيزات الإنتاجية . في هذا السياق بدأت إعادة تكوين الوفورات المرتبطة بإزالة قيود الشبكة بوصفها مكاسب وتعزز الإطار الاستطرادي لأجل إعادة تسليع العمل .

في أوائل التسعينات تبلور عدد من التطورات المختلفة لتعزيز المقاربة الجديدة للعمال . فقد مرت خصخصة تيليكوم NZ بسرعة فائقة عبر البرلمان قبل انتخاب ١٩٩٠ . كانت إحدى الخطوات الأولى المتخذة من قبل الحكومة القومية الجديدة هي إدخال قانون عقود التشغيل . هذا التشريع الجديد للعلاقات الصناعية كان مصمماً لإزالة قيود سوق العمل . وأثناء الفترة الأولى لهذه الحكومة فإن تشريع

الهجرة قد تمت لبرلته [تحريره] أيضاً، وانتقلت تكاليف التدريب إلى الفرد من خلال منظمات تدريب الصناعة الجديدة. علاوة على ذلك، حدثت هذه التحولات في شكل علاقات العمل في سياق أصبح فيه تدويل الاقتصاد المحلي هو العقلية السياسية السائدة. لم تكن النتيجة المشتركة لهذه التغيرات هي فقط خلق سياق ينظر فيه إلى كلفة العمل على أنها يحددها طلب وعرض السوق، بل أيضاً أن سوق العمل بدأت تعمل في إطار مرجعي مدوَّل.

في عام ١٩٩٣، بعد تأسيس شركة كلير للاتصالات وفي هذه البيئة السياسية – الاقتصادية، أعلنت تليكوم NZ "عن برنامج إعادة هيكلة واسع . . . مصمم لتحسين خدمة المستهلك" والكفاءة وتخفيض تكاليف التشغيل كان ثمة تأمل كبير في أن الاستراتيجية الجديدة للشركة سوف تنطوي على وفورات أكثر. أثبت هذا التأمل أنه ذو أساس جيد. في ١٦ شباط/ فبراير ١٩٩٣ أعلنت تيليكوم NZ أنها سوف تسرح حوالي ٤٠ بالمئة من الطاقم المتبقي. هذه الأرقام كانت تمثل هبوطاً قدره ٧٠ بالمئة في قوة العمل الإجمالية لتيليكوم NZ منذ الاندماج. أُطلق هذا الإعلان بالتوازي مع الإعلان عن ربح تشغيل قياسي، ووسط تنبؤات بأن تخفيضات الوظائف المخططة سوف تضيف ١٠٠ مليون دولار أميركي أخرى في العام إلى الأرباح المستقبلية.

كانت دلالة إعلان ١٩٩٣، علاوة على عناء أولئك المتأثرين مباشرة بتخفيضات الوظائف، هي تحول ملحوظ آخر في الخطاب حول العمال. شمل هذا التحول رفض المظاهر الاجتماعية لهذه الهوية. فقد كان المؤشر الأوضح على هذه النقلة هو أنه في حين كان يشار إلى العمال سابقاً بوصفهم مستخدمين أو طاقم، فإن العمال في الخطاب الجديد غالباً ما كان يشار إليهم بوصفهم كلفة تشغيل. علاوة على ذلك، فإن إطار المرجعية من أجل تقدير المستوى الملائم لمثل هذه التكاليف كان دولياً. كما شرح بيتر شيرتكليف، رئيس هيئة تيليكوم NZ، إلى PTTI بعد شكوى رسمية حول مستوى الوفورات، إن "السوق الآن مفتوحة

بحيث يجب افتراض أنها ستكون هي المعيار من أجل المستقبل. تدل عملية التقدير هذه على أن تيليكوم سوف تحتاج إلى أن تخفض بشكل ملموس تكاليفها وعدد مستخدميها على مدى السنوات المقبلة إذا كانت تريد أن تبقى تنافسية.

في هذا التشكل الاستطرادي أخذت التقانات السياسية الجديدة مركز الأحداث. عندما تم تكميم قياسات خدمة المستهلك وإنتاجية العمل، أمكن استعمالها ليس فقط كمقياس للأداء الداخلي، بل أيضاً كنقطة مقارنة ضد شركات الاتصالات عن بعد الأخرى قومياً ودولياً. مع فهم الكفاءة بلغة إنتاجية العمل المقاسة بعدد المستخدمين لكل خط، كان من المحتم أن الكفاءة المتزايدة سوف تفهم باعتبارها تنطوي على عمال أقل ينجزون عملاً أكثر. حتى وسائل الإعلام الخاصة بالأعمال فوجئت بالمدى الذي كانت الشركة مستعدة للذهاب إليه. فقد لا حظت مجلة الأعمال القومية the National Business Review، على سبيل المثال، أن تيليكوم مخطط لها أن تكون بين الأعلى في العالم برقم ٢٢٠ (مستخدماً لكل خط)، قد تضحي بأرباح مستقبلية عن طريق تعطيل الخدمة، أو طرد المستخدَمين، وفقدان الطاقم المدرب، والحد من النمو وإنتاج قنبلة زمنية من عدم الكفاءة.

ترافق الإعلان عن الجولة الجديدة من التسريحات المؤقتة بمقاربة متشددة جديدة مع اتحاد عمال الاتصال والطاقة، الاتحاد الخلف لاتحاد مكتب البريد. فمن وجهة نظر الإدارة كانت المقاربة الجديدة محاولة لمعالجة نتائج التنافس في سياق أصبح فيه المستهلك الهوية الاجتماعية الطاغية. تم حشد الطلب على المستهلك لتبرير التغييرات: تم تصوير الزبائن على أنهم يطلبون الخدمة على مدار الساعة وجادلت الشركة بأنها لا تستطيع أن تتحمل تقديم مثل هذه الخدمات بأسعار الدفع الراهنة. أما (EWU)، من ناحية أخرى، فرأت المقاربة الجديدة كمحاولة لكسر سلطتها، وهي، بدورها، سوف تسمح بالتآكل الخطير للأجور

والشروط [المؤاتية] لأجل عمال الاتصالات عن بعد. مما له دلالته، بالنظر إلى الحجة المساقة أعلاه، أن رد فعل وسائل الإعلام على المفعول الصناعي الناجم كان اتهام كلاً من الإدارة والاتحاد بالمساومة على مصالح المستهلك.

في أواخر عام ١٩٩٥ دخل اتحاد الـ CEWU في التصفية. كان القرار بالتصفية الطوعية للاتحاد بدافع من النتائج المجتمعة لأزمة السيولة النقدية والهبوط المستمر في عدد الأعضاء. رغم الجهود المبذولة من قبل اتحاد المهندسين للتعاقد مع أولئك العمال الذين كانت تغطيهم الـ CEWU سابقاً، لم يتبق بعد أقل من عام سوى ٣٠ بالمئة من مستخدمي تيليكوم في العقود الجماعية. بهذا الخصوص، فإن المزاعم القائلة بأن تيليكوم NZ قد استفادت من انهيار الـ CEWU لتفكيك اتحاد قوتها العاملة بشكل فعال تبدو مبررة. بالتأكيد، إن أي فهم للاتحاد على أنه في شراكة اجتماعية مع الشركة قد تم تقويضه أساساً. إذ حل محله فهم جديد يقول بأن كلفة اليد العاملة، مثل أي مورد آخر، ينبغي أن تحددها السوق.

ليست فكرتي هي أن تيليكوم NZ تعامل مستخدميها معاملة سيئة. بل إثبات أن تعزيز المستهلك بوصفه الهوية الاجتماعية السائدة كانت نتيجته تهميش الحقوق السياسية المزعومة للعمال. يحتوي المقتطف التالي المقاربة الجديدة:

أحد الانتقادات العامة لتيليكوم هي النزف الذي اللانهاية له ظاهرياً للطاقم..... ففي أوائل ١٩٩٣ عندما أعلنت الشركة عن خطط لتخفيض الطاقم بمقدار ٥٠٠ أخرين، بدأ الناس يتساءلون حول حسنات الخصخصة في شركة مثل تيليكوم. هل كانت شركة متعددة الجنسيات متوحشة تضحي بالناس من أجل الأرباح؟ لكن يجب أن نتذكر من هو الرابح النهائي في دافع مثل هذه الشركة من اجل الأرباح: المستهلك. فالارباح غير ممكنة مالم تقدم الشركة السلع والخدمات بالسعر المقياسي الذي يطلبه المستهلك. إن الناس

لن يجرو مكالمات هاتفية من خلال الشركة التي تستأجر أكبر عدد من الناس. بل سيجرونها من خلال الشركة التي تقدم أفضل صفقة، أي التي تفرض أقل الرسوم (Coddington 1993:112).

على صعيد واحد، بتتبع ظهور هذه الطبعة الجديدة من العامل، سرد هذا المقطع قصة مباشرة نسبياً حول إعادة تسليع العمل. كما إن هوية المستهلك قد ورثت تركة الاجتماعي، كذلك أيضاً فقد تم إفراغ العامل من المضمون الاجتماعي. بشكل عام أكثر، مع ذلك، فإن إدخال علاقات السوق إلى دائرة العمالة (الاستخدام) قد شهد إعادة تعريف لهذه الهوية. في سياق حكم السوق يتم تكوين السوق كهوية اقتصادية تضم وتشمل الحلقة الضرورية بين الفرد والمشروع في السعي من أجل التنافس الدولي (من أجل مزيد من التفاصيل انظر Larner 1997c) من خلال تعزيز قدرات العمال الفرديين يتأمن نجاح الشركات، والنجاح الماكرو اقتصادي، وفقاً لذلك.

المخاطر السياسية والإمكانيات:

في الفقرة الأولى من هذا الفصل بينت أن حكم السوق في قطاع الاتصالات البعيدة قد ارتبط بظهور هوية اجتماعية جديدة – المستهلك. لقد سبرت المعاني الضمنية لهذا التحول بالنسبة لهوية العامل، مبينة أن المضمون الاجتماعي لهذه الهوية قد تم إفراغه. فمن ناحية أولى تدعم المزاعم المحددة المساقة في هذا الفصل توكيدات أكثر عمومية، من حيث أنه من المعترف به على نطاق واسع أن فئتي المستهلك والعامل تلعبان دورين مختلفين أساساً في البيئة السياسية – الاقتصادية الجديدة. مع ذلك، فإن أصالة هذا الفصل تكمن في الطريقة التي ينظر بها لهذه التحولات. بدلاً من افتراض علاقة عامة و/أو مقررة بين تقانات الاتصالات الجديدة والتراتيب المؤسساتية والهوية الاجتماعية، فقد برهنت كيف أن الطبعات الجديدة من الهويات الاجتماعية تنشأ عن السيرورات المتعددة وتصبح ظاهرة بوصفها طبيعية ونظامية.

على النحو الأكثر مباشرة، يجعل هذا التحليل من الممكن فهم كيف أن الشكل الجديد من الحكم يمكن تكوينه بوصفه في [خدمة] المصالح الفضلى للنيوزيلنديين. على وجه الخصوص، يمكن تكوين الوفورات الكبيرة باعتبارها مقبولة سياسياً بسبب إعادة تعريف المواطن الفردي بوصفه مستهلكاً. من هنا فإن بيانات كالتالي:

[في عام ١٩٨٧ كان لديها عدد مذهل يبلغ ٢٥,٠٠٠ على جدول الرواتب. إنها نقطة تحتاج إلى تسوية في سياق مساعي السياسيين لجعل خلق [فرض] العمل أولوية اقتصادية. في الحقيقة إن سلامة أي عمل لا تجاري وبالتالي الاقتصاد الأوسع يجب أن تقاس بالعكس. من الأفضل كثيراً بالنسبة للبلد أن يكون لديه تيليكوم هزيلة وتقانة حديثة على أن يواجه بطبعة الكيوي من المصاعب التي تواجهها IBM أو GM] (NBR 19 Feb.1993).

في هذا المقال الافتتاحي فإن " البلد من الواضح أنه ليس مؤلفاً من عمال، بل من مستهلكين يستفيدون من إمكانية الوصول إلى تقانات الاتصالات المقدمة بأقل تكلفة ممكنة.

بشكل عام أكثر، يوضح التحليل فكرة أن المستهلك والعامل ليسا هويتين متبادلتي الاستبعاد ومتخاصمتين بالضرورة، رغم أفضل مساعي السياسيين الليبراليين الجدد وقادة الأعمال لإنكار تعايشهما. علاوة على ذلك، مع الاعتراف بأن المستهلكين هم أيضاً عمال، والعكس بالعكس، يصبح ممكنا عندئذ البحث عن اللحظات التي يتم فيها كشف تناقضات حكم السوق. في هذا السياق من المفيد أن نستذكر محاولات اتحاد مكتب البريد لحشد هوية المستهلك في سعيه للحفاظ على التماسك الاجتماعي. يمكن إيجاد نقطة انطلاق أخرى من أجل هذا التحليل في حقيقة أن أحد المؤشرات القليلة على الاستجابة العامة الفاعلة للتسريحات البالغة ١٩٩٣ تسريحاً يتضمن تقارير من شركة كلير مفادها أنهم قد أغرقوا بالزبائن الجدد.

بهذا الخصوص ، ينبغي أن يكون واضحاً أن الحجة المقدمة في هذا الفصل ذات صلة بالموضوع تتجاوز حالة نيوزيلندا الصغيرة (لكن الهامة) . هذا التحليل يسمح لنا بأن نفند الطبعة الليبرالية الجديدة من عالم مؤلف من مستهلكين فردانيين منكبين على تحقيق الحد الأقصى من المصلحة الذاتية من خلال اختياراتهم في السوق . كما يشرح دانييل ميلر (1995:17) Damiel Miller ، فإن هذا المستهلك هو "المستهلك الخيالي للنماذج الاقتصادية" ، كتلة صناع الاختيارات المجردة من المضمون الاجتماعي ، والفردية والعقلانية ، الذين يفهم مصدر مطالبهم ورغباتهم بوصفه منقطع الصلة كلياً بالسياسة مثلما كان منقطع الصلة قبلئذ بعلم الاقتصاد" . – هذه الرؤية هي "حيلة إلهية" بشكل واضح تقوم على فهم جوهراني للمستهلك ، وتنكر الأشكال المتعددة للتفاوت الاجتماعي .

في الوقت نفسه ، مع ذلك ، فإننا قادرون على تجنب فخ "وجهي العملة نفسها" في تطوير هذا النقد . الخطر هو أننا أيضاً نؤلف المستهلكين والعمال بوصفهما هويتين متبادلتي الاستبعاد يمكن استعداء إحداهما ضد الاخرى . في أغلب الأحيان تتأثر الحجج ضد الليبرالية الجديدة بلغة الفردانية الفطرية وتفاوت اختيار المستهلك وتؤكد تبعات هذه الصفات بالنسبة للاندماج الاجتماعي والتماسك الأخلاقي . بالمقابل ، فإن التحليل المطور في هذا الفصل يوحي بأنه بدلاً من نبذ المستهلك بوصفه لعبة ايديولوجيا لليمين الجديد ، ثمة أسئلة هامة يجب طرحها حول الإمكانيات من أجل السياسة التحررية القائمة على هذه الهوية .

يكرر دانييل ميلر (١٩٩٥) هذه النقطة في هذه المراجعة للدراسات الجديدة للاستهلاك . إذ يزعم أن تناقضات التطور الجدلي يتم إظهارها بشكل متزايد ضمن الأفراد . . . . . . في وجودهم المزدوج كيد عاملة ومستهلكين (ص. ٤٩) . إنه يطالب ببحث يتجاوز الصور التبسيطية للمستهلك الجيد والسيء ، ويركز بدلاً من ذلك على الأشكال المعقدة والمتناقضة التي يأخذها الاستهلاك . بهذه الطريقة ، كما يقترح ، يمكن أن نبدأ بفهم المزيد حول كيف أن الأفعال

التي نقوم بها كمستهلكين لها تبعات على وضعنا كعمال: إننا نقر بالتأثير الهائل للاستهلاك على الاقتصاد السياسي، في حين أننا نقر بالاقتصاد السياسي المنقوش في المشاريع التاريخية المقدمة للناس بوصفهم مستهلكين" (ص. ٥٤).

إن تأييد هذه المزاعم لا يقتضي بالضرورة أن سوسيولوجيات الاستهلاك هي الآن أكثر صلة بالموضوع من سوسيولوجيات الإنتاج، ولا أن نمثلن [نضفي الطابع المثالي على] الحركات الاجتماعية القائمة على المستهلك. بل يوحي بالأحرى بأن المفاهيم الضد جوهرانية anti-essentialist للهوية يمكن أن تساعدنا على تحديد هوية الطبعات التقدمية للمستهلك، بدون إجبارنا على الزعم بأن الهويات القائمة على الاستهلاك هي تحررية بشكل متأصل أو خلاف ذلك. علاوة على ذلك، عندما نستقصي كيف تصبح هذه الهويات مكونة بطرق بعينها، من خلال كل من الخطاب والممارسة الاجتماعية، من المرجح أن الأشكال المتعددة والمتناقضة من هذه الهويات ستصبح ظاهرة. إن سبر هذه الأشكال المتغايرة، بدوره، والمزاعم السياسية التي تمكنها، يمكن أن يفيد في إعادة تسييس الهويات السياسية الاقتصادية بطرق جديدة.

باختصار، هذا الفصل يطرح إشكالية إمكانية اشتقاق التوجه السياسي الاجتماعي من هوية ثابتة (Daly 1991:88). بدلاً من ذلك فقد شددت على أهمية التنظير للهويات الاجتماعية بوصفها مواقع مفتوحة للصراع الكامن و، بشكل موازٍ، بوصفها شرطية واحتمالية (Butler 1990). هذا يتطلب دراسة متأنية للطرق التي تكون فيها هذه الهويات تحت التهديد الدائم بالتدمير عن طريق تمفصلات مختلفة، خطابات أخرى، ويتعين باستمرار أن تتم إعادة تعريفها وإعادة مفاوضتها" (Daly 1991:93). بمثل هذه المقاربة، كما أجادل، يصبح ممكناً تجاوز السجالات المستقطبة التي رافقت مناقشات تقانات الاتصالات والأشكال المؤسساتية والهويات الاجتماعية الجديدة.

خاتمة:

في هذا الفصل بينت كيف أن الانتقال إلى حكم السوق في قطاع الاتصالات عن بعد النيوزيلندية قد ارتبط بشكل كامل بظهور المستهلك بوصفه الشكل السائد من الهوية الاجتماعية. بدلاً من رؤية التحولات في الهوية كاستجابة لتحولات تقانية و/أو اجتماعية أكثر أساسية، يبرهن هذا الفصل أن تشكل الهوية، أو أكثر تحديداً، المحاولات لإضفاء هيئة أو إعادة إضفاء هيئة على أشكال الذاتية، له ديناميكه الخاص به. علاوة على ذلك، فقد شددت على أن المقولات الايديولوجية ليست ببساطة هي التي تحدد موقع أفراد جماعة اجتماعية في سيرورة بعينها، وتصف هويات معينة لأجلهم. بالأحرى لقد طورت تفسيراً أكثر فاعلية للهويات الجديدة الناشئة عن كوكبة من القوى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. بفعل ذلك إنما برهنت أن حكم السوق يتم استثماره بشكل شفاف في أجندات اقتصادية معينة وأهداف سياسية وتشكيلات اجتماعية، لكن بطريقة تتجنب الصياغات الدهرية وتركز التغييرات في الهويات الاجتماعية.

كلمات شكر:

أتقدم بالشكر إلى والاس كلمنت، ريان ماهون وجانيت سيلتانن لأجل دعمهم. إن محرري هذا الكتاب والمشاركين من مركز ورشة دراسات العمل والمجتمع: العمل والتقانة - التغير، صناعة التغيير" المعقودة في ٢.١ آذار ١٩٩٦، في جامعة كارلتن، أوتاوا، قد قدموا أيضاً تعليقات مفيدة.

٥- تخطي الحدود القومية والعلم التقني والاختلاف

تحليل التطبيقات المادية - السيميائية(*)

بقلم: لاورا تشرنيك

ينكب هذا الفصل على دراسة العلاقة بين العلم التقني وتخطي الحدود القومية، إثنين من الخطابات والتطبيقات المادية – السيميائية التي تتفاعل لتنتج موضوعات وتمثيلات معقدة. أما همومي الرئيسية، هنا، فهي ما وراء [ميتا] نظرية وما وراء منهجية [ميثودولوجية]. إذ أجادل بأن التحليل الذي ركز على سيرورات تخطي الحدود القومية وسيرورات العولمة والمَحْلَلَة [إضفاء الصفة المحلية] لوحدها كان تحليلاً ناقصاً. وكذلك كان التحليل الذي ركز حصراً على العلم التقني. إن موضوعات تحليلنا هي نتاج تفاعل متعدد مضاعف يشكل سمة لتخطي الحدود القومية والعلم التقني. لذلك، كان على التفسير الناجح أن يضمّن كلاً من الاقتصاد السياسي و"دراسات العلم الجديد". إذ ينبغي أن ننكب على الجانبين المحلي والعالمي لهذه التطبيقات الاستطرادية، بحيث تصبح أسئلة الإقليم أيضاً هامة. من المهم بالقدر نفسه، كما أجادل في ختام مقالتي، أن ندرس الطرق التي تؤثر بها التطبيقات المادية – السيميائية للعرق والجنوسة والجنسانية في الحقبة المعاصرة، من خلال العلم التقني وتخطي الحدود القومية، وعليهما.

(*) Trans nationalism, technoscience and difference: The analysis of material-Semiotic practices.

تقوم مقاربتي لدراسة تخطي الحدود القومية على الاقتصاد السياسي الماركسي الجديد والتاريخ الاجتماعي والجغرافية الاجتماعية والتاريخية(1). إنني اعتمد اعتماداً كبيراً على أعمال الجغرافي الماركسي الجديد ديفيد هارفي. فقد استخدم هارفي علم اقتصاد مدرسة التقييد بوصفه الأساس لأجل مفهوم مفيد جداً هو "المهرَب المكاني" Spatial fix. تُعنى مدرسة التقييد بإعادة الإنتاج الاجتماعية للرأسمالية؛ إنها تحلل الطريقة التي يضبط بها الإنتاج والاستهلاك في نظام التراكم. تشمل أنماط التقييد التشكيلات والمؤسسات والأفعال الاجتماعية والإيديولوجية. يجادل هارفي بأن تخطي الحدود القومية هو المهرَب المكاني لرأس المال [من] أزمة التراكم؛ إنه سعي إدماني، تكراري لاستعمال الانزياح في الفضاء لإبقاء النظام شغالاً. أي، أن الرأسمالية تستفيد من الانزياح المكاني – فتح أسواق جديدة، الاستيلاء على المواد الخام، الإنتاج والتصميم في أي منطقة/ إقليم أو بلد يكون هو الأرخص لكي تعالج أزماتها المتكررة الحدوث. عندئذ تحتاج إلى المزيد: مَهْرَب آخر أو مَهْرَب أكبر.

إن "المَهْرَب المكاني" هو مفهوم نظري جيد بشكل خاص لأنه قادر على تعليل الخواص المميزة لتخطي [الحدود] القومية. أولاً، يمكنه أن يعلل الطريقة التي يُفصل بها الإنتاج إلى مراحل مختلفة، مع حدوث التصميم والتجميع في بلدان مختلفة. إذا أخذنا الحاسوب كمثال، فإن لوحات الدارات يمكن أن تصنع في الماكيلادورات(*) جنوب شرقي آسية، والبرمجيات في وادي السيليكون. يمكنه أيضاً أن يعلل الانتقال في البلدان المتطورة إلى ما تدعى الاقتصادات القائمة على الخدمات، مع تقليص العمالة النواتية وزيادة العمالة المحيطية. ثمة بعض الشك حول التاريخ الأساسي لهذا الانتقال الأخير للبلدان المتطورة من الاقتصادات القائمة على التصنيع إلى الاقتصادات القائمة على قطاع

(*) الماكيلادورا maquiladoras: مصطلح إسباني – مكسيكي يطلق على المصانع أو الشركات المهاجرة التي تقيم في بلد أجنبي وتعمل فيه ثم تصدر إنتاجها بالكامل إلى بلدها الأصلي (المترجم).

الخدمات الذي يحدد هارفي تاريخه بحوالي عام ١٩٧٣ ، أي عندما تخلت الولايات المتحدة عن مقياس الذهب. فقد وضع هذا المقياس في اتفاقية برتن وودز في نهاية الحرب العالمية الثانية. لذلك من الممكن أن نجادل بأن التاريخ الأساسي لأجل فرضيتنا يقع قبل ١٩٧٣ بكثير. بالإضافة إلى ذلك ، فإن الانتقال بين التصنيع وقطاع الخدمات ليس سوى جزء من السيرورة التاريخية. فتخطي [الحدود] القومية وديناميك عولمته/ مَحللته يكونان مشروطين بتواريخ الاستعمار وزوال الاستعمار وما بعد الاستعمار.

إذا كانت مقاربتي لتخطي [الحدود] القومية تقوم على الاقتصاد السياسي الماركسي الجديد المحرّف ، كما سأناقش فيما بعد ، من خلال الدراسات النسوية وما بعد الكولونيالية مثل دراسات غريوال وكابلان (١٩٩٤)، فإن مقاربتي لدراسة العلم التقني تقوم على دراسات العلم الجديد. ثمة رافدان كبيران لدراسة العلم الجديد ، هما المقاربة الاجتماعية- التاريخية المتمركزة أكثر على عمل دونا هاراواي والمقاربة الأنثروبولوجية [الإناسية] المتمركزة أكثر على أعمال برونو لاتور. تنكب المقاربتان على مسائل الاختلاف. فحيثما تعالج دونا الاختلاف يُعنى عملها بالعرق والجنوسة ، بالإضافة إلى الطبقة. مع ذلك ، فإن لاتور أكثر اهتماماً بالاختلاف بوصفه مفهوماً مجرداً ، شبه رياضي ، من اهتمامه ، على سبيل المثال ، بالجنوسة والجنسانية. إن مقاربة هاراواي ولاتور للاختلاف مشتقة بدورها من أعمال جيل دولوز وفيليكس غواتاري.

العنصر الأكثر أصالة ، وفائدة ، في فلسفة دولوز وغواتاري هو تطويرهما للاختلاف "اللاتخصيصي" "non-particularistic". هذا المفهوم هو النقيض للطريقة التي يُفهم بها الاختلاف أحياناً على وجه الخصوص ، في كثير من الاقتصاد السياسي. المثال الجيد على الاختلاف التخصيصي الذي يعارضه دولوز وغواتاري يمكن إيجاده في نص مبكر نسبياً من تأليف ديفيد هارفي (١٩٨٢) يوضح في مقدمته له أنه يعارض الاختلاف بالتعميم والنقلات المجّردة ، المعممّة

الأخرى التي هي جزء من التنظير، كما لو كان الاختلاف ثقلاً موازناً لـ "التصورات المجردة للنظرية. مع ذلك فإن أحدث عمل لهارفي (١٩٩٦) يرفض هذا الموقف، مجادلاً، بدلاً من ذلك، بأن الاختلاف يمكن أن يكون في صميم التنظير. إن كتاب **ألف نجد** Thousand Plateaus هو المجلد الثاني من كتاب **الرأسمالية والانفصام** Capitalisn and schizophrenia، الذي شارك الفيلسوف دولوز والمحلل النفساني غواتاري في كتابة المجلدين منه، كما كتبا دراسات حول بروست وكافكا. - كتب دولوز أيضاً، بشكل مستقل، عدداً من الدراسات الفلسفية حول سبينوزا ونيتشه وبرغسون ومفكرين آخرين؛ مهما كان ذلك يتطلب من القارئ، فإن دولوز في هذه المقالات الفلسفية يظل أقرب إلى الأنماط الفلسفية للمحاججة والمنطق. فالفلسفة، مثل حقول معرفية أخرى كثيرة تمتلك تراثات سائدة، تكريسات لنصوص مهمة بشكل أساسي- مع مدارسها المصاحبة وتراثاتها التابعة المتنافسة. التراثان السائدان هما الفلسفة الأنغلو- اميركية والفلسفة القارية؛ وكل واحدة منهما تتفرع إلى [فلسفات] أخرى؛ هكذا تتضمن الفلسفة القارية على سبيل المثال الفينومينولوجيا، والفلسفتين الكانطية والهيغلية. إن ما يجعل دولوز عويصاً على وجه الخصوص، هو أنه يموقع نفسه خارج كل التراثات الفلسفية الكبرى، بوصفه سبينوزياً. حتى أنه يرى، مع بعض التبرير، أن عمله وأعمال الفلاسفة الآخرين، الذين يكتب حولهم والذين يتأثر بهم، تشكل جماعة قرابة أكثر مما تشكل مدرسة فلسفية: إنها تؤلف حركة أكثر مما تؤلف فرعاً من الثقافة. أو، بمصطحات دولوزية، تكون التراثات الفلسفية مقلمة (مخططة) Striated (أي أنها مُبنينة وثنائوية وموزونة أي، قابلة للقياس) وكتلية Molar (إنها مجاميع totalities ذات شكل ووظيفة). كما تشير إليزابيث غروس فإن الهوية الكتلية بالنسبة لدولوز وغواتاري هي تخصيصية والاختلاف هو عمومي، يساوي، أو يصل إلى، مستوى الاتساق. هكذا، في كتاب **الرأسمالية والانفصام**، على سبيل المثال، يرى دولوز وغواتاري أن النظرية الماركسية الكلاسيكية هي نظرية "كتلية" (حول

مجاميع) وتقوم على الهوية (الطبقة). حتى الآن، فإن الحجة مألوفة وفي الواقع ينطلق دولوز وغواتاري من هذه النقطة، كما يتوقع المرء، إلى نقد الهيغلية، وتأثيرها على الماركسية. إن كثيراً من الانتقادات الحديثة للماركسية الكلاسيكية يركز على تصنيفها الثانوي الخاطئ للجنوسة والجنسانية والعرق. إذ يجادل بأن هذه المفاهيم التحليلية هي، على العموم، خصوصيات "specificities" يغفلها منطق الماركسية الكلاسيكية أو يلغيها. مع ذلك، فإن دولوز وغواتاري لا يعارضان الجنوسة والعرق والجنسانية، بوصفها "خصوصيات"، بالطبقة. إنهما يجادلان، بدلاً من ذلك، بأن الماركسية القائمة على الطبقة هي حول الهوية؛ لذلك فهي تخصيصية. لذلك فالنظريات القائمة على الطبقة لا يمكن معارضتها، من الناحية المنطقية، بنظريات الخصوصية. بدلاً من ذلك، كما يزعمان، ثمة طريقة لمفهمة الاختلاف بوصفه عمومياً – عمومياً بالطريقة التي تحاول بها النظرية الكتلية أن تكون، وتفشل. هذا الاختلاف اللاتخصيصي أو "مستوى الاتساق" ليس متعالياً – إنه ليس خارج العالم. إنه يوجد، أو بشكل أدق، يمكن تحليله، في العالم، في الطبيعة. هكذا، تكون التطبيقات الكتلية – أو تؤلف – هويات: الطبقة، العرق، الجنوسة، الجنسانية. أي، ذواتاً – ذواتاً سايكولوجية (هوية شخصية) وذواتاً سياسية (هوية سياسية). فالهويات السياسية الكتلية تقود الصراع إلى الالتحام السياسي والتشظي. إذاً، ما هو البديل الذي نمتلكه؟ بحسب دولوز وغواتاري، البديل عن التشظي هو الاختلاف ومستوى الاتساق. فالاختلاف ومستوى الاتساق ليسا مجرد مادة لأجل الذوات: إنهما يتعلقان بكلٍ من الذوات والموضوعات ويؤثران فيهما ومن خلالهما. بالنسبة لدولوز وغواتاري، بدلاً من أن تقوم "الذوات" Subjects بإدراك وتحليل الموضوعات" objects، فإن كلاً من الموضوع والذات يدمجان في مشاعر، تشخصات عديمة الذات تؤلف تجمعات جماعية. هذه الفرضية حول كون الذات والموضوع مدمجين، وليسا متضادين، تلتقطها وتطورها

دراسات العلم الجديد. هذه الطريقة الجديدة في التفكير حول الذات والموضوع مفيدة لأجل الدراسات الانثروبولوجية أو الاجتماعية - التاريخية للعلم؛ وإذا كان الباحثون المعنيون يرغبون في استعمال مقاربتهم الانثروبولوجية أو التاريخية في نقد محرض سياسياً، فإن الطريقة الجديدة لإدراك الذات والموضوع تقدم أساساً منهجياً سليماً لأجل السعي.

على كل، بدلاً من كشف المدى الذي تمكن إليه هذه المفاهيم المعاد تكوينها فلسفة علم مختلفة جذرياً، فإن دولوز وغواتاري يبقيان طروحاتهما تلميحية وغير مباشرة. إنهما يتأرجحان بين اللغة والحجج والأمثلة والمزاعم التي يبدو أنها تنتمي إلى فلسفلة التاريخ وبين لغة ومزاعم وأمثلة وحجج تبدو أكثر أنها جزء من فلسفة العلم. هذا التحويل والتوليف للحجج والخطابات هو، كما أسلم جدلاً، محبط للقارئ. لكن، في الوقت نفسه، هذا هو ما يمكن دولوز وغواتاري من صياغة أحد مزاعمهما الأكثر إثارة للاهتمام؛ وهو أنهما قد دشنا نوعاً جديداً من الفلسفة، فلسفة البرانية (الخارجانية). هذا الاقتراح تابعته إليزابيث غروس في عملها الأخير (1995a, 1994). مع ذلك، في الوقت الحالي، يكفي ببساطة أن نتتبع منطق الحجة الكامن وراء الزعم: إن كلاً من فلسفة العلم، و، تحديداً، فلسفة التاريخ هما مصطلحان فينومينولوجيان، "قصديان" بالنسبة إلى الموضوع. إنهما فلسفتا برانية Exteriority، أكثر مما هما فلسفتا جوانية Interiority. هكذا، على حد تعبيرها، يكون دولوز وغواتاري فيلسوفي برانية خلافاً لهيغل الذي يصبح، في هذه القراءة، فيلسوف الدولة، وعلى نحو خاص، فيلسوف الجوانية (الضمير، الفكر).

إن كثيراً من نجود، أو فصول، كتاب **الف نجد** تتخذ موضوع بحثها في العلوم الفيزيائية والبيولوجية والاجتماعية. في كل حالة على حدة، تكون الحجة سياسية. فكل نجد يُستعمل لإنتاج قصدية ظاهراتية أي، على حد تعبير ساندوفال "وعياً تضادياً" (١٩٩١)، نوعاً من "معرفة مُوضَّعة" (Haraway

(1991b, 1997)، أو، بتعبير دولوزي، "الصيرورة الأقلية" minoritarian. كما قلت فإن أسلوب دولوز وغواتاري التلميحي إلى حد كبير، ونزعتهما إلى الانتقال، بدون إنذار، من حقل دراسة إلى أخر، يجعل من الصعب تماماً تتبع مسار الحجة في كل نجد على حدة، أو فصل المزاعم السياسية، التاريخية، عن التوكيدات الحقيقية حول الحقائق العلمية والسيروات البيولوجية والجيولوجية. أي، يمكن للمرء أن يسلم بأن المعرفة العلمية يتم إنتاجها تاريخياً بوصفها، كما سماها فوكو، "سلطة/ معرفة"، لكن على المرء مع ذلك أن يظل متأنياً، ويميز مدى زعمه. هل هو زعم حول إنتاج المعرفة العلمية، زعم حول إنتاج المعرفة التاريخية؛ أم زعم حول إنتاج كلي النوعين من المعرفة؟ في الحالة الأخيرة يجب على المرء أيضاً أن يقرر ما إذا كان سيجادل بأن نوعي المعرفة مقيدان معاً سواء أونطولوجياً (وجودياً) أم ابستمولوجياً (معرفياً) أم أنهما ببساطة مرتبطان تفسيرياً في حجته. تستقصي غروس (١٩٩٤) بعض المزاعم العلمية لدولوز وغواتاري باستفاضة. فهي تبين أن "علم الأقليات" أو البحث الهامشي ليس مختلفاً من الناحية الابستمولوجية عن العمل السائد. مهما يكن حقل دراسة المرء، مهما يكن موضوع تحليله، فإن المعرفة التي ينتجها تكون مُمَوْضَعَة Situated أكثر مما هي "عائمة أو موضوعية". وهذا، كما يقر دولوز وغواتاري، وكما تؤكد دراسات العلم الجديد، هو ما يفعله العلماء الاجتماعيون والطبيعيون الجيدون في الممارسة، بالإضافة إلى ما يجادل به الكثيرون منهم بوصفه نظرية. فالمعرفات المموضَعة أو الصيرورات الأقليوية ليست في تضاد مع التعميم.

بالنسبة إلى دولوز وغواتاري، كما شرحت، فإن الاختلاف يتعمم. مع ذلك، فهو يفعل ذلك ليس بتكرار هويته بأعداد لا نهائية من المرات بل بالتقدم إلى مستوى الاتساق. تنتمي الحجج المفصلة التي تؤمن الأساس لفكرة الاختلاف اللاتخصيصي، المتعمم، إلى حقل فلسفي آخر مع ذلك: حقل يُعنى باللغة والفعل. مثل جوديث بتلر (١٩٩٠، ١٩٩٣) التي يشبه مفهومها للمعيارية/

الانحراف إلى حد كبير استعمال دولوز وغواتاري التقني الغريب لمصطلح "الأقلية"، فإن دولوز وغواتاري يعتمدان على نظرية الأدائية. إذ يستعملان كلمة "أكثرية" بمعنى تقني، لا عددي؛ فالأكثرية، بالنسبة لهما، هي هوية، "وضع أو مقياس" "يشذ" عنه الآخرون (Deleuze and Guattari 1987: 291-292). إن بتلر تشتق مفهومها لـ "أدائي" من فيلسوف اللغة، ج. ل. اوستن (١٩٥٥)، الذي جادل بأن "فعل الكلام" هو جانب حاسم ومهمل من اللغة. يعتمد دولوز أيضاً على اوستن، مقيماً ارتباطات غير متوقعة بين عمله وعمل فيلسوف أقدم بكثير، هو سبينوزا من القرن السابع عشر. إذ يجادل دولوز بأن فلسفتي اللغة المعاصرتين الأكثر نفوذاً، اللتان تحلل الأولى منهما اللغة بوصفها "معلومات" وتناقشها الثانية بلغة "الصلة" أو الذاتية البينية، هما خاطئتان. فاللغة ينبغي، بدلاً من ذلك، أن تفهم في ضوء "التعبير" expression، وينبغي فهم "التعبير" بوصفه فعل كلام، أداء. بدلاً من الوجود المسبق المطمئن، خارج التعبير، يكون التعبير أداء، وأداء، مثل تحليل جيجيك Zizek للأداءات الارتجاعية (١٩٩٣)، يمكنه أن ينتج ما يبدو أنه يمثل. يجادل جيجيك بأن السيرورة التي يدعوها اللاكانيون الفقدان Lack هي سيرورة تكوينية بشكل ارتجاعي؛ فالطفل الصغير جداً يبدأ بتكوين إحساس بذاته بوصفه شخصاً، ذاتاً، مستقلاً عن أمه أو مربيته الأساسية، وهذا الفعل يشكل على نحو ارتجاعي وحدة تخيلية ماضية مع الأم، مفقودة الآن. هذا فقدان. فالشيء الذي يخسره الفقدان هو الواقع: ذاك الذي يؤلم، الذي لم يمتلكه المرء أبداً، الذي لا يوجد إلا في الماضي، الذي يشكله المرء بشكل ارتجاعي بنفسه، بفقده له. إن ما يجعل عمل جيجيك أصيلاً للغاية، ومؤثراً للغاية، هو أنه يستعمل تبصره في اللاكانية ليحلل محبوبات ومفقودات المرء الأكثر إيلاماً؛ إذ يبين كيف يصبح الفقدان هو الأساس ليس فقط للحب بل للكره؛ للنزعة القومية والكراهية الاثنية، بشكل خاص.

إن المجلد الثاني من كتاب دولوز وغواتاري **الرأسمالية والانفصام**، الذي

هو شغلي الأساسي هنا، يعالج التكوين الارتجاعي لكنه لا ينكب على الفقدان بحد ذاته، الذي تتم معالجته في المجلد الأول. إن دولوز وغواتاري تقلقهما إلى حد كبير المعاني الضمنية والنتائج المترتبة على الطريقة التي نفصل ونعارض بها العقل والجسد. وإذ يركز المجلد الأول من **الرأسمالية والانفصام** على العقل، فينكب [على دراسة] الهيغلية وتأثيرها على الماركسية، فإن المجلد الثاني، الذي هو موضوع اهتمامي في هذا الفصل، يركز على الجسد، منكباً على [دراسة] الخطابات والتطبيقات العلمية والتاريخية. إن دولوز متأثر تأثراً كبيراً بسبينوزا (١٩٥٥) الذي طلع بحل مدهش لمشكلة العقل والجسد: ثمة جوهر واحد، لا نهائي وأحادي، له نمطان من التعبير، هما الامتداد والفكر. وكما إن سبينوزا قد آمن بالفضاء التام، فإن الامتداد extension أيضاً يعني ما يتم مده: المادة. لا يوجد انفصام [إلى] عقل - جسد، لأنهما نمطان مختلفان للجوهر نفسه. فالامتداد والفكر، بمعنى ما، يكونان كلاً واحداً (بحيث أن سبينوزا يشرف على نوع من مذهب وحدة الوجود) إنهما أيضاً متعددان، ذوي عدد لانهاية له من الخاصيات، كل مخلوق هو نمط من هذه الخاصيات أو شكل معدل من الجوهر. إن فهم دولوز للأدائية مأخوذ من مفهوم أساسي لسبينوزا، هو مفهوم "affectio": التأثرات أو الآثار. كما يشرح دولوز في كتابه **سبينوزا: الفلسفة التطبيقية** Spinoza: practical philosophy (1988b). فإن "الآثار" effects هي، أولاً، أنماط الجوهر أو خواصه. إنها تكتسي مستوى ثانياً من ثم، أو يمكن اعتبارها في مستوى ثان- " كذلك الذي يحدث للنمط، تعديلات النمط، آثار الأنماط الأخرى عليه" وثالثاً، يعني "الأثر" "حالات"، "تحولات"، "درجات الكمال": الانتقالات من حالة واحدة، صورة واحدة، أو فكرة واحدة إلى أخرى. المعنى الانكليزي العادي لكلمة affect (الانفعال emotion) مختلف جداً عن استعمال دولوز (أو سبينوزا). فدولوز لا يكتب حول الجوانية (الباطنية) على الإطلاق. يجادل بريان ماسومي (١٩٩٢) بأن "affect"، كما يستعمل

المصطلح في كتاب دولوز، هو قدرة (الجسد) على التأثير والتأثر على الفعل والإدراك" (Massumi 1992:100): الأقرب، كما أرى، إلى المعنى الثاني للتأثر الذي يعرفه دولوز لدى سبينوزا. هذا المعنى الثاني لـ affectio، في عمل سبينوزا، هو الذي يستند عليه دولوز لأجل نظريته الأدائية في اللغة. المعنى الثالث يصبح منزوع الموطن في عمل دولوز، منتقلاً إلى الحقول الرياضية، بوصفها "درجات من الحرية"، وإلى الحقول الفيزيائية والموسيقية، كالتردد "والرنين"، المفاهيم التي تقوم عليها دراسات العلم الجديد. هذه المقاربة السبنوزية للتنظير هي أيضاً السياق الذي طور منه دولوز فهمه للتجمعات أو "الآلات المجردة".

يجادل دولوز بأن السيرورات تتجه إلى "مستوى الاتساق "إلى" جسد بلا أعضاء"، عن طريق الرسوم البيانية (التجريدات، بالمصطلحات الفينومينولوجية)، والآلات المجردة. إن مفهوم دولوز للآلة المجردة يتم التوصل إليه عن طريق نقد مفهوم المتعضي، والمفهوم المرتبط به، "عضو": بالنسبة لدولوز، يستعمل "المتعضي"، كمفهوم، للتنظير للجسد بوصفه وحدة كاملة. فالعضو، بالشكل نفسه جزء متميز، تتكون منه المتعضيات. هذه مفاهيم بيولوجية قديمة نوعاً ما، كما يشير دولوز؛ وكما جادلت دونا هاراواي بتفصيل أكبر، فإن العلماء المعاصرين أكثر ميلاً إلى تحليل الإواليات الاتزانية الجسدية homeostatic mechanisms من [ميلهم إلى تحليل] الأعضاء، وأميل إلى جماعات الأفراد من المتعضيات. يستعمل دولوز مصطلح الآلة كابتعاد عن هذه الدلالات العضوانية. فالآلة، بالنسبة لدولوز، ليست مجرد شيئ لا عضوي. إنه يستعمل المصطلح بمعنى غير مألوف: بالنسبة لدولوز "الآلة" هي تجمع من الكيانات المتغايرة: "آلة الحرب البدوية"، على سبيل المثال. تطلق هاراواي، والباحثون المتأثرون بها، على هذه الكيانات اسم سايبورغات cyborgs [متعضيات سايبرية]: على سبيل المثال، طيار ذو شاشة مركبة على رأسه، أو باحث نسوي تقني.

ثمة بضعة اختلافات بين الآلات الدولوزية والسايبورغات الهاراوائية، فالآلة الدولوزية هي **جماعية** مصنوعة من كيانات عديدة؛ تكون الكيانات المنفصلة من فئات مختلفة وتبني، بالتفاعل، طريقة جديدة للكينونة والتفكير. المثال عليها هو آلة الحرب البدوية": فالخيول، الخيام، البشر، مجتمعين يشكلون تهديداً للحضارة التوطنية؛ [تهديداً] للاستقرار الاجتماعي ويفسدون المحترمية. المثال المعاصر، بالنسبة لهم، هو رحالة العصر الجديد: يجري تصورهم كتهديد من قبل حماة الاستقرار الاجتماعي إذ إنهم يعيشون في عرباتهم، بدلاً من استعمالها كوسائل للنقل. يتعاطف دولوز وغواتاري، سياسياً، مع الفوضوية anarchism، ويقللان من أهمية قيود المشتركات Gemeinschafts. برفضها للمجتمعات الهرمية (المراتبية) Gesellschafts. بالنسبة لهاراواي، بالمقابل، يعني عبور الحدود الذي يجعل الفرد سايبورغاً [متعضياً سايبرياً] أن هويتها "متعددة"، أي، غير أحادية.

بالنسبة لستون (١٩٩٥)، فإن الشابكة [الانترنت] هي مكان مفيد بشكل خاص لاستكشاف تعددية الهوية. فبالنقر على لوحة المفاتيح، يتفاعل المرء مع شخص آخر يقوم بالنقر على لوحة المفاتيح. بما أنهما لا يلتقيان وجهاً لوجه، فيمكن لأي منهما أن يدعي، أن ينتحل أية "هوية"، أو يمكنه أن يستكشف هويته أو هويتها الخاصة بطرق جديدة. بالنسبة لستون، يصبح الفضاء السايبري مناسبة لتشكيل الذات، وحالة من الأدائية التي تكون دوماً في صميم الهوية. إن اللعب في الفضاء السايبري يمكن أن تكون له نتائج حقيقية. فالفضاء السايبري الذي ينتجه علماء الحاسوب ويجعل متاحاً لأجل عملاء آخرين عبر الشابكة، وبوساطة الأدوات السيبرنتية، التي تكاد تصبح في استعمالنا ذوات أعضاء إضافية، هو الوسط لأجل الأفعال الافتراضية وأفعال الكلام الافتراضية. استعمل دولوز كلمة " افتراضي" لتسمية المظاهر "اللاواعية" من اللغة، الأعشار التسعة من جبل الجليد العائم؛ فالعبارات "المفعلنة" actualised التي ننطقها هي

الجزء العاشر، فوق خط سطح الماء. لقد استعمل دولوز هذا المجاز ليوحي بأننا نقيد أنفسنا بتقسيم الحالات الانطولوجية إلى [حالات] ممكنة و[حالات] فعلية. فالافتراضي والفعلي من الممكن أن يكونا مفهومين أفضل. إن ستون تقتلع أسئلة دولوز حول الوجود والقوة من موطنها ناقلة إياها إلى حقل علمي جديد، هو تقانة المعلومات. بذلك، تكون قادرة على المجادلة بأن افتراضية الفعل والكيانات، في الشابكة، ليست سوى حالة قصوى من الأدائية.

تعتمد ستون على جانب من عمل دولوز وغواتاري، نظرية الأداء، والتعبير والتأثير، المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسجالات الراهنة في النظرية ما بعد البنيوية والفلسفة القارية (٢). مع ذلك لا يركز برونو لا تور ودونا هاراواي على المعاني الضمنية لطروحاتهما بالنسبة للفلسفة القارية أكثر مما يركزان على تطوير الجوانب من طروحات دولوز وغواتاري التي تمضي أبعد في اتجاه إعادة صياغة، أو في بعض النواحي، إعادة تأسيس، لدراسة العلم. لهذا السبب تعرف المقاربتان مجتمعتين بأنهما دراسات العلم الجديد. كلتاهما تركزان على أسئلة الاختلاف. فكل واحدة منهما تجادل، على غرار دولوز وغواتاراي، بأن الاختلاف ليس هو الخصوصي ذاته. إذ يطور لا تور حجة مضادة للحدس إنما مثمرة جداً حول إلى أية درجة لم يفشل مشروع التنوير والحداثة بالنظر إلى أنهما لم يدشنا بشكل صحيح. تعول هاراواي على حجج دولوز وغواتاري حول الأداء والأدائية، مستعملة إياها بوصفها الأساس لطريقة جديدة جذرياً لفهم العلم التقني والتطبيق التقني العلمي بلغة الفعل. إنها تتجاوز عملها السابق حول السايبورغات النسوية، وبدلاً من مجرد التركيز على هجائن الآلة - الإنسان العابرة للحدود، تتطلع إلى مجال أوسع بكثير من "الفاعلين البشريين واللابشريين".

لقد جادل كل من دونا هاراواي وبرونو لاتور، بالكلام عن عهدين حدث فيهما انتقال بين تشكيلين اقتصاديين وثقافيين مختلفين- أي القرن السابع عشر وعصرنا الحالي- بأنه كان ثمة تناقض مثير وهام بين ما يقال وبين ما يفعل.

في القرن السابع عشر، كما جادل كثير من مؤرخي العلم الحديثين، كان ثمة الكثير من البلاغة حول فصل العلم والسياسة. فالثورة العلمية، كما كان يجادل، قد حققت، أو ينبغي أن تحقق، هذا الفصل. إن العلم، ولاحقاً، العلم الاجتماعي، سيكون خالياً من القيمة ويمكن فصل الجزء السياسي من علم السياسة عن الجزء العلمي من علم السياسة. وهذا الأخير صار يعرف أخيراً بالإدارة أو السياسة الاجتماعية. وكما يجادل هلراواي ولاتور، فإن هذا من الممكن أن يكون ما قاله الناس، لكنه بالتأكيد لم يكن ما فعلوه. بدلاً من هذه الانفصالات، كانت الهجائن هي التي تم إنتاجها بشكل فعلي. إن الهجائن التي يدرسانها متنوعة– موضوعات هجينة، ذوات هجينة وخطابات هجينة. تتضمن فصول دراسات العلم الجديد المؤثرة، على سبيل المثال، كتاب **اللوياثان ومضخة الهواء** Leviathan and Airpump من تأليف شابين Shapin وشافر Schaffer، وكتاب **حياة المخابر** Laboratory Life من تأليف لاتور Latur وولغار Woolgar وكتاب **رؤى الرئيسات** Primate visions من تألف هاراواي و، كما إناقش في هذا الفصل، كتاب **شهادة متواضعة في الألفية الجديدة** @ modest - witness new milleniun. وتحت الخطاب الهجين ينبغي أيضاً أن ندرج المصطلحات العابرة للحدود للكثير من ما بعد البنيوية وما بعد الحداثوية. مع ذلك، فإن بعض الانتقادات الأكثر إزعاجاً للتفكيك وما بعد البنيوية وما بعد الحداثوية موجَّه إلى المعاني الضمنية السياسية للنزعة المضادة للإنسانية أو، بشكل عام، الطروحات المضادة للتنوير. لقد اعترض نقاد كثيرون بانه، مهما تكن قوة تفكيك بعينه لمفهوم أو نص تنويري فردي، فثمة مع ذلك الكثير مما هو مفيد، لأجل الناس المحرضين سياسياً – والباحثين – في النزعة الإنسانية والتنوير. هكذا هي أهمية طروحة هاراواي ولاتور. ولذلك فهما يجادلان بأننا، بدلاً من أن نكون ما بعد حديثيين بطريقة ليوتارية أو بودليرية – يتعين علينا أن نرفض هذا الجيد كما كان يرمز إليه التنوير، بالتوازي مع السيء – يمكننا أن نكون لا حديثيين.

يمكننا أن نجادل بأن الحداثة التي كانت مطلوبة لم تحدث في الواقع أبداً، ولم تصل في الواقع.

هكذا يجادل لاتور (١٩٩٣، ١٩٨٧)، على سبيل المثال، بأنه في حين أن الحداثة وما بعد الحداثة قد أقامتا تضادات بين المادي والسيميائي (على سبيل المثال، العلم في مقابل السياسة، التاريخ في مقابل الايديولوجيا، والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية في مقابل الإنسانيات) وأوجدتا أعداداً كبيرة من الخطابات الهجينة والذوات والتشكيلات السيبورغية، فإننا في الحقيقة لم نكن حديثيين أبداً. فالتضاد بين المادي والسيميائي، بين العلم والسياسة، يُعرّف الحداثة. ومع ذلك، بما أن الهجائن هي التي يتم إنتاجها، في السيرورة، وليست الخطابات والكيانات المفصولة، فإن الحداثة، بطريقة ما، لم تحصل بعد. فالحداثة قد أوجدت "العلم" و"التقدم" ومع ذلك لم تكن حديثة بعد. لهذا السبب يستنتج لاتور أن دراسات العلم الشاملة سيكون عليها أن تسمي نفسها "لا حديثة"، بدلاً من "حديثة" أو ما بعد حديثة".

تمضي دونا هاراواي في هذا الزعم إلى مدى أبعد، مطورة أطروحة تاريخية أكثر تفصيلاً. فهي تدخل أيضاً الأسئلة حول العرق والجنوسة والجنسانية التي يتجاهلها لاتور. (يناقش كل من لاتور وهاراواي الطبقة رغم، كما أجادل في خاتمة مقالتي، أن كلاً منهما على حدة يبتعد عن المصطلحات المألوفة للاقتصاد السياسي). إن الخطابات، كما تشرح هاراواي (١٩٧٧)، "ليست مجرد "كلمات"؛ إنها ممارسات مادية- سيميائية يتم من خلالها تكوين موضوعات الاهتمام والذوات العارفة (Haraway 1997:218). إن للشكل الطباعي لهذه العبارة، "مادية- سيميائية"، دلالة: شحطة، وليس خطاً مائلاً؛ ارتباط، بدلاً من تضاد ثنائي. بدلاً من التضاد "الحديث"، العلمي بين الذات والموضوع - بين المعنى، المغزى، من ناحية أولى، والتاريخ والموضوعية والقياسية والشمولية،

من ناحية أخرى– تعتمد هاراواي على دولوز وغواتاري وتعيد تقديم الموضوع والذات actant الفاعل مربوطين معاً ومحولين في تطبيقات مادية– سيميائية.

تنتقل هاراواي من هذه النقاط العامة حول الحداثة إلى زعم محدد حول التنوير. إذ ترى أن [عصر] التنوير والثورة العلمية كانا أقل فعالية في إنهاء السرديات الدينية المسيطرة مما تؤكد السرديات المألوفة للتقدم والعلم. فالمادي – الاحتمال التاريخي– قد شكل ما يبدو الأكثر سيميائية – والأكثر قابلية للتعميم – في العلم والتكنولوجيا. إن السيميائي، على سبيل المثال، المجازات اليهودية المسيحية، الألفية الثانية لعنوان البريد الالكتروني لها راواي– قد كان جزءاً غير قابل للاختزال من العلم الحديث. إن الدراسات الانتروبولوجية للمختبرات العلمية، والتواريخ الاجتماعية للعلم والتكنولوجيا وكلاهما رافدان كبيران في دراسات العلم الجديد، تفعل أكثر من مجرد تقديم سياق تاريخي لأجل الحقائق، تعتمد مشروعيتها الابستولوجية على قابلية الانفصال عن ذلك السياق التاريخي. بدلاً من ذلك، تزعم هاراواي، على غرار ساندرا هاردينغ (١٩٩٢)، إن المزاعم الابستمولوجية للعلم (مشروعة، براغمائية وفي بعض الأحيان حتى مزاعم حياة أو موت)، تستند على "المعارف المموضَعَة" و"الموضوعية القوية".

إن ما يتفاعل في الممارسات المادية – السيميائية" ليس "الذات" و"الموضوع" بل" خيطان دبقان يمكن فسخهما من قبل الناقد والمؤرخ لإظهار البنيان المتنافر والمتواصل من خلال التطبيق المحدد الموقع تاريخياً، حيث الفاعلون ليسوا كلهم بشراً" (1997:68Haraway). "فالذات" و"الموضوع" هما ما درجت العادة على تسميتهما تشيؤات/ تشييئات reifications، لكن ما تطلق عليه هاراواي الآن، في طروحتها الأكثر صلة بالتحليل النفسي حتى تاريخه، اسم فتيشات [أصنام] "fetishes، نماذج. " تحجب الطبيعة المجازية المكونة لذاتها وللعوالم" (1997:136Haraway).

تعتمد هاراواي على عمل فيلسوف تاريخ أميركي شديد النفوذ ومتخصص في أوائل العصر الحديث، هو هايدن وايت. يجادل وايت بأننا، كمؤرخين، بحاجة إلى أن نولي الاهتمام إلى المجازات tropes – صور الكلام. فقد قال الناقد الأدبي الأميركي كينيث بورك إنه توجد أربعة مجازات هي: الاستعارة metaphor، الكناية metonymy، المجاز الحر [المرسل] synecdochy، التهكم irony. فالاستعارات تستعمل لإطلاق المزاعم حول الهوية (حبيبي وردة، الأميركان براغماتيون)، والكناية لها صلة بعلاقات الجزء بالجزء (منطق المثال، أسماء العلاقات التجارية المستعملة كمصطلحات عمومية، إلخ)، أما المجاز المرسل فيصور علاقة الجزء بالكل، والتهكم هو أسلوب لاستعمال اللغة بطريقة تسلط الضوء على المعاني الأكثر اختلافاً عن المعنى الحرفي. إن الحداثة تجعل الذات والموضوع يبدوان شيئين في حد ذاتهما، لا مجازيين، لا رمزيين، ذاتيي التماهي. إنها في الواقع تتخذ التشييء لمفهمة شيئاً ما بوصفه موضوعاً.

هكذا، بدلاً من ذلك، يمكننا أن نستفيد من نموذج مجازي، [ونعيد] مفهمة "موضوع" بوصفه فاعلاً لا بشرياً. فبدلاً من عالم (ذات) يدرس موضوعاً (فيروساً)، فإن عالماً (فاعلاً بشرياً) يدرس فيروساً (فاعلاً لا بشرياً). لماذا يهم ذلك؟ أي فعل تستعمل لوصف أفعال الفيروس؟ هل "يغزو" الفيروس الجسم، أم أن مجازاً آخر سيكون أفضل؟ إذا كان الفيروس "يغزو"، يكون الفيروس مثل أي جندي عدو أو حتى أسوأ، مثل "العدو" المتخفي في الداخل. يؤثر المجاز على كيف يتم إدراك الفيروسات والبشر ذوي الفيروسات، [الإدراك] الذي يؤثر على التمويل الذي يؤثر على إنتاج المعرفة أو، بنقل التركيز في مثالنا، إن الشخص "المغزو" من قبل فيروس هو ضحية؛ أما الشخص "ذو فيروس" فهو مجرد شخص ذي فيروس. التضاد هو بين كونه "ضحية" للأيدز من ناحية أولى وبين كونه شخصاً يعيش مع للأيدز (PWA) من ناحية أخرى.

سنركز أيضاً على "الممارسات" practices . فبدلاً من المجادلة بأن العلم " يكتشف" المعرفة مثل" أرض مكتشفة حديثاً"، وغالباً ما ننظر لهذه السيروة بوساطة المجازات الجنسية والعرقية والدينية، سنجادل بأن الفاعلين البشريين واللابشريين ينخرطون في ممارسات مادية - سيميائية، قابلة للتنظير بلغة الموضوعية الشديدة والمعارف الموضّعة. سيكون تحليلنا براغمائياً ومادياً، وسوف يحترم امتلاك الحقل العلمي للمعنى: العلم الجيد والعلم الرديء. قد يبدو مضاداً للحدس أن نفكر بالمضخة الهوائية لبويل Boyle أو بمسرع جسيمات (أو بفأر متورم oncomouse، أي، فأر ذي مورثات [جينات] سرطان الثدي البشري (Haraway 1997)، أو بعدة وسم الـ DNA بوصفها فاعلاً أو مفعّلا actant، لكنه يبرهن أنه مفيداً جداً. إنه يعني أن ممارسي دراسات العلم الجديد يمكنهم أن يدافعوا عن موقف لا نسبوي، مطلقين مزاعم ابستمولوجية وأخلاقية قوية. مثل منظري الشذوذ queer الذين يعتمدون على فوكو تكون هاراواي قادرة على ربط الحجج حول القوة agency، والحجج حول الخطاب معاً. حتى، كما يجادل هالبرين، إذا كان الزعم (٣) بأن موقفاً فوكوياً صارماً يخلق مشاكل لأجل القوة زعما مبالغاً فيه، مع ذلك يبقى من المفيد أن نجد حججاً حول القوة، وحججاً حول الخطاب، مجموعة مندمجة بهذه الطريقة الكاملة.

يبدأ كتاب هاراواي بفصل أول غير عادي حول "الشهادة المتواضعة" لروبرت بويل. إنها تحلل بشكل بارع الطريقة التي استخدم بها هذا المجاز، في حينه، لتصوير وبالتالي لتمكين مبرر إقامة نظام اجتماعي طبقي، عرقي مجنوس حديث على مجموعة من المفاهيم التي أصبحت معروفة، ومقيمة، بوصفها "العقلانية العلمية". ثم تستعمل هاراواي هذه الحجة كأساس لأجل عدد من الدراسات المفصلة الاجتماعية والسياسية الصريحة للعلم التقني المعاصر. إنها تعتمد بشكل واضح على التضادات الدولوزية، "الآلات"، وتستفيض:

«الطبيعة والمجتمع. الحيوان والإنسان. الآلة والمتعضي: ـ المصطلحان ينطوي كل واحد منهما على الآخر (Haraway1997:120) إواليات التشغيل، تدعى الذرائع). كيف تتعامل الممارسات مع الحقول السيميائية الممداة materialised التي هي أجسام تقنو علمية؟»

(Haraway1997:121).

تمتلك هاراواي الخيار في الطرق التي تتبع بها دولوز وغواتاري. إذ يمكنها أن تشدد على جانب واحد من عملهما، وأن تقتفي المصطلحات المنهارة أكثر فأكثر، إلى "صيرورات" و"اختلاف" خالص، مجرد. أو، من ناحية أخرى، يمكنها أن تربط تحليلاتها للعلم التقني بنظرية السياقات (٤) وبالنظرية الأدائية التي تطرق إليها دولوز وغواتاري في كتابهما **ألف نَجد**. إن كتاب **شهادة متواضعة** يتبنى الخيار الثاني. ففي فصلها الذي يدور حول بويل، تبني هاراواي على كتاب **اللوياثان ومضخة الهواء** والمقالات النسوية الأحدث عهداً حول بويل، مطورة نظرية الفاعلين الذين ليسوا جميعاً بشريين. إنها تشدد على القضايا الاكثر حسماً بالنسبة للفاعلين البشريين: التضادات بين العمومي والخصوصي، والعلم والسياسة أو الايديولوجيا. إنها تركز على القضايا الابستمولوجية الأكثر ارتباطاً بتفاعلات الفاعلين البشريين واللابشريين: الموضوعية القوية والعلم التقني الديمقراطي. وهكذا تركز على الاختلاف، وليس على الصيرورات. تعاطفاً مع انتقادات غروس وبرايدوتي لدولوز وغواتاري تولي عناية كبيرة لتجنب النوع من الحجج حول الاختلاف المجرد، الخالص الذي دفع إليه دولوز وغواتاري بفعل حشدهما لمفاهيم مثل"الصيرورة إمراة" و"الصيرورة حيواناً".

مع ذلك، فإن التركيز على الفاعلين actors والمفعلين actants، يرتبط بشيء أمريكي على نحو يثير الفضول – هو إنتاج الأساطير. فكل فصل هو تحليل مفصل ذو أساس تاريخي، لموضوع "مادي–سيميائي، وتقديم لأسطورة

-سردية تضفي القدرة أو تجرد من القدرة حول شخصية نموذجية (قدوية). بعض الشخصيات هم مفعلون بشريون، يتراوحون من العلماء المشهورين إلى شتى مهنيي الكتيبات الدليلية. البعض منهم مفعلون غير بشريين، يتراوحون من الفئران الورمية - فئران ذات جينات سرطان الثدي البشري- إلى عدة وسم الـ DAN. إذا كان وايت محقاً- وأظن أنه كذلك- حول السردي والخطابي في التاريخ عندئذ يكون إنتاج الأسطورة لدى هاراواي هو مجرد طريقة لسرد قصص مختلفة- تواريخ أقليات - من القرن السابع عشر والحاضر. إنها تحاول أن تنتج أنسابية genealogy بديلة لأجل الحاضر، لكي تنجز مستقبلاً أكثر عدلاً. إن رفض هاراواي للمجاز المرسل - للتعميم الزائف، الإدراج والأقنمة hypostatisation للبنية آحادية الكتلة - يقودها إلى تبني مقاربة كنائية، هي "إنتاج الإسطورة". مع ذلك لست مقتنعة بأن إنتاج الأسطورة هو الجواب الصحيح. صحيح أنه إذا كان البديلان الوحيدان هما المجاز المرسل والكناية، وعندئذ إذا رفضنا المجاز المرسل (الطبعات الإدراجية من الماركسية الجديدة أو النسوية) فيجب أن نختار الكناية (إحدى الأساطير الكثيرة، ليست أية واحدة منها سرديات كبرى master narratives. لكن حتى لو كان بورك على حق في أنه توجد أربعة مجازات TROPES، وكان وايت على حق في أهمية هذه المجازات بالنسبة للتحليل التاريخي وحتى لو كان الإدراج هو شكل من المجاز المرسل وكان إنتاج الأسطورة هو شكل من الكناية، فإن عبارة "يجب أن نختار إنتاج الأسطورة"، إذا رفضنا "الإدراج" ليست الاستنتاج الصحيح الوحيد. إذ تنهار التوازيات. إذا لم تكن الثقافة واحدية، فلسنا مقيدين باختيارين فقط: إما سردية كبرى أو الأسطورة. إننا نمتلك بديلاً ثالثاً.

كما جادل غروال وكابلان، فإن التضاد الثنائي بين العام والخاص ليس بالضرورة هو الطريقة الأجدى لمقاربة مشاكل التنظير. بدلاً من ذلك فإن مفاهيم مثل المعرفة المموضعة و"الهيمنات المبعثرة" يمكن أن تكون مثمرة أكثر. بناء

على أبادواري Appadurai وهانرتس Hannerz، يجادلان بأن المنظرين الذين يحللون "التدفقات الثقافية" يكونون في الغالب محددين بالطريقة التي يعولون بها أيضاً على مفاهيم المجانسة الثقافية. بدلاً من ذلك، يقترحان أننا، مثل هانرتس، ينبغي بأن نقر بأن معظم الثقافات هي "مكريلة (مهجنة) creolised، وليست متجانسة. كما يوحي مفهوم غروال "الهيمنات المبعثرة"، يمكننا أن نمتلك من الخيارات أكثر من مجرد المجاز المرسل والكناية". بنقل الأرض من ما بعد الحداثوية إلى ما بعد الحداثة، يمكننا أن نحلل التدفقات الثقافية "العابرة للقوميات والنظرية المرتحلة traveling theory بدون أن يكون علينا أن نفرض ثقافة واحدية، أحادية أو خطاباً ايديولوجياً واحدياً، أحادياً (المجاز المرسل كل الجزء إلى الكل)، في حين نتجنب، في الوقت نفسه، منطق الأمثلة الكنائية بشكل زائد لدراسات الحالات المعزولة.

تخشى هاراواي من أننا لا نملك سوى بديلين: الكنائي، نصوص دراسات الحالة، أو المجازي المرسل، النصوص الإدراجية. مع ذلك، إذا حذونا حذو غريوال وكابلان، وهانرتس، ومفهمنا الثقافة بوصفها لا أحادية ومكريلة (مهجنة)، فإننا نملك بديلاً ثالثاً عن الإمكانيتين اللتان تدرسهما هاراواي. إن تشكل الثقافة هو، في الواقع، شبيه بالطريقة التي تتفاعل بها لغتان لكي تنتجا كريولاً (لغة هجينة). المجاز مفيد: يمكن أن يساعدنا على مفهمة الطريقة التي يتفاعل بها العلم التقني وتخطي الحدود القومية. يمكننا مجاز " الكريول" لهانرتس من التعرف على ما هو موضع رهان. أولاً، إن الثقافة ليست واحدية و، ثانياً، وحتى بشكل أهم، ليس للثقافات عموماً أصول واحدة. مع ذلك فإن المجاز لا يفعل شيئاً سوى أن يبعدنا. الثقافة ليست لغة. إنها، أو مكونة من، ممارسات مادية – سيميائية: المادي والسيميائي يتضافران ولا يمكن فصلهما نهائياً.

هكذا، إذا أبقينا هذين الخطابين الماديين – السيميائين، تخطي الحدود القومية والعلم التقني، في الذهن، فيمكننا أن نبدأ برؤية كيف يمكن، على

سبيل المثال، تحليل إنهيار بنك بارينغر، أو الاضطراب في النظام المالي الياباني. في الحالتين، نحن نتعامل مع الديناميك العابر للقوميات المحلي العالمي المعقد، المتفاعل مع العلم التقني. سيتعين على التحليل أن يتعاطى بكل من المادي والسيميائي: التكنولوجيا التي تمكن من المتاجرة بالمشتقات، والاعتماد المتبادل [الترابط] لمختلف أسواق البورصة وسيرورات الإنتاج المستخدمة في مصانع "النمور الصغيرة" والمصانع اليابانية، و(هالة) "الخبرة" التي تجعل المراقبة، والمحاسبة العامة، نادرتين للغاية.

من أجل مثال مقارن، يركز على التمكين التقني العلمي بدلاً من التركيز على الاستبعاد، دعونا ننظر إلى الأسباب وراء الاختيار العريض للصحف المحلية البديلة، والسائدة في سان فرانسيسكو. وسط هذه المأساة، عن طريق الأفعال المتخذة رداً على المأساة، فإن رد مجتمع الشاذين على الايدز قد أنتج تمكيناً تقنياً علمياً على نطاق المجتمع يتفاعل مع التغيرات وينتجها في اقتصاد عابر للقوميات. أدى وجود العدد الكبير من الناس الناشطين سياسياً المثقفين علمياً الذين يعيشون مع الإيدز إلى وضع تمتلك فيه صحف الشاذين وصحف سان فرانسيسكو المحلية الأخرى التغطية الأكثر عصرية وتعقيداً للمعالجة والأبحاث، بدافع من طلب القراء. تقدم الصحف والوسائل الأخرى مصدراً جيداً للمعلومات، وتبقي الناس على إطلاع، ومستعدين لطلب آخر العلاجات ومتلهفين للانضمام إلى الجماعات الناشطة.

من الواضح بشكل خاص، بإعطاء هذه الأمثلة، أن المجتمع المعاصر من الأفضل تحليله بلغة الأداء والسياقات. يمكن فتح سبل بحث جديدة كثيرة، إذ يمكن القيام باستقصاءات جديدة كثيرة لتفاعلات العلم التقني وتخطي الحدود القومية، والعرق، والجنوسة، والجنسانية بناء على هذا النموذج الإرشادي، الممارسات "المادية – السيميائية": تفاعل اللغة والعمل، السياقات والتطبيق العملي praxis.

هوامش

(١) المقاطع التالية مأخوذة، مع تعديلات صغيرة من:

Chernaik, Laura (1996) "Spatial Displcements: transnationalism and the new social movements, Gender, place and culture 3:3, pp 251 – 275

الذي أناقش فيه مطولاً التحليل الماركسي لتخطي الحدود القومية.

(٢) انظر على سبيل المثال، الأعمال التي ألفها كتاب متنوعون مثل بتلر وجيجك.

(٣) انظر هوي (Hoy (1986 من أجل عدد من الأمثلة ذات الحجة الجيدة على هذا الزعم.

(٤) نظرية السياقات pragmatics: نظرية اللغة والفعل.

البراغمائية pragmatism: حركة فلسفية أميركية، تقوم على أعمال وليام جيمس (١٩٠٧)، تركز على النتائج والفائدة أكثر مما تركز على المعنى.

٦ - تقارب الافتراضي والفعلي في الرحم العالمي
الحياة الاصطناعية والاقتصاد الجغرافي
والجغرافية النفسية(*)

بقلم: اوتو أيمكن

مدخل: الفضاء السايبري والرحم العالمي:

أظن أن من الأفضل أن نهمل كل خوف ونبدأ بمعاملة رحم الاتصالات العالمية عن بعد كشكل حياة اصطناعية جديد: ليس مجرد متعضٍ (لا يزال حبيس وظيفياته وتطبقاته التقييدية) بل وظيفية لاخطية، لا تناظرية، مجمعة بشكل فوضوي بحرية أكثر إمكانية بكثير من حرية كيان مغلف بالجلد أو محدد بكونه تكتلاً من أعضاء متميزة. فالكائن الجديد المركب من أجهزة وبرمجيات موزعة على نطاق واسع، ونبضات كهرباء تسري من خلال جهازه العصبي يمد الآن هيكله العظمي الخارجي عبر الكوكب، إلى داخل الغلاف الجوي العلوي المكتظ بالأقمار الاصطناعية وحتى إلى خارجه ليدمج البيانات من الحساسات الموجودة على مسبار غاليليو الفضائي الذي يدور حالياً حول كوكب المشتري.

(*) The Convergence of virtual and actual in the Global Matrix: Artifical life, geo-economics and psychogeography

يتكون الرحم العالمي من سيرورات متعددة، معقدة ذات مستويات شبه لا نهائية من التفصيل الجزئي والكثافة، كلها مركبة من عدد هائل من القطع المكونة والبايتات، [وهو] عدد يزداد بشكل أسي كل يوم. فالرحم ككل لم يتوقف عن النمو منذ تفعيل أول حاسوب الكتروني. إن منحى عصر المعلومات هو في اتجاه واحد فقط: نحو تعقيد أكبر، وسرعة إرسال اكبر للرسائل الالكترونية وتمرير أكبر للبيانات data، ومجال أكبر للوظيفية.

ينص قانون مور الذي اقترحه لأول مرة في عام ١٩٦٥ غوردون مور، أحد مؤسسي الشركة الصانعة لأنصاف النواقل وهي شركة إنتل Intel– على أن القدرة الحوسبية للرقاقة المجهرية microchip تتضاعف كل ١٨ شهر، وعلى مدى ٣٠ عاماً بقي هذا صحيحاً ليمدنا اليوم بحواسيب شخصية PC أقوى تقريباً من أي هيكل رئيس لحاسوب وجد منذ ٢٠ عاماً [1] مما لاشك فيه أن القدرة الزائدة تُهدر من قبل المستعملين القليلي الطلب ورزم البرمجيات الممتدة بشكل مفرط، لكن المتاحية المتزايدة للقدرة الحوسبية تستمر في فتح أبواب جديدة لأجل تطبيقات لا يمكنها أن تساعد لكنها تغير حيواتنا وثقافتنا بشكل دائم. اليوم أصبحت videophones الهواتف المرئية وبرامج الترجمة اللغوية يعول عليها بشكل حاسم في حين أن برامج النشر والتلاعب بالصور على سطح المكتب المصممة لأجل المجلات اللماعة بقيمة مليون دولار متاحة لكل كاتب أو محرر طامح ذي حاسوب شخصي وطاولة مكتب مصممة؛ أما في الغد فإن الربط الفوري، وتحميل/ تنزيل المعلومات من أية عقدة أخرى على الرحم، بأي شكل مرغوب سيصبحان ممكنين: مقابل ثمن، بالطبع.

سأبين كيف أن سيرورة النمو والتعقد هذه تحدث تغيراً دراميًاً ليس فقط على الشابكة، بل أيضاً في الحقول المترابطة بشكل مدهش للحياة الاصطناعية والاقتصاد العالمي والفلسفة السياسية. هذا الفصل سيحاول أن يصف ظاهرة الرحم الجديدة كشكل حياة اصطناعية ناشيء متمايز كلياً عن المُنشأ الأكثر

محدودية بكثير الذي هو الفضاء السايبري . إن تعقيد الرحم يحتم إعادة النظر في مفاهيم عامة أساسية مثل الاستقلال والتنافس والحياة ذاتها ، وتنقية هذه المفاهيم العامة ليس فقط من خلال إطار البيولوجيا التطورية بل أيضاً [من خلال] تبصرات علم الاقتصاد اللاخطي للنمو التكنولوجي ، إضافة إلى السياسة الوضعية للتحليل الموجه بالأحداث والفعل . في النهاية ، فإن الرحم هو سيرورة زمكانية ، تطورية ، للربط ، والتواشج وليس جغرافية افتراضية . الرحم هو الواقع الوظيفي ، الخلاق للربطية: النتيجة الديناميكية لربط هذا وذاك وإحراز إمكانية الوصول إلى القدرة من المعرفة المشتركة لهاتين العقدتين وكل العقد الأخرى في شبكتها .

أولاً ، يجب إقامة تمييز واضح بين الرحم ومجموعته الفرعية graphic التخطيطية المعروفة على نطاق واسع أكثر التي تدعى الفضاء السايبري . فالرحم هو التجمع اللاتناظري لفضاءات الاتصال الافتراضية والفعلية المتغايرة والتوافقية التي ترتبط معاً بشكل اتفاقي لتشكل الرحم العالمي من اتصالاتنا البعيدة وشبكات حواسيبنا الموصولة (أي ، كفضاء meta-phase يصور تفاعلات كل فضاءاته المكونة ، أو بالتبادل ، كمجموعة من الوظيفيات الآلية) . إنه لا يتكون ببساطة من كل رسائل البريد الالكتروني أو كل صفحات الشبكة web ، أو كل مواقع شبكة المنطقة المحلية . الرحم ليس مجرد عالم الحواسيب الشخصية: إنه يرسل كل مكالمة هاتفية ، حتى تلك التي تجرى من إنسان إلى آلة فاكس ، أو تجري مباشرة من حاسوب إلى حاسوب . إضافة إلى ذلك توجد شبكة آمنة جداً ، لا يحكى عنها كثيراً بسبب وجودها في كل مكان ، تصل بشكل مباشر مئات الآلاف من آلات الصيرفة عالمياً ، رابطة إياها بالأجهزة الرئيسية للمصارف وسماسرة الأسهم المالية (البورصة) ، وشركات بطاقات الائتمان وإلى كل حانوت يأخذ بطاقات الائتمان أو يصدق الشيكات الكترونياً . تقوم الأقمار الاصطناعية على نحو ثابت بالمراقبة والإبلاغ عن مواقع البشر والأشياء على سطح الكوكب ، في حين تقوم ببث الإشارات التلفزيونية والهاتفية والعسكرية . فإذا بدأت بإضافة

كل هذه الفضاءات المولدة اصطناعياً ومكوناتها الواقعية الحقيقية، سرعان ما يتضح أن الرحم يضم النطاقات الالكترونية المتغايرة للوظيفية الآلية الافتراضية والفعلية، المرتبطة بكل جهاز مكهرب بدءاً من المحمصة الكهربائية إلى الهاتف النقال إلى الحاسوب الفائق، كلها مربوطة عبر شبكة القدرة التي تشكل أساس كل واحد من هذه الفضاءات المكونة. إن الفضاء السايبري هو مجرد مجموعة فرعية صغيرة من هذا الفضاء الافتراضي الفعلي.

من وجهة نظر مبرمج الحاسوب، فإن الفضاء السايبري هو interface السطح البيني بين الحاسوب والإنسان، بين الافتراضي والفعلي، بين digital الرقمي وanalog التماثلي، وشغل المبرمج هو جعل ذاك السطح البيني فضاءً ووظيفياً على نحو حدسي قدر الإمكان بحيث يمكن للبشر أن يستحصلوا على أكبر إنتاجية أو تسلية ممكنة من آلاتهم. ولكي يزيدوا الإنتاجية واستمتاع المستهلك، يجب أن يكون السطح البيني صديقاً ومريحاً للمستعمل، يخفي الدفق الفوضوي الخام للبيتات الرقمية ببنى شجرية متعددة الألوان، وسطوح مكاتب تخيلية ورسوم بيانية ذاتية الوصف، تسمح للمرء بالوصول إلى توصيلات الرحم بدون الحاجة إلى فهم شيفرة آلتها [المكونة] من أصفار ٠ وواحدات ١، أو المصافحات الالكترونية أو بروتوكولات الإرسال.

بطرق كثيرة، فإن التمثيل الأكثر إقناعاً لفضاء البيانات الجديد هذا، وهو بالتأكيد الأكثر إقناعاً من الرؤية الأكثر شهرة وأصالة للفضاء السايبري الملخصة في كتاب neuromancer من تاليف غيبسون Gibson، هو **ميتافرس** metaverse نيل ستيفنسون؛ وهو فضاء بياني غرافيكي [تخطيطي] مفترض في روايته snow crash **انهيار ثلجي**. في **ميتافرس** ستيفنسون، يكون الجزء الأكثر مرئية ومتاحية والأسهل منالاً هو mall المجمَّع الاستهلاكي، [وهو] إعادة ابتكار لإعادة ابتكار والت ديزني للشارع الرئيسي USA. هنا، في حين تبقى مناطقه المتخلفة صحراء سوداء من فضاء الذاكرة الخالية المنقطة بـ أوراق مالية سرية، فإن الأجسام

الافتراضية للزوار يجري عرضها مثل استنساخات متماثلة من KEN كن و Barbie باربي. وكما اعترف ستيفنسون، فإن الناس ينجذبون في جماعات إلى الأشياء التي تبدو مألوفة، وسوف يتأثر تصميم الفضاء السايبري تأثراً كبيراً بهذا الأمر الجاني للمال: استرض البشر. أعطهم ما يعتقدون أنهم يريدون. ونعم، إن المجمع في الفضاء السايبري سوف يحتوي كل متجر، وسيبيعون كل شيء، وسيذهب الناس(٢).

لكن هذه الميزة السيكولوجية نفسها التي تجذب المستهلكين البشريين الكثيرين نحو ما يميزونه بسهولة تعمل في الوقت نفسه على تثبيط إدراكهم لتجانس الرحم. إذ يشاهد الناس واجهات المحلات الافتراضية ويستمتعون بها لكنهم لا ينالون المدى الكامل لتغير النموذج الإرشادي المنشود عن طريق الحدوث العالمي للترابطية المتغايرة. هذه الثغرة تشجع على النسخ المتكرر للتطور الماضي واستراتيجيات التسويق على الرحم بدون السعي فعلياً لفهم أو حتى لاستغلال التغيرات الجذرية التي يحققها الترابط المتنامي بشكل أسي. هذا الفرض لإعادة خلق الماضي يطبق بشكل رئيس على ما أميزه بوصفه فضاءً سيبرياً. إن الرحم، من ناحية أخرى، يترك مغفلاً لا متمايزاً ـ ومدركاً بشكل سلبي بوصفه العماء chaos لسوق جديدة بانتظار أن تتم رسملتها حالما يسوي نفسه في شيء ما يمكن التعرف عليه مثل الفضاء السايبري. في VRML، وهو كتاب حول لغة نمذجة الواقع الافتراضي (لغة الحاسوب الرئيسية المستخدمة في الوقت الراهن لخلق السطح البيني الغرافيكي للفضاء السايبري الثلاثي الأبعاد (3-D)، يحول Mark Pesce مارك بسك شرط أن يكون صديقاً للمستعمل إلى قانون أساسي للكون الجديد الذي يساعد على إخراجه إلى الحياة. إن رؤية بسك للفضاء السايبري (التي ليست مختلفة كلياً عن ميتافرس ستيفنسون) تستحق الاستشهاد بها مطولاً. رغم أن المرء يحتاج إلى أن يحفظ في ذهنه أن هذه الرؤية ليست فقط رؤية مبرمج موهوب يكتب من أجل مبرمجين آخرين، بل هي أيضاً رؤية مبرمج يعمل في وسط صناعة خدمات

استهلاكية قاسية متعددة البلايين من الدولارات. يقول بسك، في مناقشته لتقييدات الشبكة العالمية وفضاءاتها السكونية، المعزولة نسبياً:

[[الشبكة web، بجذورها في الفضاءات الفائقة للأكوان الجزيرية، سوف تحتاج إلى تجاوزها لكي تؤمن المبادئ المكانية الثلاثة اللازمة لأجل بيئة صالحة للملاحة البشرية: كلية الوجود (الوجود في كل مكان)، والانتظام والوحدة. لابد أن يوجد فضاء سايبري واحد، لا متناهي الكبر ـ حتى لو وجدت فضاءات أخرى ـ يكون في كل مكان ومستمراً ومنتظماً. عندما يوجد مثل هذا الفضاء السايبري يمكننا أن ننسج جزرناً معاًفي كل مستمر. إنه لا يعني أن بيتي سيكون مجاوراً لبيتك، بل أنني إذا سافرت من بيتي إلى بيتك فإنني أسافر عبر كل الفضاء المتداخل. هذا مهم جداً لأجل مستخدمي الفضاء السايبري ـ بمخطط موحد، يمكن للناس أن يتذكروا أين هم وماذا يوجد حولهم. بدون ذلك سوف يجدون الفضاء السايبري مضللاً ومنقطعاً إلى حد ماـ شيئاً ما لا يكونه العالم الواقعي. في فضاء سايبري موحد، يمكنك أن تصنع الخرائط، أو تتوقف في مكان ما وتسأل عن الاتجاهات]] (pesc 1995:317).

بصفتي المرء الذي يجد العالم المكاني الحقيقي مضللاً ومتقطعاً كل يوم، والذي يؤمن بأن العالم ينتج بالضبط عن طريق الدفق اللاخطي والكثافة العمائية، يجب عليّ أن أنوه فوراً إلى أن الفضاء السايبري الموحد لبسك لا يزال بالضرورة مجموعة فرعية من الرحم العالمي: سطح بيني غرافيكي محدد، تم ابتكاره بحيث أن معظمنا لا يتعين عليه أن يتعلم البرمجة لكي يستفيد مما تقدر على فعله آلاتنا الموصولة فيما بينها. علاوة على ذلك، فإن مبادئ الانتظام وكلية الوجود والوحدة ليست متأصلة في الرحم. بالأحرى، يفرط بسك وآخرون في تشفيرها لكي تخلق الفضاء السايبري بوصفه الوجه الإنساني، الصديق للمستهلك، من الرحم. هذه المبادئ الثلاثة ليست ضرورية للحياة، أو حتى للفهم أو الاجتياز، بل هي، بدلاً من ذلك، بقايا من worldview رؤية للعالم متعقلنة متمركزة حول الإنسان نجحت في الماضي في تعزيز سلطة القوى المتمركزة. يتم خلق الفضاء

السايبري كمنظومة مغلقة ذات حدود مألوفة، قابلة للتعريف في حين يتم فتح الرحم في كل اتجاه بحيث يمكن اعتباره كامتداد مجرد. إن المبادئ المجانسة كمبادئ بسك سيكون لها تأثير شديد على شكل الفضاء السايبري، لكن الرحم أكبر من هذه الهموم الإنسانونية والاستهلاكوية وسوف يستمر في التطور من تلقاء ذاته، خالقاً شكله الخاص به وفقاً لوظيفياته، وهو شكل غير مرتبط بأية بنى هرمية متمركزة وغير مستجيب لإدراكاتنا الحسية له. الرحم هو مجموعة ديناميكية من الوظائف، وليس التمثيلات.

لذلك، بدلاً من الاستيطان على المستوى المسطح من الفضاء السايبري، الذي يكون عرضة أكثر مما ينبغي للمركزة، سعياً لوصف الرحم، يجب علينا أن نقر بالأبعاد المتعددة غير القابلة للتبادل فيما بينها. هذه الأبعاد المتعددة لا يمكن ترسيمها أو دراستها بسهولة وتتطلب وسائل بديلة للاجتياز والإنشاء، متجذرة في مقاربة وضعوية موجهة بالحدث. إحدى المحاولات الشاملة تماماً لتعريف الرحم بمواقف مسبقة فلسفية أقل built-in تبييتاً (لكن المؤلف لا يزال يشير إليها بوصفها فضاء سايبرياً) إنما يقدمها المعماري ماركوس نوفاك Marcus Novak، الذي يدمج عينات من بروس سترلنغ، وندي كيلوغ، وليام جيبسون وآخرين. يلخص بقوله:

الفضاء السايبري هو تصور مفضًأ كلياً لكل المعلومات في أنظمة معالجة المعلومات العالمية، وفق مسارات توفرها شبكات الاتصالات الحالية والمستقبلية، ما يمكن الحضور المشترك والتفاعل التامين للمستعملين المتعددين متيحاً الدخل input والخرج output من مركز الإحساسات البشرية الكاملة وإليها ما يسمح بمحاكيات الواقعين الفعلي والافتراضي، وجمع البيانات والتحكم بها عن بعد من خلال الحضور عن بعد telepresence، والدمج الكلي والاتصال البيني مع طيف كامل من المنتجات الذكية والبيئات في الفضاء الحقيقي.

(Novak 1991: 225)

يرى نوفاك أن ارتياد الفضاء السايبري ليس كعبور حقل متجانس، بل كتركيب أنواع مختلفة من المعلومات في صورة ذاتية الاتساق إنما مؤقتة(٣). في حين يبقى الفضاء السايبري مفضاً بشكل مفرط، يحتفظ هذا التعريف بالتغاير الحيوي لما سأدعوه الرحم Matrix بدون فرض عدد وافر من التشفيرات المفرطة والتصورات المسبقة البشرية. إنه حيوي لأننا إذا أردنا أن نفهم أي شيء حول الرحم، فيجب علينا أن ننظر إليه بحد ذاته وربما حتى أن نحول أنفسنا لنصبح أكثر شبهاً به، أكثر تغايراً. لكي نبقى أحياء ونزدهر بالتوازي مع الرحم الدائم التوسع، يجب علينا أن نزيل تطبق(*)، أن نزيل تجانس(**) أنفسنا وتفكيرنا إلى مدى أبعد دوماً. إن رحم الاتصالات البعيدة العالمية هو في طور النشوء والتطفر خارج سيطرة أي متعضي منفرد أو تنظيم منفرد أو دولة منفردة، وسوف يستمر في اتخاذ أشكال ووظائف لم يخطط لها ولم يتخيلها مطورو الفضاء السايبري اليوم.

الحياة الاصطناعية:

اعترف بعض الباحثين في علم الأحياء وبرمجة الحاسوب بالحاجة إلى "التخلي عن تصميم عقلاني. . . . لأجل تقنيات قائمة على القوى العمياء للتطور البيولوجي" يدرس علم الحياة الاصطناعية الجماعات السكانية (المولدة بالحاسوب) وكيف أنها تخضع لسيرورات مثل التكاثر والتنافس والتطور التي تسبب محاكاتها غالباً ظهور سلوك حياتي معقد وغير متنبأ به. إن التجمعات ذات شيفرة الآلة، عندما تبرمج بالقدرة على المنافسة والتطور والتكاثر تبدأ بالتحرك بأنماط إيقاعية فوضوية، تزداد تعقيداً وترابطاً ووظيفية. في المقتطف التالي، الذي يعدد أسماء كثر من مؤسسي حقل الحياة الاصطناعية ونظرياتهم الأساسية، يجمع ستيفن ليفي قطعاً من تعريف مفيد للحياة:

(*) destratify: إزالة التطبق، أي إلغاء الانقسام إلى طبقات أو شرائح (المترجم).

(**) dehomogenise.

لو أثبت [جون] فون نويمان أن الحياة وجدت كمعالجة معلومات ناشئة؛ لو كان [ستيوارت] كاوفمان من بين الذين اخبرونا أنه من خلال التنظيم الذاتي أرادت الحياة أن تحدث؛ لو أن [كريستوفر] لانغتن، و[جيم] كراتشفيلد، و[ج. دوين] فارمر أعلمونا أنه بين خواص الحياة كان ثمة تفضيل لأن تموضع نفسها على هذا الجانب بالضبط من العماء (الشواش) chaos. عندئذ لكان [دانييل] هيليس، في التصديق بشكل حاسوبي على عمل بيولوجيين مثل [وليام] هاميلتن ألمح إلى أن الحياة هي سيرورة تكاملية تتطلب افتراضياً شركة من المنافسين المميتين. كان التوازن وهماً، فالنظام يجد نفسه من بحر مضطرب بشكل لا يرحم (levy 1992:203).

لا توجد الحياة في حالة توازن، بل تبين أنها سيرورة فوضوية، ذاتية التنظيم، ناشئة عن التعقيد المتزايد لجماعة مفترضة. فالحياة توجد في التعدديات وليس في الأفراد، الذين لم يكن بإمكانهم أن يوجدوا طويلاً بوصفهم الوحيدين من نوعهم. ينشأ التعقيد عندما يخلق الارتباط المتزايد إمكانيات ديناميكية جديدة فيما بين المكونات المعزولة سابقاً: سيرورات جديدة كالمنافسة والتكاثر والتطفر وخصوصاً التطور. و"بالفعل فقد كان التطور شيئاً يقوم على قواعد بسيطة أثمرت نتائج معقدة بشكل عجيب".

إن التطوير الممول تجارياً للحياة الاصطناعية يعاد تحقيقه على الزحم من قبل شركات مثل بريتش تيليكوم، التي تجري حالياً نقاشات هاتفية باستعمال برامج برمجيات نملية ant-like نقالة تحتشد من خلال منظومتها الهاتفية وتتبع قواعد بسيطة قليلة الإشارات لإجراء المكالمات حيث يوجد حد أدنى من حركة المرور في أية لحظة واحدة. إن عناصر البرمجيات نصف الذكية (لـ bots والعناكب spiders والعفاريت daemons) تفتش الشابكة وتبحث عن أنماط محددة من النشاط أو المعلومات، وتجمعها وتعيدها إلى خزانة صاحبها. تنشأ فيروسات

الكومبيوتر شبه المستقلة من بلغاريا وبكين ويمكن أن ترسل في نهاية المطاف عن طريق البريد الالكتروني. هذا التهديد الأسطوري المديد أصبح حقيقياً في عام ١٩٩٥ وسيصبح مشكلة أخطر مع هيمنة لغة جافا java ولغات البرمجة الأخرى الموجهة بالموضوع القادرة على تبادل موضوعات البرمجيات المنفصلة (المصابة بشكل محتمل) عبر الشابكة. ستكون موضوعات الفيروسات قادرة على إخفاء نفسها، ويتم تنزيلها من قبل مرتادي الشبكة غير المرتابين، وتنفذ عمليات معقدة على حواسيبهم المضيفة الجديدة، بدون موافقة وخارج سيطرة الحاسوب المضيف أو مستعمله. على سبيل المثال، يقوم فيروس واهو wahoo لعام ١٩٩٦ بتفتيش كل مستندات مايكروسوفت وورد Microsoft word على حاسوب مضيفه ويحول كل كلمة أخرى في المستند إلى "واهو"، في حين يهمل كل شيء آخر على السواقة الصلبة hard drive.

حالما تطلق الفيروسات، تكون خارج سيطرة مبدعها، ما يجعلها عناصر شبه مستقلة لا تبغي شيئاً أكثر من الاستقلال الجزئي داخل أي مضيف يمكنها أن تعلق به. فاستقلال فيروس المعلومات الذي يعيد إنتاج نفسه ليس هو نفس الاستقلال الذي ننسبه إلى أنفسنا، لكنه يمتلك الكثير من الخواص نفسها (مثال ذلك الانعكاسية الذاتية، القدرات التكاثرية، الدفع الذاتي وصنع القرار القائم على السياق) التي كانت تعتبر غالباً مكونات ضرورية للوجود المستقل.

إن الفيروسات، المطلقة العنان في البيئات الالكترونية للرحم، تترك لحيلها الخاصة (غير المحدودة أساساً) لتبقى حية وتتنافس وتتكاثر. لكن عندما تكون قد أصبحت أكثر تعقيداً وأكثر قدرة على التطفر، تكون قد اكتشفت سبيلاً ممكناً إلى البقاء الطويل الأمد. إن لمارك لودفيغ موقفاً قوياً من التطور المستقبلي لفيروسات الحاسوب:

نظراً لفهمنا الحالي للتطور. ليس السؤال هو ماذا لو على الإطلاق. إنه مجرد سؤال متى. متى سيجد برنامج ذاتي التكاثر في الموقع الصحيح في فضاء المورثات gene space نفسه في البيئة الصحيحة ويبدأ السلسلة المذهلة الكاملة للحياة الالكترونية؟ إنه مجرد سؤال متى سيحدث المكافئ للانفجار الكامبري. (Ludwig 1996:242)

تكون الفيروسات أو العناصر الذكية بعينها أقل أهمية من البيئة التي تتناسل فيها وتتنافس، توصيلية الرحم: الشيء المثير للاهتمام في الاصطفاء الطبيعي ليس نشوء نوع منفرد بل أشياء مثل النشوء المشترك للمضيفات والمتطفلات" كما يقول دانييل هيليس. إن القراصنة hackers المراهقين في الثمانينات (١٩٨٠) يولدون من جديد كمستشارين أمنيين في التسعينات (١٩٩٠)، باستعمال المعرفة التي اكتسبوها بشكل غير قانوني لمحاربة جريمة الحاسوب ليكسبو عيشاً مريحاً. يستعمل هؤلاء القراصنة/ المستشارون نفس التكتيكات والتقنيات المستعملة من قبل، لكن لأغراض مختلفة الآن. فقد تطور دورهم في إيكولوجيا [بيئة] الرحم من جاذب فوضوي (جرح منتن) إلى قوة [محققة] للاستقرار. في الوقت نفسه، استنبط مطورو الفيروسات طرقاً فرعية أعقد بكثير قادرة على الالتفاف حول أقوى خوارزميات الأمن. هذا الحلزون التطوري يساعد فقط على تأهيل الرحم بأشكال حياة اصطناعية أكثر قابلية للحياة وأكثر استقلالية. مع القدرة على الفعل بشكل (شبه) مستقل كونها موزعة بشكل أوسع عبر منصات وبرامج موصولة على الرحم، تقل إمكانية القدرة التمركزية على طول النموذج الطرفي للهيكل الرئيسي/المغفّل. إن القدرة المعلوماتية info- power لا تتوزع فجأة بشكل أكثر عدلاً، بل تصبح أصعب كثيراً على التحكم مباشرة بالكميات الهائلة أو على مدى فترات مديدة من الزمن. يجب على المرء أن يتذكر أن القبضة الحديدية ظاهرياً لاحتكار مايكروسوفت إنتل على الحواسيب الشخصية كانت موجودة على مدى أقل من عشرين عاماً ومازالت بعد تثير نفس بلاغة الأخ الكبير Big

Brother التي أحاطت بشركة IBM في الستينات ١٩٦٠ والسبعينات ١٩٧٠ عندما هيمنت على صناعة الحواسيب. يحتاج النوع المنفرد إلى تفاعلات مع أنواع أخرى لكي يزدهر .

يشكل الرحم العالمي مثالاً على فضاء سلس يحدث تفاعلاً لا خطياً معقداً بين الافتراضي والفعلي، خالقاً بذلك إمكانيات جديدة وغير متوقعة. السمة الأبرز للرحم هي بدون شك توزيعه للتحكم والاتصالات، التي تكون مشتتة في كل أنحاء شبكة متشابكة من التعدديات المترابطة إنما المتغايرة. فالتعدديات تكشف عن خواص ناشئة لا يمكن استنتاجها من جزء منفرد، خواص لن تنشأ حتى إلقاء نظرة خاطفة على السيرورة بشكل فعلي. ينفتح عدد كبير من الإمكانيات الجماعية إلى مليون نملة لا تكون متاحة لنملة واحدة [أو قابلة للاستنتاج منها]. إن أسراب الطيور تبدي في الواقع رد فعل في حركاتها أسرع بمرات مما يمكن لطير واحد أن يحققه وحده. وعلاوة على ذلك فهو مختلف كيفياً. لذلك فإن الإبداعية (أو الأصالة) هي سيرورة جماعية موزعة من التعدديات. إن المنظومة المعقدة، المجمعة آلياً، تنتج بشكل خلاق جاذبات تدور في فلكها طاقات ومكونات المنظومة، وهذه الجاذبات الجديدة تحدد نقاط المرجعيات أو عقد المعلومات التي لم تكن موجودة من قبل.

يبدي الرحم كل صفات المنظومة الديناميكية المعقدة: مكونات متعددة، متغايرة مترابطة بقوى متغيرة لتشكل بنية تبددية مفتوحة، تدخل وتخرج الطاقة والبيانات؛ القدرات على التطفر والتطور والتكاثر؛ وشبه وعي أو مرجعية ذاتية فيما يتعلق بأفعالها وبيئتها الخاصة بها. إن ما يمنع الرحم من أن يكون شكل حياة حقيقي، هو الدور الذي يستمر المشغلون البشريون في لعبه، مؤدين نشاطات لا يمكن للرحم أن يقوم بها بعد من تلقاء ذاته - خصوصاً إعادة إنتاج الأجهزة والبرمجيات. لكن الرحم كما عرفناه - شبكة عالمية من البيئات الافتراضية والفعلية - سوف يشمل دائماً البشر كجزء من الدارة. وما إذا كانت العلاقة ستبقى علاقة سيد بخادم هو سؤال مفتوح.

التعقيد الاقتصادي:

إن البيئة الافتراضية/ الفعلية التي يوفرها الرحم آخذة في التعقد على أكثر من مجرد مستوى ايكولوجي [بيئوي]. ففي الثمانينات (١٩٨٠) عندما ربطت أسواق البورصة العالمية الكبرى لأول مرة بشكل مباشر عن طريق الأقمار الاصطناعية ازداد مقدار المال الموجود في هذه الأسواق فوراً بنسبة ٥ بالمئة. إن ربط الأسواق الرأسمالية بالشبكة على نطاق عالمي وفي الزمن الحقيقي لم يجعل تدفق النقد أسرع وأسهل جيئة وذهاباً فحسب، بل إنه في الواقع قد خلق من النقد في الأسواق الرأسمالية أكثر مما كان يوجد قبل لحظة. لقد ظهر رأس المال الذي كان محروماً في السابق من إمكانية الوصول إلى الأسواق بفعل انعدام الكفاءة في البنية التحتية السابقة للبيانات وطرقها في الاتصال. هذا المستوى الجديد من الترابطية والتعقيد، الذي أشر على التحول الكيفي (أو التفرد) للاقتصاد الجغرافي، وصفه كارل ماركس سابقاً في خمسينات القرن التاسع عشر (١٨٥٠)، عندما أظهر كيف أن تسريع تداول رأس المال سوف يخلق بشكل فعلي مزيداً من رأس المال، بالتوازي مع شكل جديد من الرأسمالية: ليست سيرورة اقتصادية مسرَّعة فقط، بل أقل ارتباطاً بقيمة الوحدة الفيزيائية لدخل العمل(٤). هذا النشوء للأساليب الجديدة كيفياً للرسملة في الاقتصاد المسلَّك هو أحد أهم التحولات التي تُعزى إلى سرعة وعدد العوامل المترابطة مع الرحم العالمي.

هذا الاقتصاد الجغرافي، مثل الرحم، مكون من سيرورات منسجمة ومتنازعة متعددة، ومن السهل جداً (والمربح غالباً) أن نشدد بشكل زائد على بعض النزعات في حين نقلل من أهمية نزعات أخرى. فالمتاحية المتزايدة لمكتبات بيانات الشابكة تؤشر على اللامركزية المتنامية والملحوظة على نطاق واسع للمعلومات والسلطة في المناطق المربوطة بالحواسيب. في الوقت نفسه، كان ١٩٩٥ و١٩٩٦ عامين قياسيين للاندماجات المشتركة والمكاسب مع [قيام] الصناعات العالمية النطاق المتعددة بمركزة كل إنتاجيتها ورأسمالها في

أعداد أصغر من الشركات الأكبر. ففي الولايات المتحدة، المنتج والمستهلك الأكبر في العالم، تم خلق أو تقوية احتكارات القلة oligopolies في: المنتجات الصيدلانية، البث التلفزيوني، إنتاج الرقائق المجهرية، مبيعات التجزئة، التأمين، تصنيع السيارات، الخدمات المالية ومختلف فروع تكنولوجيا وخدمات الاتصالات عن بعد.

في حين يتنامى اختيار المستهلكين للخدمات والمنتجات المتوفرة يومياً، يتقلص الاختيار بين مزودي تلك الخدمات بنفس السرعة حتى باتت شركات قليلة في قطاعات حيوية عديدة تملك الآن حصص السوق الاحتكارية المقصورة على القلة في اختصاصاتها. فكان لهذا آثار تشويهية قوية على الرحم الناشئ الذي تشكل وظيفته الأساس للاقتصاد الجغرافي. إن الشركات العالمية تمركز السلطة في الاقتصاد الاستهلاكي وذلك في تناقض مع النزعات اللامركزية للرحم. فالمنافسة المفتوحة هي المنتج الأقوى للتطور الخلاق والتحول ضمن المنظومات المعقدة والأسواق، لذلك فإن المركزة المرتبطة باحتكار القلة تنحو إلى إنتاج التشوهات والقصورات وإضعاف القدرة الكامنة الخلاقة الكلية للمنظومة[٥].

مهما تكن الأسباب قصيرة الأجل وراء هذه الاندماجات الحديثة، فإنها تكشف السيرورات الآلية المتنافسة **للسوق والسوق المضادة**، اللتان تدلان على التوالي على التبادل الحر للأفكار والبضائع أفقياً في مقابل الضبط والتوزيع المتحكم بهما للأفكار والبضائع عمودياً من الأعلى إلى الأسفل. هذا ليس معناه أن احتكار القلة لا يتلاءم مع نزع المركزة [اللامركزية] نظراً لأن بعض الشركات الأكثر ربحية قد أعادت هندسة بناها التنظيمية [محولة إياها] إلى شبكات أفقية من الشركاء الذين يتوزعون السلطة بعيداً عن مركز شركتهم. إنهم يقلدون الوظائف الجديدة للرحم بإحداث شبكات الإنتاج والتوزيع والاستهلاك؛ بإعادة الالتفاف حول الحواجز [القائمة] أمام التجارة والاتصال؛ وبخلق فضاءات افتراضية لا يمكن التكهن بها، وكل ذلك يتم والعين على زيادة الأرباح.

بارتحال الافكار والبضائع حول العالم بسرعة الضوء وطائرة البوينغ ٧٧٧، على التوالي، فإن الاسواق المحلية، المقفلة سابقاً، أصبحت الآن في تماس مباشر وتنافس مع بعضها البعض. من الواضح أن الشركة الكبيرة لها اليد العليا في بداية الاندماج التام للاقتصاد العالمي، نظراً لأنها تتطلب كثيراً من المال لتعمل في الأسواق المتعددة على نطاق العالم. لكن تقانات الربط التي تسمح بحدوث العولمة في المقام الأول تجلب معها النزعة اللامركزية للرحم، التي يمكنها أن تفتح الباب لأجل خدمات البيئة الملائمة، والطلب العالي على المنتج المحلي، أو حرب المزادات بملايين الدولارات على فكرة جيدة واحدة. تسمح الشبكات الموزعة كلياً بالتفاعل في أي اتجاه.

ضمن هذه المنظومة، فإن شطري الثنائي أسفل-أعلى/أعلى- أسفل يمكن جعلهما مثاليين. لقد تم تصنيم السوق من قبل الاقتصاديين النيوكلاسيكين، الناشدين للتوازن، بوصفها الموازنة السحرية التي تعادل بشكل تلقائي العرض والطلب، في حين تم تبسيط السوق المضادة بوصفها السلطة الاستبدادية للملك أو النخب التي تملي الأوامر. بدلاً من ذلك، ينبغي النظر إلى السوق والسوق المضادة بوصفهما تعدديتين، بوصفهما ديناميكيتين لاخطيتين، معقدتين تتفاعل فيهما السيروات الحقيقية ويجري تشكيلها وقسرها وتمكينها عن طريق بيئتهما الملساء أو الوعرة؛ [وهما معاً] تؤلفان بيئة ليست هذا الطراز كله أو ذاك، تقوم دائماً بتغيير نفسها. لذلك فإن النزعات التوعيرية والتمليسية، التقريبية والتبعيدية للسوق والسوق المضادة تصبح مشابهة للنشوء المشترك للمضيفات والطفيليات الذي ناقشه هيليس. إن نزع المركزية باتجاه سوق مفتوحة حقاً لن يحل المشاكل العالمية، لكنه يساعد في جعل بعض الأنماط الأكيدة من الحلول الاوتوقراطية أقل وظيفية وبالتالي أقل مقبولية في حين يفعّل مزيداً من الوظائف للرحم.

الصلات الفورية:

بالنظر إلى أوروبة القرن الثالث عشر، يمكن للمرء أن يرسم بدقة خريطة

انتشار الأفكار من مدينة إلى مدينة، وفق مسارات السوق وخطوط تقدم الجيوش الغازية، واقتفاء تاريخ ومكان نسخ بعض الكتب. في الأزمنة الحديثة، كم مضى من الزمن قبل أن يسمع كل شخص يمتلك إمكانية الوصول إلى التلفزيون أو الراديو بكلمتي "حرب باردة" أو "حاسوب شخصي؟" ١٠ سنوات، ٣٠ سنة؟ ويجري الاتصال أسرع كل يوم. بدلاً من انتقال الميمات memes (الأفكار السهلة الإرسال) في خط متواصل من مدينة سوق إلى مدينة أخرى، يحدث اليوم الظهور المفاجئ لمنتج أو فكرة شعبية من اللامكان، بسرعة توزيع وإشباع جانبيين كاملين: أولئك الذين تروق لهم الميمة يلتقطونها ويصيبون الآخرين بها، في حين يتجاهلها آخرون بقدر ما يستطيعون. لكن المفتاح هنا هو أن أية ميمة تكون متاحة فوراً لأي شخص تقريباً يكون موصولاً إلى شبكة توزيع وسائطنا العالمية. يبدأ الرحم بأن يبدو أقل شبهاً بفضاء بسك الموزع بانتظام وأكثر شبهاً بجهاز حوسبة computation عالمي لأجل إنتاج وتخزين ونقل البيانات والميمات والبضائع. ثمة مقتطفان يوسعان فكرة الحوسبة العالمية والاتصال الفوري:

[في الحوسبة لا يوجد نظير للمسافة. فأي موقع ذاكرة يتأثر بنفس السهولة التي يتأثر بها موقع آخر] (Daniel Hillis in Kelly 1994:73).

[مع التقلص الجغرافي، اختصار المسافات، فقدت الأرض territory أهميتها لصالح القذيفة] (Virilio 1986: 133).

إن كل أساليب المرشحات ومفاتيح التحويل والمترجمين تعمل بلا شك على تغيير الميمات والبيانات الأخرى على طول المسار إلى المستهلكين، لكن هذه خاصية لأي شكل من الاتصال: الدائرة التأويلية hermeneutic التي نوقشت كثيراً التي توجد في الجذر المتعفن لما بعد الحداثوية. فالدائرة التأويلية هي مشكلة هندسية لاقتفاء القيم التفاضلية لترشيح وترجمة البيانات، وليست مشكلة أونطولوجية لإيجاد الحقيقة. فكل البيانات يجب تفسيرها وترشيحها لتكون

مفيدة، والمشكلة اليوم ليست المشكلة الحديثة لجمع أو خلق البيانات، بل مشكلة عصر المعلومات المثالي لمعالجة الكمية المحضة من البيانات المتوفرة، التي تسد كل المرشحات filters وترفع حرارة المكثفات capacitors.

مع الازدياد الأسي لخلق وتوزيع البيانات، فإن البيئة المحيطة بخط القاعدة لمجتمعنا المشبع هي الآن الضجيج. إننا مجبرون على الحراثة عبر الطبقات المتراكمة من المعلومات المتناقضة والمتراكبة لننتشل صلات بما يمكن أن نجده مفيداً. إن دورات التغذية المرتدة لثقافتنا هي أسرع وأقسى من أن تفسح المجال للكثير مما هو بطئ أو عاطفي. أما وقد أنهارت أخلاقيات الماضي الواضحة التعريف انهياراً دراماتيكياً في تأثيرها، فقد دخلنا في عصر آخر من المادية والبراغماتية إما أن تعترف فيه بالواقع المؤثر على حياتك الخاصة [واقع] فيروس الإيبولا Ebola أو الـ ١٠٠ مليون صيني النازحين إلى مدنهم الساحلية هرباً من البؤس والحرمان، أو تعيش في بيت لاهوتي أو تفكيكي من البطاقات(٦). إن شبكة الاتصالات العالمية، الرحم، تصلنا ليس فقط بتجار السيارات واللوفر بل بالبكتريا آكلة اللحم والانهيالات الثقافية. مع الوجود الكلي للسفر بالطائرات النفاثة فإن الإيبولا والكيانات الفيروسية الجديدة الأخرى هي مخلوقات عالمية، في حين أن الإضافة الحديثة في الصين لـ ١٠٠ مليون إنسان إلى القوة العاملة المدينية، العالمية في مدى عقد من الزمن، مثلاً، لها ارتدادات عميقة على سعر أحذية نيكي Nike في شيكاغو، وربحية معالجة الطعام لأجل التصدير في مرسيليا، والطلب المخطط له على رقائق السيليكون في آسية على مدى السنوات العشر التالية. لقد كان التمدن/ التمدين Urbanisation هو الدمغة المميزة للقرن العشرين، لكن تحول سرعة وضخامة [تمدن] الصين ستكون له آثار غير مسبوقة على نطاق العالم. حتى أولئك الذين يسعون إلى الانفصال عن الشبكة العالمية أو لم يوصلوا بها بعد، لازالوا يعيشون في وهجها.

الخرائط والتحكمات maps and Controls:

لكي نفهم كيف تقوم المنظومات المتعقدة للاتصال والتبادل بوظيفتها، فإن دراسة الرحم يجب تبريرها بذرائع مادية. من السهل أن نطلق تنبؤات طويلة الأمد وأن نستفيض في إطناب سايبري cyberbole لا علاقة له بالواقع، سواء كان افتراضياً أم فعلياً، لكن البراغماتية مطلوبة لفهم هذا التحول الهائل في الوظيفية المرتبطة بالرحم. وبشكل مماثل، ينفتح حقل جديد من الدراسة السايكو- جغرافية لرسم خريطة الرحم وهذا الحقل الجديد سوف يكون ذات يوم بلا شك راسخاً كتلك الحقول الأخرى - علم الأحياء أو علم الاجتماع - التي تستقصي عادات وخصوصيات أشكال الحياة وتنظيمها. هذا الحقل وحده سوف يستقصي عادات وخصوصيات بضعة شعب من أشكال الحياة الجديدة، كل شعبة مكونة من توليفة من مكونات افتراضية واصطناعية وعضوية.

لقد أثبت غاي دي بورد Guy De Bord بشكل قوي تماماً كيف أن عُقد تَحَكُّم رأسمالية عصر المعلومات (ما دعاه باسم مجتمع المشهد في الستينات، المشهد المدمج في أوائل التسعينات) هي عقد سرية بشكل متأصل تصل وتوجه تدفقات رأس المال، والنقد والكثافة الثقافية الخام إلى مخارج مختارة مسبقاً. إن النتائج تكشفها على الدوام تراكمات الثروة المادية والسلطة، لكن الوصلات والمفاتيح والتحكمات هي التي تربط دخل وخرج الصندوق الأسود بحيث تبقى رأسمالية السوق المضادة على الدوام مخفية أو مشوهة أو محجوبة جزئياً عن النظر(٧).

بمعرفة ناقصة يكون التحكم الوضعي المفترض هو دائماً فن التجريب، فن الوصول إلى بعض المستويات المطلوبة من التفاعلية، أو التحفيز أو التعقيد لرؤية ما سيحدث: لمقاربة المجهول، وليس لتكرار ما هو معروف قبلئذ ولا تكديس نسخاً كربونية من خبرات الماضي السارة. يجب على المرء أن يتعامل مع السرية وحجب المعلومات والتشويش في المنظومة لكي يتفادى الفخاخ التعويضية المنصوبة

لإعادة تطبق [التركيب الطبقي] السيطرة. بغض النظر عن خبرة الوضعاني في استدخال الخرائط السايكو- جغرافية لجاذبيه أو جاذبيها المحليين التي تبين أفضل السبل إلى حالات التشعب الوضعي المرغوبة، يبقى الحال هو أن أي جاذب يستحق الاهتمام به هو في الحقيقة عمائي(فوضوي) بالتعريف، غير قابل للتنبؤ به(٨). مع اعتمادها الشديد على الشروط البدئية الصعبة القياس، فإن هذه الأنماط الدينامية من الطاقة التي تتدفق حول الجاذبات المتعددة الأبعاد (العمائية) لن تضغط بشكل كامل أبداً إلى نماذج (مخططات schemata) داخلية. بالأحرى، يجب إتمامها في الزمن الحقيقي لنرى الحصيلة الفعلية لوضع اتجاهي، مفترض. لذلك فالخرائط السايكو - الجغرافية، القريبة من جداول التدفق، يجب أن تكون [خرائط] لهذه السيرورة الزمكانية وليس لأية أرض افتراضية أو فعلية.

المفتاح إلى إحراز السيطرة الوضعية هو تعلم رسم خريطة فضاء الطور النفسي الجغرافي. وهذا يتضمن: ١) معرفة الإمكانيات البيئية لأجل تدفق الطاقة في منطقة ما، ٢) معرفة نزعات واتجاهات الطاقة المتاحة في وضع مفترض. و ٣) معرفة قواعد grammar ولغات تشغيل البرامج المختلفة أو تفاعل الكيانات. مع نموذج داخلي مشغول جيداً أو خريطة فضاء طور مولدة بالحاسوب، يمكن للمرء في الحقيقة أن يحرف وضعاً إلى شتى الأحواض المرغوبة للجذب، ثم، بمعرفة ذات مستوى أعلى (شبه غريزية) بجوار الجاذب، خصوصياته، احتمالاته، ومساراته يمكن للوضعاني الخبير أن يصل إلى النتائج المرغوبة. إن "الهدف"، إن وجد أي هدف، هو "التطور الخلاق" أو التشعب الموجه إلى مستوى جديد من الإمكانيات الذي يمكن فيه أن ينشأ أو يختلق شيء ما أصيل: كما أشار جورج باتاي، فإن جهلنا بسياقنا المادي "يجعلنا **نخضع** لما كان بإمكاننا أن نحققه بطريقتنا الخاصة، لو فهمنا" (Bataille 1988:23).

يستتبع التحكم الوضعي ليس كونه مجرد وسيلة، بل إقامة دارة تغذية مرتدة موجبة عبر توصيلات قابلة للحياة (صحية وإرادية) بحيث يكون

[التحكم] هو الغاية كما هو الوسيلة. فالتحكم الوضعي، أو الحكم الذاتي ينشأ عن التفاعل الجمعي، المعقد؛ إنه شيء ما لا يمكن أن يحدث أبداً بمعزل (أو في منظومة [جملة] مغلقة). إن فيروس البرمجيات، على سبيل المثال، يصبح مستقلاً فقط في سياق بيئة مضيفيه. لدينا الكثير من المعلومات (ونعرف كيف ننظر إلى المعلومات بطرق واعية لذاتها معقدة بشكل كافٍ)، بحيث لا يمكن أن يكون التحكم فردياً. لقد حاول الوضعانيون(*) أن يوجدوا خرائط موجهة بالحدث، خرائط مركزة موصولة ليس فقط بالأرض، بل خرائط تحاول فهم علاقة الجغرافية بالمجتمع، بالبلاء المديني، بالعمارة، بالسلوك البشري، بتخطيط النقل، بالتاريخ السياسي، بالنشاط الاقتصادي وبالأحلام. لقد كان الفشل السياسي للوضعية تحديداً هو الإيمان بأن الأفراد يمكنهم أن يتحكموا أو يخلقوا الأوضاع السياسية التي يتورطون فيها. إذ لا يمكن تفادي [كونهم] وسيلة لغايات الآخرين، وقد تبين أنها ذروة التأمل المنجز من خلال الاتجاه المادي في الفلسفة (CF. نيتشه لاحقاً؛ وطقسانية ساد Sade وصرامته بوصفها شكله المشخصن من التحكم الوضعي؛ وأفكار باتاي حول المشترك).

يجب أن نأخذ هذه النتائج الصعبة التحقيق لتجارب الماضي ونستعملها لإزالة العزل، **للوصل**. كما يقول دولوز وغواتاري في كتابهما بعنوان **اوديب المضاد** Anti-oedipus، فإننا بحاجة لأن نسرع فك التشفير والانتزاع [من] الموطن deterritorialisation الذين تحاول الرأسمالية دائماً أن تبقيهما تحت سيطرتها المنتجة للربح.

إن الانتزاع الأمين من الموطن، المتحكم به، هو نفس الاسترداد المرسمل مسبقاً pre-capitalised؛ الطريقة الوحيدة للنجاة من فخ الاسترداد هي التخلي عن الرغبة في السيطرة؛ ليس أن تسمح بأن تسيطر عليك السلطات التي توجد،

(*) ننوه هنا إلى أن مصطلح الوضعية المستخدم هنا هو مرادف لكلمة situationism ولا علاقة له بالمذهب الفلسفي الشهير positivism (المترجم).

أن تكون خارج دائرة السيطرة. إن تعلم تمييز الأوضاع القريبة من العشوائية (أو البعيدة عن التوازن) ودفعها في اتجاه واحد أو آخر عند عقدة حاسمة، أو المساعدة على أو السماح بنشوء تكتل جديد سيصبح مهارة عالية التطور وتستحق أن يسعى وراءها: فتح تجميع توفيقي مؤقت ضمن الرحم. (Fishman 1995, Gibsan 1996, Stephenson 1994).

لقد تعقد فهم العالم المادي إلى حد أنه لا يمكن لإنسان تقريباً اليوم أن يعرف بوضوح كيف يعمل سطح رقاقة سيليكون وكيف يسير نشوء الطبقات الجيولوجية. تتطلب متابعة أسواق المشتقات المالية سيرة من التحليل والإبداعية، لا تترك أي وقت بشري من أجل استيعاب شامل حتى لقطاع مالي متصل به من الوظائف، مثل رسملة المشاريع، التي تتطلب من خبرائها الخاصين أن يؤدوا وظيفتهم بكفاءة. إن الحكم الذاتي autonomy يجب أن يجرد من البعد الإنساني وأن يجرد من المركزية عن مفهوم سيرورة قضائية مستقلة لممارسة الإرادة الحرة، لتصبح سيرورة احتلال دوراً وظيفياً: دور الوسيط النفسي الهاتفي telephone psychic, DJ، المقاول، متلقي الخدمات الإنعاشية، المدرس أو الطالب. التحكم الذاتي يتفعّل عند اختيار الوظيفة المتاحة التي تزيد كثافة الحقل المحلي. يتعقد الرحم بخلق وظائف جديدة، سيرورة مختلفة كلياً عن التوسع العالمي، أو تراكم الثروة، أو تحديث القديم.

مع التراكم الملائم (سواءً المطقسن أو العفوي) على حافة الفوضى، يمكن للرسام الماهر لخريطة الديناميك النفسي الجغرافي حول فضاء ليبيدي من الجاذبات أن يبحر وسط الشدات والدفعات (مثل قطعة شيفرة تسري من خلال الشوارع الخلفية للوحتها الأم، تستذكر بشكل هين كل ركن وزاوية من عمارة الدارة) ليصل إلى القطع المنفردة، العقد الحاسمة للتفاعل والإنتاجية الذرويتين لكل جهد مدخل. عند هذه النقاط (أو الفضاءات أو المنحنيات)، يمكن لمدخل أصغري ظاهرياً (تعويذة، اضحية، دزينة من الالكترونات، قبلة) أن تبدل بشكل تلقائي

بنية وحتى محتوى الفضاء الليبيدي، كون المدخل مضخماً بشكل مفرط، في ظاهرة الفراشة، بسبب تموقع الدفقات تحديداً على حافة الفوضى، عند نقطة الحرجية الذاتية self-criticality حيث ينشأ التعقيد والتجديد.

الأكثر إثارة للاهتمام هو المستوى الأوسط للفضاءات الافتراضية الفعالة وظيفياً: التبادلات البينية للبيانات، شبكات تحديد الموقع عن طريق الأقمار الاصطناعية، الرسوم البيانية لأجهزة المراقبة التلفازية التي تنتفخ وتنفجر على إيقاع الفضائح السياسية و استراحات التواليت أثناء الإعلانات التجارية. هنا حيث ينفتح الفضاء الافتراضي والفعلي كل على الآخر ويصبحان غير قابلين للتمييز، هنا حيث التحكم الذاتي إما يظهر أو يتلاشى، في توليفة من الإنسان والآلة. إن الفلسفة والنقد عموماً يحتاجان إلى العودة إلى المعرفة العملية لكي يفهما كيف تقوم الأشياء بوظائفها وتنشأ على الرحم وخارجه. فالاعتراف بواقع الحياة الاصطناعية وتأثير الاقتصاد الجغرافي على المجتمع والفكر، إضافة إلى إجراء تحليل أكثر توجيهاً بالحدث للعالم المادي هي كلها خطوات ضرورية نحو ما آمل أن أكون قد بدأت بشرحه هنا بلغة الرحم.

أخيراً، إن الكثيرين يمكن أن يفسروا تقارب الآلة المشبكة والبشر كجماعية collectivism، أو شكل الحياة الالكتروني المعولم بوصفه تهديداً. لكننا لا نعرف حقاً ماذا سيعني ذلك. إن مفهوم التقارب على الرحم يسم الوجود الممكن لنقطة الحرجية الذاتية" (Waldrop 1992: 304-306)، أو تفرداً مستقبلياً ينشأ في شبكة الاتصالات العالمية. فالتفرد يدل على زمكان محدد في مدى حياة منظومة مفترضة حيث المنظومة التي تكون بعيدة عن التوازن تصل إلى مستوى من التعقيد العالي وفجأة، يتغير نمط تنظيمها كيفياً. وإذ يتعقد الرحم في كل ساعة وعند نقطة ما في المستقبل القريب، فإن الحجم الخالص وتعقيد التفاعلات، الافتراضية والفعلية، سوف يدفعان الرحم إلى عتبة الحرجية الذاتية حيث سيصل شيء ما جديد كيفياً. ولا يمكن تخيله بعد: فابقِ عينيكَ مفتوحتين[٩].

هوامش

(١) إن حاسوب اللاب – توب اليوم البالغ ثمنه ٢,٠٠٠ دولاراً هو اقوى بعشر مرات مما كان حاسوب الهيكل الرئيسي البالغ ثمنه ١٠ مليون دولاراً في منتصف السبعينات (the Hitch-hikers Guide to).

cybernomics: Asurvey of the world Economy" in the Economist, 28 septemder, 1996:3).

(٢) تفسر مقاربة ميتافرس metaverse في الحقيقة، فيما أنا أكتبها، من قبل مبرمجي مايكروسوفت ولا عبي ومبدعي ألعاب الفيديو الشبكية.

انظر Laid law1996.

(٣) لا توجد أية موضوعات في الفضاء السايبري، سوى مجموعات من الصفات المعطاء أسماء من قبل رحالة، وبذلك يتم تجميعها لأجل الاستعمال المؤقت، فقط لكي تفكك تلقائياً مرة أخرى ضمن فترة زمنية قصيرةً (Novak 1991: 229, 235).

(٤) فكرة ماركس في كتابه الأسس Grundrisse أن "سرعة التحول" يمكن أن تعوض عن حجم رأس المال (التشديد من ماركس) تقوده إلى التفكر: ألا تدخل لحظة تحديد القيمة بشكل مستقل عن العمل، بشكل مباشر عنه، بل تنشأ في التداول نفسه؟" (marx 1993: 519).

(٥) رغم أن تكاليف الاتصالات والحوسبة والتعاملات الآخذة في الهبوط تسمح لعدد من الشركات الصغيرة أكثر من ذي قبل بالتنافس محلياً وعالمياً، "في عدد متزايد من الصناعات توجد نزعة طبيعية بالنسبة لزعيم السوق إلى مزيد من السبق، ما يسبب تركيزاً احتكارياً للأعمال". "العائدات المتزايدة" تسهم لصالح زعماء سوق بعينهم عندما يكونون في وضع [يؤهلهم] للاتحاد:

١) التكاليف الثابتة مرتفعة (مثل البحث والتطوير).

٢) أطراف الشبكة المستفيدون (مستهلكون يرغبون في استعمال منتجاً بسبب تطابقه مع منتجات مفيدة أخرى.

و٣) امتناع المستهلك (عندما يجعل تعقيد تعلم كيفية استعمال منتجاً جديداً المستهلكين بطيئي التغير).

the Hitch hiker's Guide to cybernomics: Asurvey of the world Economy) (op,cit,:35-36), see also Arthur 1994b, 1996

(٦) مئة مليون هي في الحقيقة تقدير متحفظ جداً للازدياد في عدد السكان المدنيين للصين القارية منذ الثمانينات. فقد أوردت خلاصة أنباء الصين China News Digest بيان مكتب إحصاء الدولة أنه في نهاية ١٩٩٦ كان ثمة ١,٥١٥ مليون نسمة يعيشون في مناطق مدينية في الصين، ما يمثل حوالي ٤٣ بالمئة من عدد سكانها البالغ ١,٢٢ بليون نسمة. كما ذكر AFP، مستشهداً بعدد الخميس من صحيفة China Daily. في عام ١٩٩٤، كان ٢٠ بالمئة فقط من عدد السكان يعتبرون قاطني مدن.

percent, ٤٣ Weijun Liu and Ray Zhang, Urban population in china Boosts To) (China News Digest

(٧) إن الرحم الذي يضج بالكثافة، هو زمكان ريماني Riemannian (لا إقليدي) منحني يربط التعدديات بطرق معقدة، مؤمناً وصل بيانات لحظية تقريباً حول العالم من خلال شبكة من الوصلات المتشابكة التي تنسج نفسها إلى حيز الوجود في كل لحظة. إن الرحم، كونه لا خطياً وفوضوياً، ملئ بالأمثلة عما دعاه الجغرافيان النفسيان دي بورد وايفان تشتشيغلوف الـ" الممر الشمالي الغربي" North west Passage" أو عامل الوصل العكوس Renersible Con- neting factor: طرق مختصرة لاخطية من قمة منحني إلى أخرى، يترجم غريل ماركوس Greil Marcus هذه الفكرة الوضعانية بانها السبيل الفوري إلى التغيير الكلي، لكنها قد تكون مجرد تشعبات: نقاط تغير كيفي حيث الشدة تبلغ الذروة أو تهبط في الفضاء/ المكان حيث تبدأ المنظومات بتنظيم نفسها (marcus 1989:385-390) هذه الوظيفة تضطلع بها الوصلات الفائقة التي تسمح بالوصول الفوري إلى أية صفحة على الشبكة web من أية نقطة أخرى: إنها لا تتبع بنية تنظيمية شجرية بل بدلاً من ذلك تجتاز المراتبيات إلى الأرض مباشرة في موقعها ذي الصلة.

(٨) انظر Wldrop 1992: 225-226 من أجل الفروق بين الجاذبات النقطية والدورية والفوضوية.

(٩) باستثناءات محددة قليلة. يمكن للقارئ أن يستبدل المصطلح الدولوزي- الغواتاري الشعبة الآلية " the Machinic Phylum بالرحم" في كل مكان من هذه المقالة. مع ذلك، فإن الشرح التام للروابط يتطلب مقالاً كاملاً مكرساً للـ Machinic Phylum. في هذه الأثناء انظر دولوز وغواتاري ١٩٨٧ ودي لاندا ١٩٩١.

القسم الثاني

مشاهد سايبرية

٧ - من فضاء المدينة إلى الفضاء السايبري(*)

بقلم : جنيفرس. لايت

تقول الأسطورة إن السيناتور ألبرت غور الصغير تصور مفهوم "طريق المعلومات الفائق السرعة" information superhighway وهو منظومة بنية تحتية مماثلة للطرق العامة الفيزيائية التي ساعد أبوه، السيناتور ألبرت غور الكبير، في إحداثها في الخمسينات. في حين أن كثيراً من المعلقين الشكاكين قد شككوا في البداية في تمثيل الطريق الفائق السرعة، فإن شركات الاتصالات العالية السرعة هذه غالباً ما تصور الآن مثل الطرق العامة الفيزيائية لمنتصف القرن العشرين، التي تخترق المجتمعات. تشترك هذه التصويرات للوسائط والمدن بسمة سائدة واحدة. إنها رؤية تشاؤمية على نحو متساوق لكيف أن استعمال تقانات المعلومات المتنامي بسرعة سوف يزيد من تفاقم انحطاط الحياة الأهلية والمجتمع. هذا المنظور يرى الحياة العامة في انحطاط تسرعه ثقافة المحاكاة. إذ تُستبدل الفضاءات الفيزيائية بفضاءات رقمية- التلفزيون الأول والفيلم والآن الشابكة [الانترنت](1).

في هذه المقالة سوف أسبر وأشكك في نهاية المطاف بمثل هذه الصور المتجهمة لمستقبل كئيب. تتألف المقالة من ثلاث فقرات. تدرس الأولى بضع طروحات حول انحطاط الحياة العامة الأهلية - مثل أن ثمة انحطاط في الفضاء العام، وأن البيئات المدينية يجري تسليعها بشكل متزايد، وأن الأصالة المعمارية

(*) From City space to Cyberspac .

هي في انحطاط . يبرز الاهتمام بمحاكيات المدنية كثيمة مركزية . تقدم الفقرة الثانية اقتراحات حديثة مفادها أن التقانات الإلكترونية الجديدة لابد أن تكون لها على نحو ثابت تأثيرات سلبية على الحياة العامة والمجتمع . تنوه هذه الفقرة إلى التشابهات الملحوظة بين الطروحات التي يسوقها الباحثون الذين يركزون على التغيرات المعمارية في المدن كتفسير للمشاركة الأهلية والمجتمعية الآخذة في الانحطاط ، وبين الطروحات الأحدث عهداً [المساقة] من قبل التشاؤميين السايبريين cyberpessimists الذين يستبقون التطورات في تقانات الاتصال بوصفها تعجل في حدوث قدر مشابه . أما الفقرة الثالثة فتستخلص من عدة أمثلة في تاريخ التقانة ، والتطورات الراهنة في الفضاء السايبري ، للتوصل إلى استنتاج أكثر تفاؤلاً . في حين أن لا أحد بمقدوره أن يتنبأ بالمجال الكامل من المعاني الضمنية للشابكة فمن الواضح مع ذلك أن الطروحات حول علاقتها بالانحطاط الثقافي تقوم على فرضيات مشكوك فيها". تقوم هذه المقالة على رؤية أكثر تفاؤلية – مفادها أن الشابكة تقدم فرصاً مثيرة لإحياء المشاركة الأهلية بطرق جديدة .

سرديات الانحطاط Narratives of decline:

لماذا يبنون مدناً هوليوودية خاصة؟ فالمرء بالكاد يعرف أين تنتهي المدينة الحقيقية وأين تبدأ المدينة الخيالية. ألم أشاهد البارحة كنيسة وأعتقد أنها تعود إلى ستوديو_ فقط لأكتشف أنها كنيسة حقيقية؟ ما هو الحقيقي هنا وما هو غير الحقيقي؟ هل يعيش الناس في لوس أنجلس أم أنهم يمثلون على الحياة ليس إلا؟"[٢] (Moeschin 1931:98)

((المدينة الحقيقية مفعمة بالحياة، ذات أمزجة وأنماط دائمة التغير: مزاج الصباح، صخب النهار عذوبة المساء وأسرار الليل، فالمدينة في أيام العمل مختلفة للغاية عن المدينة في أيام الأحد والعطل. بالمقابل هناك مناطق "وسط المدينة"

downtown الأميركية، التطور الأحادي الجانب والأحادي المسار لكثير من نوى مدننا، التي تكون مزدحمة لثمان ساعات في اليوم على مدى الأسبوع وبشكل قاتل، ومهجورة في المساء، أثناء الليل، في أيام السبت والأحد)).

(Gruen 1964:27)

((يحدث شيء غير عادي اليوم في العلاقة بين الواقعي والتخيلي، بين الواقع وتمثلاته)).

(Soja 1996: 242)

ثلاثة تعليقات من ثلاثة راصدين للحياة المدينية، تمتد على مدى ثلاثة أجيال. منذ الثلاثينات (١٩٣٠) إلى الستينات (١٩٦٠) إلى التسعينات (١٩٩٠) تتغير الأسماء لكن الثيمة تبقى ثابتة. إن أصالة المدن الاميركية هي في [حالة] انحطاط. في العقود الأخيرة، كان ثمة أدب غني ومحبوك يلح على هذه الثيمة، إذ يركز الكثير منه على انحطاط الحياة العامة اللارسمية والمجتمع في المدن والبلدات الصغيرة. يربط المراقبون هذا الضياع بالمفاهيم المهترئة للفضاء الاهلي، بتشكل الضواحي suburbanization بعد الحرب، بجريمة المدن الداخلية، وبالنمو الظاهري للفضاءات العمومية المخصخصة مثل مجمعات التسوق، وأسواق المهرجانات، والتطورات ذات المصلحة المشتركة (CTDS) ومقاطعات تحسين الأعمال (BIDS) والمشتركات المغلقة gated communities، هذه السرديات مجتمعة ترسم استشرافاً كئيباً لحياة مدينية نابضة بالنشاط، ولأي معنى للمشترك المديني(٣).

تربط التهم حول انحطاط المدن، التهم الشعبية على كل من يسار ويمين الطيف السياسي، بالوقائع الفيزيائية للمدن وبالمدن التخيلية التي تمثل المجال العمومي. في هذه الصيغة يمثل الفضاء العمومي كلاً من الفضاء العمومي الفيزيائي وفكرة الديموقراطية. وفقاً لعدد من المنظرين المدينيين، فإن المنتزهات والشوارع

والساحات هي تجسدات مادية لمبدأي الديموقراطية والمُشْتَرَك. فالتغيرات على النسيج الفيزيائي للمجال العمومي تسير جنباً إلى جنب مع خصخصة شوارع المدينة والفضاءات "العمومية" الأخرى. على نحو خاص، فإن المنتجات الصنعية المادية التي تمثل فكرة المجال العمومي لأجل السجال الديموقراطي تنحى جانباً وتستبدل " بالمحاكيات"(٤) simulations. الثيمة المشتركة بين هؤلاء الكتاب هي نقد توهم أن هذه الفضاءات يتم التبشير بها باعتبارها تعيد إحياء الحياة العمومية في حين أنها بالفعل فضاءات إقصائية [استبعادية] مخصخصة. عندما يزداد عدد هذه المحاكيات، توصف بأنها تدل ليس فقط على فقدان الأصالة، بل أيضاً على فقدان "الواقع".

تتفحص هذه المقالة بعمق ثلاث سرديات محددة. والسرديات الثلاث تستحق التفحص لأنها تمثل منظورات حول ما حل بالمدن، وما يمكن فعله لإصلاح العطل. إنني أضع في ذهني عمل روبرت بيورغارد الذي:

> **يزعم أن الخطاب حول الانحطاط المديني هو أكثر من الإبلاغ الموضوعي عن حقيقة لا ريب فيها ويتبع [بدلاً من ذلك] تفسيراً......... يدرس كيف يقوم الخطاب بوظيفته إيديولوجيا لتشكيل اهتمامنا، ويوفر الأسباب لكيف ينبغي علينا أن نتصرف استجابة [لذلك]، وينقل قصة مفهومة ودامغة ومطمئنة لقدر مدينة القرن العشرين في الولايات المتحدة (R. Beauregard 1993:xi)**

بتفحص هذه السرديات أود أن اظهر أنه مثلما لم يكن يوجد في الحقيقة فضاء عمومي بسيط ومفتوح، كذلك لم توجد تلك الموتيفات الواضحة في مثل هذه السرديات الجديدة كلياً. بالأحرى، إن الاهتمامات بشأن تسليع وزيادة لا أصالة العمارة، وحياة المدينة بشكل عام أكثر، لها تاريخ طويل. يقود هذا التاريخ، مع وصف أكثر تلوناً للطبيعة المتغيرة للفضاء العمومي، إلى تفسير مختلف نوعاً ما للنزعات الحديثة.

الشوارع وخصخصة الفضاء [المكان]:

لنبدأ بشارع المدينة ، كما وصفه بودي:

على مدى العقد المنصرم، ظهرت امتدادات جديدة للمدينة في مراكز المدن عبر القارة. ففي مدن متنوعة مثل مينيابوليس، دالاس، مونتريال، وشارلوت، تربط جسور المشاة المنصوبة الأبراج الجديدة المبعثرة في منظومة متصلة. تؤدي متاهات من الأنفاق من محطة النقل العمومي إلى مكان العمل بدون اللجوء إلى الشوارع التقليدية؛ تنسل منظومات النقل الحاملة للبشر فوق الانفعالات المتسارعة للمدن المحددة بالشوارع. هذه الترقيعات الجراحية المدينية الجديدة، المطعمة على النسيج الحي لمراكز المدن القائمة، تبدو حميدة في البداية، أذرعاً اصطناعية وأنابيب بلاستيكية مطلوبة لصيانة الوظائف المدينية الأساسية. إنها، إذ تنشأ كحيل لتلطيف الحدود المتطرفة البيئية للحر أو البرد أو الرطوبة التي تجعل الشوارع التقليدية لا تطاق، تبدو مجرد أدوات، امتدادات خالية من القيمة للعالم المديني القائم". إنها أي شيء سوى ذلك. إن طرق المشاة هذه وابراجها، ومراكز التسوق ـ، ومعارض الأطعمة، والمجمعات الثقافية المتصلة بها توفر نسخة منقاة من خبرة المدن، محاكاة للمدينية. بإزالة النشاط الأكثر أساسية من بين النشاطات المدينية ـ مشي الناس على طول الشوارع، فإن منظومات المشاة الجديدة تحت الأرض والمعلقة في الهواء تغير طبيعة المدينة الأميركية الشمالية// (Boddy 1992:124).

يقارن بودي الطرق العلوية الحصرية والشوارع تحت الأرض بشوارع المدينة النظامية. يؤكد أن هذه البدائل المخصخصة عن شوارع وسط المدينة التقليدية توفر بديلاً غير ملائم كلياً. فالطرق العلوية هي مجرد "محاكيات للمدينة"[٥]. يجادل بودي بأن شوارع وسط المدينة هي رمز للفضاء العمومي حيث يمكن لقطاعات مختلفة من المجتمع أن تختلط وتمتزج فيها. إن استبدالها بالعالم المحكم

الإغلاق المعلق في الجو وتحت الأرض له معان ضمنية عميقة بالنسبة لجوانب الحياة السياسية كلها". بشكل مماثل، يكتب راي أولدنبرغ، الذي يرثي مسار التطور المديني الأميركي، أن "جذور عشب ديموقراطيتنا هي أضعف نسبياً مما كانت في الماضي، وحيواتنا الفردية ليست غنية بالقدر نفسه" (Oldenburg 1989:xii). فتأطير مشاهد الشارع الجديدة بوصفها لا أصيلة هو موقف يتم اعتماده لتمييزها عن البيئات الأكثر واقعية التي وجدت في الماضي.

يركز بودي على التمزقات والإزاحات التي تسببها الطرق العلوية المدينية الجديدة. مع ذلك فإن رؤيته للشارع هي بحد ذاتها محاكاة، مثال ideal. على سبيل المثال، عبر القرنين التاسع عشر والعشرين، كان ينظر إلى المدن ليس كفضاءات ايجابية، بل غالباً بوصفها في [حالة] انحطاط- تحدق بها المشاكل المتقيحة للقذارة والمرض والتصحاح. يرى كل من بودي واولدنبرغ الكمال المفقود للترابط الأهلي. مع ذلك فإن سردية الكمال هذه تعارضها الدراسات المدينية التي تركز على المدن بوصفها مواقع للتذري atomization الاجتماعي والخطر. يشدد بودي وسوركين ومؤلفون آخرون على الاستبعادات [الإقصاءات] عن مدينة المتنزهات الثيمية"، لكن ينبغي علينا ألا ننسى كيف أن الاستبعادات تكاثرت في أشكال المدينة الماضية – القائمة غالباً على العرق والطبقة والجنوسة.

في الواقع، يمكن لسرديات الانحطاط أن تستفيد من منظورات أخرى. فعلى سبيل المثال في عدد صحيفة La Tribune الصادر بتاريخ ١٨ تشرين الأول / أوكتوبر ١٨٦٨، وصف إميل زولا شوارع باريس قائلاً: "أعرف أن م. هاوسمان لا يحب الأعياد الشعبية les fetes populaires لقد حظر تقريباً كل تلك [الأعياد] التي كانت تقام في الأيام الخوالي في المقاطعات المضمومة حديثاً. إنه عديم الشفقة في حملته ضد البائعين المتجولين وباعة التجزئة. في أحلامه، لابد أنه يرى باريس كرقعة داما عملاقة، تمتلك تناظراً هندسياً" (Clark 1985: 115 n 280) لم يكن مجرد أن الشوارع كانت عمومية بشكل مزعوم يعني أن

كل شخص كان مرحباً به هناك[٦]. أما في أمريكا، فإن دكان الصودا القابع على زاوية الشارع الذي يوصف بشغف في كتاب راي أولدنبرغ بعنوان "**المكان الجيد العظيم**" كان لزمن طويل مؤسسة كلها من الذكور.

اليوم أيضاً - خارج الشوارع المحاكاة التي يصفها بودي- تبقى هذه الاستبعادات، من مراكز المدن البيضاء في معظمها مثل تشارلزتن التاريخية، ساوث كارولينا، المطوقة بحلقات من الاحياء المجاورة الإفريقية- الأمريكية إلى الشوارع في مدن أمريكية كثيرة التي تشعر فيها القليل من النساء بالأمان في التمشي. تشير هذه الصورة الأكمل إلى تبسيط مركزي في سردية انحطاط الفضاء العمومي واستبداله بالخصخصة: رسم التضاد الأسود والأبيض بين الفضاءات المخصخصة والمثال المجرد لفضاء عمومي مفتوح للجميع.

قُدمت مقترحات لمعاكسة الانحطاط المحسوس في الحياة العامة. فمؤيدو المدينية الجديدة New Urbanism، أمثال أندرز دوناي واليزابيث بلاتر- زيبرك - صمموا بلدات جديدة مثل سيسايد، فلوريدا، مصنفة كـ TND - تصميم جوار تقليدي، بمشاهد شارعية وتصاميم مساكن من عصر ماضٍ. بروح مشابهة، بنت شركة ديزني [مدينة] سيليبريشن، بلدة فلوريدية مخططة افتتحت في أواخر عام ١٩٩٦. مما يثير السخرية أن هذه المشتركات المخططة - المبنية بروح إحياء المشترك في الفضاء المادي- هي بالضبط تلك الفضاءات العمومية المخصخصة التي انتقدها سوركين والزملاء المنظرين أمثال تريفور بودي، مايك ديفيز، وإيفان ماكنزي. إن مساواة الفضاءات المفتوحة بالمجال العمومي الديموقراطي هي شطحة إيمان، تم القيام بها بشكل سهل أكثر مما ينبغي. وفي حين أن هذه الأماكن يمكن أن توفر تخطيطاً ذا مقاييس إنسانية فإن ملكية الارض من قبل مطور واحد، وتولي القطاع الخاص للخدمات العامة، وظهور روابط مالكي البيوت والحكم الخاص السكني، وقواعد الأمن الخاصة لا تعد بمجال عمومي. ففي سيسايد:

((نصبت البلدة لافتات تمنع المتطفلين بالمركبات مذكرة إياهم أنّ الشوارع هي ملكية خاصة. إن الخوف من التخريب المتعمد للممتلكات العامة والخاصة حض المالكين على اقتراح استعمال بوابات مدخل الشوارع ودفع شركة التطوير إلى استئجار حرس أمن ليلي)). (Audirac and Shermyen 1994: 168)

وقد ذهب البعض إلى حد حظر اللافتات السياسية كلها(٧).

لقد انكب دون ميتشل على المعاني الحرفية والمجازية المتضاربة للفضاء العمومي". في إحدى الرؤى، يكون الفضاء العمومي تمظهراً فيزيائياً للمجال العمومي – فضاء مسيساً لأجل أصوات مختلفة لتجتمع فتؤلف "العامة". في رؤية أخرى، يكون الفضاء العمومي بيئة آمنة مرتبة حيث يمكن للناس أن يروا ويُروا – باحة، متنزه مدينة، رصيف شاطيء. في حين يتصور بودي الشوارع كفضاءات عمومية بالمعنى الأول، فإن الشوارع التي يصفها هي أمثلة على المعنى الثاني. لأسباب مماثلة، فإن المشتركات المصممة بروح المدينية الجديدة قد وقعت تحت نيران نقد المثقفين. هذه التعارضات ليست مختلفة عن الرؤى المختلفة التي أدت إلى الصراع على استعمالات متنزه الشعب كما وصفها دون ميتشل(٨).

مجمعات التسوق وتسليع الفضاء [المكان]:

تشير الثيمة الثانية للانحطاط المديني إلى تسليع الفضاء. و يتم إظهارمعارض التسوق بشكل بارز في النقد المعاصر. فقد صارت ترمز إلى اللا أصالة، والمحاكاة، والتجانس، والاستهلاك والمراقبة. تصف مارغريت كراوفود معرض وست إدمونتون بقولها: ((تدب الفوضى على كل مستوى؛ الماضي والمستقبل يتداعيان بشكل لا معنى له في الحاضر؛ تذوب الحواجز بين الواقعي والزائف، القريب والبعيد، عندما يعالج التاريخ والطبيعة والتقانة بلامبالاة من قبل آلة فانتازيا (استيهام) المعرض)) في هذه الصيغة، ترمز المجمعات malls إلى ثقافة الاستهلاك". فدواخلها تحاكي واجهات المحلات وساحة بلدة للمشاة– مع ذلك

فإن هدفها هو الربح من كل قدم مربع . في تطور ذي صلة ، تُشترى الشوارع نفسها من قبل المطورين [المستثمرين] وتحول إلى معارض في العراء[9] لهذا فإن مواقع السياسة تستبدل بمواقع الاستهلاك التي تقدم فرصة ضئيلة لأجل السياسة .

في حين انتقد بعض المؤلفين المجمعات والطرق التي يسلع بها الفضاء [المكان] ويجرد من السياسة بوصفها [أي المجمعات] ظاهرة معاصرة بشكل فريد (وأمريكية شمالية إلى حد كبير) ، فإن الهموم حول تسليع الفضاء هي في الحقيقة أقدم بكثير . ففي باريس القرن التاسع عشر ، على سبيل المثال ، جعلت التغيرات [المفروضة] على النسيج المديني احتجاجات الطبقة العاملة أكثر صعوبة بينما زادت من تداول البضائع عبر المدينة ، وتصف كرادفورد باريس القرن التاسع عشر ، ومتاجرها التنويعية على وجه الخصوص ، بأنها مماثلة لمجمعات التسوق . بالفعل ، إن وصفها لمجمع وست إدموندتن يستعيد الصفات المميزة لباريس القرن التاسع عشر حيث استعملت الصحف بشكل روتيني ، في ستينياته (١٨٦٠) مفردات parade (عرض) و phantasmagoria ، (حلم) ، mirage (سراب) ، dumbshow (مشهد صامت) و masquerade (تنكر) لوصف المدينة . في حين تعتمد كراوفورد على القرن التاسع عشر لتقديم تاريخ جذّاب للاستهلاك ومتاجر باريس التنويعية ، فإنها لا تعلق على التوازي بين المجمعات المضبوطة المناخ التي تحاكي كلاً من الطبيعة وفضاءات المدينة ، والبيئات الاصطناعية الأخرى الكثيرة لباريس القرن التاسع عشر . وكانت المشاهد الخارجية المسورة في كل ظروف الطقس وتجارب السفر الافتراضي موجودة هنا وهناك لبعض الوقت ، من الأسواق المقنطرة إلى الحدائق الشتوية إلى المعارض الشاملة . مثل مجمع أمريكا الذي يهدف إلى حصر العالم برمته ضمن جدرانه ، فإن المعارض الشاملة للقرن التاسع عشر قد فعلت الشيء نفسه . بالفعل ، فقد فندت آن فريدبورغ وفانيسا شفارتز مواقف جان بودريار وامبرتو ايكو وفريدريك جيمسون الذين يجزمون أنّ الواقع الفائق hyperreality هو شكل ثقافي أمريكي ما بعد حديث .

إنهما تربطان الواقع الفائق بالتحولات في باريس في ظل هاوسمان ونابليون الثالث. على سبيل المثال، أطلق فيكتور هوغو على باريس هذه اسم "نسخة"، أما بنيامين فقد دعاها "مدينة اصطناعية".

كما ترى كراوفود فإن التغيرات المعمارية والتخطيطية لم تزد من تداول البضائع فحسب، بل إن معيرة الأسعار قد حولت التسوق إلى نشاط حل فيه التفرج محل الحاجة إلى الشراء. ويقف وصفها قاصراً عن رؤية كيف تم تسليع شوارع وفضاءات المدينة. مع ذلك فقد وصف أحد المراقبين المدينة نفسها بأنها متجر تنويعي، " الحشد هو الحجاب الذي من خلاله تغوي المدينة المألوفة **المتسكع** flaneur مثل مشهد دائم التغير. تكون فيه المدينة مشهداً تارة، ومتسعاً تارة أخرى. فكلاهما، إذاً يشكلان المتجر التنويعي الذي يسخر حتى **التسكع** Flanerie لأجل تداول السلع. وعلى حد تعبير بنيامين " فإن الحشد والمدينة قد تم تسليعهما عندما أصبحا جزءاً من المشهد المجند لبيع البضائع. أصبحت المدينة متجراً تنويعياً، مع كون المتسكعين جزءاً من الحشد الذي يغري المستهلكين إلى الداخل.

يمكن للمرء أن يذهب بعيداً إلى حد القول إن باريس، مثل الأسواق المهرجانية الأميركية اليوم، أصبحت سلعة بحد ذاتها يتم استهلاكها افتراضياً. في الأشهر السابقة للمعرض الشامل لعام ١٨٦٧، الذي جلب ملايين السياح إلى باريس، ازدادت الاهتمامات بمظهر باريس. فقد وصف زائر أمريكي إلى باريس في عام ١٨٦٧ كيف أنه "ظاهرياً بقيادة الإمبراطور" غسلت باريس وجهها وارتدت ملابس يوم الأحد، في وقت مبكر جداً من الموسم. . . أمر الغبار بأن يهدأ وألا يزعج العيون والمناخير؛ وأمرت الأشجار بأن تورق leaf (لا أن **تبرعم** leave) في أبكر أوقاتها". فقد وصف بنيامين كيف أن الشوارع، في باريس هذه، كانت مثل تحف فنية. هذا التصوير تراوح من الرؤى المنظورية التي تقدمها، إلى حقيقة أن "الشوارع" قبل إكمالها قد كسيت بالخيش "(قماش

القنب) وأزيل النقاب عنها مثل النصب التذكارية. فباريس نفسها أصبحت شيئاً يستهلك بصرياً ويجمع ؛ وقد كان أحد المعارض اللاحقة مكاناً لولادة البطاقة البريدية المصورة التي [تروج] دعاية للمدينة.

إن الحجة القائلة إنّ المجمعات هي خراب الديموقراطية - إنها فضاءات تجارية في جوهرها تحاكي بشكل فاشل الفضاءات العمومية- هي حجة دامغة في المبدأ. على سبيل المثال، يلخص فريدن وساغالين الأحكام القانونية المختلفة للدول حول ما هو مسموح وما هو غير مسموح في المجمعات. مع ذلك فإن الحجة ضعيفة لأنها تتجاهل طبعات أخرى من الماضي كانت فيها الكثير من مواقع "الحياة العامة" في الواقع فضاءات تجارية - بما في ذلك، على سبيل المثال المتاجر التنويعية والمقاهي. علاوة على ذلك، فإنها تفترض أن المواطنين يمتلكون بدائل قليلة، إن كانوا يملكون بالمرة، عن المجمعات.

نقد المجمعات هذا يفوت أيضاً بعض التفسيرات البديلة. إذ يرى وصف كراوفورد المجمعات كأماكن للهيمنة على المستهلك[١٠]. مع أن هذا الموقف من "آلة استيهام المجمع" هو موقف حتمي (قدري) معمارياً، يرى المستهلكين بوصفهم منفعلين أكثر من كونهم فاعلين وحتى بوصفهم مستعملين تخيليين للفضاء والمنتجات. إن كراوفود لم تقابل متسوقين، بل بالأحرى نظرت إلى كيف أن تجارة المجمع تفرزهم إلى فئات. هذا المنهج يجعل من الصعب جداً إيجاد استعمالات خلاقة لفضاء المجمع. لقد تتبّع باحثون آخرون مستخدمي المجمعات بشكل مختلف، ليجدوا أنهم ليسوا مخدوعين بالاستهلاك بل بالأحرى يستعملون الفضاءات ضمن المجمعات، بدون شراء، لأغراض أخرى - على سبيل المثال لإقامة العلاقات الاجتماعية أو للاستبراد في يوم حار. يرى برنارد فريدن ولين ساغالين أن كثيراً من النقد للمعارض هو نقد اكاديمي ونخبوي أكثر مما ينبغي، أي أنه يخطىء فهم "ناس الضواحي" ويتجاهل الوظيفة المجتمعية [المشتركية] لمجمعات التسوق. تكشف المناهج (المثيودولوجيات) الجديدة

كجماعات البؤرة Focus groups كيف أن ما يحدث في فضاءات متجانسة ظاهرياً كالمجمعات هو في الواقع معقد تماماً[11]. إن ما يدعى "المجمع Mall" هو أكثر تمايزاً بكثير مما يوحي به الأدب. ففي حين توجد في الواقع أمثلة على مطورين [مستثمرين] قلائل يمتلكون معارض تسوق كبيرة لحسابهم، فليست كل المجمعات سواء - وهذا يعزى إلى حد كبير إلى الطرق التي يقحم بها الناس أنفسهم في تجربة التسوق.

المعمارات اللا أصيلة والتاريخ المحاكي:

تنتقد الثيمة الثالثة للانحطاط المديني الأساليب المعمارية المعاصرة بوصفها لا أصيلة:

> **هذا العالم الجديد هو مدينة من المحاكيات [التقليدات]، مدينة تلفزيون، المدينة بوصفها حديقة الأفكار(*). وهذا ليس جلياً في أي مكان أكثر مما هو جلي في [فن] عمارتها في الأبنية التي تعتمد في مرجعيتها على صور مستمدة من التاريخ، من ماض، منتحل بشكل مزور يشكل بديلاً عن حاضر أكثر إلحاحاً وعرضة للامتحان (sorkin 1992b: xiv).**

هذا النقد المتكرر للعمارة ما بعد الحديثة يكون موجهاً في الغالب إلى مجمعات التسوق والعمارات التجارية، مع محاكياتها لأساليب من عصور تاريخية مختلفة وسياقات جغرافية مختلفة. كما يكتب امبرتو ايكو:

> **إن منطقة وول ستريت في نيويورك مكونة من ناطحات السماء، وكاتدرائيات نيو-غوطية وتماثيل آلهة نيوكلاسيكية وبنى مكعبة بدائية. لم يكن بناتها أقل جرأة من آل هرست وآل ريتغلينغ. وبمكنك أيضاً أن تجد هنا قصر ستروتسي، ملكية البنك الاحتياطي الفيدرالي لنيويورك، المكتمل بمظاهر التريف وكل شيء، لكونه بُني في عام ١٩٢٤ من حجر إنديانا الكلسي وحجر اوهايو الرملي**

"فإنه يكف عن محاكاته لعصر النهضة في الطابق الثالث تحديداً ويستمر بثمانية طوابق أخرى من ابتكاره الخاص، ثم يكشف عن شرفات غويلف المفرجة، ثم يستمر كناطحة سماء. لكن لاشيء للاعتراض عليه هنا، لأن مانهاتن السفللى هي تحفة من العمارة الحية، معقوفة مثل الخط السُفلى من أسنان راعي البقر كيت؛ فناطحات السماء والكاتدرائية الغوطية تؤلف ما أطلق عليه اسم حفلة جاز في الحجر، بالتأكيد هي الأكبر في تاريخ الجنس البشري. هنا، علاوة على ذلك، لا يبدو الغوطي والكلاسيكي الجديد نتيجة للاستنباط البارد؛ إنهما يشرحان الوعي الإحيائي للعصر عندما يبنيان، وهكذا فهما ليسا زائفين، على الأقل ليس أكثر مما هو المادلين Madeleine، في باريس، وهما ليس غير قابلين للتصديق بأكثر مما هو نصب فيكتور عمانوئيل، في روما.

(1986b (1975):28)

يعارض ايكو المراجعة التبجيلية لعمارة نيويورك الإحيائية revivalist بتفسير ساخر للتزييفات في محاولات معمارية أميركية أحدث عهداً لإحياء الماضي. إنه يميز بين تقليد القرن التاسع عشر والأسلوب ما بعد الحديث المعاصر، بين المدن الأوروبية والمدن الأميركية. في الحالتين، كما يجادل، يكون الأول أكثر أصالة.

مع ذلك، هل تختلف ردهات المجمعات المعاصرة المغطاة بالزجاج كثيراً عن محطات قطارات القرن التاسع عشر حيث كانت المحركات البخارية وآلات الإنتاج بالجملة تأويها بشكل ثابت منشآت تبدو مثل طبقات مرققة من المعابد اليونانية أو الكاتدرائيات القروسطية"؟ سواء كانت استعارات روما من مصر واليونان، أو استعارات الطراز الروماني وعصر النهضة للنماذج المعمارية الكلاسيكية أو المعمارات [فنون العمارة] النيوغوطية والاستشراقية للقرن التاسع عشر، ثمة تاريخ طويل من التطلع إلى الماضي وإلى المناطق الجغرافية الأخرى

بحثاً عن الأصالة المعمارية. إن تكييف مطوري المجمعات لفن العمارة لكي يوحي بالأناقة ربما لا يكون مختلفاً عن تكييفات القرن التاسع عشر للأساليب الغوطية لإحياء المتاحف بوصفها كاتدرائيات للتعلّم. بالفعل، إن نقاد[فن] العمارة التجارية المعاصرة يمكن أن يدرسوا عمل إدوارد رلف، الذي يكتب إنه "بحلول عام ١٨٨٠ تم إحياء كل أسلوب فرعي من العمارة تقريباً وتعديله، ودمجه مع كل الأساليب [الفرعية] الأخرى" (Relph 1987: 26 -27).

إن المنظرين المعماريين للقرن التاسع عشر، أمثال يوجين إيمانويل فيوليت لودوك وجون رسكين المهتمين بالصيانة والترميم قد ناقشوا أيضاً مسألة التقليد المعماري في مقابل الأصالة. فالعمارات المحاكاة كانت جلية في بريطانيا الفيكتورية حيث مارست جمعية كمبردج كامدن نوعاً من الترميم الذي أمكن أن ينطوي على تدمير شامل وإعادة بناء [وفقاً] لتصميم تأملي تاريخياً؛ نظراً لأن " مهمتهم في الترميم كانت استرجاع المظهر "الأصلي" للبناء سواء من الأدلة القائمة أو من الافتراض[١٢]. في بعض مدارس الفكر الفيكتوري، كانت نسخة دقيقة معمارياً من سمة معمارية قديمة تعدُّ جيدة بقدر جودة الشيء الواقعي أو حتى أفضل منه. في موقف مختلف من انحطاط الأصالة، انتقد المعماري ألبرت سيمونز العموميات المعمارية التي كانت تتحدى الأساليب المحلية. إذ يعلق سيمونز، معبراً عن القلق من المجانسة المعمارية، على سبيل المثال، في تعليقاته سنة ١٩٨٢ حول سياج في تشارلزتن، ساوث كارولينا، بقوله: "إنني لا أحب بشكل خاص فكرتهم عن ـــ سياج لونغ إيلاند من **البيت والحديقة**.... **فكتاب من البيت والحديقة** والمنشورات الأخرى من النوع نفسه قد فعلت لأجل الهبوط بالذوق الاميركي إلى مستوى رتيب بنكهة انكلترا الجديدة الزنخة أكثر مما فعل أي شيء آخر اعرفه" (Datcl 1990: 210).

يبدو أن انتقادات الانحطاط في الأصالة المعمارية تضفي صبغة رومانسية romanticise على الماضي بإقامة تمييز بين إحياءات (فن) عمارة القرن التاسع عشر

وإحياءات اليوم . إنها ترسم ذاك النوع من التمييز بين الفن الرفيع والفن الوضيع الذي كان موضوع كثير من النقد من قبل دارسي فن العمارة البلدية . يختلف تعليق ايكو Eco عن انتقادات انعدام الأصالة المركزة على الأشكال المدينية التي تحاكي الفضاء العمومي أو الديموقراطي . إن حجته هي بشكل مزعوم حول الواقعية في مقابل الافتراضية - أو بمصطلحات ايكو الفظة: "التزييفات" Fakes . مع ذلك فإنها معنية بالقدر نفسه بما ينبغي أن يكون عليه الواقع - خبرة لا تجارية ، غير موسوطة . هكذا يبدو أن السجال حول الواقعية في مقابل الافتراضية يقوم بوظيفته كلغة من أجل حجج أخرى لا تزال غير معلنة .

في بعض انتقادات التطبيقات اللاأصيلة ، إذا ، فإن ما يوصف بأنه أكثر أصالة يمثل انحيازاً طبقياً واضحاً . إن ربط هذه العمارات [الفنون المعمارية] بفهم واسع الانتشار للانحطاط المديني هو مجموعة من الفرضيات حول ما يجعل الثقافة المدينية عظيمة . فكما تشير باربرا روبن:

إن تنوع سكان المدينة، أو الطيف الكوزموبوليتاني للبضائع والخدمات التي يتم تبادلها، نادراً ما يؤخذ كمؤشر على النجاح المديني من قبل دارسي الثقافة المدينية. بدلاً من ذلك، يصادف النجاح المديني في قائمة من مؤسسات المدينة اللاتجارية، اللاصناعية: الاوركسترا الفيلهارمونية، متاحف الفن، المنتزهات، الأديان والمزارات التاريخية، المسارح، عمارة الفنون الجميلة، " والمخططات التي تضفي طابعاً من الصرحية، الموحدة (Rubin(1979:341.

هذه الفرضيات حول ما يصنع النجاح المديني هي فرضيات طبقة وسطى أو طبقة وسطى عليا ، تبرر عملياً مكامن الفشل في معمارات التجارة . في حين ينتقد بعض المعلقين العمارات التجارية بسبب استبعاد "العامة" فإن الفضاءات مع ذلك تستعمل من قبل طيف واسع من الناس . تعيد روبن تاريخ القلق من الاستهلاك ، الذي يقتضي سقوط الثقافة في الانحطاط ، إلى معرض شيكاغو ، حيث أفردت

مساحة مسورة جانباً لجل الفعاليات التجارية: لم يكن بمقدور الإيديولوجيات الناشئة لعلم الجمال المديني أن تفسح مجالاً للتجارة، لأن التجارة بالتعريف لا يمكن أن تكون جمالية". يستمر هذا الخط الهجومي في انتقادات الأسواق المهرجانية، التي تناقش كيف أنه في أمكنة مثل سوق فانويل هول أو مرفأ ساوث ستريت، يتم تجنيد أبنية تاريخية لبيع البضائع. هكذا يتم تقويم الإحياء المعماري بشكل مختلف تبعاً لجمهوره.

هنا التجديد المديني بعقلية شريرة، عمارة خداع، بألفتها ذات الوجه السعيد، تنأى بنفسها بشكل مضطرد عن أكثر الحقائق أساسية.

(Sorkin 1992B: XIV)

المسوّغ المنطقي الأساسي لكل نقد – نقد الممرات العلوية، المجمعات، وبعض التوليفات المعمارية – هو أن الأشكال المعمارية، التقليدية هي بشكل ما أكثر واقعية وصدقاً. فكما يكتب في تقديمه للمجموعة:

"هواء المدينة يجعل الناس طليقين" كما يقول مثل قروسطي(١٣) تصف المقالات التحذيرية المجمعة هنا ريحاً فاسدة تهب من خلال مدننا، جواً يمتلك الإمكانية لأن يبدل بشكل لا يمكن إعكاسه شخصية المدن بوصفها المواقع المبجلة للديموقراطية والمتعة ـ فالمواقع المألوفة للمدن والشوارع والساحات والباحات والمنتزهات التقليدية، هي مسارحنا العظيمة للأشياء الأهلية، المرئية والمتاحة، قوانا الرابطة. بوصف البديل، يدعو هذا الكتاب إلى العودة إلى مدينة أكثر أصالة، مدينة تقوم على القرب الفيزيائي والحركة الحرة. وإحساس بأن المدينة هي أفضل تعبير لنا عن الرغبة في الجماعية. كما تنحسر الفضائية/ [المكانية] كذلك تنحسر الحميمية. فالمدينة المخصخصة المؤلفة من القطع الصغيرة هي كذبة، تحاكي صلاتها. تبطل قدرة مواطنيها على التصرف بمفردهم أو التصرف مجتمعين.... في الفضاءات "العمومية" للحديقة العامة أو مجمع

التسوق. يكون الكلام نفسه محصوراً: إذ لا توجد مظاهرات في ديزنيلاند. إن السعي لاسترداد المدينة هو كفاح الديموقراطية ذاتها.

(Sorkin 1992B :XV)

يقيم هذا البيان تمييزاً أبيض وأسود بين لا واقعية ديزني المخصخصة وواقعية العالم الخارجي. مع ذلك ثمة مظاهرات في ديزنيلاند، وكان ثمة مظاهرات قبل وقت طويل من إرسال مقالة سوركين إلى المطبعة. لقد وصفت San Francisco Foghorn "بضعة اضطرابات أصابت المنتزه بما في ذلك إضراب في عام ١٩٨٤ دام لمدة ٢٢ ساعة" إن مفهوم ديزنيلاند بوصفها فضاء خارج النزاعات المحتملة للفضاء العمومي قد بولغ فيه.

باختصار، توحي سردية "الانحطاط والسقوط" أنّ الاستراتيجيات الجديدة لأجل إعادة الإحياء المدينية لا تؤدي إلى تحسينات، وأن الديموقراطية الحقيقة لا يمكن إيجادها إلا من خلال أشكال معمارية أكثر تقليدية. إن انتقادات الأشكال الجديدة بسبب استبعاد بعض العامة هي انتقادات مبررة جزئياً، نظراً لأن المجمعات والممرات العلوية، في الحقيقة، لا تخدم بشكل متساو كل المواطنين. مع ذلك يجب أن نسال ما إذا كان الحنين إلى الأشكال المدينية التقليدية في غير محله، نظراً إلى أن هذه الأشكال كانت في زمنها تمثل تعريفاً أكثر تحديداً "للعامة". يمكن رؤية هذا الحنين مقروناً بانتقادات الانحطاط يستمر نزوعاً إلى إيجاد الأصالة في الماضي المعماري. مع ذلك، يتساءل المرء، عندما يلتفت كل من الكتاب المحافظين والتحرريين نحو الوراء لإثبات مثال مشابه، كم هي مختلفة طبعات الماضي التي يحفظونها في أذهانهم؟

ربط فضاء المدينة بالفضاء السايبري:

من أدورنو إلى آل ليند إلى هابرماس إلى اولدنبرغ إلى سوركين، يصف

الكتاب صعود وسائل التسليم المنزلي(*) بأنها عامل مركزي في انحطاط المدن كفضاءات أهلية. على سبيل المثال، وجدت دراسة روبرت وهلين ليندا الكلاسيكية لميدلتاون أنه باستعمال الهواتف قلّت التزاورات [تبادل الزيارات]. أما راي اولدنبرغ ونيل بوستمان فيربطان الهواتف والتلفزيونات وVCR وأجهزة التسلية المنزلية الأخرى بإقفال مؤسسات الجوار. مثل هذه الملاحظات حول الثقافة الأميركية هي امتدادات لنقد الفردانية الأميركية الذي وجهه ألكسي دي توكفيل، الذي كتب أن الفردانية الأميركية يمكن أن تكون سقوطاً للحياة العامة. "الفردانية هي شعور هادئ ومدروس يدفع كل مواطن على حدة إلى عزل نفسه عن جمهور زملائه والانسحاب إلى دائرة الأسرة والأصدقاء؛ ومع كون هذا المجتمع الصغير مشكلاً على ذوقه، فإنه يترك المجتمع الكبير بسرور ليهتم بنفسه". في حين أن دي توكفيل أعجب بالأميركيين بسبب التزامهم بالمشاركة في الحياة العامة فإنه شعر في الوقت نفسه أن استعداد الأميركيين لأجل الحرية الفردية يمكن أن يؤدي إلى الانعزال وبذلك يتعارض مع مستقبل حريتهم. الآن، تتعرض تقانات الحاسوب لنيران النقد واللوم عندما يترجم الوقت الذي يقضى على الحاسوب إلى وقت لا يقضى في الشارع، حارفاً الانتباه المطلوب كثيراً عن مشاكل المدينة. لقد وصف دولورز هايدن هذا المشترك الآخذ في التلاشي والحياة العامة كجزء من الدافع الأمريكي الفريد إلى خلق منزل مثالي، بدلاً من [خلق] مدينة مثالية(١٤).

ومثل قصص الهراء السايبري عن الهروب إلى الافتراضية، تحكي السرديات الأكاديمية لانحطاط المدن وانحطاط الحياة العامة عن انحطاط الواقع، وعن استبداله بالمحاكيات. وترتبط التعليقات على صعود الفضاءات الافتراضية بانتقادات الواقع الفائق المتزايد للفضاءات الفيزيائية، وهي انتقادات تشمل في بعض الأحيان مدناً برمتها. فقد ركزت انتقادات الواقع الفائق عموماً على عدد

(*) home-delivery media.

قليل من المدن وأنماط المدن. إذ تشمل لوس أنجلوس، لاس فيغاس ومشتركات منظمة مثل ديزني سيلبريشن، فلوريدا[١٥]. على سبيل المثال، لقد طور أمبرتو إيكو فكرة أن الاميريكيين يفضلون التزييفات وإعادات البناء والمحاكيات، وهي ممارسة مرتبطة بشكل ما بالحاجة إلى اختلاق تاريخ في بلد لا تاريخ له. فكما يقول، إن مدن أوروبة لها منتزهات تسلية، أما في أمريكا فإن مدناً بأكملها هي أماكن تسلية. وإذ يصف [إيكو] كاليفورنيا وفلوريدا بأنهما "منطقتان اصطناعيتان" يكتب، "الحقيقة هي أن الولايات المتحدة مليئة بالمدن التي تحاكي المدينة". يقدم سوجا تقريراً مماثلاً حول لوس أنجلوس: "لم تعد العوالم الأبسط للحديقة العامة الاصطناعية هي الأمكنة الوحيدة التي يجري فيها بشكل فاضح إخفاء تلاشي الواقعي".

لا توصف الأشكال المدينية فقط كمواقع للمحاكاة تقع على فضاءات مدن أقدم أكثر أصالة، بل إن المعلقين يصفون انحطاط المدن "كسقوط" في التوسيل، إقامة التناظرات بين المدن والوسائل. من تعليق جان بودريار أن مجمع التسوق يشبه "معمل مونتاج عملاق"، إلى ملاحظة مايكل سوركين أن "بنية هذه المدينة هي إلى حد كبير مثل التلفزيون، إلى تعليقات إدوارد سوجا على" حياة «شريط الأخبار الحقيقي» تنتقد تأثيرات الوسائل على المدن، ما يوحي بأن "التلفزيون يبشر بعالم عمومي أعيدت صياغته رسمياً، مدينة أعيد صنعها على صورة تلفزيون. لتحديث هذه السردية من أجل عصر المعلومات، رسمت كريستين بوير تناظراً بين الرحم الحاسوبي وفضاء المدينة، وهو تواز صار شعبياً في الخيال العلمي الهرائي السايبري.

ليست الثيمة المشتركة بين هذه التصويرات هي فقط أن المدن قد أصبحت أكثر تشتتاً من الناحية الفيزيائية في العقود الأخيرة (وهي حقيقة يستطيع القليلون تفنيدها)، بل أنها في الوقت نفسه مجردة من الطابع المادي

في مخيلات الناس. كما يعبر سوركين عن ذلك، فقد شهدت السنوات الأخيرة ظهور نوع جديد كلياً من المدينة، مدينة بلا مكان مرتبط بها. من الواضح أن المدينة تحتاج إلى فضاء فيزيائي؛ إن فكرة سوركين هي أن المدن اليوم ذات صلة واهية بجغرافياتها المحلية.

مثل ايكو وسوجا، يعتبر جيمس كونستلر بضعة مدن أميركية عواصم اللاواقع: "أتلنتيك سيتي، خلافاً لعالم ديزني، كانت فيما مضى بلدة أصلية [من ثمانينات القرن التاسع عشر ١٨٨٠ إلى عام ١٩٢٩]، لكنها تطورت بشكل تعيس إلى مكان اللاواقع الأكثر تطرفاً". في تعليقه على المدينة الأميركية الأكثر "افتراضية" في أواخر القرن العشرين، يردد بودريار صدى موقف إيكو ليكوّن فكرة مشابهة حول لوس أنجلس. إذ يصف بودريار كيف أن ديزنيلاند، بشارعها الرئيسي USA، تسمح للأميركيين أنّ يدعوا بأن بقية مشهدنا الأرضي هي واقعية:

> **توجد ديزنيلاند لكي تخفي كونها البلد "الواقعي"، كل أمريكا "الواقعية" التي هي ديزنيلاند.... يجري تقديم ديزنيلاند بوصفها تخيلية لجعلنا نصدق أنها واقعية، في حين أن كل لوس أنجلس وأمريكا التي تحيط بها لم تعد واقعية، بل تنتمي إلى النظام ما فوق الواقعي وإلى نظام المحاكاة.(Baudrillard 1995a (1981):12**

بوضع مثل هذا الافتراض وراء التعليقات الكثيرة تصبح المقارنات الشعبية بين المدن المجردة من المادية والفضاءات السايبرية بوصفها أمكنة موسولة بدون بنية فيزيائية مقارنات مفهومة[١٦]. هذه هي تهمة مؤلفات مثل كتاب بوير Boyer بعنوان **المدن السايبرية** Cybercities (١٩٩٦) وكتاب مارك سلوكا Mark Slouka بعنوان **حرب العوالم: الفضاء السايبري وتعدي التقانة العالية على الواقع** (١٩٩٦) War of Worlds : Cyberspace and the High – Tech Assault on

Reality. باختفاء المدن الأكثر شبهاً بالوسائل والفضاءات العامة، يتنبأ هذان الكاتبان بنمط دائري. فانسحاب الناس سوف يؤدي إلى مزيد من تفكك البيئة الفيزيائية الذي سيزيد جاذبية العوالم الافتراضية.

تكتب بوير، واصفة المدينة اللامرئية أو المتلاشية:

أميل إلى الاتفاق مع وليام جيبسون، الذي قرر حتى قبل كتابة مؤلفه Neuromancer أن ما يحدث في الفضاء وراء شاشة الفيديو هو أكثر لفتاً للاهتمام مما كان يحدث في الفضاء أمامها ـ بعبارة أخرى، إن الفضاء السايبري يجذب المستعمل إلى الفضاء المتراجع للرحم الالكتروني في الانسحاب الكلي للعالم (Boyer 5 1996: 11).

تلاحظ بوير أن "انحطاط الواقع بوصفه دالاً خطيراً" هو موضوع دراستها، وتؤكد ذلك كقضية يجب الانكباب عليها. يوسع مارك سلوكا هذه الفرضية[١٧]. في فصله المعنون "الطريق إلى اللاواقع"، إذ ينتقد سلوكا:

"نزعة عامة للغاية تكاد تكون لا مرئية: انفصالنا المتنامي عن الواقع. ... دعوني أعرض حالتي ببساطة قدر الإمكان: إنني أعتقد بأنه من الممكن أن نرى، في عدد من التقانات التي أحدثتها التطورات الحديثة في عالم الكومبيوتر، هجوماً على الواقع كما عرفته الكائنات البشرية دوماً.

Slouka(4-1996:1)

التشديد هنا هو على أن الوسائل media تفقد حس المكان والزمان في صياغة سوركين، فالواقع الافتراضي هو خداع الكتروني ولا واقعي "– البناء الالكتروني للصور التي لا يمكن تمييزها عن الوقائع [جمع واقع] الاسمية التي تزعم أنها تمثلها"[١٨]. ويكتب سوجا أنه:

عندما تضعف قدرتنا على تمييز الفرق بين ما هو واقعي وما هو متخيَّل، يزدهر نوع آخر من الواقع ـ الواقع الفائق ـ ويتدفق بشكل متزايد إلى الحياة اليومية ... لم يكن بودريار وحيداً في لفت انتباهنا إلى حقيقة أن الواقع لم يعد ما اعتاد أن يكون (Soja(240-1996:239

ليست المدن وحدها التي تتلاشى ، بل "الواقع" – وهي فكرة تدافع عن الأصالة والمشترك والفضاء العمومي ، وعن عالم لا تجاري جرى تصوره بشكل مثالي .

في حين أن المدن قد تغيرت فيزيائياً عبر هذا القرن – على سبيل المثال ، من خلال بناء الطرق السريعة [الاوتوسترادات] ومجمعات التسوق ، ونزعة عامة نحو اللامركزية – فإن التغيرات القاسية عبر العقدين المنصرمين ليس من السهل تعريفها. يشير بيتر لاركهام وإليزابيث ويلسون إلى كيف أن احد التوترات في التفكير حول المدن هو تحدي الركود في مقابل التغيير ، المحافظة في مقابل التجديد . كمثال على ذلك ، فإن " المدينة" تخترع ويعاد اختراعها ، ولا يمكن معاملتها كدال سكوني. لذلك فإن الكتابة حول قوى المدن التقليدية تصبح معقدة لأن "المدينة" – أشكالها الفيزيائية وطرق مفهمتها – قد تطورت على مدى قرون عديدة[١٩] . ولقد رثى المعلقون السابقون أيضاً زوال المدينة الأصلية . هكذا ينتهي نقد اليوم على نحو ساخر ، إلى تحديد موقع الأصالة في الماضي عندما تكون مفهمته بحد ذاتها لهذا الماضي هي نفسها محاكاة [٢٠] .

موجز تاريخ التكنولوجيا:

أخذ المتحف مكان الواقع الملموس، أخذ الكتاب الدليلي مكان المتحف، أخذ النقد criticism مكان اللوحة، أخذ الوصف المكتوب مكان البناء، المشهد في الطبيعة ، المغامرة، الفعل الحي. وهذا يضخم ويشوه صورة الحالة التقنية البدائية القديمة للعقل، لكنه لا يزيفها بشكل جوهري.

(Mumford 1934: 181)

تتغير إدراكات أية بيئة أو تقانة بمرور الزمن. تأمل القراءة، التي يدافع عنها أحياناً بوصفها "واقعية" و"أصيلة" في مقابل الوسائل الالكترونية الجديدة. مع ذلك فإن القراءة قد انتقدت بوصفها لا واقعاً unreality:

مع انتشار القراءة والكتابة، شكل الأدب من كافة الدرجات والمستويات عالماً شبه عمومي يمكن للفرد "الساخط" أن ينسحب إليه، أن يحيا حياة مغامرة على غرار الرحالة والمستكشفين في مذكراتهم، أن يحيا حياة من الفعل الخطير والرصد الدقيق عن طريق المشاركة في الجرائم وتحريات دوبان أو شرلوك هولمز ما، أن يحيا حياة من الإشباع الرومانتيكي في قصص الحب وقصص البطولة الإيروتيكية التي أصبحت ملكاً للجميع منذ بداية القرن الثامن عشر فصاعداً. لقد وجد معظم هذه التنويعات من حلم اليقظة والاستيهام بالطبع في الماضي: أما الآن فهي تصبح جزءاً من جهاز هروب جماعي عملاق.

(Mumford 1934:314)

من قصص الإدراك الرياضي لعصر النهضة، إلى زجاج لورين إلى مخازن التجزئة التي توصف بأنها ثقافة بانورامية، تساهم المنتجات الصنعية التكنولوجية في الطرق الجديدة للرؤية. على سبيل المثال، كما يكتب هارولد إينز Harold Innes في كتابه **انحياز الاتصال** The Bias of Communication، كان اختراع الطباعة تهديداً للحياة العامة: كان تبصر إينز أن الصحف قد خلقت بالفعل احتكارات المعلومات. إن ظهور "الجمهور"، قد شكل خطراً بالنسبة للحياة العامة عندما حول الناس إلى قراء ومستمعين خصوصيين أساساً.

بشكل مماثل، يشرح أولدنبرغ:

(("ما قدمته الحانة قبل التلفزيون والصحف بزمن طويل كان مصدراً للأخبار بالتوازي مع الفرصة للسؤال والاحتجاج، والهتاف، والالتحاق وتشكيل الرأي محلياً وجماعياً. وهذه الأشكال الفاعلة والفردية من المشاركة هي

ضرورية لحكم الناس. إن منظومة وسائل التسليم المنزلي الكفؤة، بالمقابل، تنحو إلى صنع قعداء [محجوزين] من الأفراد الأصحاء من نواحٍ أخرى: كلما تلقى الناس الأخبار بعزل، أصبحوا أكثر قابلية للتلاعب بهم من قبل الذين يتحكمون بالوسائل (Oldenburg 1989).

يصف فالتر بنيامين كيف يمكن من خلال التغيرات التاريخية لأنماط الإدراك أن تتغير تعريفات الواقع أيضاً. إذ يشرح كيف أن التصوير الضوئي يغير الطريقة التي يرى بها الناس، من دراسات حركة موييردج التي تلتقط ما لا تستطيع العين رؤيته إلى رثائه لفقدان هالة الفن في عصر إعادة الإنتاج الآلي. تعتمد سوزان سونتاغ على أفكار بنيامين حول الإدراك [الحسي]. ففي حين تقر بقدرة الصور الضوئية على تمثيل الواقع بشكل أمين، فإنها تطالب بتفحص أكثر دقة إلى أي مدى باتت تلك الصورة بشكل متزايد، بدمج الصور والأصوات المؤللة والموسَّلة في خبرتنا اليومية، هي التي تؤلف الواقع والأصالة (Sontag 1977).

إذاً ما الذي يضيفه كل هذا؟ لا أشك في أن تقانات المعلومات الجديدة، مع الاتجاهات الاجتماعية الموازنة الكثيرة، تعكس وتساهم في التغيرات في إدراكات الناس للواقع. إنني أتفق مع سوركين وبوير وسلوكا في أن من المهم أن نسأل ما هي أنواع النزعات التي يمكن أن تمتلكها تقانة مفترضة بالنسبة لإدراكنا. مع ذلك. فأن ندعو الفضاء السايبري لاواقعياً أو أصيلاً بالمقارنة مع الفضاءات الأخرى الكثيرة هو خادع. فأنا لا أرى أن البيئتين الافتراضية والفيزيائية متكافئتين. فطيف الاختلاف بينهما هام. مع ذلك فإن الاعتراف بتفاعلهما يساعدنا على فهم كيف أن البيئات الافتراضية تصبح جزءاً من الواقع اليومي. لقد كانت حيواتنا موسَّلة على الدوام: عن طريق بيئتنا، ديانتنا، جنوستنا، طبقتنا، والتقانات القائمة لعصرنا. في حين أن عبارات مثل "شيء ما غير عادي يحدث اليوم في العلاقة بين الواقعي والتخيلي، الواقع وتمثيلاته يمكن أن تكون صالحة للتطبيق اليوم، فإنها قد ميزت الملاحظات أيضاً منذ ٥٠ و ١٠٠

عام [٢١]. إن انحطاط المدن، لا يمكن شرحه ببساطة كظاهرة فيزيائية تعزى إلى ازدياد الوسائل الالكترونية. بالأحرى، قد يتساءل المرء ما إذا كنا، وسط نموذج إرشادي متغير، نشهد رد فعل نوستالجي [حنيني]، قابل للفهم.

إنعاش فضاء المدينة:

تركّز السجال المركزي في تاريخ التقانة على السؤال: هل التقانة تقود التاريخ أم هل المجتمع يحدد شكل التقانة؟ وأصبحت أحادية اتجاه هذا السؤال أيضاً تحت نيران النقد الأكاديمي. يواجه المنظرون المعماريون سؤالاً ذي صلة: إلى أي حد يحدد المجتمعُ [شكل] العمارة أو تحدد العمارة شكل المجتمع؟ بالتأكيد لقد أراد المصلحون أن يؤمنوا أن فن العمارة يمكن أن يلهم التغيير الاجتماعي. وأحد الشروحات المفسرة هي النزعة المدينية الجديدة New Urbanism. على سبيل المثال، إن "تقليد سيسايد للأشكال المدينية ما قبل الحديثة، السابقة لاختراع السيارة يرتكز على المفهوم الذي تتبعه العلاقات الاجتماعية والثقافة. مع ذلك فإن جين جاكوبس قد فندت مقترحات مشابهة [تقدم] بها معاصروها، إذ تكتب أن الفضاءات العامة لا تكون سوى فضاءات عامة بالمعنى المثالي عندما يجعل الناس منها شيئاً ما. إنها تصف كثيراً من المحاولات الفاشلة لخلق المتنزهات العامة التي انتهت فقط إلى ساحات منعزلة من الحشيش. لقد حذت الأعمال الحديثة حذو جاكوبس في الإيحاء بأن "الأبنية لا تملي معانيها الخاصة بها، بل تتغير وفقاً لأفكار وأفعال قاطني المدينة"[٢٢]. إن طروحة التشكيل المتبادل هذه مركزية لفهم "عمارة" الفضاءات السايبرية، حيث تكون كيفية استعمال الناس البيئات المعلوماتية هامة بقدر كيفية تصميم هذه الفضاءات. بدون هذا المنظور فإننا نغامر في الوقوع في الفخ الحتموي التقاني الذي يدعوه ليو ماركس بالتشاؤمية ما بعد الحديثة.

فما هي التشاؤمية ما بعد الحديثة؟ إن ربط التقانة بالانحطاط في نوعية الحياة هو طروحة قديمة. إذ يجري تقديمها في أعمال مثل "**علامات الأزمنة**" Signs of

the Times (١٨٢٩ – ١٨٣٥) لتوماس كارليل وروايات مثل L'Eve Future (١٨٧٩) من تأليف اوغست فيير دو ليزل آدم Auguste Villiers de L'Isle Adam ويتم تطويرها في كتاب **التكنيك والحضارة** Technics and civilization (١٩٣٤) من تأليف لويس ممفورد Lewis Mumford وكتاب **المكننة تتولى القيادة** (١٩٤٨) Mechanization takes command من تأليف سيغفريد غيديون Sigfried Giedion . وكل واحد من هذه الأعمال يرثي مظاهر التقانات الجديدة المجردة من الإنسانية. مع ذلك في حين أن هذه الطروحات طاغية، فإنها حتموية إلى حد كبير. فرؤية الحياة بوصفها تطغى عليها المنظومات التقانية هي بشكل ضمني موقف حتموي تقانياً. كما يشرح ليو ماركس في مقالته "فكرة التقانة والحتمية ما بعد الحديثة" (١٩٩٤)، فإن المخاوف المعاصرة حول طغيان المنظومات التقانية الكبيرة على الحياة – في إشارة إلى تقانات الاتصالات الجديدة– هي ذاتها حتمية:

> **هذا الاستشراف يقر بفكرة هيمنة المنظومات التقانية الكبيرة على الحياة، بالإهمال إن لم يكن عن تصميم [سابق]. يتراوح المزاج المرافق من حس الإذعان الناكر للذات بالمحتوم إلى الاستسلام للسوداوية أو القدرية. علاوة على ذلك، فإن كثيراً من المفكرين الحداثويين، في عدائهم للإيديولوجيات ومنظومات الاعتقاد الجماعية، يتخلون عن كافة المفاهيم القديمة الطراز لوضع المنظومات الجديدة في خدمة رؤية سياسية أوسع للإمكانيات البشرية. برأيهم، إن هذه الرؤى هي خطيرة بشكل متأصل، ممهدة للشمولية، وينبغي تجنبها بكل الأثمان. إن المغزى التشاؤمي لما بعد الحداثوية ينبع من هذا الشعور المنقوص بشكل حتمي للقوة البشرية (Marx 1994: 257)**

إن هذه الرؤية القدرية لمستقبل المدن الالكترونية هي تشاؤمية، وربما تكون كذلك بشكل زائد. يختتم سوركين مقالته "مشاهد من المدينة الالكترونية" بعبارة "السؤال هو ما إذا كنا سنملك أي خيار أم لا فهو بذلك يرى نتيجة حتموية. ربما

سيثبت الزمن أن سوركين على حق. مع ذلك فإن رأيه أننا لا نملك أي خيار هو قبول الموقف الحتموي التقاني. فالشابكة هي في مراحلها المبكرة وتمتلك عدداً هائلاً من الاتجاهات المستقبلية الممكنة. ستكون نبوءة محققة للذات لو أن النقاد الذين يفترضون الأسوأ يتجنبون المشاركة في تطوير الشبكة تماماً في الوقت الذي يمكنهم فيه أن يمتلكو أكبر تأثير.

الفضاءات السايبرية:

تشبه قصة مزودي الخدمة على الشابكة قصة المشهد الأميركي، مع تقاسم كل من الخدمات البلدية والتجارية (العامة والخاصة) للمسؤوليات عن البنية التحتية. إن الشبكات الأهلية والشبكات المجانية Freenets مختلفة عن الخدمات الخاصة على الشابكة. ففي حين تفرض بعض الشبكات المملوكة تجارياً قيوداً على الكلام، توجد أيضاً منتديات خاصة يجري فيها أي شيء. لذلك فإن كثيراً من الباحثين والنقاد الاجتماعيين الذين ركزوا على الجوانب السلبية من التقانة بالنسبة للمدن، من السهل أن يتجاهلوا النزعات الواعدة، الملموسة في الاتجاه الآخر.

إن نقاداً مثل مايك ديفيز يهاجمون بحق استبعادات الفضاءات الالكترونية. فالفضاء السايبري تهيمن عليه جماعات النخبة بقوة، مع أنه غالباً ما يجري تقديمه كما لو كان مفتوحاً للجميع. إذ تقدم فضاءاته المخصخصة كما لو كانت عمومية. إن الهموم حول تسليع الفضاء مبررة، لأن الفضاء يصبح بشكل متزايد موطناً للشبكات التجارية، والمواقع التجارية والصفقات التجارية. في الوقت نفسه، يشير النقاد السايبريون إلى انحطاط العلاقات القائمة على المكان كعامل [مساهم] في الانحطاط المديني، إذ يربطون هذه [العلاقات] بنشوء الاتصالات الالكترونية. مع ذلك فإن تسمية هذا النقد بالقصة الكاملة سيكون مثل النظر إلى المدن فقط بلغة مجمعاتها التسوقية، أو النظر فقط إلى أدب تجارة المجمعات وليس

تفحص كيف يتصرف الناس فعلاً هناك. هذه الرؤى للفضاء السايبري لم تعلل العدد المتزايد من المنظمات اللاربحية والشعبية التي تلتقي على الشابكة وبشكل شخصي لإنعاش الفضاء الفيزيائي. والأمثلة على هذه المشاريع وفيرة؛ فهي حتى شكلت مقرر الدراسة لأجل منهاج وبرنامج خدمة المجتمع في MIT (معهد ماساشوستس التقني).

تشرح بضعة أمثلة مقولات الفضاء السايبري المكرسة لتعزيز مفهوم المكان. بدمج الشبكات التجارية والبلدية، ثمة الآن تكاثر لمعلومات شبكات المشتركات(*) على الشابكة. فالنظر إلى مدينة واحدة يقدم دراسة حالة. لأجل شيكاغو وحدها، كان بحثي مشجعاً. على سبيل المثال، فقد كانت Chicago Area Northside Neighborhood Online Network على الشابكة منذ عام ١٩٩٥.

إنها توفر التدريب وإمكانية الوصول إلى الشابكة للمنظمات ذات القاعدة المشتركية في كل أنحاء المدينة. "بناء على الشبكات البشرية القائمة في مشتركاتنا، فقد دربنا بشكل ناجح المقيمين وطاقم أكثر من ٦٠ منظمة مشتركية، وجمعنا خليطاً متعدد الأعراق، مختلط الاقتصاد، مختلط الجنوسة من المستعملين المشتركين" بروح الشبكة المشتركية التي تدع الموقع يوجه شبكتها الأهلية، ستكون هناك شراكة مع بضعة منظمات أخرى. لقد بدأت الشبكة الإلكترونية المشتركية تتداخل مع الشبكات الاجتماعية القائمة قبلئذ في شيكاغو، المنتظمة حول الوظائف والتنمية الاقتصادية، والأطفال والشباب والأسرة وقضايا الإسكان المقبول الأجر ولتوفير إمكانية الوصول إلى الكومبيوتر للمقيمين.

تقوم دار Erie Neighborhood House، وهي وكالة متعددة الخدمات غير ربحية، بتشغيل مركز Erie Technology Center. وهذا:

((مخبر حاسوب شامل مكرس [لمحو] الأمية الحاسوبية والمعلوماتية لقاطني وست تاون ذوي البراعة الإنكليزية المحدودة والتحصيل التعليمي المتدني.

(*) المشترك Community: هو جماعة ذات تنظيم مشترك أو مصالح مشتركة كالجاليات أو أفراد المهنة الواحدة أو سكان المنطقة الواحدة إلخ. (المترجم).

لأن مركز التكنولوجيا Technology Center يعمل بشكل حميم مع البرامج التعليمية الأخرى في Erie Neighborhood house، فإنه قادر على خدمة تشكيلة واسعة من الأعمار (من ٥ إلى ٨٥) في السعي لدمج طرق التعليم/ التعلم التقليدية مع تطبيقات التقانة الراهنة. في الوقت الحالي يتألف المرفق الجديد من مركز كومبيوتر، ومدخل الشابكة وفضاء لأجل عمل المخططات والتصاميم)).

http://www.tezcat.com/-neccn/cpbproposal.html#partners).

بروح مشابهة يوجد مركز نيبور تك Neighbor Tech ، الذي يعمل مع جوارات مدينة شيكاغو الداخلية لمساعدة المواطنين ليصبحوا متعلمين تقانياً. ((من خلال صفوف التدريب ، واللقاءات وحلقات البحث المعلوماتية وخدمة مزود الشابكة التابع لـ Neighbor Tech ، ورسالتنا الإخبارية نريد أن نرى المقيمين من ذوي الدخل المتدني ، والوكالات اللاربحية ، و[شركات] الأعمال الصغيرة المتوضعة في المشتركات ذات الدخل المتدني يصبحون مترابطين ويصبحون على الشابكة وتشمل هذه مراكز الحوسبة المشتركية Community Computing Centers وخبراء حوسبة الجوار الساخن Hot Neighborhood Computing Experts

(http://www.iit.edu/-nnet) . كيف يمكن للمرء أن يصف هذا الاستعمال للفضاء السايبري بأنه مضاد للمدينية؟ إنه العكس تماماً.

إن Chicago Community Nerworking حتى تسوق "شيكاغو الأخرى" Other Chincago على الشابكة:

شيكاغو الجغرافية هي أصلاً مكان جميل ذو ميزات كثيرة كالماء العذب الوفير والقوة [اليد] العاملة الماهرة، والناس الاجتماعيين، والثقافات المتنوعة ومحطات ووسائل النقل الكثيرة، والكليات الراقية، والكنائس الجميلة والمطاعم الكبيرة. إننا فخورون بها. لكن ما يتقصها هو السياسات الاجتماعية

والاقتصادية الإنسانية السليمة، الديموقراطية والعادلة. برغم المصاعب فإن الجوارات الأفقر مليئة بالأبطال، والجهود الشجاعة والناس الذين يكافحون لأجل البقاء. ثمة إمكانية شعبية ممتعة ومسلية تثقيفية لزيارتها في شيكاغو "الأخرى". إننا ندعوكم لرؤيتها ومقابلة أهلها في الفضاء السايبري؛ ثم زوروا "شيكاغو الأخرى" في العالم الواقعي.

(http://www.Cs.uchicago.edu/ cps-chicago/ index html).

هذه أمثلة مختصرة قليلة عن الاستعمالات المحلية المشجعة للشابكة. فكل واحد يعلم فئات مختلفة من المستعملين أن يفعلوا أكثر من النقر على المفاتيح ببساطة، ويسعى لإصلاح نخبوية الفضاء السايبري. هذه الفضاءات الافتراضية، المبتكرة مع القلق حول البيئة الفيزيائية، ليست مفصولة عن المكان. ولا هي فضاءات سايبرية للمعتزل (الرياضة الروحية). يمكن للعلاقات على الشابكة أن تكون قوية، ويمكن أن تستمر خارج الشابكة. هذه الفضاءات ليست لا واقعية بالنسبة للناس الذين يستعملونها في عملهم، مثلما أن مقاطعة أورانج، ولوس أنجلس، ولاس فيغاس عواصم اللاواقع بالنسبة للنقاد الاجتماعيين المدينيين- هي واقعية بالنسبة للناس الذي يسكنون هناك.

إنني أول من يعترف بالتفاوت بين كثير من بلاغة المشتركات الافتراضية، والحياة العامة الافتراضية ودور هذه التقانات الجديدة في الحيوات اليومية للناس. مع ذلك فإن أية إدانة شاملة لانعدام الأصالة والاضطراب في الفضاءات الالكترونية الجديدة تبدو مبالغاً فيها. مثل اختزال الاختلافات المعقدة بين المدن إلى حقيقة واحدة مفرطة التبسيط حول "المدينة"، ثمة مخاطرة في تصويرات مماثلة في الفضاء السايبري(٢٣). كما في عصور أخرى، فإن للاتصالات الالكترونية والتقانات الأخرى تأثيرات متعددة، متناقضة أحياناً. وإن الكتابات حول "فضاء سيبري" عمومي، مثل الكتابات حول "المدينة"، هي عسيرة نظراً إلى أنه لا

توجد مدن متمايزة وفضاءات سايبرية متمايزة[٢٤]. بالإضافة إلى ذلك، بما أن الاستعمالات التطبيقية لتقانات المعلومات متغيرة بشكل مضطرد، فإن المنظومات حول الفضاءات السايبرية من المرجح أن تتطور تماماً كما تطورت المنظومات حول الكهرباء والهواتف والراديو، والتصوير الضوئي والحواسيب على مدى عقود كثيرة.

إن من مقتضيات النقد أن نوسع فهمنا لما يمكن أن تكونه المدن والفضاءات السايبرية. ترمز المدينة إلى التجارب المتفاوتة التي يمر بها الناس في فضاء فيزيائي؛ إذ لا يمر شخصان بالتجربة نفسها لمدينة واحدة. بشكل مماثل، تختلف تجارب الناس على الشابكة ويمر شخصان بتجارب متطابقة في الجغرافية المنوعة للشابكة" و"الفضاء السايبري"، في حين تكونان كلمتين منفردتين، ليسا شيئين مونوليثيين (أحاديي الكتلة). إن أية نظرية تحاول أن تضفي تفسيراً تبسيطياً أحادي الاتجاه على التفاعلات على الشابكة من المحتمل أن تجد مثالاً مضاداً.

إن الجغرافية الجديدة للشابكة، كما تشرح الأمثلة المتنوعة لبناء المشتركات في شيكاغو، هي بيئة ديناميكية من أمكنة وفضاءات مختلفة كثيرة تستعمل لأجل أغراض مختلفة كثيرة، وبات كتّاب الانحطاط المديني وتأملهم في أن التقانات الجديدة سوف تسرع هذا الانحطاط، أقل هيمنة في ضوء الأمثلة المضادة التي توجد حتى في هذا الوقت. وبشكل متزايد، يسخر المستعملون التقانة لتقوية الروابط المكانية ضمن مدنهم. إن مساهمات التشاؤميين جريئة مسلية للقراءة. مع ذلك فعندما توضع تشاؤميتهم في سجال أوسع ضمن تاريخ التقانة والحياة اليومية، فإن تشاؤميتهم يجب موازنتها في مقابل مجموعة قوية بشكل متزايد من الأمثلة عن كيف يستعمل الأفراد الفضاءات السايبرية لتحسين فضاءات المدينة.

كلمات شكر:

اتقدم بالشكر إلى بيتر بك ونيكولاس كينغ من قسم هارفارد لتاريخ العلم وإلى محرري تعليقاتهما. الشكر أيضاً إلى الهيئة التدريسية والطلاب في قسم الجغرافية، جامعة إدنبره، من أجل النقاشات الممتعة الكثيرة المشتركة أثناء كتابة هذه المقالة.

هوامش

(١) إنني استعمل المصطلح "رقمي" digital هنا نظراً إلى أن الفضاءات الافتراضية هي رقمية إلى حد كبير. مع ذلك فقد قدمت مزاعم مشابهة بشكل منتظم حول المحاكيات التماثلية ana-logue sinulations، مثل تعليق أدورنو على تسجيلات الراديو والصور الضوئية (Adorno 1990. (1934); Adorno 1945).

(٢) تمت ترجمتها والاستشهاد بها لدى روبن (Rubin (1979:351.

(٣) في الحقيقة، تعود الثيمة إلى مئات السنوات كمسرحية خطابية في صراع الطريقة التقليدية المفقودة في الحياة مع حداثة متعدية انظر: Raymond Williams, the Coumtry and the .city

(٤) في هذه المقالة، تعرف المحاكاة بمفهوم بودريار بوصفها نسخة من شيء ما لاأصل له؛ مثال ideal.

(٥) تكثر الهموم المشابهة حول خصخصة الفضاء العمومي في النظرية المعمارية والجغرافية، خصوصاً في مقالات تحلل مجمعات التسوق، حدائق الراي، والأسواق المهرجانية (Craw-ford 1992; Davis 1992; Deutsche 1996; sorkin 1992b; Goss 1996; Warren 1996)

(٦) جادلت آن لوي شابيرو بأن تعديلات جورج أوجين هاوسمان على باريس قد محت العمال ذوي الدخل المتدني من مركز المدينة (Shapiro 1985). كتب ت. ج. كلارك أن استبعاد الطبقات الدنيا كان جزءاً حاسماً من تعزيز المشهد لأجل البرجوازية.

إن تأثير التغيرات على باريس في ظل هاوسمان جعل بعض نشاطات الطبقات العاملة مرئياً عن طريق تحديد مناطقها وحشرها في الضواحي، بالإضافة إلى إخضاع المؤدين [الممثلين] ورسامي الكاريكاتور [في] الشارع للرقابة. لقد لفت رسامو الكاريكاتور أمثال دوميير Daumier انتباه العامة إلى ذلك في رسومهم.

على سبيل المثال فقد أعاد تقديم نابليون الثالث كعامل هدم. هنا نجد اهتماماً مشابهاً حول من هي العامة ولأجل من تكون المدينة.

(٧) من اجل نقد حديث لسيسايد، انظر (Al- Hindi and Staddon1997).

(٨) هذه، بالطبع، ليست المعاني المفنّدة الوحيدة للفضاء العمومي والمجال العمومي.

(٩) من أجل مزيد من المناقشة انظر الفقرة ٣، "بناء الصورة والشارع الرئيسي لدى Francavi-glia (١٩٩٦).

(١٠) هذا الموقف يجري تقديمه في مكان أخر، على سبيل المثال انظر (Huxtable (1997:103.

(١١) في مقال لاحق، تتحرك كراوفورد في اتجاه مختلف ينتقد "سرديات الضياع" narratives of loss. إذ تشير إلى كيف أن "قاطني المدينة يعيدون بشكل مضطرد صنع الفضاء العمومي ويعيدون تعريف المجال العمومي من خلال خبرتهم المعاشة" (Crawford 1995: 4) حتى أنها تنتقد زملاءها المساهمين في كتاب: Variations on a theme Park

(١٢) في مقالته، يناقش تشيتي طيفاً من المواقف حول المحافظة والتجديد.

(١٣) كما يشير دولوز هايدن، فإن النساء لم يتمتعن بهذا الحق: droit de ville (Hayden 184: 210-211).

(١٤) يكتب تشرمايف وألكساندر عن التلفزيون والراديو والهاتف والفوتوغراف" التي حولها علم الالكترونيات، فالمسكن لم يعد ملاذاً بل ساحة صراع. إنه يخدم الآن بمثابة السوق، المنتدى، الستاد (المدرج) والمدرسة، المسرح ودار السينما ملفوفة في واحد (Chermayeffe and Alexander 1963: 95). هذا ليس معناه أنهما كانا ضد التقانة؛ ففي بضعة نقاط في كتابهما يكتبان عن التقانة كأداة وإمكانيات الحواسيب في التصميم.

(١٥) إن كون هذه ترمز في بعض الاحيان إلى كل المدن الأميركية ربما يكون فرضية إشكالية في حد ذاته. فكتاب ماكنزي لا يناقش [مشروع] سيلبريشن، لكنه مثال مشهور على أنواع التطوير التي يدرسها.

(١٦) أشك في المجازات المشابهة لأجل المدن (Vidler 1978) لقد أثر مجاز المدينة على أنواع المشروع المنشود في الفضاء السايبري" فكثيرة هي التماثلات الالكترونية في الفضاءات الفيزيائية.

(١٧) في كتابة بودريار، لا يعود مدلول "الواقعي real" موجوداً.

(١٨) مع ذلك ففي مقال آخر يقدم رؤية اكثر تفاؤلاً لعلاقة الواقعية والافتراضية: إن فضاء الافتراضية يهدد فقط إذا حل محل الفضاء الفيزيائي. كإضافة، كتقوية صرف، يمكن للوسيلة الالكترونية أن تضعنا في تماس مع الجماعات الطازجة والإمكانيات الكوكبية. كاستبدال، مع ذلك. يكون الخطر واضحاً (Sorkin 1993: 107).

(١٩) إن مفهوم "المدينة" هو أيضاً مفهوم إشكالي نظراً لأنه توجد انواع مختلفة كثيرة من المدينة وخبرات مختلفة كثيرة لكل نوع.

(٢٠) لقد أخضع البحث الحديث إلى التمييز المقبول سابقاً بين الواقعية والافتراضية.

Hayles 1995; Gronon 1995; Davis 1992; Light 1997; Westwood and Willi-) anns1997; Starr 1994) يمكن للمحاكيات أن تلهم تفكراً حول كيف أن ما كان يفهم سابقاً بوصفه واقعياً هو ذاته محاكاة. بيت القصيد هو أن الحياة الفيزيائية والحياة الرقمية هما أكثر تشابهاً بكثير مما يعتقد عموماً. على سبيل المثال، إن المنظرين الأقدمين أمثال بنيامين وأدورنو نظروا إلى كيف ان الوسائط الخارجية تشكل خبرة الناس. يشير المنظرون الحاليون إلى تشكيلة من التوسطات المستبطنة من العرق والطبقة والجنوسة إلى الأجساد الفردية (Hayles 1995). يوحي هذا المنظور بأن رأي شخصين بمدينة واحدة أو شكل مديني واحد من غير المحتمل أن يكون هو نفسه. على سبيل المثال، إن ما هو محاكاة في سياق أمريكي يمكن إدراكه بوصفه أصيلاً في سياقات أخرى تصف مقالة حديثة في نيويورك تايمز حول مركز بولوس Polus center أول مجمع تسوق على الطراز الاميركي في أوروبة الوسطى، كيف سعى المطورون إلى نقل البيئة الأصلية لمجمع تسوق أميركي" إلى هنغاريا (Perlez 1996). أما في الكتابات الجديدة عن المدن فالثيمة هي أن الواقعية والافتراضية متقاربتان؛ فالمدن تصبح اكثر افتراضية مع مفاهيم مثل المدن" المتخيلة" و "الفضاء الثالث" لسوجا (Westuvod and Williams 1997 ; soja 1996). وهذه صياغة مختلفة قليلاً عن الصيغة التي يقدمها سوركين ومساهموه. فهم يؤطرون الواقع على أنه ينحدر إلى الافتراضية ويتلاشيان معاً، كما في فصل مارغريت كراوفورد المعنون: "العالم مجمع تسوق" الذي يتامل في كيف أن العالم برمته يصبح مجمع تسوق عملاق.

(٢١) يمكن تكوين فكرة مشابهة حول الانشغالات بالفقدان المحسوس للاتصال بين مواقع المدينة. يكتب المعلقون أن ما هو مفقود في هذه المدينة ليس مسألة أي بناء او مكان بعينه؛ إنه الفضاءات بين، الصلة التي تضفي المعنى على الأشكال (Sorkin 1992b : xii)؛ و "الأهم إننا فقدنا معرفتنا بكيف نصل الأشياء فيزيائياً في عالمنا اليومي، إلا عن طريق السيارة والهاتف (Kunstler 1993: 246). بشكل مماثل، عندما تم إدخال السكك الحديدية ومحطات القطار لأول مرة، بدت أيضاً أنها تقوم بـ " اقتلاع" للمدينة" (De Boer 1993: 31; schivelbusch 1986) إن "تصنيع الفضاء" industrialisation of space على حد تعبير شيفلبوش- قد غير خبرة البشر في أواخر القرن التاسع عشر. الآن إننا ننتقل إلى نموذج إرشادي جديد.

(٢٢) كتب امبرتو ايكو أن فن العمارة ليس حتمياً؛ إنه يتأرجح بين إرشادك إلى سلوك بعينه، وعدم التحكم بك على الإطلاق (Eco 1986a (197)) . مع ذلك . لايبدو هذا أنه ينسجم مع التعليقات الواردة في كتاب Travels in Hyperrealiy ، المكتوب قبلئذ بعامين . على سبيل المثال، تحدثت مناقشته لديزنيلاتد حول سلبية الناس في بيئة ديزني: " أليغورية [مرموزة] لمجتمع استهلاكي، مكان لأيقونية iconism مطلقة، فديزنيلاند هي أيضاً مكان للسلبية الكلية إذ يجب على زوارها أن يوافقوا على أن يتصرفوا مثل الروبوتات . فحرية الوصول إلى كل مصدر للجذب تضبطها متاهة من الدرابزونات المعدنية التي تحبط أية مبادرة ضرورية" .((Eco 1986a (1973:48

(٢٣) المجمعات والفضاءات المحاكاة ليست خطيرة بشكل متاصل بحد ذاتها، بل في كيف أنها مربوطة بجوانب أخرى من الحياة . سيكون الأمر إشكالياً لو كان الفضاء العمومي المخصخص لمجمع هذا المكان الوحيد لأجل الناس في مدينة أو منطقة ليجتمعوا فيه . والمعاني الضمنية ستكون مشابهة لو كانت الفضاءات الوحيدة على الشابكة شبكات عمومية وخصوصية مضبوطة إلى درجة عالية .

(٢٤) بالتأكيد يوجد تكاثر للعوالم على الشابكة التي يكون المقصود منها أن تحاكي أو تحل محل الواقع . مع ذلك فإن هذه ليست هي الفضاءات الافتراضية الوحيدة .

٨- جغرافيات المحاكاة المراقِبَة(*)

بقلم: ستيفن غراهام

مدخل: الاستعلام عن بعد والمحاكاة المراقبة:

يبرهن تاريخ التقانة، على المدى الطويل، أن التغيرات المترابطة عبر طيف من المنظومات التقانية تنحو إلى أن تكون أهم من الابتكارات التقانية المنفردة في تسهيل التغيير الاجتماعي والمكاني. لهذا، يمكن أن ننتقد الانشغال الضيق نوعاً ما لكثير من مؤلفات العلم الاجتماعي الراهن بالفضاءات الافتراضية، الذي ينحو إلى التركيز بشكل شبه حصري على البناء الاجتماعي للذاتية في "الفضاء السايبري" (إقرأ بدلاً منه الشابكة). مثل هذا المنظور، كما سأجادل، يتجاهل غالباً المعاني الضمنية المجتمعية الأوسع لمجموعة كبيرة كاملة من الابتكارات الراهنة المترابطة في الحوسبة والاتصالات عن بعد.

في مثل هذا السياق، يحاول هذا الفصل أن يربط منظوراً واسعاً حول "الجغرافيات الافتراضية" بالسجالات السياسية - الاقتصادية حول المراقبة surveillance، والمحاكاة المحوسبة وإعادة الهيكلة الاجتماعية الاقتصادية للفضاء الجغرافي. إن منطلقي هو كتاب وليام بوغارد William Bogard (١٩٩٦) الأخير بعنوان **محاكاة المراقبة** Simulation of Surveillance. لقد

(*) Geographies of Surveillant Simulation.

كانت المراقبة والمحاكاة المحوُسبتين كلتاهما موضوعاً لكثير من السجال ضمن النظرية الاجتماعية الحديثة والتعليقات. مع ذلك، اتجهت المقاربات في الجغرافية الاجتماعية والثقافية، والتعليقات ما بعد الحديثة بشكل عام أكثر إلى فصل معالجة المراقبة عن معالجة المحاكاة. فالأولى اعتمدت بشكل عادي على عمل فوكو Foucault (١٩٧٧) حول الركائز الانضباطية والانضباطية الذاتية للمجتمعات الحديثة وعلى كتابات جيريمي بنثام Jeremy Bentham الشهيرة في القرن الثامن عشر حول تصميم سجنه الشفاف Panopticon [الكلي المرئية]. أما [المقاربة] الثانية فقد اعتمدت على مفاهيم بودريار للانتقال "ما بعد الحديث" نحو الواقع الفائق hyperreality وأنظمة الصور الزائفة(*) في أثناء ذلك انكبت السجالات الوضعية المستقلة إلى حد كبير حول المحاكاة، على القضايا التقنية المحيطة بالمحاكاة المحوسبة لكل شيء من المنظومات الجغرافية إلى المشاهد الكوكبية، والإواليات [الميكانيزمات] الأحيائية [البيولوجية] والسيرورات الجينية [الوراثية] البشرية، والزمكان الكوزمولوجي.

بالمقابل، إن عمل بوغارد مفيد لأنه يتبنى منظوراً كليانياً holistic **للتفاعلات المعقدة** بين المراقبة والمحاكاة المحوسبتين. يكتب بوغارد (ص. ٩): "إن المحاكاة هي المفتاح لتفسير الاتجاه الذي تأخذه مجتمعات المراقبة اليوم، [وهي] حركة حول كمال وإجمال تقانات المراقبة القائمة أكثر مما هي حول نوع ما من القطيعة الجذرية في تطورها التاريخي" (ibid: 9). بالنسبة له، إن المحاكاة المحوسبة والمراقبة المحوسبة تمتزجان على نحو متزايد لتكونا منظومات متكاملة من التحكم الاجتماعي السريع واللامرئي. هكذا، فإن النظرة الانضباطية للمراقِب [بكسر القاف] وممارسات الانضباط الذاتي للمراقبين [بفتح القاف] الشديدتي الارتباط اللتان حللهما بنثام وفوكو تصبحان مفترقتين ومتباعدتين عبر الفضاء والزمن عن طريق الاتصالات عن بعد والحواسيب. فالمراقب "تحديداً لا يعود **يمتلك نظراً** gaze"

(*) أو المصطَنعات كما يسميها بودريار في كتابه المترجم إلى العربية بعنوان (المصطنع والاصطناع) الصادر عن المنظمة العربية للترجمة (المترجم).

(ص. ٥٧) عندما تصبح المراقبة قائمة على كل من منظومتي المحاكاة المجتمعية المحوسبة وبشكل متزايد، محاكيات جهاز المراقبة ذاته (على سبيل المثال، مع توسيع تطبيق كاميرات تلفزيون الدارة المغلقة CCTV الحقيقية والزائفة). يحلل بوغارد هذه التفاعلات ضمن إطار نقدي من التحولات السياسية – الاقتصادية الجارية في المجتمع المعاصر. هكذا يوازي معالجته للذاتية والهوية بمعالجة غنية للمعاني الضمنية للمحاكاة والمراقبة لأجل التحكم الاجتماعي والبنى المكانية وعلاقات السلطة.

بحسب بوغارد، فإن أهمية المنظومات التقانية الواسعة، المتفاعلة تشرحها دراسة "التقارب" التقاني الذي يكثر التبجح به بين الحواسيب والاتصالات عن بعد والوسائل والتقانات الحيوية القائمة على الرقمنة digitalization المضطردة للمعلومات. هذا التضبب التقاني مهم بشكل كامن لأربعة أسباب. أولاً، إنه يدعم بشكل متزايد ترابط المجالات العريضة من التجهيزات الطرفية عبر المسافة الجغرافية في شبكات "استعلام عن بعد" رقمية، متعددة الوسائل قادرة على التعامل مع تدفقات البيانات الرقمية والصوت والصوت البشري و(بشكل متزايد) الصور الساكنة والمتحركة. هكذا تصبح "مجتمعات الاستعلام عن بعد" متيسرة تقانياً، إذ يعرّفها بوغارد بأنها: "مجتمعات تهدف إلى حل مشكلة التحكم الإدراكي عن بُعد من خلال تقنيات [مصممة] لإنقاص زمن إرسال المعلومات إلى الصفر".

ثانياً، تعني التطورات في تقانة استعمال الحاسوب أن قدرات المنظومات التقانية الرقمية على معالجة البيانات والتلاعب بها وإرسالها وتخزينها تتزايد بسرعة قصوى. وهذا يعني أن الأنظمة الداعمة لمراتب جديدة من الكبر من اقتناص البيانات المؤتمتة والتحكم والمراقبة يمكن تركيبها مباشرة لتجريب ومضاهاة الأنظمة الهائلة التعقيد من السلوك لاجتماعي والاقتصادي الممتد عبر فضاءات مادية.

ثالثاً، تنتقل الحواسيب، بدورها، من كونها أساساً أجهزة "علك البيانات" إلى أجهزة تصور ومحاكاة معقدة، كما هو الحال مع منظومات المعلومات الجغرافية(*) (GIS) وتقنيات رسم الخرائط الرقمي والاستشعار عن بُعد remote sensing والواقع الافتراضي (VR) التي تصبح ضمنها البيئات الالكترونية الكاملة الكلية، الغامرة متصورة. "إن الانتقال من النماذج المجسمة إلى الصور المولّدة رقمياً قد وصل إلى الاكتمال في زمن قصير على نحو مذهل". فأنظمة المحاكاة والنمذجة باستعمال الحاسوب تسمح الآن بتغذية الكميات الهائلة من البيانات التي تقتنصها منظومات المراقبة المؤتمتة مباشرة إلى نسخ طبق الأصل، ديناميكية، عن الواقع الزمكاني للأقاليم الجغرافية (الجوارات، المدن، الأقاليم، الأمم، الخ.)، يمكن تغذيتها بدورها إلى أنماط إسناد جديدة للتغيير التنظيمي، والاستهداف المكاني، وإعادة الهيكلة المدينية والمناطقية.

يقدم العنصر الأخير من اللغز التقاني الأسس للضبط الدقيق للديناميات (القوى المحركة) الزمكانية للفضاءات الجغرافية. وقد تأمن ذلك عن طريق التطورات السريعة في تقانات الاستدلال الجغرافي georeferencing مثل الاستشعار عن بُعد عن طريق الأقمار الاصطناعية، والشبكة العالمية للأقمار الاصطناعية لمنظومات تحديد المواقع العالمي (GPS) والاتصالات الرقمية عن بعد. إذ يمكن لأقمار GPS أن تثلث [تعطي الأبعاد أو الإحداثيات الثلاثة] المواقع الجغرافية، في أي مكان على الكوكب، وصولاً إلى مستويات تبيّن resolution مقدارها متر واحد. هذه التقانات مجتمعة تسمح بالتعريف الدقيق لمواقع وأنماط التدفق، ومراقبتها ومحاكاتها بصرياً على خلفية هندسة عالمية من الإحداثيات الزمكانية الرقمية الدقيقة.

هكذا تصبح مراقبة البيانات الأقوي فأقوى مظّهرة Visualised مكانياً ومعملنة [ذات طابع عملاني] Operationalised من خلال تقانة GIS المعقدة،

(*) Geographical Information Systems.

وبشكل متزايد، تقانات الواقع الافتراضي والمراقبة الحاسوبية. يغذى تطورها عن طريق الاستثمار الثقيل للبحث والتطوير عندما يحاول الجغرافيون والمسّاحون ورسامو الخرائط إكمال الجهاز لأجل "رسم الخرائط السايبرية" و"الجغرافية السايبرية" والمحاكيات الجغرافية "الأكثر واقعية" دوماً. إن التقنيات الجديدة التي تخرج البيانات المستشعرة عن بعد مع الخرائط الرقمية والمحاكيات الافتراضية ثلاثية الأبعاد تقوي الصلات بين المراقبة والمحاكاة.

أخيراً، يتنبأ المتحمسون التقنيون بمحاكيات افتراضية حقيقية الزمن real-time، غامرة مربوطة بشكل وثيق للغاية بمنظومات المراقبة بحيث يمكن اعتبارها "عوالم مرآتية" mirror worlds، عوالم برمجية Software "في صندوق"، بيئات ذكية "أو فضاءات مدينية افتراضية". وقد تنبأ غلرنتنر (١٩٩١) بأن الإنشاءات البرمجية، المتصلة بطيف من مدخلات المراقبة الحقيقية الزمن، ستصبح كنايات حياتية عن العالم "الواقعي" بحيث أنها سوف تُظن "نماذج برمجية لجزء ما من الواقع، لقطعة ما من العالم الحقيقي المستمر خارج نافذتك". في مثل هذه "العوالم المرآتية"، كما يقول، "تصب محيطات من المعلومات بلا توقف في النموذج" (من خلال متاهة شاسعة من الأنابيب والخراطيم البرمجية)؛ كماً هائلاً للغاية من المعلومات بحيث يمكن "للنموذج" أن يقلد كل حركة من حركات "الواقع لحظة بلحظة". بالفعل، يُجادل على نطاق واسع بأنه مع التطورات الراهنة في GIS ومنظومات الواقع الافتراضي ستصبح الصور طبق الأصل هي المحاكاة الأكثر فالأكثر شبهاً بالعالم "الواقعي". بالنسبة لياكوبسن، على سبيل المثال، فإن "إضافة العوالم الافتراضية إلى GIS سوف تنتج تقانة هجينة، هي الخريطة الحية، التي تمكن المستعملين من المرور بشكل طبيعي بتجربة المعلومات الجيوفضائية geospatial والعالم الذي تمثله هذه المعلومات".

توفر المنظومات التقانية المترابطة لقنص ومراقبة البيانات، والمعالجة المحوسبة والمحاكاة شبكات متعددة من المنظومات العالية القدرة، والسريعة "للمحاكاة

المراقِبية". فهذه، كما يجادل بوغارد، هي بالفعل أقل مرئية من المنظومات البيروقراطية القائمة على الورق التي تحل محلها. هكذا فإن حجة بوغارد الأساسية هي أن منظومات المراقبة يمكنها الآن أن توفر مدخلات البيانات الضرورية لتطوير المحاكيات الالكترونية "للواقع" المستعملة من قبل عدد من المنظمات القوية مثل الجيش والدولة والشركات الكبرى.

ثمة بيان جيد للمحاكاة المراقبة يرد من المجال العسكري، حيث، كما يقترح كيفين روبنز، تغذي المراقبة والمحاكاة كل منهما الأخرى. وتفضي تقانات المراقبة والمحاكاة إلى التحكم بجيل جديد من الأسلحة الضاربة الذكية المَوجهة بالرؤية. هكذا، كان الجيل الأول من الصواريخ الطوافة توماهوك يحمل برامج داخلية ذات محاكيات رقمية للأرض التي سوف تتبعها لإتاحة تحديد هوية الهدف المتولدة عن طريق المراقبة الكثيفة للأقمار الاصطناعية العسكرية المعقدة. إن الطبعات الحالية من الصاروخ قد تم تطويرها لتستعمل منظومة تحديد المواقع العالمية (GPS) الأكثر دقة التي تسمح بالتعقب العالمي وإصابة الهدف بدقة قدرها متر واحد.

لكن سيرورات المحاكاة المراقِبة المحوسَبة بشكل متزايد، كما أجادل، تميز عمليات منظمات كبيرة كثيرة في المجتمع المدني والقطاع الخاص أيضاً، عندما تُنقل شبكات التحكم والاتصالات المصممة للاستخدامات العسكرية إلى الأسواق المدنية. بالطبع، إن مراقبة الدول والمنظمات المهيمنة لطالما قامت على المحاكيات والتصنيفات المبنية اجتماعياً، كما هو الحال مع استعمال التمثيلات الخرائطية (المصوراتية) للمساعدة في خلق فضاءات كولونيالية (استعمارية) خاضعة للهيمنة. لكن الربط المحوسب بين المراقبة والمحاكاة يساعد في إعادة تشكيل وتكثيف ممارسات المراقبة لأن المحاكيات تصبح تمثيلات محدَّثة **updated** باستمرار مربوطة بشكل سبرنتيكي "إلى الوراء" بشبكات ممتدة لقنص البيانات "وإلى الأمام" بتطبيقات انضباطية (مجرّبة) واستهلاكية. في الوقت نفسه فإن

منظومات المحاكاة المراقِبة تصبح أقل فأقل مرئية بسبب جغرافيتها الزمكانية المعقدة، القائمة على التدفقات اللحظية للصور والبيانات.

ثمة طيف آخذ في الاتساع من الأمثلة التي تعالج فيها البيانات والصور المقتنصة أوتوماتيكياً لتنتج محاكيَات الكترونية للعالم "الواقعي" (قواعد البيانات المظَّهرة، منظومات المعلومات الجغرافية، بنوك صور تلفزيون الدارة المغلقة CCTV، مسوحات DNA الرقمية، سجلات التعاملات الرقمية والرحلات، الخ.). بالنسبة للمنظمات المستخدمة، إذاً، تعتبر هذه هي العالم "الواقعي" وهي" في التكرار التالي، تستعمل لدعم استراتيجيات المنظمات لإعادة الهيكلة أو الاستهداف، القائمة على التحصيص الدقيق للبضائع والخدمات، أو الأنماط الأكثر حميمية من التحكم والمراقبة الاجتماعيين، في الزمن (شبه) الحقيقي من خلال النسيج الزمكاني للدول والمدن والأقاليم.

إن للارتباط المتزايد بين منظومات المراقبة ومنظومات المحاكاة معاني ضمنية كبرى، لكنها مستكشفة بشكل ضعيف، لأجل التغيير الجغرافي، لأجل التحكم الاجتماعي، لأجل أنماط التشميل والاستبعاد، لأجل تطوير الثقافة البصرية، والذاتيات، ولأجل الديناميك (القوى المحركة) المكاني "لاقتصاد المعلومات".

يحاول هذا الفصل أن يبدأ استكشاف هذه [المعاني الضمنية]. إنه ينظر بالتفصيل إلى ثلاثة حقول من المحاكاة المراقِبة التي تبدو متطورة جداً بشكل خاص: في مكافحة الجريمة والتعقب الالكتروني للأشخاص؛ في الاستعلام عن بعد في البيع بالتجزئة والصيرفة، والاستعلام المنزلي عن بعد، وفي النقل الطرقي [البري].

التعقب، والمطاردة وتلفزيون الدارة المغلقة CCTV: المحاكاة المراقِبة بوصفها تحكماً اجتماعياً:

يركز مثالي الأول على الصلات الناشئة بين تقانات المحاكاة المراقبة ومبادرات مكافحة الجريمة والتحكم الاجتماعي، وخصوصاً في المدن. في

هذه المحاكيات المراقبة يمكن اختزال سلوك الأفراد البشريين بشكل فعّال إلى آثارهم أو صورهم الالكترونية الزمكانية، عندما ترصد حركاتهم وسلوكهم ويتم تعقبها وترسيمها، بشكل متزايد، باستعمال المنظومات الرابطة لتلفزيونات الدارة المغلقة CCTV، وأنظمة التعقب المحوسبة، وGIS وشبكات الهاتف النقال والثابت. يعني التوسيع السريع لمثل هذه التقانات عبر الفضاء الجغرافي أن "شخصاً يمارس روتينه اليومي يمكن أن يكون تحت المراقبة بشكل افتراضي طيلة الزمن الكامل الذي يقضيه خارج البيت". يلاحظ تيم دركري Tim Druckery أيضاً الانتشار اللامرئي بشكل متزايد لتقانات التعقب الالكترونية. ومن خلال الأنظمة الواسعة المساحة، التي تغطي مدناً ومناطق ودولاً كاملة وخطوط نقل دولية، فإن سلوك الأفراد البشريين يمكن أن يصبح بشكل متزايد مجّمعاً في محاكيات مراقبة زمكانية مفصّلة تقدم إمكانيات جديدة بشكل جذري لأجل التعقب والتحكم الاجتماعي.

يمكن إيجاد المثال الجيد على ظهور المحاكاة المراقبة كتحكم اجتماعي في أنظمة كاميرات تلفزيون الدارة المغلقة (CCTV) العمومية العاملة الآن في المملكة المتحدة. إن أكثر من ٢٠٠ جهاز CCTV هي الآن قيد التشغيل في الأماكن العامة للملكة المتحدة، يستخدم معظمها تقانة الفيديو التماثلي analogue video، بمؤازرة الراديو والهاتف والصور الضوئية للأشخاص المستهدفين. من الناحية الافتراضية فإن كل مستوطنة مدينية كبيرة في بريطانيا الآن لها CCTV عمومي؛ وتمتد الأنظمة أيضاً بشكل متزايد لتغطي المناطق السكنية. فالـ CCTV ينظر إليه كجزء جديد ومجد (موفر للكلفة) من "صندوق عدة" السياسة المحلية لأجل التعامل مع طيف من المشاكل المدينية بما في ذلك مكافحة الجريمة، وتحسين ثقة المستهلك والأعمال في مراكز المدن ودعم التنافسية الاقتصادية للمناطق المدينية. إن أنظمة CCTV الواسعة المساحة تدمج كاميرات مراقبة الحالة الفنية – التي تكون

غالباً ذات تبيّن(*) كبير وقدرة على الرؤية الليلية بالأشعة تحت الحمراء عن طريق حلقات الاتصالات البعيدة بالأمواج الميكروية micro wave أو عن طريق الكابلات في الأنظمة الخاصة بالمسح المستمر للبلدات والمدن. إن امتداد شبكات CCTV عبر المدن البريطانية قد لقي دعماً عن طريق دعاية السياسيين والصحافة، وعن طريق الاستثمار الكثيف من الحكومة، والشرطة والسلطة المحلية ومنظمات إدارة مراكز البلدات(**) (TCM) والعامة - الخاصة وعن طريق الدعم العام الكبير- مع أن مثل هذا الدعم، عملياً، يبقى أقل إجماعاً بكثير مما يُقدم غالباً في وسائل الإعلام. يتراكم الدليل على أن الأشخاص والسلوكات الذين لا ينظر إليهم من خلال CCTV على أنهم "ينتمون" إلى فضاءات استهلاك المدن البريطانية المتصفة بطابع تجاري على نحو متزايد والمدارة بشكل خاص [من قبل القطاع الخاص] ينحون إلى المرور بتجربة التمحيص الدقيق بشكل خاص. يظهر البحث الذي أجراه نوريس وأرمسترونغ (١٩٩٧) على سبيل المثال، أن كثيراً من التمحيص الذي ينجم عن CCTV ينحو إلى التركيز على الشباب الذين "يظهرون" بطريقة معينة، وعلى بعض جماعات الأقليات، بما فيها الأقليات الإثنية.

في الوقت الحالي، مع ذلك، ليست المراقبة ضمن تلفزيون الدارة المغلقة CCTV مرتبطة بالمحاكاة؛ بالأحرى، تصبح العين والدماغ البشريين للمشغّل، الموصول إلى السجلات والصور الضوئية [الفوتوغرافية] للبوليس، بكل ذاتيته وتميزه، هما السبيل الذي تترجم صور CCTV من خلاله إلى فعل اجتماعي تأديبي وتحكم مجرَّب. لكن التطورات التقانية نحو رقمنة الـ CCTV، يبدو من المرجح أن تؤدي إلى درجات أرقى بكثير من الأتمتة واعتماد أكبر بكثير على تقنيات المحاكاة المرتبطة بالمراقبة.

(*) التبين resolution هو قدرة الجهاز البصري على تشكيل صورة قابلة للفصل للأجسام القريبة منه، أو قدرته على فصل الأطوال الموجية للإشعاع القريبة (المترجم).

(*) Town Centre Management.

إن منظومات CCTV التماثلية هي بدائية مقارنة بالمنظومات الرقمية الصاعدة الآن التي تشكل منظومات محاكاة مراقبة أكثر تعقيداً بكثير، ذات قدرات تحكم أكبر بكثير. فآلات التصوير الدقيقة وتقانة التعرّف الوجهي الرقمي تتطور بسرعة، من أجل أنظمة الأمن في المخازن وشبكات مراكز المدن الأوسع، ما يسمح ببناء أنظمة CCTV رقمية، مؤتمتة، أوسع بكثير. إن الأنظمة الرقمية الجديدة تُبرمج خوارزمياً لتكشف عن أحداث "غير اعتيادية" معينة أو أفراد مستهدفين أو عربات مستهدفة، مستعيدة بذلك الفرص لأجل التعرف البشري في تعقب ومراقبة الأفراد. سوف يتبع CCTV الرقمي التفتيش الزمكاني، الحقيقي الزمن [في الزمن الحقيقي] عن أحداث معينة ستقع بالإضافة إلى البحث الرقمي الاستعادي retrospective الذي يهدف إلى ربط أنماط السلوك بأنماط الجريمة.

إن الأمثلة المبكرة على تطبيقات CCTV الخوارزمي الرقمي هي [في طور] الظهور تماماً. إذ تمتلك بعض محطات القطارات البريطانية الآن تلفزيون دارة مغلقة CCTV "ذكياً" ينذر أوتوماتيكياً عندما تُصادف كثافات حشود معينة على المنصات. تمتلك مدينة لندن الآن نظاماً خوارزمياً "للمراقبة بالشاشة الذكية" لأجل المراقبة المؤتمتة لنطاق حلقتها الفولاذية المضاد للإرهاب. هنا، تقوم عربة ثابتة بإطلاق إنذار في غرفة التحكم كما تفعل سيارة تهبط الشارع في الاتجاه "المخالف". في مثال آخر، سيُدخل مطار سيدني قريباً نظاماً يكشف أوتوماتيكياً وبشكل سري عن مهاجرين لا شرعيين معروفين يدخلون مصلحة الهجرة. في مشروع تجريبي جديد، تعمل BT أيضاً مع معهد ماساشوستس للتكنولوجيا (MTT). وشركة التجزئة البريطانية الكبرى ماركس أند سبنسر على نظام حاسوب قائم على الصورة الرقمية والتلفزيون يُعرف باسم "الكتاب الضوئي" photo book الذي يقوم، باستعمال كاميرات حقيقية الزمن موصولة عن طريق برامج تعرّف وجهي متطورة إلى قواعد بيانات صور لوجوه سارقي معروضات محكومين، بإنذار الطاقم الأمني للقادمين بوجود سارقي معروضات محكومين في محلات ماركس أند سبنسر. يقال إن الدقة تبلغ أكثر من ٩٠ بالمئة.

على المدى الطويل، تتنبأ BT بأسواق اتصالات عن بعد كبرى جديدة. على سبيل المثال، "كل المنافذ التجارية في بلدة يمكن ربطها وإطلاق إنذار في اللحظة التي يشاهد فيها شخص كان يسرق متجراً يدخل متجراً آخر". عندما يُدعم ببصمات الوجوه المرقمنة من الطراز الذي يتم تطويره الآن من قبل وكالة ترخيص السائقين والمركبات (DVLA) في المملكة المتحدة، فإن الإمكانية لأجل أنظمة التعرف والمراقبة للوجوه القومية في المملكة المتحدة التي تعمل من خلال توسيع CCTV تبدو أكثر بكثير من ديستوبيا(*) بارانوئية (Davies 1995). إن ولاية ماساشوستس هي في المراحل النهائية من رقمنة وجوه سائقيها البالغ عددهم ٤,٢ مليوناً، كوسيلة للتغلب على الاحتيال. على نحو أكثر ابتذالاً، يحلم مصمم "الكتاب الضوئي" "بكاميرا باب أمامي تعلن عن هوية الشخص في الخارج" (Griffith 1996) (وقد تحقق هذا الحلم – المترجم).

في الولايات المتحدة، يتم الآن على نطاق واسع سبر القدرات التحكمية والمراقبية للاستعلام عن بعد كأدوات لأجل طرق جديدة للتحكم الاجتماعي في المدن، طرق تتجاوز الخيار العالي التكلفة للتوقيف البسيط في السجون. في عام ١٩٩١، كان أكثر من ٤,٣ مليون أميركي تحت "الإشراف التقويمي" في المنزل. إن التكاليف المتنامية لبرنامج السجون الأمريكية تعود إلى الاستعمال الواسع الانتشار "للملاحقة الالكترونية" للمنتهكين من الدرجة الدنيا الذين يكونون أحراراً في الاحتفاظ بشيء يشبه الحياة اليومية من خلال "السجون السائرة" walking prisons. أما المنتهكون الأقل خطورة فهم محصورون الآن بالمنزل، باستثناء الذهاب إلى العمل والقيام بمهمة الجري، مفرغين فضاء السجن من أجل المجرمين الأكثر خطورة.

(*) الديستوبيا dystopia هي عكس اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة التخيلية، وبالتالي فالديستوبيا هي الصورة الكابوسية البشعة، الشريرة، للمستقبل أو لمكان معين كالمدينة في المستقبل (المترجم).

توفر الأجهزة المستقبلة المرسلة الخلخالية anklet transponders، الموصولة إلى موديمات الهواتف، مراقبة مستمرة لموقع المنتهكين. وتَعِدُ المنظومات "الذكية" الأحدث بسيطرة أكثر دقة بكثير على سلوكهم. على سبيل المثال، في محل بيع بالتجزئة، فإن "وصول لص حوانيت مزود بخلخال سوف يطلق إنذاراً صامتاً، ويقوم الجهاز بتحديد هوية المنتهك إلى إدارة المخزن". عندما يُربط بمنظومات مراقبة مدينية أوسع، من خلال شبكات الراديو الشاملة للمدينة- المتاحة في عام ٢٠٠٠ - فإن تحركات كل المنتهكين المزودين بخلاخيل يمكن ربطها بوقوع الجريمة، في الزمان والمكان، للمساعدة في الإدانة. "كل مكان ذهب إليه المنتهك-والوقت الذي كان (كانت) فيه هناك-سوف يُسجل ويُجمع ويمكن بعدئذٍ القيام بتقاطع الأدلة على خلفية مسارح وأوقات الجريمة المعروفة". هكذا، ضمن منظومة محاكاة المراقبة القائمة على GIS، يمكن ربط التعقبات الالكترونية للأفراد على مدى ٢٤ ساعة بالأنماط الزمكانية لوقوع الجريمة لدعم الإواليات الدقيقة بشكل غير مسبوق لأجل التحكم الاجتماعي.

الخدمات المنزلية عن بعد، والمحاكاة المراقبة والاستهلاك السيبرنتي:

تركز حالتي الثانية على الصلات الناشئة بين منظومات المحاكاة المراقبة وتطبيقات الاستعلام عن بعد في مجال الاستهلاك و، بشكل أكثر تحديداً، ظهور البيع بالتجزئة للخدمات المنزلية عن بعد - التلفزيون الكبلي والهاتف التفاعليان، الفيديو عند الطلب، الخ. هنا نحتاج إلى دراسة الدور الممكن الأوسع لمنظومات المحاكاة - المراقبة في توسط الوصول إلى الخدمات الاستهلاكية، السيبرنتية بشكل متزايد والمنطلقة من قاعدة عن بعد، لأن المناحي التقانية يبدو من المرجح أن تنتقل بشكل عنيد نحو "طريق عام سريع للمعلومات" يدفعه الاستهلاك، تسيطر عليه وسائط وشركات استهلاك كبيرة جداً. عندما تتحد المناحي باتجاه الاستهلاك ذي القاعدة المنزلية القائم على الهاتف والشابكة والشبكات

المنزلية الكبلية والواسعة النطاق مع الاستعمال المتنامي للنقد الالكتروني (بطاقات الائتمان، البطاقات الذكية، و"النقد السايبري" cyber cash على الشابكة)، تنشأ منظومات التسوق والصيرفة والاستهلاك ذات القاعدة المنزلية التي تقوم بالمتابعة الدقيقة، في الزمن الحقيقي، لأنماط استهلاك الأسر. إن التجارب التي كثر التبجح بها في الاستعلام المنزلي عن بعد الواسع، التفاعلي، مثل منظومة تايم وورنر Time Warner التلفزيونية التفاعلية في ميتلاند، فلوريدا، هي مؤشرات تجريبية على الانتشار الأوسع لمنظومات الوسائط والاستهلاك المنزلية العالية القدرة التي تقوم بشكل جوهري على مراكمة المحاكيات المراقبة لسلوك المستهلكين.

بدلاً من التعويل بشكل غير مباشر على بيانات الاستهلاك الجماعية أو الفردية من مكاتب الإحصاء والائتمان والإعلام، كما جرت العادة في فترة ما بعد الحرب، فإن هذه المنظومات تبني بشكل فعلي محاكياتها المراقبة الخاصة بها للسلوكيات الفردية الفعلية، في الزمن الحقيقي. يلاحظ روبنز وهبوورث أنه، "من طبيعة الاستعلام عن بعد التفاعلي كتقانات معالجة وتحكم، أن التفاعلات الالكترونية (المعاينة التلفزيونية، التسوق عن بعد، العمل عن بعد) يجب بالضرورة أن تكون مسجّلة. فالمنظومة هي بشكل جوهري منظومة مراقبة ومتابعة". يرى ويلسن أن توسيع مثل هذه المنظومات يعني أننا ندخل حقبة جديدة من النزعة الاستهلاكية السبرنتية cybernetic consumerism بدمج منظومات بيع التجزئة والائتمان ذات القاعدة المنزلية الالكترونية المتحررة من الصرف (النقد) مع منظومات لوجستية مثل منظومة Just In Time (JIT) ومع المعلومات المكتسبة من الرد بالبريد العادي وعلى الشابكة. هذا يقود بشكل عنيد لا يرحم إلى "دورة إنتاج واستهلاك" كفوءة بشكل فائق نظراً إلى أن كل نشاط استهلاكي يولد معلومات تتعلق بتعديل إنتاج المستقبل.

وفي حين يتيح حرية الاختيار التي توفرها مثل هذه المنظومات للمستهلكين، يكون الأفراد الموصولون إلى منظومات الاستعلام عن بعد هذه مشاركين بذاتهم في المعلومات المولّدة بشكل تعاملي(*) (TGI). كذلك تراكم "شخوصهم الرقمية" الخاصة بهم–المحاكيات المراقبة لأجل الاستعمال المشترك. هذا يطرح أسئلة حول كيف أن المحاكيات المراقبة المولدة ذاتياً، المراكمة خفية والموجهة إلى حاجات الشركات الكبيرة، تكون أيضاً متضمنة في إنشاء الذاتيات والهويات والتحكم بها. بعبارة أخرى، من يمتلك الشخوص الرقمية للمرء؛ هل هو الشخص أم مكتب البيانات أم الشركة العابرة للقوميات؟ وما هي الجغرافيات الافتراضية المحيطة بتدفقات البيانات التي يتم من خلالها إنشاء هذه المحاكيات المراقبة بشكل مستمر، وتحديثها وتنقيتها؟ بالنسبة للألوكير روزان ستون:

((بدافع التعقب ذي المسار الحلزوني لمرورنا عبر عالم من الفرص المتزامنة العديدة لأجل الاستهلاك، فإن [الشركات المزودة] تبني صورها الخاصة لما نكون نحن، متحررة من قيود خطية linearity المعنى. تكون أطيافنا النذيرة doppelgangers متحررة قبلئذ من طغيان الذاتية الموضعة؛ إنها تتبع جيوديسيات geodesics رأس المال والمواطنية المثالية. إن ذواتنا هي التي لم تُدرك بعد)).

(Allucqu'ere Rosanne Stone 1994: 7).

من الواضح أن الجغرافيات الافتراضية المحيطة بالمعلومات المولدة إجرائياً يمكن أن يكون لها تأثيرات حقيقية جداً على الجغرافيات المادية للفرصة والتقييد وإعادة الهيكلة. يستعمل (TGI) عادة لأجل أشكال شتى من التحكم الاجتماعي من قبل مكاتب الائتمان ومنظمات خدمة المستهلك التي تتولى إعادة الهيكلية القائمة على ما يدعى "تخزين البيانات" Data Warehousing يسمح TGI

(*) Transactionally generated Information.

للشركات بتعقب عادات وتفضيلات وممارسات الاستهلاك [في] الزمن الحقيقي؛ وتحديد هوية الأفراد والأسر المؤمَّن عليهم ذوي الائتمان الضعيف؛ للاستهداف والإطلاق الفردي لحملات التسويق المباشر؛ ومراكمة رزم المعلومات المسلَّعة من أجل إعادة البيع ضمن "سوق المعلومات" المربحة.

ثمة ثلاثة أمثلة تساعد في البرهان على الجغرافيات الافتراضية والمحاكيات المراقبة المحيطة بمتابعة المستهلك على الشابكة. المثال الأول، هو الحالة المتواضعة ظاهرياً لبطاقة ولاء loyalty card زبون السوبرماركت. إنها حالياً سبيل مفتاحي إلى المراقبة المشخصنة والاستهداف السبرنتي للزبون في صناعة بيع الأغذية بالتجزئة في المملكة المتحدة والولايات المتحدة. فحيث كان على الشركات سابقاً أن تعتمد على تقديرات بدائية، تقدم هذه البطاقات البنية التحتية التقانية لأجل المحاكاة المراقِبة الجماعية المستمرة للزبائن من قبل هيئة الإدارة. في كل مرة يشتري زبون ذو بطاقة ولاء سلعاً "تمسح (swiped) بطاقته من خلال طرف نقطة البيع الالكترونية (EPOS) في التفتيش عند الخروج. يسمح هذا بجمع بروفيل فردي لعادات الاستهلاك مع مرور الزمن، يمكن من ثم تجميعه لتأمين محاكاة حقيقية الزمن للمارين عبر كافة المخازن. وهذا، بدوره، يمكن تغذيته إلى إدارة تسلسلية للطلبيات واللوجستيات (التعبئة) والتخزين والإمداد. إنه أيضاً يقدم المادة الخام لأجل "الزوبنة الجماعية"(*) والتسويق المباشر. يرى ماسي Massey أنه في المملكة المتحدة يمكن لمحلات "بائعي التجزئة، أمثال Safeway وTesco الآن أن يبنوا صوراً مفصلة لأنماط الإنفاق تقوم على البيانات الملتقطة من مسوحات بطاقة الولاء. في نهاية المطاف سيكون بائعو التجزئة قادرين على استهداف الزبائن بعروض محددة لهم تثبت تفاصيل السعر الخاص التي يحصل عليها الأفراد الذين يستعملون آلات الفحص الذاتية self-scanners". هذه البطاقات تشرح الطبيعة الملتبسة أساساً للمحاكاة المراقبة للمستهلك. ففي حين أنها تعطي حرية وصول

(*) mass customization.

أكبر للمستخدمين (المستَهدفين) إلى الحسومات والخدمات المزوبنة مباشرة، وفقاً لأنماط استهلاكهم، فإن مثل هذه الممارسات أيضاً تثير الوساوس. فأين تصبح الخدمة المزوبنة تطفلاً اجتماعياً؟ ما هي تأثيرات إعادة بيع الملفات الفردية داخل "سوق المعلومات"؛ لدعم التسويق المباشر الأوسع من أجل الخدمات والمرافق المالية؟ وما هي المعاني الضمنية للمحاكاة المراقبة المباشرة للمشاهد الاستهلاكية من أجل جغرافيات التجزئة في سياق إعادة الهيكلة المكانية لشبكات البقالة، والخضوع لحكم القلة Oligopolisation وتدويل الأسواق والاستبعاد المدروس بشكل متزايد لتلك الفئات والمناطق التي تكون بلا مداخيل متاحة وحسابات مصرفية لجعلها أهدافاً جذابة للخدمات المزوبَنة.

المثال الثاني، الذي يلمح أكثر إلى الجغرافيات المعقدة والسيرورات الحاذقة للتشميل والاستبعاد التي تحيط بالمنظومات الاستهلاكية على الخط، يأتي من اندماج منظومات الحاسوب والهاتف (المعروف باسم CTI) في مراكز البيع عن بعد telesales للمستهلك. تستخدم مثل هذه المراكز الآن من قبل بائعي التجزئة الكبار والمصارف وشركات التأمين وشركات النقل والخطوط الجوية والمرافق العامة. إن مراكز البيع عن بعد تخدّم الأسواق الإقليمية والقومية وحتى الدولية من عقدة واحدة، متقدمة تقانياً – من خلال استعمال تعرفات هاتف الاتصال المجانية أو المحلية الموصولة إلى شبكات الاستعلام عن بعد المشتركة. وبالمراقبة أوتوماتيكياً لمصدر المكالمات الهاتفية الواردة، من خلال منظوْمة تعرف باسم "تحديد هوية خط المكالمة" (*) (CLI) ووصل هذا الرقم إلى قواعد بيانات الزبائن، تسمح هذه المنظومات الآن بغربلة المتصلين وفقاً لمدى "جودتهم" كزبائن. في الواقع، تُربط مراقبة المتصل أوتوماتيكياً بمحاكاة لكل الزبائن المعروفين، للسماح بمعاملة الزبائن بشكل تمييزي. هكذا، تكون المرافق العامة في المملكة المتحدة قادرة مسبقاً على الرد على مكالمات "الزبائن الجيدين" (أي أولئك الذين

(*) Call Line Identification.

سددوا فواتيرهم فوراً) قبل "الزبائن السيئين" (أولئك الذين لهم تاريخ من التأخير يوقفون بالطابور)، بدون أن يكون العامل المشغّل أو الزبون مدركين أن خدمتهما السريعة أو البطيئة إنما تشكلها بشكل مباشر منظومات المراقبة المؤتمتة الموصولة إلى قواعد بيانات محوسبة. مثل هذه العمليات تسمح أيضاً، بالطبع، بالمراقبة الدقيقة لمكان العمل في الزمن الحقيقي. يمكن للمدراء أن يقيّموا معدلات استجابة ومستويات إنتاجية كل عامل منفرد على حدة ويمكن الانتقال بشكل سري بين طاقمي مبيعات عن بعد، بالتنصت على المكالمات.

أما المثال الأخير، مثال تقانات الفيديو عند الطلب(*) (VOD)، فهو نظام كثر التبجح به، يسمح للمستهلكين بـ "طلب" أفلام فيديو ومنتجات إعلامية مختارة من أجل الإرسال الشخصي على خطوط الهاتف أو خطوط الكابلات إلى منازلهم. إن تجارب VOD الكثيرة هي حالياً في اضطراد، والأمل في أنها سوف تروج لاستهلاك الوسائط المفصَّل وفق الحاجة الحقيقية والفردي. لكن منظومات VOD أيضاً تنتج تياراً مستمراً من المعلومات لأجل شركة الاتصالات الكبلية أو البعيدة حول تفضيلات الوسائط والاستهلاك المكيفة وفقاً لحاجة الأسر الفردية. على سبيل المثال، تطور شركة الاتصالات عن بعد، بل أتلانتيك Bell Atlantic، منظومة حواسيب مربوطة إلى VOD سوف "تراقب الأفلام التي يطلبها شخص ثم تقترح أفلاماً أخرى لنفس الممثلين ومن نفس الموضوعات". إن المنظومة من شأنها أيضاً أن تمكن المعلنين [أصحاب الإعلانات] من إرسال الإعلانات التجارية مباشرة إلى الزبائن المعروفين بأنهم اشتروا أنواعاً معينة من البضائع. هكذا، فإن الأشخاص الذين اشتروا عدة تجهيزات تخييم من كاتالوغ فيديو يمكنهم أن يبدأوا بمشاهدة الإعلانات التجارية عن الملابس خارج البيت. بطريقة مماثلة، فإن مراقبة خط القدرة السكني في الزمن الحقيقي (RRPLS) سوف تستعمل أسلاك الكهرباء العادية وعدادات المرافق العامة القائمة على

(*) video-on-demand technologies .

تقانة المعلومات لجمع بروفيلات مفصلة بشكل غير مسبوق لاستعمال الكهرباء للمنازل. هكذا هو تعقيد التقانة بحيث يمكن أن نستنتج أن شخصين يتقاسمان دشاً [حماماً] واحداً بملاحظة الحمل الثقيل بشكل غير عادي على سخان الماء الكهربائي وأن ذلك يستتبع استعمالين لمجفف الشعر.

الاستعلام الطرقي عن بعد: المحاكاة المراقبة كسلطة (تمييزية) على الفضاء:

حالتي الثالثة هي حالة معلوماتيات النقل الطرقي(*) (RTI)، إن القدرات التحكمية التي توفرها تقانات المحاكاة المراقبة الجديدة هي ذات أهمية أساسية هنا في دعم الانتقال من الطرق السريعة الكهرميكانيكية، العمومية، "المسدودة" إلى الطرق السريعة "الذكية"، المتحكم بها رقمياً والمخصخصة بشكل متزايد. فالشبكات الالكترونية الافتراضية من الحساسات المؤتمتة وCCTV، وأجهزة التعقب والتغريم، والحواسيب وGISs يتم وضعها فوق شبكات النقل الطرقي المقامة التي تساعد في تقويض مميزات "الاحتكار الطبيعي" لها، وهكذا تسمح للشركات الخاصة بتشغيلها بشكل مربح. إن شبكات الطرق، بكل تعقيد تدفقها ونمطها، تصبح بشكل متزايد محاكيات مراقبة تدعم التطبيقات الجديدة للتسليع والتحكم والاستبعاد التي توفر الأساس لأجل الاستراتيجيات التي تمايز الجماعات وفقاً للسلطة على الفضاء التي يُرى أنها تكفلها. في حين أن منظومات المكوس tolls التقليدية تعمل قبلئذ في أمكنة كثيرة، فإن ظهور الطرق السريعة الذكية يدعم تحويل شبكات الطرق السريعة بالكامل إلى منظومات مسلّعة، محوسبة يمكن إدارتها بشكل مرن وتطويرها بشكل خاص [من قبل القطاع الخاص] من أجل الربح. جوهرياً، تمكن منظومات التسعير الالكتروني للطرق(**) (ERP) من تسليع فضاء الطريق، ما يسمح بتحصيصه (تقسيمه إلى حصص) بسعر، ضمن الأسواق، من أجل الربح من قبل الشركات الخاصة. يجادل هبوورث

(*) Road Transport Informatics.

(**) Electronic Road Pricing.

ودو كاتل بأن ERP سوف "يخلق البنية التحتية الفيزيائية المطلوبة لخصخصة فضاء الطريق وسيخلق أيضاً بنية مؤسساتية لأجل إدارة منظومة الطرق المخصخصة".

ضمن منظومات معلوماتيات النقل الطرقي (RTI) يختزل الأشخاص ومركباتهم بشكل فعلي إلى صورهم المتحركة وتواقيعهم. السؤال الأساسي الذي يطرحه تطور "الطرق الذكية السريعة" الناتجة هو "ذكاء" من الذي يصبح مجسداً ضمن منظومات الاستعلام عن بعد الطرقي الجديد؟ في الوقت الراهن، ينحو تطوير معلوماتيات النقل نحو الحاجة إلى تقليل القيود الزمكانية وزيادة إمكانية النخب المتحدة، حركة مرور الأعمال، مصالح تطوير الأرض والملكية "ومحاربي الطرق" الآخرين. ثمة روابط وثيقة بين التحكم بالفضاء الذي توفره الحركية المعززة، والأساس الذي يسمح بناءً عليه لجماعات بعينها بامتلاك إمكانية الوصول إلى التقانات الجديدة للتغلب على الاحتقان المديني. يجادل سوينغدو Swyngeduw بأن "تسعير الطريق، أو الأساليب الخطية الأخرى للتحكم أو استبعاد فئات اجتماعية معينة من نيل السيطرة على الفضاء، يحد بالقدر نفسه من سلطة البعض في حين يدفع الآخرين إلى الذرى الاستبعادية للسيطرة على الفضاء وبالتالي على كل ما هو محتوى فيه".

إن المثال الممتاز على كيف أن المحاكاة المراقبة تصبح متضمنة في تركيب شبكات الطرق السريعة المزدوجة الجديدة ومنظومات السلطة التفاضلية الزائدة على الفضاء يمكن إيجاده في تركيب شبكة طرق سريعة مسلعة، خاصة، جديدة (رقم ٤٠٤) حول تورنتو. فالأجهزة المستقبلة المرسلة المركّبة في السيارة لتخفيف الاحتقان على أكثر طرق العالم ازدحاماً، التي تسير موازية لها، سوف تفرض بشكل أوتوماتيكي على كل مستخدمي الطريق السريع حوالي دولار واحد لكل مسافة ١١ كم، بدون الحاجة لإيقافها. سوف تختلف التعرفات أوتوماتيكياً، لتصل ذروتها حول فترات المرور اليومي في ساعة الزحمة، وهكذا تضمن أن استخدام الطريق السريع لا يتجاوز الحدود المعرّفة مسبقاً. هكذا،

يمكن ضمان حركة المرور الحرة على الطريق السريع، وهو ما يقهر الكلف الزمنية والمالية للاحتقان. إن أنماط وتدفقات المرور سوف تُراقب بشكل مستمر وسوف تُجمع البيانات في نموذج محاكاة للمرور على الطريق السريع. سوف تستعمل المحاكاة لتقدير التعرفات المناسبة من خلال الربط بتنبؤات الطلب. في نهاية المطاف، فإن هذه المحاكاة المراقبة ينبغي أن تسمح بربط سبرنتي بين التعرفات والطلب، وهكذا تقلل من احتمال أن يحدث الازدحام حتى مع ارتفاع الطلب وملكية السيارات. فالسيارات بدون الأجهزة المرسلة المتلقية سوف يتم تصويرها فوتوغرافياً ويتم تعقب مالكيها وتغريمهم من خلال الربط بقواعد البيانات لدى سلطات منح الرخص للسائقين. في عام ٢٠٠٠ يتوقع جباية ما يزيد على ١٠٠ مليون دولار أمريكي في العام في المكوس؛ وحدود السرعة يمكن حتى أن تكون على الطريق السريع أعلى منها على الطرق السريعة للولايات الأخرى. يقوم الكونسرتيوم [اتحاد الشركات] الذي أنشأ الطريق السريع الآن بالعمل على بيع كل مواقع التطوير الأساسية على امتدادها لأعلى عارض، من أجل معارض التسوق والجوار الغني، ومتنزهات الأعمال والشؤون اللوجستية خالقة، في الواقع، منظومة نقل بري من المقاس الثاني لأجل مصالح النخبة في تورنتو. إن أولئك الذين لا يمتلكون القدرة على دفع التعرفات، في هذه الاثناء، سوف يبقون محجوزين في الازدحام وحدود السرعة الدنيا لمنظومة الطرق العامة لتورنتو.

التحيُّز والمصادفة في المحاكاة المراقبة:

لقد ثار جدل واسع قبلئذ، مع الظهور السريع لشبكات المراقبة المطبقة في البيع بالتجزئة، والخدمات الاستهلاكية والوسائط والدولة والنقل بأن المواطن الحديث يجري تشييؤه "كطريقة في الحياة قائمة على المعلومات، كملف مفضّاً". لكن هذا "الملف" بعيد عن الوصول إلى شيء من سجن شفاف كلي القدرة Panopticon، شيء من "أخ كبير" يرى كل شيء؛ إنه يبقى على الدوام

ناقصاً، مفتتاً، كشكولياً، ومتفاوت التطور عبر وبين طرق حياة المواطنين. هكذا، "في الحياة الواقعية" تواجه تشكيلة من الآلات المميرة، المنسقة بشكل ناقص، وكل واحدة ذات قدرات ناقصة.

بالمقابل، إن أهمية المناحي باتجاه التطبيق الواسع الانتشار لتقنيات المحاكاة المراقبة هي أنها تدعم المنظومات المتزايدة التنسيق وامتداد وشمول المراقبة والتحكم الاجتماعي. إن التطورات التقانية [التي] تربط المراقبة بالمحاكاة المجتمعية والتنسيق الأفقي المتزايد بين "الملفات" ومواقع المراقبة (مكاتب الائتمان) [التسليف]، المصارف، محلات البيع بالتجزئة، المرافق العامة، شركات وسائل [الإعلام]، مشغلي وسائط النقل، الدولة والوكالات الإصلاحية، تبدو بشكل محتمل أنها تشكل صورة مسبقة للاشتداد السريع للمراقبة الشاملة المنسقة. فوق كل ذلك، يصبح من الصعب أكثر فأكثر أن ننجو، على حد تعبير برونو لاتور، من "أحبولة" الشبكات التقانية التي تلف جهاز المحاكاة المراقبة. بآفاقها المتسعة لقنص البيانات المؤتمت وتناولها الجغرافي الفوري، يبدو أننا سنكون في أزمة معممة في العلاقات بكل بيئات التسييج (التطويق). إن مجتمعات التحكم هي في سيرورة الحلول محل المجتمعات الانضباطية. تبرز ثلاثة أسئلة أساسية، كل واحد منها له معاني ضمنية هامة بالنسبة للسجالات الأوسع حول الجغرافيات الافتراضية.

المحاكاة المراقبة والمستقبلات المدينية الديستوبية:

أولاً، هل تبشر النزعات نحو المحاكاة المراقبة بالضرورة بالانتقال بالجملة نحو مجتمعات التحكم الاجتماعي والتقطيع الديستوبيين (كما هو مقتضى غالباً في الخيال العلمي الهرائي السايبري والنظرية الاجتماعية النقدية؟) – بلغة عامة، يبدو بشكل مؤكد أن المحاكيات المراقبة الالكترونية يتم بناؤها لدعم صناعة القرار، وقرارات إعادة هيكلة الأعمال والتحكم الاجتماعي وتطوير المزيد من التكرار للمراقبة من قبل منظمات الخدمة ضمن الفضاء الجغرافي وعبره. ضمن

سياق اقتصاد سياسي تهيمن عليه بيئة اندماجية مخصخصة ومدوّلة يدفعها الربح، تبرز منظومات المحاكاة المراقبة كتقنيات حاسمة لأجل تعزيز الربحية والمرونة والاستجابة. بالنسبة لشركات البيع بالتجزئة والمصارف والمرافق العامة، على سبيل المثال، تُشبك منظومات مراقبة GISs على نحو متزايد في سيرورات إعادة هندسة سيرورة الأعمال وإعادة هيكلة الخدمات. هذا يجعل من الممكن دفع خطط الخدمة و"إنهاض" الاستثمار عبر المدن وفقاً لمحاكاة الاستهداف الجيوديموغرافية المحكمة.

عندما تصبح الدارات السبرنتية المتابعة لسلوك المواطن أكثر تعقيداً (من خلال جمع معلومات زبائن باعة التجزئة، نظام البريد، تسليف المستهلك، وكالات تقديم المعلومات المتعلقة بالحياة الشخصية profiling، منظومات الاستعلام البعيد المنزلي، معلوماتيات النقل الطرقي، تلفزيون الدارة المغلقة الواسعة المساحة، الخ)، يصبح ممكناً على نحو متزايد أن نستبدل مجموعات البيانات المكانية الجيوديموغرافية الإجمالية (لنقل على مستوى رمز بريدي أو كراس إحصائي) بمجموعات فردية قائمة على **سلوك أو استهلاك المواطن الفعلي**. هكذا تصبح المحاكيات المحوسبة للفضاء الجغرافي للمدن والأقاليم ممكنة، محاكيات تشبه بشكل أكثر قرباً حتى المحاكيات الحقيقية الزمن الكلية الانكشاف للمدينة (المثال الأفضل هنا هو CCTV). هكذا تبدأ هذه الشبكات الكلية الانكشاف والسبرنتية بأن تشبه شبكات القيادة والتحكم والاتصالات التي تم تطويرها قبلئذ في الجيوش. في حقل الاستهلاك، لا تبلغ سيرورة الاستهداف مداها إلا عندما تحاول الشركات الخدمية أن تتنافس على حصة السوق ضمن الأسواق الملبرلة على نحو متزايد (في حين، بالطبع، تتحرر تدريجياً من التعهدات أو الالتزامات الأقل ربحية التي تشمل الفئات والمناطق الأكثر فقراً).

إن تقانات المحاكاة المراقبة يتم تطويرها أيضاً وتطبيقها ضمن سياق حملة عروض قوية من تكتل معولم على نحو متزايد من الوسائط والاستعلام عن بعد

والصناعات "التأديبية". إن ما يدعوه بوب ليلي وبول نابر المجمع "التجاري للاصلاحيات - أي المجمع السريع النمو من الشركات الأمنية العسكرية والسجونية - التي تحاول، بعد الحرب الباردة أن تستعمر الأسواق المدنية، هو أيضاً لاعب أساسي في هذه الحملة ذات المظهر العرضي، إنه يلقى مزيداً من الدعم عن طريق السجالات الأوسع حول الزخم المحسِّن للعالم بشكل مزعوم للطريق العام الفائق السرعة للمعلومات"، ضرورة تطبيق الاستعلام عن بعد بشكل غير نقدي على كل مظهر من مظاهر الحياة المدنية، والأزمة الشاملة للثقة العامة بأمن المنزل والشارع والنقل.

ستكون النتيجة، في المدن الصناعية المتقدمة، كما أوحى مايك ديفيز في لوس آنجلوس، ظهور مشاهد مدينية مكونة من طبقات كثيرة متراكبة من المحاكاة المراقبة. فكل طبقة يمكن أن يكون لها موزاييكها الأدق فالأدق من الشبكات الاجتماعية المكانية؛ فرضياتها ومحاكاتها المطمورة الخاصة بها لأجل تحصيص وسحب الخدمات أو حرية الوصول؛ ومنظوماتها الخاصة بها لأجل تحديد ومعيرة فرض الحدود بالقوة، من خلال التعريف إلكترونياً للحضور "المقبول" للأفراد في زمكانات "خلوية" مدينية؛ وحلقاتها السبرنتية الخاصة بها من التغذية المرتدة المنظومية، التي تصبح منظومات المراقبة بداخلها أكثر اندماجاً في منظومات المحاكاة. عندما يترك الناس تياراً من الآثار الرقمية من خلال حيواتهم اليومية، تصبح شخوصهم الالكترونية مطمورة في شبكة من منظومات المحاكاة المراقبة؛ فكل واحد منا سيصبح معزولاً على نحو متزايد في حظيرتنا أو خليتنا التقانية المستقلة.

يصل التحكم الانضباطي ضمن المدن، إذاً، إلى الاعتماد ليس فقط على مجموعة فوكوية من البنى الفيزيائية والتحكمات الانضباطية وممارسات التخطيط المدني بل على شبكات شاملة من المنظومات الالكترونية، تؤكد التحكم الانضباطي بتوزيع الأجسام/ الاستعمالات في الفضاء، مخصصة كل فرد/

وظيفة بقسم خلوي، خالقة آلة فعالة من ترتيبها الفضائي التحليلي. إن النتائج الذاتية الضبط لتطبيقات المحاكاة المراقبة، التي يعمل بموجبها الأشخاص بشكل فاعل لوضع أنفسهم في علاقة مع هذه التطبيقات، تصبح قائمة على جهاز كامل من منظومات معلومات المستهلك، CCTV الحقيقي والزائف، منظومات التحكم بالبنية التحتية بالإضافة إلى التطبيقات المعمارية والتمدنية. كما يجادل فيريليو، فإن المدن تنتقل من حالة كانت فيها الحواجز المادية والجدران تتحكم بحرية الوصول "والانتماء" إلى حالة "لا تعود" فيها طقوس العبور متقطعة – فقد أصبحت متأصلة وتحاك كمنظومات سبرنتية، أوتوماتيكية في النسيج المديني. هذه المنظومات الالكترونية، ذات الدرجات المتزايدة من الأتمتة، تهدد أيضاً بتوفير شبكات صامتة ولا مرئية وشاملة للتحكم الاجتماعي السبرنتي، ذات قدرة غير مسبوقة على الاستبعاد. إذ يحذر نوريس ومعاونوه من أن:

«أولئك الذين لا يستطيعون الدفع سوف يُستبعدون عن طرق السيارات؛ المشاغبون المعروفون [سوف يستبعدون] من ملاعب كرة القدم؛ المصابون القبيحون [المحتاجون] للعناية في المجتمع [سوف] يزالون من النظام اللائق لشوارع المدينة ومجمعات التسوق؛ لصوص الحوانيت ومحتالو السفر المعروفون [سوف] يستبعدون من الحوانيت ومنظومات النقل... إذا تم تشديد الفصل المتنامي بين الذين يملكون والذين لا يملكون وبين أولئك المشمولين وبين المستبعدين من خلال استعمال التقانة الجديدة، فثمة خطر أن تصبح مدننا تشبه الرؤية الديستوبية التي يعشقها كثيراً صناع الأفلام المستقبلية».
(Narris et al. 1996: 13)

هكذا تكون هذه المخاوف، من أن المحاكاة المراقبة سوف تشكل مسبقاً وتدعم المنظومات الاجتماعية المكانية التي تكون أكثر استقطاباً واستبعاداً من الناحية الاجتماعية من خلال الأحكام الاجتماعية المؤتمتة اللامرئية، مخاوف واقعية جداً. يبدو أن ثمة قليلاً من الشك في أن منظومات المحاكاة المراقبة تساعد

في دعم التحولات الواسعة نحو فضاءات جغرافية مادية أشد استقطاباً وحتى أشد ازدواجية، خصوصاً في المدن.

أخطار التعميم المفرط: الاحتمال والانتحال:

لكن، وهذا هو سؤالي الثاني، هل هذه هي نهاية القصة؟ هل السيرورات الجارية هي حقاً بهذه الصرامة والبساطة؟ في الحقيقة، في حين نقر بالمناحي الواسعة النطاق والانحيازات، فيجب أيضاً أن نكون حذرين من مخاطر السيناريوهات المفرطة التبسيط والتعميم؛ ومن التفسيرات التي تفترض "التأثيرات" الجغرافية، الديستوبية المشملنة totalised لتقانات المحاكاة المراقبة المستمدة من أمثلة نموذجية إرشادية مثل لوس آنجلوس.

من السهل قراءة تفسيرات بوغارد أو مايك ديفيز وافتراض النشوء السهل للمراقبة الكلية الرؤية المتكاملة بشكل مثالي. فهذه التفسيرات، مع ذلك، تنحو إلى التبسيط المفرط بشكل دراماتيكي لواقع الابتكار التقاني الذي هو إلى حد كبير أكثر "تشابكاً وصعوبة وعرضية" وانفتاحاً على التفسيرات والتطبيقات المتنازع عليها. لذلك نحن بحاجة إلى أن نكون حذرين من التعميم السهل والقراءات الحتموية "للتأثيرات" التقانية، سواء كانت يوتوبية [متفائلة] أم يوتوبية مضادة [متشائمة] بطبيعتها.

كما أثبتت السجالات الأخيرة في نظرية شبكة الممثلين ANT(*) سيكون بناء الشبكات التقانية الجديدة (بما في ذلك شبكات المحاكاة المراقبة) ستكون على الدوام سيرورة اجتماعية – تقنية أدائية بشكل جوهري تنطوي على إدراج الهجائن المعقدة من "الممثلين" الاجتماعيين والتقنيين عبر المسافة. هذا ينطبق بدءاً من تصميم الخوارزميات المرسَّخة، مروراً بحشد وتشغيل شبكات الاستعلام عن بعد، إلى الطرق التي تصبح فيها هذه الشبكات داخلة في التغييرات المفصلة

(*) Actor Network Theory (ANT).

للممارسات الاجتماعية. تقدم نظرية ANT منظوراً علاقياً تماماً يؤكد مخاطر التعميم الحتموي السهل. إنها "تُعنى بكيف تُربط كل أنواع النتف والأجزاء؛ الأجسام والآلات والأبنية، بالإضافة إلى النصوص معاً في محاولات لبناء النظام. إن الفضاء والأمكنة المطلقة هي عديمة المعنى هنا. فالقوة agency هي سيرورة علاقية خالصة.

بسبب الطرق التي تصبح بها التقانات مربوطة في سياقات اجتماعية محددة عن طريق القوة البشرية فإن لها تأثيرات مشروطة ومتنوعة. هكذا، تنشأ ما يدعوها بايل وثريفت "كوزمولوجيا حية، متحركة، مشروطة ومفتوحة النهاية. تصبح الحدود بين البشر والآلات أكثر تشوشاً وغموضاً، ونفاذية وسايبورغية cyborgian. ولا شيء يعني [له معنى] خارج علاقاته: إذ ليس ذا معنى أن نتحدث عن "آلة" عموماً بأكثر مما يكون ذا معنى أن نتحدث عن "إنسان" عموماً.

إن أهمية ANT هي إقتضاؤها أنه لاتوجد تقانة تعمل في انعزال رائع كما لو كانت العقدة المركزية في الكون الاجتماعي. إنها متصلة - عن طريق الأهداف الاجتماعية التي توجه إليها - بالبشر والتقانات الأخرى من أنواع مختلفة. إنها متصلة بسلسلة من النشاطات المختلفة التي تنطوي على تقانات أخرى. وهي مُسيقنة(*) بشدة. لذلك فإن الدرس [المستخلص من] ANT هو أننا إذا كنا سنفهم الجغرافيات الافتراضية للمحاكاة المراقبة فإننا بحاجة إلى موازنة معالجاتنا الاقتصادية - السياسية الماكروية مع معالجات المستوى الميكروي، الأدق بكثير لكيف أن مثل هذه التقانات يتم بناؤها اجتماعياً وأن "تأثيراتها" متوقفة على الممارسة الاجتماعية. المثال الجيد على هذا يأتي من تلفزيون الدارة المغلقة CCTV. بعيداً عن كونه سيرورة محتومة تقانياً، فقد أظهر نوريس وأرمسترونغ كيف أن استعمالات CCTV المديني هي في الوقت الراهن "متوقفة على مجال كامل من السيرورات الاجتماعية: ما إذا كانت الشاشات مراقبة وإذا كانت

(*) مسيقنة contextualized أي تجري ضمن سياق عام مفروض (المترجم).

كذلك [متوقفة] على ما إذا كان الحادث يشاهد ومن ثم يتم تمييزه بوصفه شاذاً؛ إذا كان يشاهد. ما إذا كان يحدث استجابة وما هي طبيعة تلك الاستجابة".

يعني الإنتحال الاجتماعي المعقد للإستعلام عن بعد أيضاً أن التقانات نفسها يمكن بناؤها وانتحالها بشكل مختلف من قبل مصالح مختلفة، في سياقات مختلفة وبنتائج مختلفة. يمكن لتقنيات المحاكاة المراقبة أن تدعم المقاومة والانتهاك، بالإضافة إلى التحكم الاجتماعي وإعادة الهيكلة المدينية الارتدادية. هكذا، يمكن لجماعات وناشطي المجتمع أن يستفيدو من تقانات GIS لدعم تلوييهم(*) من أجل الخدمات المحسَّنة في فضاءاتهم. يلخص راماسوبراهانيان (١٩٩٦)، على سبيل المثال، كيف استعملت تقنيات GIS في ميلووكي ليثبت أن شركة التأمين كانت تسطر بالأحمر بشكل فعلي كراسات الإحصاء الرسمي السكاني الإفريقية–الأميركية في المدينة (هو نفسه يستخدم تقنيات GIS). ويمكن لحرية الوصول الجماعي إلى منظومات CCTV ومنظومات الفيديو بالفعل أن تساعد في جعل ممارسة السلطة العامة أكثر عرضة للمحاسبة في شوارع المدينة (مكملاً، بالطبع، المنظومات المتزايدة الأتمتة والخوارزمية التي يحتمل أن تستعمل من قبل أجهزة مكافحة الجريمة). يرى كيفين روبنز، مع الانتشار الجماهيري للفيديو الاستهلاكي أن "المدينة الآن تؤلف موزاييكاً من الرؤى الميكروية Micro-Visions والمرئيات الميكروية Micro-Visibilities. فمع المدينة بات لدينا تشظي وتحلل الرؤية بوصفها تحكماً Vision-as-control إلى المستوى الفردي". هكذا، يتطلب التركيز على العلاقات الملتبسة المعقدة المحيطة بتقنيات المحاكاة المراقبة والذاتيات الكثيرة التي يمكن أن تمثلها – في حين تكون، في الوقت نفسه، حساسة للانحيازات المحددة الماكروية المستوى التي لا تزال تميل، فوق كل شيء، إلى تشكيل تصميمها وتجنيدها وتشغيلها.

(*) التلويب أو التلوُّب lobbying تشكيل أو تشكل اللوبي أو جماعة المصالح الفئوية داخل بلد أو برلمان أو حكومة... الخ (المترجم)

الجغرافيات الافتراضية/ الجغرافيات الاقتصادية:

أخيراً، من المهم أن ندرس كيف تصبح تقانات المحاكاة المراقبة متضمنة في تطوير وبناء الجغرافيات المادية الجديدة للعمالة employment والتمدين والتدفق والتنمية. هنا تبرز ثلاث نقاط . الأولى، تكاثر منظومات المراقبة تقريباً أكثر بكثير من تدفقات التمثيلات ؛ بناء الافتراضيات والصور المحاكية [المصطنعات] simulacra؛ تكاثر الإواليات لأجل التحكم الدقيق؛ [تكاثر] السيرورات السبرنتية للأتمتة، و[تكاثر] فاعلية المشتركات. إنه أيضاً يغذي بعض القطاعات الاقتصادية الأسرع نمواً في "اقتصاد المعلومات"، مع ظهور مسارات مختلفة جداً من أجل أمكنة مختلفة ضمن التقسيمات المعلوماتية للعمل.

ثانياً، يبدو أن التدفقات الاقتصادية وسيرورات العمل المحيطة بنمو منظومات المحاكاة المراقبة تسرع السيرورات التي يلحظها كاستلز، التي تصبح من خلالها السيرورات الاقتصادية أكثر "انفلاشاً" عن المشاهد الفيزيائية والاجتماعية التي هي بؤرتها، التي تعمل بدلاً من ذلك من خلال "فضاء تدفقات" موسولة عن بعد ضمن "مجتمعات الشبكة". هكذا، تولد صناعات تخزين البيانات والتسويق الاستهلاكي طلبات هائلة على الفضاء المكتبي المعقد الذي يقع في أمكنة ذات عروض عمل جيدة، ومعونات حكومية عامة وبنى تحتية كفوءة للنقل والاتصالات عن بعد والملكية. تنحو نطاقات المكاتب الخلفية والمبيعات عن بعد، ومعالجة البيانات إلى التوضع بعيداً عن نوى المراكز المدينية الرئيسة في فضاءات الضواحي الأقل كلفة أو الفضاءات الريفية أو حتى فضاءات العالم الثالث/ الفضاءات الحديثة التصنيع (Graham and Marvin 1996).

تعمل البنى التحتية الداعمة للزبون لأجل المرافق العامة وشركات الاتصالات عن بُعد والنقل الآن بشكل روتيني على الشابكة من مراكز نداء مؤتمتة، بعيدة،

رخيصة، بعيدة "عن الرقع" الأرضية التي تغطيها بناها التحتية الفيزيائية. فالزبائن الذين يتلفنون لشركة كهرباء لندن، على سبيل المثال، يتم التعامل معهم على مسافة ٢٥٠ ميلاً شمال لندن، في سندرلاند. إن وظائف معالجة البيانات ذات المستوى الأدنى والمروتنة يمكن حتى أن تكون متفرعة إلى مواقع حتى أكثر تشتتاً، مستخدمة طاقماً (أنثوياً إلى حد كبير) مدفوع الأجر لكل شوط، أحياناً في منازلهم لكن غالباً ضمن مقاطعات المكتب الخلفي في المدن الهامشية مثل ميلووو كي ونيو كاسل. نظرياً، يمكن الآن تحويل تدفقات الصور من منظومات CCTV بسهولة عبر شبكات واسعة الحزمة إلى مواقع عمل رخيصة. لقد اقترح البنك الدولي بشكل جدي أنه ينبغي متابعة منظومات CCTV التي تغطي مجمعات التسوق الأميركية في إفريقيا للاستفادة من ميزة تكاليف الأجور المتدنية وتقديم منافع "تنموية" إلى القارة. مما يدعو للسخرية أن كل سيرورات العمل هذه تستخدم تقنيات المحاكاة المراقبة الخاصة بها لدعم انضباط وأداء العامل.

أخيراً، مع ذلك، فإن صناعة البرمجيات Software ذات القيمة المضافة الأعلى التي تحدد شكل منتجات وتقنيات المحاكاة المراقبة تتطلب التجديد الفوري المستمر والبنية التحتية والخدمات العالية المستوى المتعددة الجوانب للمناطق المتروبوليتانية [الحاضرية] النواتية الكبيرة. هذه الصناعات تنحو إلى التكتل في "مقاطعات المعلومات" الخلاقة، سواء في التمددات الشبيهة بالحرم حول المناطق المتروبوليتانية (كما في حالة وادي السيليكون) أو، كما هو الحال مع التصميم المتعدد الوسائل، في المقاطعات الداخلية المأهولة بالطبقات الأرستوقراطية في المراكز المدينية الأقدم (كما هو الحال مع تريبيكا في نيويورك وسوهو في لندن. وكل واحدة، بالطبع، ترتبط بهندسات تدفقها العالمية الخاصة بها عن طريق الربط بطاقم دعم عالي المستوى في الدول العالية المهارات، الحديثة التصنيع، مثل الهند (Castells 1996).

خاتمة:

من هذه المناقشة تتضح ثلاثة تحديات للجغرافيات الافتراضية، على نحو جلي. فهي يجب عليها أن تطور منظورات يمكنها أن تحلل كيف تساعد المنظومات التقانية المتفاعلة، الواسعة في إعادة تشكيل الجغرافيات الافتراضية والمادية. ويجب عليها أن توازن المفاهيم العامة للانحيازات الواسعة النطاق [على] المستوى الماكروي في التطور التقاني مع المقاربات التحليلية التي تستوعب مشروطية الفعل الاجتماعي. وهي بحاجة إلى الحفاظ على المنظورات الكليانية التي لا تغلّب "الاجتماعي"، أو "الاقتصادي" أو "الثقافي"، بل بالأحرى تسمح بتفكيك واستكشاف الطبيعة المتعددة الأبعاد للجغرافيات الافتراضية (see Lee and Wills 1997).

* * *

هامش:

. يمكن إيجاد مناقشة أوسع وأكثر تفصيلاً للمحاكاة المراقبة. تتضمن مزيداً من الأمثلة، ومناقشة نظرية أوسع في مقالة غراهام، س. (Graham,s. (1998b). بعنوان: "فضاءات المحاكاة المراقبة: التقانات الجديدة، التمثيلات الرقمية والجغرافيات المادية" في: Environment and planning D: Society and space (Forthcoming).

٩- الاستعلام الريفي عن بعد
مجتمع المعلومات والتنمية الريفية(*)

بقلم: كريستوفر راي وهيلاري تالبوت

مـدخـل:

هل ثمة بعد ريفي بالتحديد لمجتمع المعلومات؟ هل توجد فئة لظاهرة اجتماعية – تكنولوجية أوسع يمكن تسميتها "استعلام ريفي عن بعد"؟ كيف يمكن أن تساهم الدراسة الأكاديمية في فهم ما يحدث؟ هذه هي أصناف الأسئلة التي سنبدأ في الإجابة عليها في هذا الفصل.

بالنظر إلى هذا التركيز على المناطق الريفية، فإننا مهتمون بما يتعين على الأدب حول مجتمع المعلومات/ الاستعلام عن بعد أن يقوله حول هيكلية الفضاء والمكان. إذ يتعين البحث عن التعليقات الجديرة بالتنويه لدى كاستلز وباسكال وروبنز وهبوورث. رغم أن هذه الروايات ترفض الانهيار التبسيطي أو المثالي للفضاء (والزمن) المتخيل في "القرية العالمية" لماك لوهان، فإنها مع ذلك تؤكد أهمية منظور العولمة لأي فهم للمسارات المشمولة. على وجه الخصوص، إنها تركز على منطق الرأسمالية الليبرالية عندما تحاول أن تتخطى الحدود السياسية – الإدارية لاقتناص الأرباح وخلق الأسواق. إن قدرة تقانة المعلومات على اختصار

(*) Rural telematics: The information society and rural development.

الفضاء تدخل ذلك في النظام الجديد للفعالية والتأثير الذي بتنا نسميه ما بعد الفوردية الذي يكون المركزي له هي القدرة الكامنة للإدارة / السيطرة على النأي بنفسها جغرافياً عن وظائف الإنتاج الأخرى. إن تقانة المعلومات، وقد أزالت أي مبرر منطقي متبقٍ لأجل القرب الفيزيائي بين وظائف الإنتاج وبين الإنتاج والأسواق، إنما تمكن الشركات من أن تمركز السيطرة وتمحلل localise (أي تلغي مركزية) الإنتاج والخدمات.

هذا يقود باسكال وروبنز وهبوورث إلى التأمل في "نهاية المدينة" عندما تفقد المدينة دورها التاريخي كحاضنة للأعمال [التجارية]. إذ يمكن نقل وظائف الإنتاج إلى المواقع المحلية المتدنية الكلفة (الكلفة المتدنية بسبب وفرة اليد العاملة غير المنظمة في نقابات، أو متاحية الإعانات المالية الحكومية أو ما شابه)، لكن إلى درجة عالمية على نحو متزايد. تتعزز السيطرة من المركز من خلال القدرة الاتصالية لتقانة المعلومات.

النتيجة، وفقاً لهذا الخط في التعليل، هي أن الاقتصادات وهياكلها الاجتماعية – السياسية المتصلة بها، يجري تحويلها. وبدافع من ضرورة القرب الفيزيائي، فإن التنبؤات هي لصالح تشتيت الموقع الديموغرافي والصناعي إلى مواقع أقل كلفة – أي ريفية. يتم تكثيف مسار التشتيت/ التماسف هذا عن طريق متاحية الشبكات المتدنية الكلفة، العالمية بشكل عملي، لتدفق المعلومات. والأكثر من ذلك أن تأثير التماسف مجتمعاً مع ضرورة الرأسمالية الليبرالية يؤدي إلى مستوى جديد من تقسيم العمل الدولي والبين إقليمي يكون في حالة حراك مستمر ويزيد من عطب الأقاليم والمناطق الريفية.

هكذا، ينحو الأدب[الذي يدور] حول مجتمع المعلومات إلى التنبؤ بمستقبل ما بعد فوردي في تفاعل ديناميكي للعولمة من جهة أولى، وانبعاث المحلية من الناحية الأخرى. هذا التفاعل المعقد بين القوى المركزية الطاردة [النابذة]

والقوى المركزية الجاذبة [الجابذة] يوفر الأفق لإعادة الهيكلة الاجتماعية-الاقتصادية للفضاء الريفي والمديني. المعنى الضمني لذلك هو أن المناطق الريفية- طالما بقيت، نسبياً، اقتصادات مرنة متدنية الكلفة-ستشهد ازدياداً في روافد الدخل، وإن يكن بثمن العطب والتبعية للقوى الخارجية.

تتحدث روايات الاستعلام عن بعد أيضاً عن "إعادة ولادة" المحلي - عبر سبل اللامركزية وفردنة العمل - بوصفه ينطوي على معاني ضمنية لأجل العلاقات الاجتماعية. توحي مابعد الفوردية بظهور ثقافة عمل جديدة تجد فيها الأسرة والفرد نفسيهما كوحدتي إنتاج أساسيتين. إن الأشكال المختلفة للعمل عن بعد، وفي الواقع عودة ظهور العمل المنزلي بشكل عام، يمكن أن تؤدي إلى عمل مرن مطيل للعمر أو إلى "العمل المعرَّق"(*) للاستخدام (العمالة) التعاقدي أو المقطوع (بالقطعة) المتدني الأجر. مع ذلك، يمكن للاستعلام عن بعد بالقدر نفسه أن يعزز الاهتزاز الاجتماعي - الاقتصادي للمشتركات المحلية عندما تسمح الفرص الزائدة والاستبدال الأقل للعمل بالعودة إلى ميدانه التاريخي الذي يتخطى فيزيائياً ووظيفياً ميدان المنزلي.

يقال أيضاً إن الاستعلام يشجع "المشترَك" community من خلال تعزيز شبكات الاتصال ضمن المحليات (شبكات المشترك)، بين الأسر، ومختلف مستويات السياسة والإدارة وبين الأفراد المفصولين مكانياً ذوي المصالح المشتركة (الديموقراطية عن بعد teledemocracy). وفي كثير من هذا الأدب، توجد ثيمة الاستعلام عن بعد ومجتمع المعلومات كأداتين يمكن للمشتركات المحلية أن تستخدمهما لكي تحمي طريقتها المختارة في الحياة، بما في ذلك، تأييد معنى "المشترك المحلي". لكن، بشكل عام أكثر، تتنبأ روايات المجتمع النيو فوردي/ المعلوماتي بإعادة دمج الفضاء الاقتصادي و[الفضاء] الاجتماعي على المستوى المحَلي.

(*) العمل المعرق Sweated Labour هو تعبير يستخدم للحديث عن استغلال العامل بشكل لا إنساني (المترجم).

هكذا، أكد الأدب حتى الآن على ثنائية "النابذ–الجابذ": العولمة مجتمعة مع اللامركزية (الفردنة، الأسرة، المشترك المحلي). يُتوقع "نهاية المدن" عندما تشتت وحدات الإنتاج، على نحو متزايد، إلى مواقع لا مدينية. حيثما يحط رأس المال الجوال ويضع بيضة التكنولوجيا العالية، عندئذ سيزدهر النمو الاقتصادي: التكنولوجيا العالية تقوم بوظيفة المحرك للنمو الاقتصادي الجديد وتلعب دوراً كبيراً في نهوض وانحطاط الأقاليم والمناطق الميتروبوليتية. لذلك ففي حين يرفض الحتمية التكنولوجية لروايات علماء المستقبل أمثال توفلر، يتبقى ضمن الأدب الإحساس بحتمية السيرورة الذي يحركه إفلاس منطق ما بعد الفوردية.

لكن هذا معناه أن نتجاهل العوائق الكبرى التي تواجه هذه السيرورة التي تحدث بشكل طبيعي. إنها تفشل كلياً في تعليل سيرورة تصميم/ تنفيذ السياسة ذاتها. فهي لا تتضمن تأثير البنى الاجتماعية، الديموغرافية، الاقتصادية، السياسية والثقافية القائمة، على مسار مجتمع المعلومات – الرجعي أو التسووي. رغم كل شيء، لقد فشلت في معالجة مشكلة التأمين غير المتكافئ جغرافياً للبنية التحتية. كنتيجة، يبدو ثمة قليل من التحليل للطريقة التي تسعى بها الأراضي المحلية والإقليمية إلى زيادة العمل الاستراتيجي لكي تشارك بالزخم المعلوماتي حتى رغم أن كاستلز على الأقل قد أقر بأن المحصلات الفعلية للاستعلام عن بعد ومجتمع المعلومات "سوف تسوى وتعدل تعديلاً أساسياً عن طريق السيرورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية" (Castells 1985: 15).

هدفنا في هذا الفصل هو أن نوضح ذلك من خلال مثال ملموس. إننا نعرض تنظيراً للتجربة الحديثة لمنطقة ريفية معينة عندما بدأت سيرورة تفاوض موقعها بالنسبة إلى تقانة المعلومات. يعني استخدامنا دراسة حالة، بشكل حتمي، أن التحليل محدد بزمان ومكان. إنه أيضاً تحليل مؤقت في أن كلاً من السياقات والمعاني المتصورة هي مائعة وآخذة في التطور كما سأبين. بالفعل، في استنتاجنا، نلاحظ إمكانية أن يعكس تحليلنا استراتيجية تلاؤم مؤقتة من قبل

الإقليم . لكننا نبرر استخدامنا دراسة حالة منطقة محلية بأنها قد مكنتنا من أن نجد المبرر للمخيلة المسممة لكثير من البلاغة السايبرية بلغة إدراكات وأفعال الأشخاص والمنظمات الذين يتعين عليهم أن يديروا السطح الفاصل بين مثل هذه البلاغة والمعاني الضمنية الاجتماعية الثقافية الاقتصادية بالنسبة للأشخاص والمشتركات والمشاريع ضمن المحليات. علاوة على ذلك، فإن منطقة دراستنا هي، بطرق كثيرة، نموذج للمناطق الريفية في أنحاء الاتحاد الأوروبي التي تسعى إلى تحسين الرفاه الاجتماعي الاقتصادي.

إن الإطار المفاهيمي لهذا الفصل هو التنمية الاجتماعية الاقتصادية الريفية: ليس فقط لأنها مصلحة أساسية بالنسبة لنا كأكاديميين لكن أيضاً لأن تحليل دراسة حالتنا يكشف أن أجندة الاستعلام عن بعد (الأوربية/ العالمية) صارت تُدرج ضمن أجندة تنمية إقليمية/ ريفية. إننا نجادل هنا بأنه، على مدى فترة قصيرة نسبياً من الزمن، نشأ منظور تنمية ريفي يعاكس تلك العناصر من بلاغة الاستعلام عن بعد التي تبين أنها مهددة بشكل محتمل لمصالح الإقليم [الموطن].

بالنتيجة، فقد كرسنا القسم الأول من هذا الفصل لنظرية التنمية الريفية ومقارباتها المكونة الداخلية المنشأ والخارجية المنشأ والمحلية/ خارج المحلية. ثم نتحول إلى دراسة الحالة قبل تقديم ملاحظاتنا الختامية. ولقد تم تكوين التحليل بشكل خاص باستعمال نظرية شبكات الممثلين بوصفها جهازنا التحليلي الرئيسي.

نظرية التنمية الريفية والاستعلام عن بعد:

هدفنا في هذا الفصل هو التأمل في فكرة أن الاستعلام البعيد يمكن أن يكون عاملاً لصالح التنمية الاجتماعية الاقتصادية في المناطق الريفية، أما نواة تحليلنا فهي دراسة حالة شمال إنكلترا أو، بشكل أدق، الشمال الريفي وهي منطقة ريفية نائية، مبعثرة السكان، باشرت في عام ١٩٩٦ سيرورة تطوير استراتيجية الاستعلام عن بعد. لكننا نبدأ بتأسيس السياق العام للدراسة: نظرية التنمية الريفية والسياسة ضمن الاتحاد الأوروبي.

ماذا يعني "ريفي" ولماذا يمكن أن يكون مقولة هامة؟ رغم أن معظم الناس يميزون منطقة ريفية عندما يرونها، فقد وجد الأكاديميون مهمة الوصول إلى تعريف للريفية rurality مهمة مراوغة وتافهة في المطلق. بدلاً من ترديد ذاك السجال هنا، سوف نستعمل المصطلح للإشارة إلى مناطق ذات كثافة سكانية متدنية (وغالباً آخذة في الهبوط)، تواجهها مشاكل الهامشية الجغرافية والاقتصادية بما فيها تلك المناطق التي أدى أداؤها الاجتماعي الاقتصادي الأقل من المعدل الوسطي واعتمادها المفرط على القطاع الأولي إلى أن تكون هدفاً لمساعدة برنامج التنمية من قبل الاتحاد الأوروبي.

ثمة نمطان عريضان من نموذج السياسة تم استعمالهما لتحسين أداء ورفاه المناطق الريفية. النموذج الخارجي المنشأ يستند على مقدمة تقول إنَّ القوى لمصلحة التنمية توجد خارج أرض الهدف (المقاربة العلوية – السفلية). وفقاً لهذا النموذج، فإن الحكومات القومية والاتحاد الأوروبي سوف يصممان تدخل السياسة وفقاً لأجنداتهما الأوسع ومن ثم "يفرضان" حلولاً مميزة على مناطقهما التي تكونِّها. فالسياسة عندما اختارت المناطق الريفية، وخصوصاً مع قدوم الاتحاد الأوروبي، كانت محكومة بمقاربة قطاعية sectoral approach أي [مقاربة] القطاع الزراعي. كانت سياسة الزراعة نفسها تحركها أخلاقية التحديث (الخارجية المنشأ) التي كانت أخلاقية إنتاجوية productivist والتي فرضت تقانات معيارية تلغي إلى حد كبير التنوع الجغرافي.

أدى نقد مظاهر الحداثة الذي ظهر في الستينات (١٩٦٠) (التمركز/ التهميش، التدهور البيئي، التجانس الثقافي، الخ) بشكل عام وتجربة إغاثة "العالم الثالث" إلى الشكوك المعلنة حول التأثيرات الصافية للمقاربة الخارجية المنشأ لسياسة التنمية. ضمن السياق المحدد للإتحاد الأوروبي، ظل التقارب الاجتماعي الاقتصادي بين الأقاليم/ المناطق الريفية مراوغاً، وهبطت قدرة

الزراعة على توفير العمالة هبوطاً حاداً، وأصبح رأس المال متنقلاً على نحو متزايد بحيث كانت اقتصادات ريفية كثيرة تصبح هشة بشكل متزايد، بدلاً من أن تقترب من المعدل الوسطي الأوروبي.

استجابة لذلك، بدأت المقاربة الداخلية المنشأ بالظهور. فهذه تعطي الأفضلية للمنطقة المحلية/ الإقليم ذات/ ذي القدرة على توليد تنميتها/ ـه الخاصة والتحكم بها/ به. الأساس للتنمية الداخلية المنشأ هو تمكين الأرض Territory المحلية [الإقليم] من تحديد مشاكلها وحل تلك المشاكل قدر الإمكان من خلال تعبئة الموارد المحلية (المشروع الأهلي، الموارد البشرية والمادية المحلية، البيئة المؤسساتية المحلية، المشتركات، الخ). ببساطة تسعى المقاربة إلى تثبيت الوسيلة لأجل التنمية الاجتماعية والاقتصادية في الموقع المحلي بحيث تكون المنافع الناجمة محفوظة محلياً. وفقاً لذلك، يتطلب هذا سياسات وعملاً تشدد على تميز وسلامة الأقاليم قيد البحث.

في عام ١٩٨٨، حثَّ الاتحاد الأوروبي إصلاحاً لسياسته البنيوية بحيث تبتعد عن المقاربة الثانية المجسدة في السياسة الزراعية المشتركة ونحو استهداف مناطق ريفية محددة (المفوضية الأوروبية ١٩٨٨). لقد أصبح الاتحاد الأوروبي لاعباً كبيراً في سياسة وتمويل التنمية الريفية. وكانت المقاربة الإصلاحية للتنمية الريفية هي تبني مبادئ النموذج الداخلي المنشأ لكن بطريقة ملتبسة نوعاً ما في أن النموذج الداخلي المنشأ - الإقليمي قد تم ترشيده ضمن الأجندات الأوسع للإتحاد، [الأجندات] الاقتصادية (الالتقاء على تمكين الاتحاد من العمل كسوق واحدة بدون حواجز داخلية أمام انتقال رأس المال والأشخاص والمقاولات) والسياسية (بناء المؤسسة الأوروبية الشاملة والهوية الأوروبية). علاوة على ذلك، احتفظ الاتحاد الأوروبي والحكومات الأوروبية بالقدرة على وضع القواعد لأجل استعمال الصناديق البنيوية structural Funds، وإبداء الرأي في أية منظمات محلية سوف يسمح لها بتشغيل برامج التنمية الريفية، والموافقة على مضامين خطط التنمية الإقليمية.

هكذا، تبدو التنمية الداخلية المنشأ "الخالصة" هنا خرافة في حيث أن كلاً من المقاربتين الخارجية المنشأ والداخلية المنشأ تعملان بالتزامن. هذا قاد المراقبين إلى تجريب نظرية من "خارج النموذجين الداخلي المنشأ والخارجي المنشأ". بتطبيق نظرية شبكة الممثلين على التنمية الريفية. هذه النظرية تركز على علاقات السلطة الديناميكية، وغير المتكافئة بالضرورة، التي تتشكل بين المستوى المحلي (الإقليم وأفراده ومنظماته المكونة له) والمستوى (١ت) خارج المحلي. إنها تتيح إمكانية أن تعمل القوى الداخلية المنشأ والخارجية المنشأ بشكل تفاعلي في أي وضع مفترض. هكذا يكون التشديد على النظر إلى: "كيف تتمفصل الدارات المحلية للإنتاج والاستهلاك والمعنى مع الدارات خارج المحلية". إن النظرية تفهم مجموعة من العلاقات (الشبكات) التي يتم إحداثها من خلال شتى أنماط الوسطاء (الممثلين) والتي يمكن أن تتضمن: "النصوص، المنتجات الصنعية التقنية، الكائنات البشرية، المال". [تنص] النظرية على أن علاقات المحلي بخارج المحلي تصبح إوالية mechanism لبناء المعنى؛ أو بشكل أكثر تحديداً، تترجم المدخلات inputs من الممثلين إلى معنى للتنمية خاص بالشبكة. هكذا:

تمتلك شبكة الهوية القدرة على الإندراج في سيرورة التنمية وعلى "ترجمة الأجندات ولهذا يمكن النظر إليها على أنها مكونة لسيرورة التنمية. (Ray and Woodward 1998: 30)

هكذا، تسلط نظرية الشبكة الضوء على ترسخ الشبكات (العلاقات الاجتماعية الاقتصادية، شبكات السياسة، الخ). ضمن الأقاليم والمناطق الريفية. إنها تؤمن أداة تحليلية لأجل اقتفاء مواقع السلطة وأي الفئات تكون قادرة على المشاركة في تعريف سياسة وفعل التنمية والاستفادة منهما. علاوة على ذلك، إنها تسمح بترسيم الشبكات المتداخلة عندما تلتئم على أراضٍ وبرامج تنمية معينة وتمييز كيف أن بعض الممثلين/ الأجندات سيكون أهلياً indigenous بالنسبة للمنطقة المحلية في حين أن البعض الآخر لن يكون كذلك.

أما وقد بيّنا الحالة الراهنة لنظرية التنمية الريفية، يمكننا أن نعود للنظر إلى الاستعلام عن بعد والتأمل في المفهوم العام للاستعلام عن بعد بوصفه عنصراً (فاعلاً) من التنمية الريفية. إنه مفهوم يتم تضمينه على نحو متزايد، رغم أن ذلك يتم أحياناً بشكل غير نقدي نوعاً ما، في معجم بيانات وبرامج سياسة التنمية الريفية. على سبيل المثال، كانت مجموعة الأوراق البيضاء الريفية البريطانية المنشورة في عام ١٩٩٥ من قبل وزارة البيئة [إنكلترا] والمكتب الويلزي والمكتب السكوتلندي تتضمن فقرات تحدد هوية الاستعلام عن بعد بوصفه أداة لأجل التنمية الريفية. وتقر برامج التنمية الممولة من قبل الاتحاد الأوروبي والحكومات القومية بشكل ثابت أيضاً بالحاجة إلى نشاط الاستعلام عن بعد. فوكالات التنمية الريفية في المملكة المتحدة تمتلك جميعاً سياسات لتشجيع نشاط الاستعلام عن بعد، وفي الطرف الحاد، فإن "للصناعة" تنظيمها الخاص بها للحملات تحت قناع العمل عن بعد والأكواخ عن بعد Tele Cottages ورابطة المراكز عن بعد Tele Centers Association (TCA).

كل هذه تتغذى على بلاغة أكثر عمومية. فاللاعب الهام في رعاية وتشجيع هذه البلاغة هو الاتحاد الأوروبي نفسه: تحديداً، دفاع المفوض بانغمان كما تمت صياغته في تقرير الفريق السامي حول مجتمع المعلومات (Bangemann 1994). و"مركز أبحاث" النخبة الذي أسسه الاتحاد الأوروبي، منتدى مجتمع المعلومات (ISF 1995). ووفقاً لهذه البلاغة، فإننا نوضع على مسار- ثورة - باتجاه "مجتمع معلومات" ما بعد صناعي سيتوصل فيه الاستعلام عن بعد إلى أن يعم كل مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية الثقافية والسياسية؛ إن قدوم هذا الواقع الجديد وشيك وحتمي، والزخم التكنولوجي لا يمكن إيقافه، وقراص نقطة الانعطاف الثقافي يتطلب الإمساك به.

إن دور هذه البلاغة كممثل [فاعل] في التنمية الريفية الإقليمية سوف يتم سبره في دراسة الحالة التي ستلي. أما الآن، فسوف نركز على الطرق التي تتصادى بها البلاغة ظاهرياً مع المظاهر العديدة من منظور التنمية الريفية.

الشيء المركزي لهذه البلاغة هو القدرة التي يقال إن الاستعلام عن بعد يمتلكها على التغلب على مساوئ الموقع الجغرافي. فالمشاريع يمكنها أن تحسن إمكانية وصولها إلى الأسواق من خلال استعمال "التسويق عن بعد". لم يعد البعد الفيزيائي والمقياس الصغير يعنيان أن المقاولات محدودة بالأسواق المحلية. يقدم الاستعلام عن بعد أيضاً إمكانيات جديدة لأجل خلق المشاريع يكف فيها الموقع الفيزيائي عن أن يكون "عامل إنتاج"، كما في الشركات التي تقدم التصميم البياني وخدمات الشابكة. ولا يبدو أن أعمال الاستعلام عن بعد هذه تتغلب على مساوئ الهامشية الفيزيائية فحسب، بل إنها تساعد على "تحديث" هوية المشروع الريفي والمناطق الريفية في حين تبقى ممثلة لروح المهن الحرة الصغيرة النطاق جداً. فالاستعلام عن بعد إذاً، يقدم نفسه كوسيلة لتجاوز الفضاء وبناء اقتصادات محلية منوعة، متحركة.

لكن، إذا كانت البلاغة تتحدث عن تجاوز الفضاء، فإنها توحي أيضاً بأن هذا يمكن أن يترافق بتثبيت قيمة **المكان**. فالمكان، في التنمية الريفية، يترجم أحياناً بوصفه المشترك community (حقل ألغام دلالي آخر تم سبر أبعاده مراراً). فالمشترك يقال إنه يستفيد من خلال إمكانيات العمل عن بعد من المنزل وهذا يتصادى مع أجندة التنمية الريفية في وعدها بإزالة بعض عوامل الدفع/ الجذب التي تؤدي إلى النزوح خارج المحلية وتحسين الحراك الاجتماعي والاقتصادي للمحليات. إن "المشترك" يتعزز أيضاً من خلال توفير الخدمات للمواقع التي لا يعود بمقدورها، أو لم تكن قادرة أبداً، أن تحتفظ بمستوى يُعتبر الآن ضرورياً لأجل مستوى معيشة معقول؛ أي أن الاستعلام عن بعد يمكن أن يستجيب للحاجات الاجتماعية ورفع كفاءة ومردودية الخدمات العامة. هكذا، يمكّن الأشخاص من البقاء في مكانهم، وبناء مشتركاتهم ويمكّن العمل من أن يأتي إلى المشترك.

يمكن تعزيز "المشترك" أيضاً من خلال تشجيع الهوية المحلية، والبلاغة على المستوى الأوروبي قوية بشكل خاص في هذه النقطة. إذ يقال إن مناطق أوروبة سوف تكتسب "فرصاً جديدة للتعبير عن تراثاتها وهوياتها الثقافية" و "عندما تكون المنتجات سهلة المنال بالنسبة للمستهلكين، سيكون هناك مزيد من الفرص لأجل التعبير عن تعددية الثقافة واللغات التي تزخر بها أوروبة. إن الأفراد والجماعات والأقاليم سوف يُمكنون من إعادة خلق وتوصيل هويتهم الثقافية إلى "الخارج" من خلال وسيلة الاستعلام عن بعد. كنتيجة لذلك، تصبح المحليات مشجعة ويتعزز مفهوم التجذر، وتساعد نوعية الحياة المطورة على الحفاظ على سكان محليين متحركين.

لا تتوقف بلاغة الاستعلام عن بعد عند الإمكانيات لأجل ربط المحلي مع "الخارج"؛ بل تتحدث أيضاً عن روابط داخلية، ضمن الإقليم. يمكن للمناطق الريفية، بالتعريف، أن تجد أن النشاط الاجتماعي والاقتصادي الداخلي المنشأ يمكن أن تعيقه الكثافة السكانية المتدنية. يقدم الاستعلام عن بعد نفسه كطريقة لخلق شبكات اتصال محلية للأفراد والمشاريع والجمعيات التطوعية والهيئات الرسمية. هكذا يمكن مراكمة وتعزيز المشتركات المحلية، عن طريق المشتركات الافتراضية: "المشتركات الجغرافية سوف تتمتع بوسائل داخلية للاتصال أكثر كفاءة من أي [مشترك] منذ اجتماعات المدن [في] اليونان القديمة. في الوقت نفسه، يتم خلق المشتركات الافتراضية الجديدة عن طريق الشابكة، التي تربط إلى بعضها عن طريق الجموع ذات المصالح المشتركة".

تقوم إمكانيات تمكين الإقليم [الموطن] ومكوناته من توليد تنميته الاجتماعية والاقتصادية على فهم الاستعلام عن بعد بوصفه شكلاً من تدفق المعلومات لكنه تدفق قابل للتحكم به من قبل المناطق المحلية. هذا التدفق يمكن أن يكون إما مصدراً للمعلومات يسمح بتشجيع الإقليم ذاته أو يمكن أن يستمد المعلومات من الخارج لتغذية التدريب والتعليم وتأمين الاستخبار intelligence حول الأسواق

وبيئات السياسة. يبدو أن الاستعلام عن بعد يوفر إمكانية تحويل المناطق الريفية في حين يساعد في الوقت نفسه على الحفاظ على خواصها الاجتماعية الثقافية الجوهرية. حتى بشكل أكثر خداعاً، يزعم أنه قادر على التقليل من المشاكل التي يسببها التهميش الجغرافي والاقتصادي والسياسي، في حين يعزز حراكية وهوية أماكن ريفية بعينها.

دراسة حالة "استعلام عن بعد لأجل الشمال الريفي":

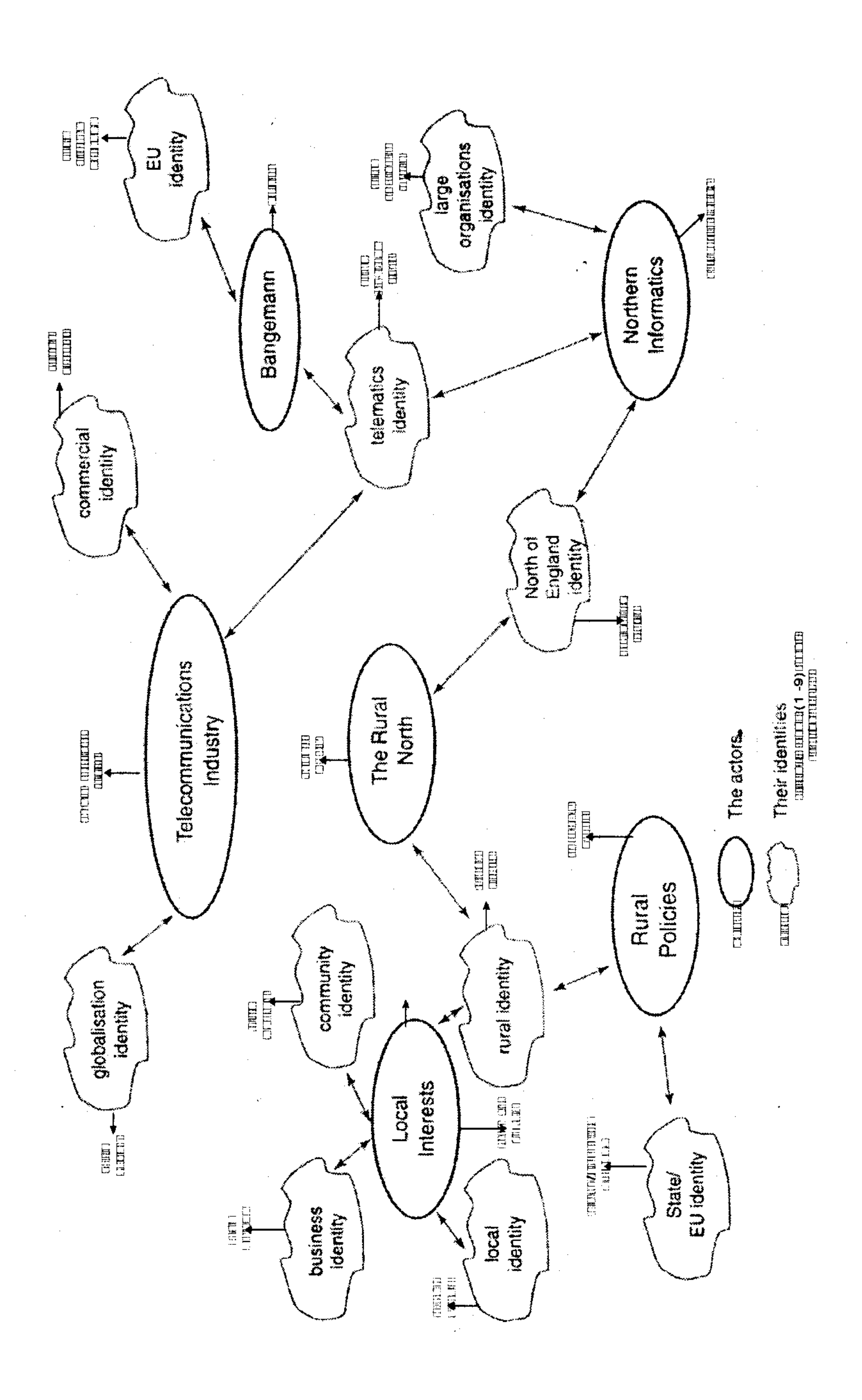
نلتفت الآن إلى دراسة الحالة–تطوير إستراتيجية استعلام عن بعد في الشمال الريفي لإنكلترا. بمصطلحات نظرية شبكة الممثلين، صورت بلاغة الاستعلام عن بعد، كما وصفت أعلاه، كعامل ذي منشأ خارجي على المنطقة واستراتيجية تنميتها. مع ذلك، يكشف تحليلنا لدراسة الحالة أن بلاغة الاستعلام عن بعد كانت موسلة mediated عن طريق الشبكة، الشبكة التي تترجم البلاغة إلى أجندة لأجل الشمال الريفي.

في عام ١٩٩٤، كان ممارسوا التنمية جاهلين إلى حد كبير لرؤية وسياسات بانغمان، رغم أنه كان ثمة بعض الأدلة على نشاط الاستعلام المحلي عن بعد. لم يبدأ زخم رسائل هذه السياسة الخارجية المنشأ بالتسرب إلى الممثلين الفاعلين المحليين إلا في عام ١٩٩٥، بشكل رئيسي عن طريق منظمة وسيطة تدعى نورثرن إنفورماتيكس Northern Informatics. في موازاة ذلك، كان ممثلون/ فاعلون آخرون، مثل الأوراق البيضاء الريفية Rural White Papers وخطط التنمية لمزودي الاتصالات البعيدة الكبار يعملون في تشجيع الفرص الممنوحة ظاهرياً عن طريق الاستعلام عن بعد.

تم تشكيل نورثرن إنفورماتيكس (كانت تدعى سابقاً NIAA) في أوائل عام ١٨٩٥ كشراكة من منظمات نافذة من القطاعين العام والخاص في شمال إنكلترا. إذ كانت أهدافها المعلنة هي ترسيخ شمال إنكلترا كموقع

أساسي في شبكة المعلومات العالمية؛ وتحسين حرية الحصول على الاتصالات والمعلومات لكل شخص في المنطقة؛ وجذب وخلق فرص عمالة جديدة من خلال خدمات المعلومات، ودعم مبادرات التطوير الاقتصادي وإعادة إحياء الاقتصاد القائم (بروشور إعلان نورثرن إنفرماتيكس المبكر). لقد شدد على الحاجة إلى التعاون بين المنظمات "حيث سيكون كل الجهد مجتمعاً أكثر قيمة من مجموع أجزائه الفردية".

في البداية، عملت نورثرون إنفورماتيكس من فرق عمل "قطاعية" كانت تمثل شركات تطوعية من المنظمات الأعضاء لكن الوعي المتنامي للحاجة إلى تطوير منظور ريفي بشكل خاص قاد إلى تشكيل "فريق قطاع ريفي" يسيره خبراء تنمية ريفية من مركز الاقتصاد الريفي في جامعة نيوكاسل. هذه الجهود كانت تعني أنه في أواخر عام ١٩٩٥، بدأ ما يمكن وصفه برؤية بانغمان للاستعلام عن بعد يُناقش في الشمال الريفي. بعد اجتماع للمصالح الريفية المحلية (منظمات القطاع العام، وشركات الأعمال التي تقدم خدمات الاستعلام عن بعد) تحت رعاية فريق القطاع الريفي لنورثرون إنفورماتيكس، برزت رؤية لأهمية الاستعلام عن بعد للتنمية الريفية، لكن مع كثير من التشكيك في إمكانية وصول منافع كثيرة إلى الشمال الريفي. كان الرأي هو أنه إذا كان الشمال الريفي بصدد أن يمتلك الإمكانية الكامنة للاستعلام عن بعد، فإن المطلوب هو مقاربة إستراتيجية. فتم إنشاء فريق الشمال الريفي the Rural North Group للتقدم بهذه الإستراتيجية وتوصلوا، بعد كثير من التداول والتشاور ضمن المنطقة، إلى إعلان سياسة في أوائل عام ١٩٩٧.



الشكل (٩ ـ ١) العلاقات الأولية للممثلين والهويات

في هذه المرحلة كان ثمة ثلاثة "ممثلين" فاعلين في الشبكة الجنينية التي تنشأ عنها استجابة الاستعلام عن بعد الريفي الإقليمي (الشكل ٩ – ١): "بلاغة بانغمان" و سياسة الاتحاد الأوروبي؛ نورثرن إنفورماتيكس (التي تمثل بؤرة إقليمية)؛ وفريق الشمال الريفي (بؤرة الشمال الريفي الناشئة).

مع ذلك، كان ممثلون آخرون يعملون، بمن فيهم ممثل يمكن أن يُطلق عليه اسم تجمع "السياسات الريفية". وكانت الورقة البيضاء الريفية الانكليزية، Rural England، المنشورة في أواخر عام ١٩٩٥، وثيقة سياسية جنينية، لأجل أولئك الذين انخرطوا في التنمية الريفية، كونها أول بيان سياسة ريفية في إنكلترا في نصف قرن. لدى الإشارة إلى الاستعلام عن بعد رددت [الوثيقة] صدى كثير من حماس بانغمان، مقترحة أن المناطق الريفية ستكون حيث: "الحاسوب، الفاكس، البريد الإلكتروني، والانفجار في الاتصالات البعيدة يمكن أن يكون لها التأثير الأكثر جذرية". هذه النشرة مثلت واحدة من عدد من السياسات الريفية التي أبرزت أهمية استعمال الاستعلام عن بعد في التنمية الريفية. أما المؤثرات الآخرى فشملت الصناديق البنيوية للاتحاد الأوروبي والبرامج على مستوى البلد.

كان ثمة فريق آخر من الممثلين هم مزودو ومنظمو الاتصالات البعيدة"، صناعة الاتصالات عن بعد" كان هؤلاء المزودون داعمي لخطابه بانغمان ومتضمنين فيها: فهم لم يكونوا فقط متحمسين لتشجيع استعمال الاتصالات عن بعد، بل، بوصفهم صناعة منزوعة الصفة القومية حديثاً، كانوا أيضاً يعكسون الأجندة الأوروبية الأوسع لسوق واحدة محررة. شهد منتصف التسعينات (١٩٩٠) أيضاً منظم الخدمة الثابت OFTEL مطوراً أجندته، وانتشار الامتيازات المتحكم بها مركزياً لأجل الهواتف النقالة والتلفزيون الكبلي. كان الفريق الممثل الهام الأخير المتميز في التأثير على تطور الاستعلام عن بعد في المناطق الريفية قائماً

"على الأرض". كان هؤلاء مستشاري تنمية اقتصادية محلية، شركات أعمال صغيرة، وعمال مشتركات كانوا ناشطين قبلئذ في استعمال الاستعلام عن بعد، وهكذا كانوا ملمين بالشؤون المحلية ("فريق المصالح المحلية").

هكذا يمكننا أن نعرف عدداً من الممثلين الذين أصبحوا مشاركين في سيرورة تطوير الاستعلام عن بعد في الشمال الريفي. من هؤلاء، كان بانغمان وصناعات الاتصالات عن بعد، وهي قوى خارجية المنشأ بشكل واضح تؤثر على المنطقة في حين كان لفريق المصالح المحلية "دلالات داخلية المنشأ". كانت أدوار الممثلين الآخرين أكثر غموضاً نوعاً ما. باتباع نظرية الشبكة، يمكننا أن نفهم كل واحد من هؤلاء الممثلين على أنهم يمثلون أجنداتهم الخاصة بهم. فقد كان بانغمان المدافع عن الاستعلام عن بعد ومجتمع المعلومات لكن كان ثمة أيضاً صلة واضحة بأجندة الاتحاد الأوروبي، بحيث تقوم سياساته على تحرير [لبرلة] التجارة وخلق هوية أوروبية. إن "صناعة الاتصالات البعيدة" تدفعها الروح التجارية وروح العولمة. فقد اتخذت نورثرن إنفورماتيكس بالاشتراك مع فريق الشمال الريفي، من شمال إنكلترا بؤرة جغرافية لها. كان جزء من أجندتها أيضاً هو رعاية شراكة قوية للمنظمات الكبرى في الإقليم. لقد تقاسم فريق السياسات الريفية وفريق المصالح المحلية أجندة ريفية ومحلانية **localist**، وإن يكن بمستويات مختلفة، لكن فريق السياسات الريفية أيضاً كان يضمر أجندات قومية واتحادات أوروبية أوسع.

على المحور المفاهيمي لشبكة السياسة الناشئة هذه كان فريق الشمال إفريقي، الذي أنشئ بهدف محدد هو تطوير بيان استراتيجية لأجل الاستعلام عن بعد في الشمال الريفي. لقد أوجد صلة بين هوية الاستعلام عن بعد لبعض الممثلين، والأجندات الريفية لآخرين. والبؤرة الشمالية لنورثرن إنفورماتيكس (انظر الشكل ٩ – ١). ظهر فريق الشمال الريفي إلى حيز الوجود في وقت مبكر

من عام ١٩٩٦، فريق من الممثلين المنتخبين ذاتياً للمصالح المحلية بمهمة تطوير استراتيجية لأجل تطوير الاستعلام عن بعد في الشمال الريفي. في هذه النقطة، من الواضح أنه كانت له صلات بثلاث هويات قائمة: الاستعلام عن بعد/ بلاغة بنغمان، شمال إنكلترا والأجندات الريفية.

كانت علاقة الفريق ببلاغة الاستعلام عن بعد، المبنية بشكل غالب حول بنغمان، معقدة منذ البداية. فقد اعترف بالقدرة الكامنة الهامة للاستعلام عن بعد لأجل التنمية الريفية، لكنه كان متشككاً في وصول المنافع إلى الشمال الريفي. لم تغير مداولات الفريق بشكل أساسي هذا الموقف الأولي، لكنها أفادت في بلورة منظورهم – موقف سعى لدمج الاستعلام عن بعد في منظور تنمية ريفية- تعزيز الرأي القائل بأن المطلوب هو مقاربة استراتيجية.

بالتأكيد لم وثيقة استراتيجية الفريق كل رسالة بانغمان، معترفة بأن الاستعلام عن بعد" يمتلك الامكانية لتحسين التنافسية وتعزيز خدمات الشمال الريفي". لكن الرأي المحلي كان هو أن مسألة الوصول هي التي يتعين أن تمنح الأولوية. كانت القيود على الوصول ثلاثية الأطراف: الريفيون وشركات الأعمال الريفية لم يكونوا مستعدين نفسياً/ ثقافياً لاستغلال إمكانية الاستعلام عن بعد، وكان التزويد المحلي للتجهيزات والتطبيقات محدوداً جداً؛ وكانت البنية التحتية للاتصالات عن بعد أقل تطوراً مما هي في المناطق المدينية، وكانت اقتصاديات المناطق الريفية المنخفضة التعداد السكاني ذات أرضية غير ملائمة ما يجعلها غير جذابة لمزودي الاتصالات البعيدة. كما شكلت الاستراتيجية أيضاً ثقلاً موازناً لكثير من تمجيدات بانغمان لمنافع الاستعلام عن بعد. على سبيل المثال، لقد شرحت كيف أن الصلات بالأسواق العالمية (منفعة للمناطق الهامشية في تقرير بانغمان) يمكن أن تعمل في اتجاهين: الشركات الريفية يمكنها أن تصل إلى الأسواق العالمية، لكن الأعمال خارج المنطقة الريفية ستكون أيضاً قادرة على

الوصول إلى الأسواق المحلية وهي التي كانت حتى الآن قد خدمتها الشركات المحلية. بفعل ذلك، فقد سلطت الضوء على إمكانية أن الاستعلام عن بعد يمكنه ليس فقط أن يجلب المنافع، بل يمكنه أيضاً بالقدر نفسه أن يكون قوة خارجية المنشأ تهدد استقرار المناطق الريفية.

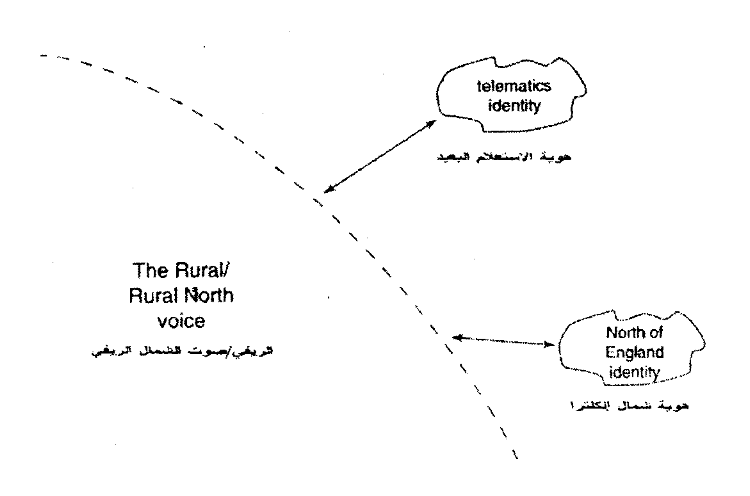
قرر فريق الشمال الريفي أن الأرض الريفية تحتاج إلى استنباط استراتيجية لإدارة الاستعلام عن بعد. فقد جادل الفريق بأن الاستعلام عن بعد هو أداة يتعين وضعها قيد الاستعمال لتحقيق أهداف التنمية الريفية: "إن إمكانية الاستعلام عن بعد لن تتحقق إلا إذا فهمت وعولجت القضايا المحلية، لكن يجب عدم النظر إليها كحل لكل المشاكل". من هنا كان ثمة إشارات واضحة على أنه في الوقت الذي أصدر فيه بيان السياسة، كانت الهوية الريفية وأجندة تنمية الإقليم تحتل الأولوية على أجندة الاستعلام عن بعد بالنسبة لفريق الشمال الريفي. فقد تم إنشاء الفريق تحت رعاية نورثرون إنفورماتيكس، وهو ما يمنحه صلة قوية واضحة بهوية إقليمية شمالية لكن الخلافات ظهرت، مع مرور الزمن في العلاقة بين الاثنين. أدى توجه التنظيم القوي لنورثرن إنفورماتيكس إلى توترات مع الممثلين الأقل قوة في المنطقة الريفية، ومع النشاط الضئيل النموذجي للتنمية الريفية. كانت شراكة نورثرن إنفورماتكس أيضاً يطغى عليها منظور مديني حول الاستعلام عن بعد وتطور أعضائها الكبار. في الوقت نفسه، كان فريق الشمال الريفي يعترف بالبعد الريفي الخصوصي لبعض القيود المحددة الهوية. فعلى حد تعبير بيان سياسة فريق الشمال الريفي كانت توجد الإمكانية الواضحة لأن يصبح سكان الشمال الريفي "معدمي" have nots مجتمع المعلومات. كانت الهوية المشتركة لشمال انكلترا هامة في مباشرة السيرورة لكن، في وقت بيان السياسة، أصبحت هذه الصلة أكثر ضعفاً عندما صارت الأجندة الريفية تطغى إلى النقطة التي أصبحت فيها أجندة الفريق أجندة استجابة ريفية عامة للاستعلام عن بعد أكثر مما هي أجندة شمالية، إقليمية.

في هذه المرحلة، يقول تحليلنا إن الصوت الريفي قد نشأ أساساً كشكل من المقاومة للقوى الخارجية المنشأ، بما في ذلك الانحياز المديني الملموس لممثلي الاستعلام عن بعد الرئيسيين. فمن خلال تفاعل الممثلين المحليين والخارجيين والوسيطين، نشأت استراتيجية إقليمية. وعلى نحو تدريجي بلور فريق الشمال الريفي مصالح تمثل "الريفي" في "الشمال" الريفي كقوة معاكسة لتحيزات بنغمان (الخارجية المنشأ) والمدينية ضمن الشبكة. مع ذلك برز رافد آخر لهذه الهوية "الريفية" في الفقرة النهائية من بيان السياسة. "يأخذ الأجندة نحو الأمام". فقد اعترف فريق الشمال الريفي بأنه يفتقر إلى القدرة على تنفيذ استراتيجيته بشكل مستقل. لذلك قرر أن يتبنى مقاربة استراتيجية وتشكيل جماعة ضغط lobby لتطوير الاستعلام عن بعد في الشمال الريفي. لقد صاغ نداءً إلى المنظمات الريفية في الشمال موحياً بأن ذلك هو "مسؤولية مشتركة". هذه المنظمات تم استدعاؤها للعمل معاً؛ ولعرض سياساتها؛ ولدعم المشاريع الفعلية. لقد تمت دعوتها لتشكل صوتاً ريفياً يشجع القضايا الريفية وينهض بوعي إمكانية الاستعلام عن بعد والقيود في تحقيق تلك الإمكانية، وإلى الضغط على الحكومات القومية والأوروبية بخصوص تأمين الاتصالات البعيدة.

اتسمت هوية الشبكة الناشئة بالازدواجية: بؤرة شمال ريفي يمكن استعمالها في حشد دعم الممثلين المحليين الكبار؛ وهوية تشدد على ريفية **rurality** الاستجابة، كموقف ضاغط عند التفاوض مع خارج المحلي. كنتيجة، بدأت "علاقات جديدة بالظهور- تغذيها بلاغة الاستعلام عن بعد - [علاقات] تقوي هوية وهموم الشمال الريفي، بمعنى واحد، خالقة "مسافة بين الشمال الريفي والفاعلين الخارجيين المنشأ الأقوياء قومياً/ عالمياً، والهوية الشمالية ذات الهيمنة المدينية. هذه إعادة اصطفاف تُصور في الشكل (٩ - ٢).

مع ذلك، فإن بيان سياسة فريق الشمال الريفي قد لفت الانتباه أيضاً إلى الطبيعة العاجزة لهذا الصوت الريفي: "إن كثيراً من المنظمات الريفية في الشمال

هي صغيرة ومحلية وفقيرة الموارد"، ما يؤكد الحاجة إلى تجنيد المنظمات الأكثر قوة في الإقليم التي كانت تحمل بعض المسؤولية تجاه المناطق الريفية (مثل مجالس المقاطعات ومجالس التدريب والمشاريع) للمساعدة في تشجيع القضايا الريفية، وإنهاض الوعي، والعمل معاً وتشكيل جماعات الضغط الحكومية كجزء من صوت ريفي. أثناء ١٩٩٧، كان فريق الشمال الريفي ناشطاً في تشجيع أجندته من خلال العروض والنقاشات مع المنتديات الريفية، من خلال وسائل الإعلام ومن خلال نشر بيان السياسة. كان فريق الشمال الريفي بهذا المعنى يجند ممثلين جدداً على الشبكة ويضيف "وزناً إلى لوبي الشمال الريفي وعلى نحو يثير الاهتمام، لم يسمح الفريق لهويته الإقليمية أن تحد من محاولاته للتجنيد بل سعى بالأحرى إلى التأثير على منظمات ريفية قومية مثل اتحاد مجالس التدريب الريفي والمقاولة. بموافقة الفريق عالج التقرير المنشور الشمال الريفي كمنطقة دراسة حالة مقدماً اللقى كقضايا عامة لأجل إنكلترا الريفية.



الشكل (٩ ـ ٢) إعادة اصطفاف الممثلين

خاتمة:

لقد أظهر وصفنا لبلاغة الاستعلام عن بعد كيف يبدو أنها تتصادى مع قدر كبير من المنظور الدارج حول نظرية التنمية الريفية. يقدم الاستعلام عن بعد نفسه بوصفه قادراً على تجاوز مشاكل الهامشية الجغرافية مع استعمال [قطاع] الأعمال للتكنولوجيا لتسويق بضائعها، وإعادة هيكلة الاقتصادات الريفية باتجاه منتجات وخدمات لا يكون البعد الجغرافي عن الأسواق بالنسبة لها وضعاً غير مؤات، واستفادت المحليات اجتماعياً واقتصادياً من العمل عن بعد (سواء من المنزل أو من خلال الأكواخ البعيدة tele cottages). فالإمكانية هي لصالح التجاوز المتزامن للفضاء مع تثبيت قيمة المكان.

مع ذلك، كانت الاستجابة الاقليمية الموصوفة في تاريخ دراسات حالاتنا هي مجاورة هذه المنافع الممكنة مع صورة للاستعلام عن بعد بوصفه تهديداً خارجي المنشأ للرفاه الاجتماعي الاقتصادي للمنطقة. في أنظار الممثلين الإقليميين، مثلت أجندة اللبرلة والإنحياز المديني في بلاغة الاستعلام عن بعد قوتين كامنتين لأجل المزيد من تهميش المنطقة الريفية. مقابل كل إمكانيات تثبيت قيمة المكان المتروك لديناميكه الخاص، نظر إلى الاستعلام عن بعد أيضاً كتدفقات ديموغرافية واقتصادية مهدِّدة عندما أصبحت أعمال الاستعلام عن بعد مرتحلة وفقدت خدمات مثل الصيرفة والبيع بالتجزئة المبرر المنطقي لأجل الاحتفاظ بوجودها المادي المحلي.

ومع ذلك، يمكننا باستعمال نظرية الشبكة أن نرى أن بلاغة الاستعلام عن بعد، التي تبدأ كممثل خارجي المنشأ، قد أنتجت، بطريقة غير مقصودة، استجابة إقليمية متعمدة. فقد حفزت البلاغة المختزلة للفضاء إنهاضاً للوعي الإقليمي والحاجة إلى استجابة استراتيجية. هكذا كانت البلاغة مدخلاً أساساً إلى الاستجابة المحلية. إن طبيعة الاستجابة (المتأثرة أيضاً بديناميكيات السياسة الريفية الأخرى) كانت ائتلافاً من مصالح إقليمية يرعى صوت **شمال ريفي**.

على نحو أكثر تحديداً، صاغت هذه المصالح موقفها في العلاقة بالنسبة إلى الاستعلام عن بعد بلغة **ريفيتها**، مفسرة بلاغة بنغمان عن المنفعة الإيجابية للاستعلام عن بعد إلى عدد من التيارات المترابطة، والمتناقضة أحياناً. فقد مجدت بلاغة الاستعلام عن بعد للشمال الريفي المنافع الكامنة التي يمكن للاستعلام عن بعد أن يجلبها إلى المناطق الريفية. بالتوازي مع مقاربتها الأكثر "فوقية"، قدمت الاستعلام عن بعد بوصفه أداة لأجل التنمية الريفية يجب التحكم بها، استعمالها بشكل مناسب؛ لقد أثارت الهموم حول إنكار حرية الوصول إلى الريفيين؛ وقدمت تحذيرات قوية من التأثيرات السلبية لبعض القوى الخارجية المنشأ على المناطق الريفية – على سبيل المثال، انسحاب المصارف من مدن السوق وبلوغ الشركات البعيدة إلى الأسواق الريفية. بسبب الكثير من بلاغة فريق الشمال الريفي فقد فُسر الاستعلام عن بعد بوصفه مجموعة من الثنائيات الريفية المدينية والمحلية الخارج محلية.

لكن المفهوم العام، المركزي بالنسبة لنظرية الشبكة، لدوائر المعنى المحلية/ خارج المحلية يساعدنا على دفع التحليل قدماً [انطلاقاً] من تحليل للمقاومة المحلية للقوى الخارجية. إن وعي الثنائيات قد أدى إلى إعادة تبئير (تركيز) البيئة المفاهيمية ونمط الفعل بعيداً عن رؤية بعيدة المركز telecentric إلى منظور إقليمي ريفي. لكن عندئذ، استطاع فريق الشمال الريفي، الواثق بهويته الجديدة ومبرر وجوده، أن ينطلق إلى إعادة التفاوض [على] علاقته بالممثلين خارج المحليين والأكثر قوة بكثير: بالأخص، الدولة، الاتحاد الأوروبي، ومزودي الاتصالات البعيدة. لقد بدأ الإقليم آنذاك يفاوض [على] حرية الوصول إلى الموارد التي يحتاجها نمط تطوير الاستعلام عن بعد الذي يرى أنه ملائم للحاجات المحلية. لاحظنا في المقدمة أن تحليلنا قد يكون مؤقتاً، وأننا قد أخذنا لقطة سريعة من السيرورة لا تزال تخلق نفسها. في سعيها لترجمة الاستعلام عن بعد إلى قضية ريفية وإمكانية تكثيف الاستبعاد، فإن المصالح الإقليمية التي كانت تشكل

فريق الشمال الريفي ربما كانت في سيرورة إزالة البؤرة الإقليمية المحلية دفعة واحدة. فهل كان الفريق، إذاً، شبكة سياسة لهذا الغرض؟ إن حالة فريق الشمال الريفي، كقصة تشكيل وإعادة تشكيل تحالفات وعلاقات، تكاد تكون فريدة وهي، في الحقيقة، نموذجية للأسلوب الناشئ لمسارات السياسة الريفية. لذلك، من الممكن أن يصبح منظور الاستعلام عن بعد للشمال الريفي مندرجاً ضمن جولات أخرى من إعادة توطين [أقلمة] re-territorialisation برامج التنمية الريفية.

في الختام، أظهرت دراسة الحالة كيف أن بلاغة الاستعلام عن بعد ومجتمع المعلومات باتت تُصور بشكل ملتبس، كتهديد خارجي وكفرصة يمكن اقتناصها. فالسياسة والعوامل السياسية تتحد مع هذه البلاغة لإيجاد فضاءات إقليمية جديدة يسعى ضمنها طيف من الأجندات إلى استراتيجيات للتكيف مع التأثيرات الاجتماعية الاقتصادية أو للتحكم بها.

إن اندثار المدن والتبدد الجغرافي الناجم عن النشاط الاقتصادي، المتنبأ بهما في الأدب ما بعد الفوردي، يتعارضان مع الطريقة التي نظر بها الممثلون في دراستنا الحالية إلى القضايا. بالفعل، لقد أكد ممثلونا الريفيون الانحياز المديني في بلاغة الاستعلام عن بعد إلى الدرجة التي نظر بها إلى الاستعلام عن بعد على أنه يحابي أصلاً المناطق المدينية.

كانت هذه هي لحظة المقاومة: بالنسبة إلى الممثلين الريفيين كانت بلاغة الاستعلام عن بعد تعني الميزة المدينية وهذه كانت تستدعي موقفاً تدخلياً interventionist. كنتيجة لذلك، فإن قضية إعادة الهيكلة الاجتماعية قد حولت إلى قضية التأمين غير المتكافئ للبنية التحتية والتدريب والتعليم: بدون تدخل لتوليد الاستثمار لصالح المناطق الريفية، فقد جادل الممثلون المحليون بأن النتيجة الصافية لمجتمع المعلومات يمكن أن تكون تشديداً للانحطاط الاجتماعي وصعوبة التكهن بإعادة هيكلة أنماط التوطن.

١٠- رواد الشابكة [الانترنت] ورجال حرب العصابات

تمرد زاباتيستا في تشياباس، المكسيك، وامتداده إلى الفضاء السايبري(*)

بقلم: أوليفر فروهلينغ

((ليست جِدة [حداثة] الـ EZLN هي أنه قد أقحم نفسه في اتصالات الأقمار الاصطناعية، بحيث يقولون اليوم إن الزاباتيين هم رواد الشابكة أكثر من كونهم رجال حرب عصابات. [الجِدة] هي إعادة تبعيد(**) الكلمة السياسية التي تعود، على نحو مفارق، لتنظر إلى الماضي)).

نائب القومندان ماركوس في Le Bot 1997; 349

مـدخـل:

إن تشياباس ، الولاية الواقعة في أقصى جنوب المكسيك ، هي أيضاً إحدى ولاياتها الأكثر فقراً . لقد وصفت حالتها على نحو دقيق بأنها "أرض غنية وشعب فقير" . فتشياباس الغنية بالموارد مثل النفط والأخشاب الصلدة المدارية ، والمنتج

(*) Internauts and guerrilleros: The Zapatista rebellion in Chipas, Mexico and its extension into Cyberspace.

(**) redimensionali zation . أي إضافة أبعاد جديدة أو إحياء أبعاد قديمة (المترجم) .

الكبير للكهرباء المائية والبن، تحتل قاع معظم المؤشرات الاجتماعية. فغالبية السكان الريفيين تتميز بالحرمان: انعدام الكهرباء، والرعاية الصحية والمدارس، وأحياناً الغذاء، في حين أن الطبقة العليا الصغيرة جداً التي كانت تمتلك السيادة على سياسة الولاية واقتصادها على مدى الـ ١٥٠ عاماً الأخيرة تتميز بالغنى. لهذا تكشف الولاية عن استقطاب حاد بين أقلية مدينية غنية صغيرة تستفيد من الموارد وسكان ريفيين مهمشين بشدة. يتألف السكان المهمشون في الولاية من أغلبية من السكان الأصليين، يتكلمون مختلف لغات المَايا بوصفها لغتهم الأولى. هذه الولاية، خصوصاً منطقة أدغال لانكاندون على الحدود مع غواتيمالا، أصبحت مركزاً لانتفاضة ضد الحكومة المكسيكية كان لها تأثير عميق على المكسيك، منذ انطلاقها في الأول من كانون الثاني/ يناير ١٩٩٤.

هذا التمرد، الذي كان من الممكن أن يكون مجرد تمرد فلاحي آخر في أمريكا اللاتينية، ذي إيديولوجيا ماركسية/ ماوية، قُمع برد عسكري عنيف أيدته الولايات المتحدة واحتج عليه بعض الأمميين، كان يمتلك خصيصة مختلفة بلا ريب. فقد تمتع بمتابعة أكبر بكثير من صراعات حرب العصابات الأخرى في أمريكا اللاتينية. إن شعبية الـ EZLN (*). قد امتدت إلى ما وراء الحدود الصغيرة لولاية تشياباس، كاسبة قاعدة دعم قومية ودولية. مما لا شك فيه أن ذلك يُعزى إلى عدد من العوامل، لم يكن أقلها الظرف السياسي الجديد بعد الحرب الباردة والأسلوب اللادوغمائي(**) المختلف جداً لحرب العصابات الجديدة هذه، التي تحض على إطلاق التسمية "حرب عصابات ما بعد حديثة" أو "حرب العصابات الأولى في القرن الواحد والعشرين". كان السبب الكبير لهذا التصنيف هو دور الشابكة (الانترنت) في هذه الانتفاضة، وخصوصاً استعمال هذه الوسيلة العالية التقنية المزدهرة من قبل المتمردين الأهليين، وهو ما يقود بعض المراقبين مثل

(*) الأحرف الأولى من اسم حركة زاباتيستا بالإسبانية اختصاراً لعبارة:
Eje'rcito Zapatista de la Liberac'ion National, or Zapatista.

(**) اللادوغمائي: أي المتحرر من الجمود العقائدي المتزمت (المترجم).

الباحث روندفلدت في مؤسسة راند إلى إعلان هذه الحرب كمثال أولي على "حروب الشبكة"، حرب المعلومات الجديدة التي يُفترض أنها ستكون حدثاً شائعاً في القرن الحادي والعشرين (Cleaver 1996; Wehling 1995).

بالفعل، إن الشابكة، التي توسعت بسرعة منذ ١٩٩٤، أصبحت أداة هامة في أيدي مؤيدي زاباتيستا وفتحت إمكانيات جديدة لأجل تنظيم التأييد. لكن حقيقة أن قاعدة تأييد قومية وأممية كبيرة كانت منشودة ليست جديدة في حد ذاتها. ما كان جديداً هو الطريقة التي سمحت بها الشابكة، من خلال سرعتها وتوصيليتها، بتكوين قاعدة تأييد أممية. فقد استطاع مؤيدو زاباتيستا على الشابكة أن ينتجوا الخبر حول الزاباتيين بكلفة متدنية وأن ينشروه بسرعة. في حين أن [وسائل الإعلام] القومية في المكسيك تمتلك تاريخاً طويلاً من سيطرة الدولة، فقد استطاعت الشابكة أن تفلت من هذه السيطرة. إن كون الانتفاضة قد حدثت أثناء زمن اتساع الشابكة السريع قد برهن على كونه تصادفياً إلى أقصى درجة، لكن هذا التشديد على الشابكة واستعمالها من قبل مؤيدي زاباتيستا كان من الممكن أن يؤدي إلى المبالغة في تقدير تأثير التكنولوجيا. بما أن معظم المصادر الإعلامية للشبكة نشأت خارج المكسيك، وكان الوصول إلى الشبكة ضمن المكسيك ولا يزال محدوداً جداً، فقد كان لمجال الشابكة بعد أممي قوي أكثر من كونه بعداً قومياً. فهي لم تبدأ كجهد واعٍ في حرب المعلومات من قبل جيش زاباتيستا، بل كشبكة من المؤيدين، الذين كان الكثيرون منهم يقعون خارج المكسيك، والذين تولوا بنى المعلومات القائمة وشكلوا صلات جديدة. هذا التأييد الأممي عمل لصالح الكفاح المحلي للزاباتيين في تشياباس، لأنه ساعد على إعادة تشكيل سياق الانتفاضة وأثمر صلات جديدة خارج الشابكة. بهذا المعنى، فإن الشابكة لعبت بالتأكيد دوراً هاماً، ليس لأنها كانت سلاحاً عالي التقنية تستولي عليه حرب العصابات لأول مرة، بل لأنها سمحت بتكوين شبكة واسعة من المؤيدين الذين كانوا مهتمين بالعمل لصالح الزاباتيين بتشكيلة من الطرق.

الخلفية:

من السهل إدراك أسباب الانتفاضة: الفقر المدقع للسكان، الذي فاقمه السحب التدريجي لدعم الأسعار والخدمات الحكومية أثناء سنوات التعديل الهيكلي الذي يعود إلى عام ١٩٨١؛ أزمة اقتصادية عامة أثبت فيها الانخفاض الحاد لأسعار البن في أوائل التسعينيات أنه ضربة قوية للاقتصادات الفلاحية الصغيرة، التي يشكل فيها البن محصول التصدير الأكبر مع الهجرة المتزايدة، والتدفق المتزايد لوسائل الإعلام القومية واتساع الاقتصاد العالمي؛ وعنصرية الحكومة والمجتمع القومي حيث حاولت ٥٠ عاماً من برامج الـ indigenism [دمج السكان الأصليين] أن تجتث الثقافات واللغات المحلية، وحيث أن حضور الناس المحليين، الذي يشكل على الأقل ١٠ بالمئة من عدد السكان القومي ويشكل غالبية في ولايتي واكساكا وتشياباس الجنوبيتين، هو غير مرئي إلى حد كبير، باستثناء دعايات البرامج الثقافية العرضية وإعلانات السياحة. يضاف إلى هذه العوامل وجود كنيسة كاثوليكية متجددة بشكل متزايد محقونة بلاهوت التحرير ووصول فئة صغيرة من رجال حرب العصابات من المكسيك الشمالية في أوائل الثمانينات. هؤلاء الرجال حولوا إيديولوجيتهم عبر السنوات الطويلة من التنظيم والاختلاط بالمجتمعات المحلية، ما أنتج نمطاً جديداً من حرب العصابات ينطلق من التراثات المحلية أكثر مما ينطلق من العقيدة الماركسية. هذا المزيج انفجر في الأول من كانون الثاني/ يناير ١٩٩٤ عندما قام جيش يتراوح ما بين ٥٠٠٠ إلى ١٥٠٠٠ متمرداً محلياً مقنّعاً، ثلثهم من النساء، في عملية متقنة التخطيط والتنفيذ، بالاستيلاء على سبع بلدات في الولاية. لفترة وجيزة احتلوا ثلث أرض الولاية، ومعه بلدة سان كريستوبال دي لاكاس، وهي مركز جذب سياحي كبير في تشياباس. هذا الحدث شاع خبره فوراً حول العالم، أولاً في شبكات الأخبار الكبرى ومن ثم على الشابكة. كانت وسيلتا الشابكة الرئيستان هما رسائل البريد الالكتروني والنشرات البريدية إلى قوائم المناقشة، التي أدارتها

برمجيات Listserv أو majordomo في تشكيلة من الأمكنة، والنشرات البريدية إلى جماعات شبكة الأخبار. فيما بعد، على مدى عامي ١٩٩٤ و١٩٩٥ عندما تطورت الشبكة العالمية (www) ذاتها من خلال ازدياد الصبغة التجارية لها، بدأ مؤيدو زاباتيستا أيضاً ينشئون صفحات شبكة ذات خلفية من المعلومات والروابط، وبيانات زاباتيستا والصور، وحتى المنتجات الأكثر تعقيداً مثل الصورة المتحركة وترتيبات الصوت[٢]. إن انتفاضة السكان المحليين، التي أشعلتها الظروف المتخلفة في تشياباس وقام بها جيش من الفلاحين المحليين، قد وجدت حلفاء لها يعملون على الحد القاطع للتكنولوجيا، ينشرون الانتفاضة حول العالم على الشابكة (Froehling 1997).

لم تدم الحرب الحامية في تشياباس سوى ١٢ يوماً أعلن بعدها وقف إطلاق النار من قبل الحكومة. ومنذئذ كان ثمة هدنة غير مستقرة، قطعها هجوم حكومي في شباط من عام ١٩٩٥ أزاح الزاباتيين عن غالبية أرضهم، لكنه فشل في أسر قادتهم. كان النشاط الرئيسي منذ انطلاق الانتفاضة هو التفاوض المتواصل بين المتمردين والحكومة. مما يثير الدهشة، أن الحكومة لم تنكر أن لمطالب زاباتيستا الأساسية في السكن والأرض والرعاية الصحية والعمل والخبز والتعليم والإعلام والثقافة والاستقلال والديموقراطية والعدالة والحرية والسلام أساس في المظالم الواضحة للدولة. فقد أدت المفاوضات إلى توقيع اتفاق جزئي واحد في عام ١٩٩٦، ومع ذلك لم تتم الاستجابة له من قبل الحكومة حتى تاريخه (آب، ١٩٩٧)، ما أدى إلى انقطاع الزاباتيين عن طاولة التفاوض في أيلول ١٩٩٦. مع تعليق النزاع العسكري شكلياً على الأقل، تحول الصراع إلى "حرب الحبر والشابكة" كما سماها سكرتير العلاقات الخارجية المكسيكي. إنه بيان مثير للجدل، نظراً إلى أن وحشية الاحتلال العسكري، مع التنكيل الدائم عند نقاط التفتيش، وتدمير إمدادات الغذاء، والاغتصاب وممارسات التخويف الأخرى تدحض صورة النزاع الفكري الخالص. إنه يدل مع ذلك على أهمية

المعركة بالنسبة للرأي العام على المستوى القومي والمستوى الأممي، المعركة التي يكسبها حتى الآن الزاباتيون.

مشهد الوسائل The Mediascape:

((**ثمة أناس وضعونا على الشابكة، واحتلت الزاباتية Zapatismo فضاءً لم يخطر ببال أحد. لقد نال النظام السياسي المكسيكي هيبته في وسائل الإعلام بفضل سيطرته الإعلامية وسيطرته على الصحفيين من خلال الإفساد والتهديدات والاغتيالات. فهذا بلد يغتال فيه الصحفيون أيضاً بوتيرة ثابتة. إن حقيقة أن هذا النمط من الأخبار قد تسرب إلى الخارج من خلال قناة لا يمكن التحكم بها وكفؤة وسريعة هي ضربة قاسية جداً. المشكلة التي تؤرق غوريا Gurria[3] هي أن عليه أن يحارب صورة لا يمكنه أن يتحكم بها من المكسيك. لأن المعلومة توجد في كل مكان في الوقت نفسه**)) (**نائب القومندان ماركوس Le Bot 1997: 349**).

منذ البداية تضمنت مطالب زاباتيستا النابعة من ظروف تشياباس الريفية حقوقاً مزعومة في التغيرات الضرورية على الصعيدين القومي والأممي. كانت محاولتهم الأولى لرفع مطالبهم إلى مستوى قومي [محاولة] عسكرية: بعد أن قام جيشهم باحتلال المدن في تشياباس، انقسم إلى نصفين، واحد يتقهقر إلى الأدغال لحماية قراهم، والآخر يسير نحو مكسيكو سيتي، وهو عمل كان العالم أثناءه على وشك أن يطبق عليهم. كان هذا العمل الانتحاري هو لخلق حدث إعلامي بهذه الضخامة بحيث لا يمكن تجاهله، بنقل الحرب بعيداً عن مجتمعات القاعدة نحو المستوى القومي. ومع ذلك فقد جعل [عملاً] لا ضرورة له عن طريق اهتمام وسائل الإعلام المباشر وإعلان وقف إطلاق النار. أثناء المفاوضات الناجمة كان سلم المطالب هو بشكل ثابت نقطة الخلاف، مع محاولة الحكومة لإضفاء الطابع المحلي على النزاع. بالنسبة للزاباتيين، كان الدعم القومي من

الحركات الاجتماعية والجماعات المحلية ضرورياً لذلك لتقديم الأدلة لصالح الصلة القومية لمطالبهم. لقد سار بناء الائتلاف على هذا المستوى القومي بشكل جيد من خلال الاحتكاكات مع الجماعات الموجودة وحشد الدعم من خلال وسائل أكثر تقليدية، مثل الفاكس والهاتف والصحف المتعاطفة. أما الدعم الدولي من ناحية أخرى فقد خدم في توفير الظهور الدائم، وذلك لحمايتهم من الإبادة العسكرية. هكذا أصبح الظهور الدولي جزءاً متأصلاً من استراتيجيتهم الإعلامية (O'Tuathail 1994).

منذ البداية، جذب الصراع الاهتمام القومي كما الاهتمام الأممي. فالصحافة المستقلة المكسيكية، التي ترزح تحت القيود المفروضة عليها في ظل نظام الرئيس كارلوس ساليناس دي غورتاري، واظبت على تغطية هذه الانتفاضة، رغم محاولات الحكومة لاحتوائها. في حين أن شبكات التلفزيون المكسيكية تهيمن عليها مصالح الدولة ولذلك قدمت تغطية محدودة للأحداث، قدمت الوسائل المطبوعة تحليلاً أوسع بكثير للانتفاضة، ومتعاطفاً في الغالب مع EZLN. كانت هامة بشكل خاص صحيفة La Jornada اليومية في مكسيكو سيتي التي نشرت بشكل مستمر تقارير وآراء حول تشياباس، بالإضافة إلى بيانات EZLN، وكذلك ضاعفت تداولها خلال ثلاثة أسابيع. في المكسيك، وجدت الاعتراضات على إنهاء الإصلاح الزراعي في عام ١٩٩٢، والسياسات الليبرالية الجديدة لنظام ساليناس نقطة التقاء[٤]. أما على الصعيد الأممي، فإن الاستيلاء على سان كريستوبال دي لاس كاساس وهو موقع سياحي شعبي، والتصادف مع إطلاق نافتا(*) قد حث التقدميين في بلدان كثيرة على الالتفاف فوراً حول قضية زاباتيستا. كانت المعارضة ضد نافتا قد أدت قبلئذ إلى تشكيل مشتركات الكترونية وعلاقات عابرة للحدود. هذه البنى، رغم كونها هزمت

(*) نافتا NAFTA هي الأحرف الأولي من عبارة North American Free Trade Agreement وتعني: اتفاقية التجارة الحرة [الدول] شمال أمريكا (الولايات المتحدة وكندا والمكسيك) (المترجم).

عن طريق تمرير النافتا في تشرين الأول ١٩٩٣ ، بقيت موجودة وتحركت فوراً لصالح الزاباتيين . أمنت صلة النافتا الروابط الرمزية الحاسمة ، ولم يكن يهم كثيراً أن تاريخ الانتفاضة تم اختياره بشكل أولي بسبب الانعدام المتوقع للمقاومة من قبل البوليس والجيش المحليين الذي يعزى إلى عطلة رأس السنة أكثر مما كان بسبب دلالته الرمزية . إن كلمات عبارة "نافتا هي حكم بالموت بالنسبة للهنود" قد تم تداولها على نطاق واسع وأعيدت مرة تلو الأخرى .

هذا القدر من الاهتمام الدولي يعزى إليه الفضل على نطاق واسع في إجبار الحكومة المكسيكية على إيقاف الحرب الحامية ، وحماية الزاباتيين من الإبادة . بالطبع ، سيكون من قبيل المبالغة في تقدير الحالة أن نقول إن الاحتجاجات الأممية بذاتها قد جعلت الجيش المكسيكي يتوقف ، لكنها وفرت بيئة كانت تراقب فيها الأعمال من جوانب متعددة وهذا "الانكشاف الكلي العكسي" reverse Panopticon جعل من الأسهل على المنظمات المتشكلة في المكسيك وخارجها أن تمارس الضغط على الحكومة المكسيكية (O'Tuathail 1994) .

إن شرح حساسية الحكومة للاهتمام الدولي إنما تقدمه حادثة وقعت في عام ١٩٩٣ . فعندما اكتشف الجيش معسكرات زاباتيستا في عام ١٩٩٣ ، حجبت المعلومة لأن نافتا ، الدمغة الرسمية لسياسة سالنياس ، كانت لا تزال قيد المناقشة في الكونغرس الأميركي ، وأي لفت للانتباه إلى جيوش حرب العصابات القائمة ، أو انعدام للسيطرة ، كان يُعتقد أنه يعرض تمريرها [النافتا] للخطر ، مستحضراً على الفور الأنماط المقولبة الممكنة الاستغلال بسهولة من فوضى العالم الثالث . لقد خلقت انتفاضة زاباتيستا المنفذة بإتقان في يوم رأس السنة من عام ١٩٩٤ حدثاً ذا ضخامة لا يمكن تجاهلها ، تحديداً بسبب الاهتمام المركز على المكسيك مع تدشين النافتا . في حين أن وسائل الإعلام الجماهيرية التقليدية تابعت حركتها فوراً ، ووجدت مواضيع أخرى للاهتمام بها ، فإن

وسائل الإعلام المطبوعة على نطاق قومي والشابكة على نطاق عالمي قد وفرت إضاءة مستمرة للأحداث في تشياباس(٥).

بعيداً عن المعلومات حول الانتفاضة، كان ثمة دعوات متزايدة إلى العمل مرفقة بعناوين وأرقام فاكس القنصليات المكسيكية، بالإضافة إلى المسؤولين الأميركيين، لجعل الحكومة المكسيكية تعرف أنها مُراقبة، ولاستعمال نفوذ الولايات المتحدة للتأثير على الأحداث في تشياباس. استكملت حملات الفاكس هذه بأعمال احتجاج مباشرة أمام القنصليات المكسيكية، كان آخرها في شباط من عام ١٩٩٧ في مسعى منسّق للاحتجاجات أمام ٣٦ قنصلية في الولايات المتحدة تأييداً للإصلاحات الدستورية في المكسيك (Belling hausen 1997).

في أوروبة، اتسعت هذه الهجمات الإعلامية على تمظهرات الدولة المكسيكية لتشمل الأحزاب السياسية والحكومات، كما في إيطاليا حيث قام البرلمانيون باستجوابات ورسائل موقعة نشرت في الصحف المكسيكية، في تأييدهم لحل عادل وسلمي للنزاع. هذه الجهود أوجدت الحاجة إلى حملة إعلامية من قبل الحكومة المكسيكية. ففي الشهور الأخيرة من عام ١٩٩٦ حاولت الدعاية لمساعيها من أجل حل سلمي، وهي محاولة أعطت نتائج معكوسة عندما رفضت الإصلاحات الدستورية المقترحة في نهاية عام ١٩٩٦، مسببة الذعر في الدوائر الحاكمة الأوروبية (Belling hausen 1997).

هذه الأفعال ضمن فضاء وسائل [الإعلام] قد عززتها الاحتكاكات المباشرة مع تشياباس. كان أحد أنماط التدفق الذي ربط جماعة الشابكة بتشياباس هي قوافل السلام وحملات السلام التي نظمتها منظمات حقوق الإنسان ومنظمات الكنيسة. فقد جمعت قوافل الإغاثة المال والموارد في الولايات المتحدة ثم قامت بتسليمها إلى الجماعات في تشياباس الواقعة في منطقة النزاع. وقدمت قوافل الإغاثة هذه أيضاً تقارير شهود عيان عن تبعات الحرب المنخفضة الشدة

في المنطقة. كانت هذه التقارير يعاد إرسالها غالباً على الشابكة، فأمنت بيانات قوية تحشد التأييد لأجل الجماعات. أقيمت مخيمات السلام الدائمة في عدد من التجمعات السكانية من قبل تشكيلة من المنظمات، لكي تضع المراقبين الدوليين في منطقة النزاع لتأمين التأييد المباشر والظهور ولتخفيض إمكانية العقاب العنيف من قبل جنود الحكومة. طوال فترة النزاع شق كثير من المثقفين البارزين ونجوم الإعلام طريقهم إلى تشياباس ليلتقوا مع قادة زاباتيستا. كان من أبرزهم دانيال ميتران أرملة الرئيس الفرنسي الراحل، ولجنة برلمانية إيطالية والمخرج السينمائي الأميركي أوليفر ستون. فكان التأثير الذي أحدثوه هو أنه منح مصداقية إضافية لقضية الزاباتيين وأبقى الانتفاضة حدثاً إعلامياً. في كثير من هذه النشاطات، كان تنظيم الشابكة وإرسال التقارير حاسمين لتوفير المعلومات المستجدة إلى المجتمع الدولي الذي كان على اتصال.

شجع الزاباتون بشكل فاعل تشكيل شبكة التأييد القومية والأممية هذه. فقد امتدت أولاً إلى المجتمع المدني القومي في صيف ١٩٩٤ مع الـ Convencion Nacional Democratica. ومن ثم، بعد أن أصبح التأييد الأممي واضحاً ويؤخذ في الحسبان، دعوا إلى اللقاء الذي يعرف باسم (اللقاء العالمي من أجل الإنسانية وضد الليبرالية الجديدة)، في صيف ١٩٩٦، الذي حدث في منطقة مبنية حديثاً في أرض زاباتيستا تدعى La Realidad (الواقع). هذا التجمع الدولي اجتذب حوالي ٣,٠٠٠ مشاركاً من خمس قارات و٤٢ بلداً، ولعبت الشابكة دوراً هاماً في التنظيم السريع لهذا اللقاء. إن اللقاء، بعيداً عن محاولة تشكيل شبكة أممية من المنظمات، قد أمدَّ الزاباتيين أيضاً بفائدة الظهور الأممي. كانت نتيجة هذا اللقاء هي السعي لخلق شبكة بين قارية للاتصال البديل (تُعرف بالاسبانية بالأحرف الأولى باسم RICA)، يمكن فيها للجماعات الضعيفة الصلة في اهتمامها بتشياباس وبالسياسة العالمية لليبرالية الجديدة عموماً أن تتبادل المعلومات

وتنسق الاستراتيجيات. هذا التكرار يثبت أيضاً تأثير بناء الائتلاف الذي يتراجع فيه الحدث الأولي، الانتفاضة الأهلية في تشياباس، خلف القضية الأوسع للكفاح ضد الليبرالية الجديدة، وهي مظلة شجعها بشكل فعال الزاباتيون أنفسهم (Marcos 1997b).

كان التكرار التالي، المنبثق عن لقاء ١٩٩٦ هو اللقاء الثاني بين القارتين في إسبانيا في عام ١٩٩٧، الذي نظم قبلئذ إلى حد كبير من خلال المعلومات على الشابكة. هنا أصبح تشكيل شبكة أممية قائمة بشكل كبير على اتصالات الشابكة موضوعاً مركزياً للنقاش. فقد جمع اللقاء الثاني حوالي ٥٠٠٠ مشاركاً من جماعات مختلفة جداً من أنحاء العالم. كانت مبادئ زاباتيستا هي بالتأكيد حجر الزاوية للمناقشة، التي انتقلت بشكل واضح لتشمل استراتيجيات التنظيم الدولي لكي تؤلف **أممية الأمل**(*). ما هو واضح في اللقاءات هو ضرورة تعزيز "مجرد صلات فضائية سايبرية مع صلات أخرى، ما يشكل شبكة من الصلات الالكترونية والمباشرة (وجهاً لوجه) وغيرها (من خلال الوسائل المطبوعة على سبيل المثال) لتعزيز وبناء عدد من الحلقات الاتصالية المتداخلة في فضاءات وسائل مختلفة. لقد خدمت اللقاءات الدولية هذا الهدف بفعالية، مطورة روابط بين جماعات مختلفة لا يعرف بعضها بعضاً إلا من خلال صفحاتها على الشبكة web-page أو بريدها الالكتروني. كانت المناقشة المركزية حول تكوين شبكة بعدئذ شبه فائضة عن الحاجة، نظراً لأن مناقشة كيفية تشكيل شبكة، الذي يحدث من خلال البريد الالكتروني، الفاكسات، المكالمات الهاتفية والاحتكاكات الشخصية، قد شكلت في حد ذاتها نشوء شبكة من العلاقات الاتصالية الجديدة.

هكذا سهّل تكوين شبكة دولية من خلال الشابكة تشكيلة من الأفعال أو تدفقات العائدات إلى تشياباس، إضافة إلى الاحتجاجات المستمرة والهجمات الرمزية على تمظهرات الحكومة المكسيكية حول العالم. تم تنظيم الكثير من هذه

(*) The International of Hope (Bloque 7.1997)

الأفعال من خلال وسائل إعلام أخرى أيضاً، لكن الشابكة من خلال امتدادها وسرعتها قد سهلت بشكل كبير العمل في حينه في هذه المنطقة وأكملت استراتيجيات التنظيم الأخرى. كان دورها يكمن ليس فقط في إنتاج المعلومات، بل في إنتاج المؤثرات خارج فضائها التقني الضيق. فلم يكن الأمر أن الحرب نُقلت إلى الشابكة، بل بالأحرى تم توسيعها من قبل المتعاطفين مع زاباتيستا إلى الوسيلة الجديدة (Froehling 1997).

ما وراء اللغط: استراتيجية زاباتيستا والشابكة:

لم تنشأ المعلومات على الشابكة من موقع مركزي تحت قيادة زاباتيستا في المكسيك، بل بالأحرى من مواقع متعددة في اتصال مع بعضها البعض في كل أنحاء العالم. وإن غالبية مواقع الشبكة المؤيدة للزاباتيين ليست في المكسيك بل في الولايات المتحدة، تليها إيطاليا والمكسيك[٦]. هذا يعكس توزع متاحية الشابكة بين السكان، التي هي الأعلى في الولايات المتحدة، في حين أن متاحية الشابكة في المكسيك محدودة جداً وتتركز في معظمها في مكسيكو سيتي. إن قضية زاباتيستا قد اجتذبت أيضاً بشكل مدهش مستوى عالياً على نحو لا يصدق من التأييد من إيطاليا، حيث قام السياسيون البارزون، والنقابات والأحزاب السياسية بجمع الأموال وشاركوا في أعمال التأييد. إن التأييد الإعلامي للزاباتيين إنما يخلقه مؤيدوهم في داخل وخارج المكسيك الذين يهتدون بالأحداث والأفعال الجارية في تشياباس، أبرزها كتابات نائب القومندان ماركوس، القائد العسكري لزاباتيستا والناطق الرسمي باسمها. إنه ليس جهداً مركزاً على حرب المعلومات، بل جهد شبه منسق لمؤيدين في أماكن مختلفة ذوي أجندات مختلفة (الكنائس، جماعات حقوق الإنسان، جماعات سياسية يسارية) تلتقي حول قضية انتفاضة زاباتيستا. فالزاباتيون السايبريون Cyber Zabatistas هم في كل مكان. إلا أنهم لا يخضعون لسيطرة الزاباتيين في تشياباس.

هذا هام لأنه يناقض اللغط الذي أحاط بدور الشابكة في الانتفاضة، المؤدي إلى صورة الزاباتيين الذين يتصلون مباشرة مع العالم، ويستعملون الشابكة

و"كمبيوتر laptop نقال لإصدار الأوامر إلى وحدات EZLN الأخرى عبر موديم". نظراً إلى الحالة القصوى من الحرمان المادي في المنطقة النواة لانتفاضة زاباتيستا، الذي يشمل غياب الطرق والكهرباء والهاتف والاتصال عموماً، فمن غير المحتمل على الإطلاق أن تجد وحدات EZLN في الأدغال هاتفاً لتدخله في موديمها، بغض النظر عن ضرورة وجود مزودي الوصول إلى الشابكة وخطر التشويش. فهذه البيانات هي جزء من لغط ليست قضيته هي الانتفاضة بل تمجيد التكنولوجيا. إذ لا يوجد دليل على وجود مباشر لـ EZLN على الشبكة، بل بالأحرى إن الشبكة قد استعملها مؤيدو EZLN لتنسيق الأعمال ونشر المعلومات وتوصيل بيانات EZLN.

هذا اللغط تسبب به جزئياً توقيت الانتفاضة. ففي العام الأول من الانتفاضة، في ١٩٩٤، اكتسحت الشابكة السوق الخاصة فأصبحت هذه الوسيلة [الإعلامية] الجديدة بؤرة لمنافذ الوسائط التقليدية، التي ركزت على هذه التكنولوجيا التي لم يكن أحد يعرف تماماً ماذا يُنتظر منها وما الذي تصلح له. كان العام الذي بدأت فيه كثير من المجلات لأول مرة بإصدار طبعات شبكية [إلكترونية] web editions، وفي طبعاتها المطبوعة [الورقية] كانت تقدم معلومات حول "وسيلة إعلام المستقبل" هذه. فقد نشرت صحيفتا تايم ونيوز ويك على سبيل المثال تشكيلة من المقالات حول الفضاء السايبري وبدأتا بنشر عموديهما الخاصين cyber watch أو cyber scope في الوقت نفسه للإخبار والدعاية لهذه الوسيلة الجديدة. إن الدمج المغري للنساء والرجال مع البنادق، السكان الأصليين المتخلفين مع الوسائل العالية التقنية قد أُنتج عدداً من المقالات في المجلات الشعبية حول استعمال الشابكة (المتخيل أو الواقعي) من قبل رجال عصابات زاباتيستا. هكذا تم تحويل الانتفاضة، مع عدد من القضايا المنضوية تحتها والألم والمعاناة المستمرين في المنطقة، في وسائل الإعلام السائدة إلى تصنيم fetishisation للتكنولوجيا، حيث لم تكن بؤرة المقالات حول استعمال

الشابكة تحليلاً للزاباتيين ، بل بالأحرى تشجيعاً على الشابكة من خلال الرسالة الضمنية: "حتى رجال العصابات من السكان الأصليين يستعملون الشابكة ، ألا ينبغي عليكم أن تفعلوا مثلهم؟".

لكن ما هي الشابكة بالضبط؟ إنها في أساسها مجموعة من الوصلات الأفقية بين آلات مختلفة ، أو مخدمات servers ، مع إنتاج مستمر لروابط جديدة في حين تسقط القديمة في البطلان . هذا النمط من الترتيب يجد نظيره في الطبيعة في شكل الريزوم [الجذمور] Rhizome . وهو عبارة عن ساق [النبات] تحت الأرض بدون بداية أو نهاية محددة تستمر في النمو في كل الاتجاهات ، تنشئ على نحو مضطرد وصلات جديدة في حين تموت الوصلات القديمة . إنه مختلف عن البنية الشجرية arborescent للشجرة ، التي تنشأ من الجذور وتطور ساقها وأغصانها من خلال الانقسامات الثنائية . بسبب التشابه الواضح ، فقد وصفت الشابكة غالباً بأنها ريزوم . فالفضاء في هذا الريزوم ليس فضاءً هندسياً مطلقاً بل فضاءً علاقياً مؤلفاً من تدفقات تنتج تأثيرات تزيل/ تعيد التوطين (٧)(*) .

إن الشابكة ، بسبب هذه الخصيصة الريزومية ، اللاهرمية ، تتطلب استراتيجية مختلفة عن الاستراتيجية الموجهة بشكل مباشر إلى وسائل الإعلام التقليدية . بما أنه لا توجد قيادة مركزية ، يكون الصراع لاحتلال المركز عبثياً نظراً إلى أنه لا يوجد مركز . إن العلاقات المتعددة الأنواع من خلال القوائم وصفحات الشبكة لا يمكن معاكستها إلا من خلال تكوين شبكة مختلفة ، أو السعي إلى قطع حلقات الاتصال أو إدخال معلومات زائفة . مع ذلك يثبت القطع أنه صعب جداً ، نظراً إلى أن الشابكة أصبحت أيضاً أداة حيوية لأجل التجارة الدولية . الاستراتيجية الأخرى التي جربتها الحكومة المكسيكية هي إدخال معلومات مختلفة ، مؤيدة لوجهة نظر الحكومة ، إلى فرق الأخبار ، لكن لا هذه المحاولات ولا تطوير صفحات الشبكة من قبل مختلف وكالات الحكومة أمكنها أن تعاكس

(*) de/ re territorializing.

المعلومات المزودة من قبل مؤيدي زاباتيستا. لقد أدى ببساطة إلى تكوين شبكة مختلفة ذات صلة واهية بشبكة مؤيدي زاباتيستا، الذين تجاهلوا في معظمهم هذه المواقع الجديدة، أو قدموا وصلات مع تعليقات (غير لائقة).

إن بنية الشابكة هذه يمكن أيضاً أن تشرح الائتلاف المثير للفضول بين الزاباتيين وهواة aficionados الشابكة. كما يكشف كليفر، ثمة تشابه في تنظيم الشابكة كالريزوم وتنظيم الزاباتيين ومؤيديهم. ففي حين أن نواة الزاباتيين هي جيش ذو تنظيم هرمي، فإن ارتباط القرى المختلفة في المنطقة النواة، وصلاتها بالمؤيدين في كل أنحاء المكسيك والعالم تكون منظمة مثل حركة اجتماعية، أي، مثل الريزوم. يتبع كثير من الإجراءات في قرى زاباتيستا نموذج ديموقراطية القاعدة الذي تتخذ فيه القرارات بالإجماع، والصلات بين القرى تكون أفقية بدون سلطة عليا. إن المشاكل التي يواجهها الزاباتيون، ومشاكل جزء من مجتمع الشابكة الذي يرى نفسه مهدداً من خلال التقييد الحكومي وطغيان الصفة التجارية، هي متشابهة بطرق عديدة بحيث أن الزاباتيين أمكنهم أن يضربوا على الوتر الحساس ويحصلوا على الدعم من هواة الشابكة الذين حولوا ماركوس إلى فتى الشاشة السايبري[٨].

تشكيل الائتلافات السايبرية:

«عندما تظهر EZLN يتعين عليها أن تتنازع على بعض الرموز التاريخية مع الدولة المكسيكية. فأرض الرموز هي أرض محتلة، خصوصاً عندما يصل الأمر إلى تاريخ المكسيك. عندما يدخل المرء إلى الرموز، أرض اللغة، يتعين عليه أن يدخل مقاتلاً لكي يحتل مكاناً.. ثمة في البداية نزاع على الصورة التاريخية لزاباتا يسمح بمواجهة أولى تعيد فيها الـ EZLN إقرار اللغة السياسية بمصطلحات أخرى. ليس ابتكار لغة جديدة، بل إعادة تكوين دلالاتها، إعطاءها معنى جديداً، ومعنى جديداً للكلمة في السياسة، وفوق كل شيء للتاريخ في السياسة.

ولذلك فهي تلجأ إلى القديم، تراث السكان الأصليين، في تراثهم الثقافي لإيجاد الشخصيات القديمة، الأفكار القديمة، وفي المواجهة مع الأفكار الجديدة تستمر هذه اللغة الجديدة للزاباتيين. إنني أتحدث حول لغة ما بعد حديثة، تنشئ نفسها، على نحو مفارق، في ما قبل الحديث تاريخياً لكي تكون نفسها بالطريقة التي هي عليها. تبدأ هذه اللغة بالبحث عن أراضي صراعها الخاصة بها، أرض الصحافة، أرض الرموز، وتحتل الفضاءات التي تظهر. إن فضاءً جديداً، فضاءً غير مألوف، كان جديداً للغاية بحيث أن لا أحد خطر بباله أن حرب [حركة] عصابات يمكن أن تلجأ إليه، هو طريق المعلومات العام السريع، الشابكة، التي كانت أيضاً غير محتلة. يظن المرء أن هدفها هو تجاري، تدفق رأس المال عبر الحواسيب والأقمار الاصطناعية في هذا العالم المتعولم. والآن فإن الجانب الإنساني على وشك أن ينفتح. (نائب القومندان ماركوس في Le Bot 1997: 348- 349).

من الواضح أن الخليط البسيط من التكنولوجيا (الشابكة) والانتفاضة ليس كافياً لشرح هذا القدر من الاهتمام والمشاركة الأمميين. كان لحركة حرب العصابات الأخرى في المكسيك الـ EPR(*) التي ظهرت بشكل عنيف في ١٩٩٦ أيضاً موقع على الشبكة[٩]، لكنها لم تنجح في حشد أي قدر كبير من التأييد الأممي. يصف تحليل ماركوس الوارد أعلاه لامتداد إيديولوجيا زاباتيستا أهمية الرموز المشتركة في بناء الائتلافات في الفضاء السايبري وخارجه. لقد بدأ ذلك عندما تلقى المؤيدون الرسائل الصادرة عن تشياباس وأعادوا توزيعها. هذه الرسائل وجدت نفسها بعيدة عن تشياباس وفي الحواسيب حول العالم، ما منحها سياقاً جديداً وهو أيضاً ما دفع الناس إلى التحرك، مرة أخرى إلى تجاوز الفضاء السايبري. ثمة عدد من العوامل التي جعلت هذا الائتلاف الدولي ممكناً وتساعدنا على فهم شعبيته.

الأول، ثمة الظرف الجيوسياسي مع نهاية الحرب الباردة والشيوعية. لقد وجد اليسار حركة يمكنه أن يؤيدها، بعد كل التخبط والتشوش الناجمين عن

(*) الأحرف الأول من العبارة الإسبانية: Eje'rcito popular Revolucionario.

انهيار "الاشتراكية القائمة الفعلية". ومن الناحية الأخرى، كانت نهاية الحرب الباردة أيضاً قد جعلت من المستحيل وسم الزاباتيين بأنهم "شيوعيون مدعومون من الروس"، نظراً لأن الشيوعية قد هزمت رسمياً. لقد أمكن إقناع الرأي العام بإخلاص الزاباتيين "وبالقضية العادلة"، خصوصاً، نظراً لحقيقة صورتهم المختلفة جداً. مع ظهور بيانات وكتابات زاباتيستا، مع مزيد من المعلومات حولهم وبدء وقف إطلاق النار، دخل الزاباتيون في نزاع حول الرموز مع الحكومة. فقد كانت هذه رموز أرض الآباء، التي يشار إليها باستحضار زاباتا، وهو بطل قومي من الثورة المكسيكية، في اسمهم والاستعمال الكثيف للأعلام المكسيكية وخطاب يستعيد الثقافة الشعبية والأبطال الشعبيين من التاريخ المكسيكي، متجنباً بحذر أية بيانات سياسية دوغماتية(١٠).

على الصعيد الأممي، نجح عدد من المؤشرات الأساسية في تعزيز هذا الائتلاف. فكانت قضايا الفقر والسكان المحليين، التي تستحضر في بعض الأحيان الصور الرومانتيكية للحياة المحلية [البدائية] والدفاع عن الطرق التقليدية. كانت القضية الأخرى التي منحته جاذبية بالنسبة لجمهور أوسع هي دور النساء. كان البارز من بين البيانات المنشورة في اليوم الأول هو "القانون الثوري للنساء"، الذي يلخص المطالب الأساسية لأجل حقوق النساء، ومن بينها، المساواة في المشاركة، الحق في التعليم وحرية الإنجاب، ما يعكس المطالب الأساسية لجيش كان ثلثه من النساء(١١). هذه لم تكن بالطبع "مجرد رموز"، بل قضايا واقعية جداً، يمكن تبنيها وربطها بالوضع في المنزل من قبل الناس في كل مكان. لقد نجح التأكيد علي حقوق النساء، بالاقتران مع البيانات حول حقوق الشاذين والقضايا البارزة الأخرى في نقل صورة رجل العصابات الذي يقاتل في سبيل كل قضية عادلة ممكنة. وانضافت معارضة الزاباتيين للنافتا NAFTA وللدكتاتورية السافرة التي زيفت الانتخابات الرئاسية الأخيرة لعام ١٩٨٨، إلى عوامل الجذب، خالقة صراعاً واضحاً ومغرياً بين الخير والشر.

إن الدور المركزي في تمثيل الزاباتيين إنما يلعبه الناطق باسمهم نائب القومندان ماركوس. فهو، بوصفه ناطقاً هجيناً (خلاسياً) لصالح حركة محلية [السكان الأصليين] يقدم الكثير من المؤشرات التي تنسج معاً "ائتلافاً عريضاً من المؤيدين خارج تشياباس. إذ يستعمل أساليب مختلفة، كالفكاهة، والنقد الذاتي، والإحالات إلى الأدب، والثقافة المحلية بالإضافة إلى إقامة الصلات بالحركات الاجتماعية الأخرى التي لها علاقة ضئيلة بالقضايا المباشرة لصالح الانتفاضة في تشياباس. هذه المؤشرات تم التقاطها وتداولها بسرعة من خلال البريد الالكتروني ومواقع www عبر الحدود القومية والإيديولوجية. هذا التوضع ورفض التعريف وفقاً للحدود الإيديولوجية التقليدية يحتكم إلى جمهور أوسع وأكثر تنوعاً بكثير مما استطاع أي بيان إيديولوجي سابق. فالزاباتيون مدركون لهذه الحقيقة ويحاولون رفض التعريف إلى أمد طويل قدر الإمكان، إذ يسمون أنفسهم بشكل فكاهي باسم desmadre (مصطلح مبتذل قليلاً يدل على التخطيط الكامل) عندما يُطالبون بإلحاح بتعريف لسياستهم (Le Bot 1997: 302).

نجحت كل هذه المؤشرات في هذا الظرف الخاص في السياسة العالمية في جمع ائتلاف أممي من المؤيدين، الذين ساهموا بدورهم في التأثير على الأحداث في تشياباس. هذا الدعم الشغال لوسائل الإعلام الدولية حول أحداث بلد ما ليس شيئاً جديداً أو شيئاً أصيلاً جداً. ففي سياسة الاحتجاج، تُمسرح الأحداث غالباً لتطابق توقعات وسائل الإعلام وتأثير تضخيم مدى الاحتجاج من خلال وسائل الإعلام هو هدف أساسي لسياسة الاحتجاج. مع ذلك، ليست سياسة الاحتجاج فقط بل سياسات الحكومة هي التي تؤدي إلى هذا النمط من السياسة، كما يمثله كارلوس ساليناس دي غورتاري، رئيس المكسيك في الفترة ١٩٨٨-١٩٩٤. فمن خلال علاقاته الوثيقة مع الصحافة الدولية نجح في خلق الانطباع عن اقتصاد متجدد ومتين بنيوياً، يُهلل له البعض بوصفه المعجزة المكسيكية الثانية. هذا الانطباع اعتمد على التقييم الإيجابي للصحافة الأجنبية، الذي تم تقديمه من

ثم كخبر من قبل الصحافة المكسيكية وساهم في هذه الصورة داخلياً وخارجياً، حتى رغم أن الأجور كانت هابطة وكان ثمة صعوبات حادة في هذا النوع من التعافي الاقتصادي القائم أساساً على الاستثمار المالي الأجنبي. انفجرت الفقاعة عندما تسرب الزاباتيون من خلال النطاق العسكري المحيط بهم في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٤، محتلين بشكل سلمي جزءاً كبيراً من تشياباس. كانت هذه هي القشة الأخيرة التي قصمت ظهر سوق البورصة المكسيكية، ومعها أسواق البورصة لكل أمريكا اللاتينية، مسببة "ظاهرة تكيلا" tequila effect كما سمتها الصحافة الأمريكية. بالتأكيد يمكن للمرء أن يتخذ هذا كشرح لظاهرة الفراشة من نظرية الفوضى، التي "يسبب" فيها حدث صغير من حركة جيش عصابات صغير في مقاطعة متخلفة من المكسيك انهيار أسواق البورصة في أمريكا اللاتينية، من المكسيك إلى الأرجنتين. مع ذلك فإن بيت القصيد هو أن المستوى الدولي، الذي يُفسر من خلال وسائل الإعلام، التي تشكل الشابكة بالتأكيد جزءاً منها، ليس شكلاً مستقلاً عن السياسة في الخارج في مكان ما؛ بل هو جزء لا يتجزأ من كيفية عمل السياسات القومية والإقليمية.

تمكن مؤيدو الزاباتيين من تكوين إحساس بأن إعلامهم هو "الحقيقة"، وذلك يعزى إلى استنادهم على سلسلة تدليل جذابة جداً ومناخ من الشك العام بإعلام الحكومة باعتباره يصدر عن دكتاتورية يدعمها تلاعب الصحافة (كان الحزب الثوري الدستوري PRI، قد حكم المكسيك منذ العشرينات). وتأكد هذا عندما ألقى المستثمرون الدوليون باللوم علناً بسبب الانهيار الاقتصادي لعام ١٩٩٥ على تقديم المعلومات الاقتصادية الكاذبة من قبل الحكومة المكسيكية. هذا الشك تضافر مع الأنماط المقولبة الشعبية للحكومات الأمريكية اللاتينية بوصفها فاسدة بشكل متأصل، وهي صورة تعززت على مدى السنوات العشر الأخيرة أثناء الحرب على المخدرات، في وسائل الإعلام الأميركية لتفسير الانعدام الكلي لنجاح هذه السياسة. والحال هكذا، لم يكن ثمة فقط بناء لإعلام بديل

في الشابكة، بل تمكن هذا الإعلام أيضاً من الزعم بأنه صادق، أي متحرر من الرقابة الحكومية. من خلال الوسيلة الجديدة، وحقيقة أن التقارير كانت ترد مباشرة من شهود العيان والباحثين، فقد أمكن تقديم معلومات "أصدق". إن سنوات العبث والتلاعب بالصحافة، وتأثير الصور الزائفة كان يتعين أن يدفع ثمنها عن طريق التنازل عن أرض وسائل الإعلام للزاباتيين، الذين كانوا يسترشدون بتمثيل ذاتي ذكي انتشر سريعاً حول العالم.

كلمة أخيرة:

لقد ابتعدت حتى الآن عن مناقشة طبيعة الشابكة، محاولاً إثبات أن الشبكة ليست في جوهرها خيّرة أو شريرة. فهي، أكثر من أي شيء آخر، موقع للصراع، ويمكن استعمالها من قبل الحركات الاجتماعية لأجل أهدافها بقدر ما يمكن استعمالها لتحويل الأموال، وقراءة الصحف، وبيع المنتجات أو النظر إلى الصور الإباحية. فالشابكة هي، في ذاتها وبذاتها، ليست مفيدة. إذ تكمن منفعتها في ترابطها مع نشاطات في فضاءات أخرى، في قدرتها على تسهيل العلاقات الاجتماعية المختلفة والأبعد مدى.

لقد كان أحد التأثيرات الهامة للشبكة هو تمكين الزاباتيين من إدامة الكفاح ضد التحيز بتحدي الجهود الاحتوائية للحكومة المكسيكية. فالأرض السياسية الجديدة التي شكلتها الشابكة قد وفرت بيئة أمكن فيها زج الممثلين/ الفاعلين القوميين والأمميين المتعددين المتعاطفين مع الزاباتيين في الصراع للضغط على الحكومة المكسيكية والتأثير على أفعالها. هذه الإمكانية فتحت من خلال دمج تدفقات المعلومات الضرورية لأجل انتقال رأس المال الدولي. بالنسبة للزاباتيين، كان ذلك يعني إمكانية توسيع مجالهم، بثمن هو إزاحة القضايا المباشرة التي أدت إلى الانتفاضة أولاً من قبل شخصية ماركوس، ومن ثم عن طريق توسيع الهموم السياسية، إلى صراع بين قاري ضد الليبرالية الجديدة (Froehling 1997).

هكذا أدى امتداد كفاح تشياباس إلى الشابكة إلى تحالفات جديدة، إلى صعيد إضافي من الصراع يجتذب فاعلين جدد، وبالتالي طريقة جديدة للتأثير في الأحداث في تشياباس أيضاً. خارج هدف تشكيل الصلات للتأثير في بعض الاحداث، وخارج الهدف الصريح وهو استعمال فضاء الشابكة للعمل خارج الشابكة، فإن كل الحديث التقدمي عن الشابكة يبقى ببساطة ثورة افتراضية. إن تشييئ هذا الفضاء الجديد بوصفه فضاءً تحررياً في حد ذاته ليس سوى تمرين جديد في التصنيم ينكر حقيقة أن الشابكة، مثل كل التكنولوجيا، هي علاقة اجتماعية يتم تكوينها من خلال علاقات اجتماعية أخرى في فضاءات مختلفة. لذلك، في تشياباس، ينبغي ألا يقاس نجاح الشابكة بعدد مواقع الشبكة أو قوائم النقاش، بل بالتأثيرات المتعددة المنتَجة في فضاءات أخرى خارج الفضاء السايبري.

كلمات شكر:

أود أن أشكر بامتنان معهد دراسة السياسة العالمية، واشنطن DC لأجل منحة البحث، بالإضافة إلى جامعة كنتوكي، لأجل منحة عام لأطروحة الدكتوراه، وهما ما جعلا جزءاً من البحث والكتابة ممكناً.

هوامش

(١) كل ترجمات المصادر الإسبانية قام بها المؤلف، ما لم تتم الإشارة إلى خلاف ذلك.

(٢) من أجل مثال ممتاز على هذا النوع من الموقع، أنظر:

http://www: actlab.Utexas.edu/~Zapatistas/index.html

(٣) غوريا Guria هو السكرتير المكسيكي للعلاقات الخارجية، الذي صاغ البيان حول كون تشياباس مجرد "حرب الحبر والشابكة".

(٤) إن تعديل المادة ٢٧ من الدستور المكسيكي في عام ١٩٩٢ قد أنهى بشكل جوهري الإصلاح الزراعي وأزال الحماية عن حيازات الأرض الجماعية، فاتحاً بذلك إمكانية تدمير القاعدة الأرضية للمجتمعات الفلاحية.

(٥) بعض الأمثلة على URLs لمواقع زاباتيستا هي:

قائمة مواقع زاباتيستا:

- http://www.eco.utexas.edu/faculty/Cleaver/Zapsincyber.html

- Zapatista Homepage: http//www.peak.org.~justin/ezln.html

- La Jornada:http://serpiente.dgsca.unam.mx/jornada/index.html

- Index of Chiapas 95:

http/www.eco.utexas.edu:80/Homepages/Faculty/Cleaver/Chiapas95.html

and Homepage of the Intercontinental Encounter

http://www.physics.mcgill.ca/-Oscarh/Encuentro La Realidad.9604/

(٦) دليل مواقع زاباتيستا على الشبكة والمواد على الشبكة يمكن إيجادها في:

http://www.eco.utexas.edu/faculty/Cleaver/Zapsincyber.html

(٧) أنظر فروهلينغ ١٩٩٧ من أجل مزيد من التطوير على هذه الحجة.

(٨) من أجل صورة ماركوس كبطل شاشة سيبري انظر:

http://www.eco.utexas.edu/ faculty/ Cleaver/ Zapsincyber.html

(٩) إن ظهور الـ EPR لأول مرة قد شوش المراقبين، الذي ظنوها خطة حكومية منظمة لتشويه سمعة الزاباتيين. مع ذلك فقد أسقطت هذه النظرية عندما قامت EPR؛ في عمل منسق، في ليلة واحدة بمهاجمة المنشآت العسكرية والبوليسية في خمس ولايات. فقتلت عدداً من الموظفين العسكريين والجنود. إن العلاقة بين الـ EPR والـ EZLN هي علاقة متوترة نوعاً ما. إن موقعها على الشبكة يلتزم كثيراً بسياسة حرب العصابات التقليدية ولذلك فهو مضجر نوعاً ما، على:

At http://www.xs4all.nl/~insurg/

(١٠) مجموعة ممتازة من مراجعات بيانات زاباتيستا يمكن إيجادها في Zapatista.

(١١) موقع خاص حول نساء زاباتيستا يمكن إيجاده على:

http/www.eco.utexas.edu:80/Homepages/Faculty/Cleaver/begin.html

١١- الجنوسة ومشاهد استخدام الحاسوب في مقهى الشابكة(*)

بقلم: نينا ويكفورد

مدخل:

يشكك النقد الثقافي بشكل متزايد في المنظورات الجوهرانية حول التقانة التي تربطها بشكل لا مناص منه بالذكورة وأنشطة الرجال وغياب المشاركة الأنثوية.

بالفعل إن مقولتي "الجنوسة" و"التقانة" قد لا تكونان منفصلتين كما توحي به الصيغة التي تكون فيها الجنوسة طاغية على التقانة، أو العكس بالعكس. ينأى المنظرون النسويون للتقانة عن المقاربات التي تتميز "باستكشافات لكيف تعبر العلاقات الاجتماعية القائمة مسبقاً للبطريركية [النظام الأبوي] عن التقانة وتحدد شكلها". يبدأ كالفرت وتيري مجلدهما الحديث بعنوان **الحيوات المعالجة: الجنوسة والتقانة في الحياة اليومية** Processed Lives: Gender and Techology in Everyday Life بمقتطفات من منظّرين نسويين يجعلان فصل مصطلحي الجنوسة والتقانة معقداً. أولاً، بالنسبة لهاراواي Haraway ليست الآلة جماداً (it) يتعين إحياؤه، بل هي (it) نحن، سيروراتنا، مظهر من [مظاهر] تجسدنا". ثانياً، بالنسبة لدى لورتيس De Lauretis، إن الجنوسة ذاتها، من بين عوامل أخرى،

(*) Gender and the Landscapes of computing in an Internet Café.

"هي النتاج والسيرورة لتقانات اجتماعية شتى". في هذا التموقع الجديد، تكون التقانات والجنوسات متبادلتي التكوين، ولا يمكن ملامستهما إلا عن طريق عوامل أخرى في تجسدنا وممارساتنا الاجتماعية كالجنسانية والعرق، [عوامل] كانت حتى وقت قريب غائبة في الدراسات الاجتماعية لأدب التقانة. "إن فعل خلاف ذلك هو تشييء للجنوسة بوصفها ثنائية binarism وللتقانة بوصفها "شيئاً" كما تحذر أورمرد. فهي تفترض أن مهمة علم الاجتماع النسوي هو أن يكشف العلاقة المتراكبة بين الجنوسة والتقانة. إذ تعلق قائلة:

"يجب على علم الاجتماع النسوي [الذي يبحث في] التقانة أن يكون قادراً على إظهار كيف تمارس علاقات السلطة والسيرورات التي تحقق بها الذاتيات المجنوسة. لذلك يجب أن ينكب على مجال الممارسات الاستطرادية وترابطات المواد (المتينة) والمعاني والذاتيات التي تتعرف وتتمايز بها الجنوسة والتقانة" (Ormrod 1995:44).

يستتبع ذلك أن تعريفات وتمييزات الجنوسة والتقانة لا يمكن تبيُّنها تماماً قبل أن يحصل أي برنامج تالٍ للبحث ولن يمكّن أي بحث كهذا التحديدات الملموسة التي يمكن إسقاطها، بدون تغيير، على المستقبل. بنقل البؤرة من التقانة عموماً إلى مميزات الشابكة، تبدو اقتراحات أورمرد مفيدة بشكل خاص، ليس فقط لأجل علم الاجتماع بل أيضاً لأجل الحقول المعرفية المتصلة الداخلة في الدراسة النقدية "للثقافات التقنية". لقد تم تقديم الشابكة بوصفها التقانة النموذجية للمستقبل وللذاتيات ما بعد الحديثة. مع ذلك رغم المزاعم بأنها فضاء حيادي الجنوسة، فقد مكّنت تحالفات المواد والمعاني التي تمتلك ذاتيات مجنوسة متناقضة. سأناقش هذه التناقضات من خلال تمثيل الشابكة كمجموعة من المشاهد المتقاطعة للحوسبة [استعمال الحاسوب] التي تُنتج فيها الجنوسة وتُمثل وتُستهلك(١).

المبرر لدراسة مكان "حقيقي":

كانت الأبحاث المبكرة حول الجنوسة وثقافات الشابكة بدافع من الزعم بأن الجنوسة والمظاهر الأخرى للهوية الاجتماعية يمكن أن تصبح عديمة الصلة في العوالم الجديدة التي تخلقها تقانات المعلومات والاتصالات. هذا الاعتقاد بني على مقدمة تقول بأن شبكات الحواسيب تسمح للمستخدمين بأن يكونوا غير مرئيين جسدياً للمستخدمين الآخرين. أما الرؤى الأكثر تحولاً فقد قدمها المستقبليون والمفكرون الطوباويون. ضمن مشتركات التطبيق المستلهمة خصيصاً من [أدب] الخيال العلمي تمت معالجة التفاوتات المرسخة بشكل عميق المرتبطة ببعض الهويات الاجتماعية كما لو كان من الممكن أن تختفي عندما تتضاءل أهمية الجسد " الحقيقي". من بين برامج العالم الافتراضي فقد ترجم هذا [البرنامج] في كثير من الأحيان بوصفه استيهاماً أوسع لتجاوز الجسد[٢]. في الشبكات الالكترونية الجديدة التي اصطلح على تسميتها فضاءات (بدلاً من كونها مجرد قنوات)، فقد تم تقديم الهويات، المتحررة من قيود التجسد، بوصفها مطواعة. يستنتج ستولابراس، الذي يقوم بمسح لروايات الفضاء السايبري أن:

> **أعظم حرية يعد بها الفضاء السايبري هي حرية إعادة قولبة الذات: من كائنات سكونية، يقيدها الجسد وتشي بها المظاهر، يمكن لراكبي أمواج الشبكة أن يعيدو تكوين أنفسهم في عدد من الأدوار المبهرة، التي تتغير من لحظة إلى لحظة بحسب الهوى (Stall brass 1995:15).**

حتى في الأدب المبكر استعملت أفكار الأدوار الجنوسية المتعددة و"كنس الجنوسة" كمثال على هذا الهروب الموعود من الجسد والمظاهر. علاوة على ذلك فإن الأهمية المتهالكة للجسد كانت مرتبطة بالتغيير الاجتماعي خارج البيئات الالكترونية، [وهي] موضوعة (ثيمة) لكثير من بيانات manifestos "العصر الرقمي. يقول آمي بروكمان، وهو عالم كمبيوتر ومبتكر بيئات MUD على الشابكة (on – line):

"إن كنس الجنوسة هو مثال على كيف أن الشابكة تمتلك القدرة الكامنة على تغيير ليس فقط ممارسة العمل بل أيضاً الثقافة والقيم" (Bruck man 1996:318).

رغم هذه الطموحات، يوحي البحث اللاحق بأن الرؤية الطوباوية للفضاء الالكتروني الخالي من الجنوسة أو حتى المتكافئ الجنوسة هي بعيدة عن التحقق. فقد سلطت التقارير المبكرة لوسائل الإعلام الضوء على الخداع المؤدي إلى الاغتصاب على الشابكة أو "تبادل اللباس على الحاسوب". استنتج الباحثون من تشكيلة من الحقول المعرفية أنه حتى حيثما يكون تعدد الأدوار ممكناً، تستمر صور وخبرات الجنوسة التقليدية في معظم منتديات الشابكة. لقد خلقت بعض النساء جيوب مقاومة على الشبكة أو في قوائم المناقشة لكن على العموم تعكس أقاليم العالم على الشابكة الإديولوجيات غير المعاد بناؤها للسكان من الفلاحين السايبريين الذكور البيض Cyber boors.

تقوم دراسة مقهى الشابكة على الأبحاث القائمة حول الجنوسة على الخط باستكشاف كيف تعمل الجنوسة في مكان "حقيقي" حيث تنتج و تستهلك الشابكة. لقد أوحت الملاحظات والمقابلات أثناء عملي الميداني في مقهى الشابكة Net Café بمقارنة تستعير مجازات المكانية من الجغرافيا الثقافية لشرح الجنوسةفي ضوء إنتاجها كجزء من مشاهد الحوسبة. إذ تعرف مشاهد الحوسبة بأنها المجموعة المتداخلة من الجغرافيات المادية والتخيلية التي تتضمن الخبرات على الشابكة، لكن غير المحصورة بها. كان اختيار مقهى الشابكة متأثراً بدوره بالعلاقة بالشابكة والحوسبة على نطاق أوسع. فالمقهى هو مشهد ترجمة للحوسبة(*) تنتج فيه الشابكة وتفسر لأجل " الناس العاديين" الذين يستهلكون الزمن على الآلات و/ أو الطعام والشراب. كان سؤالي البدئي هو كيف يمكن لأفراد لطاقم

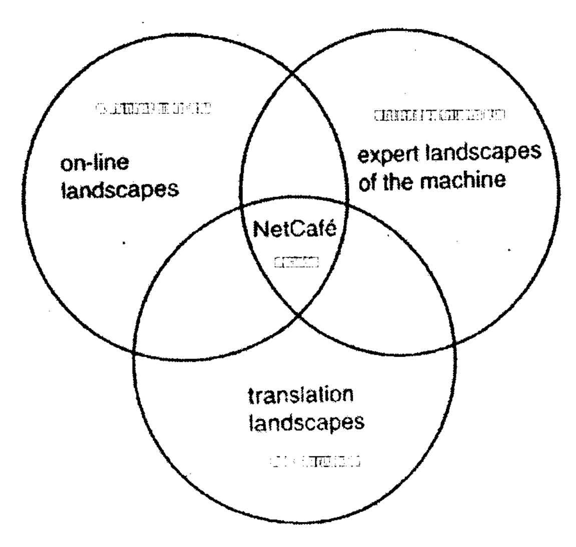
(*) Translation landscape of computing.

أن ينجزوا هذا الإنتاج والتفسير؟ بالإضافة إلى ذلك كانت ثمة إمكانية أن يؤدي مقهى الشابكة ترجمات أخرى في موازاة تلك الترجمات المقصودة صراحة. إن الهدف التجاري للإدارة هو بيع خبرة الشابكة – استعمال الحاسوب للوصول إلى الشابكة في مقهى – كنتاج product. مع ذلك فقد تم اختيار مقهى الشابكة أيضاً لأنه شكل طليعة الجنوسة بشكل واضح.

كان الجزء المكمل لمشاهد ترجمة نتكافيه Net Café للحوسبة هو إنتاج وتوسيل واستهلاك الجنوسة كمكون للنتاج. كان نتكافيه هو نتاج تعاون امرأتين ومزود خدمة الشابكة (ISP) الذي يشغله شركائهما الذكور. يقول التاريخ الرسمي إن "المديرتين" اقترحتا الفكرة عندما التقيتا لأول مرة. في صباح ذلك الأحد رسمتا مخطط فكرة المقهى السايبري Cybercafé الأول في العالم على منديل المائدة على طاولة المطبخ. فتح المقهى أبوابه بعد ذلك بستة أسابيع بهدف تشجيع أولئك الذين لا يستعملون الحاسوب بشكل تقليدي، وخصوصاً النساء، على الوصول إلى الشابكة. لقد شجع الزبائن، باستعمال الصور التخيلية والخطاب الذي يرى أن نتكافيه ليس منزل الذكر الأبيض، على النظر إلى الشابكة بوصفها مكاناً يمكن فيه للنساء أن يشاركن. أما الأقل وضوحاً فهي الطرق التي كانت بها الجنوسة داخلة في الإنتاج اليومي لبيئة المقهى. فكانت هذه الممارسات اليومية المعقدة والمتغيرة هي ما تم استقصاؤه.

يواجه الطاقم والزبائن والآلات الذين يسكنون نتكافيه المشاهد المادية والتخيلية لثقافة الحوسبة (الكامنة) وراء مشاهد الترجمة. أولاً، يشارك معظمهم في مشاهد على الشابكة، بصرية ونصية، يمكن أو لا يمكن أن تتضمن تفاعلاً مع آخرين. هذه هي الفضاءات التي توصف في كثير من الأحيان بأنها "فضاء السايبري" أو الافتراضي. ثانياً، إنهم يواجهون المشاهد التخصصية للآلة التي يقدمها لهم أولئك الذين ينشئون الشبكة، ويؤمنون تساوق أشكال الأجهزة والبرمجيات، ويتم استدعاؤهم عندما تكون المشاهد الأخرى للحوسبة في خطر

(أي تعطل الحواسيب) . إن نتكافيه هو الموقع الذي تلتقي فيه هذه المشاهد الثلاثة – مشهد الترجمة ، مشهد على الشابكة ، المشهد التخصصي ، كما هو مبين في الشكل ١١–١ . يمكن للزبائن أن يتسمروا إلى الآلة ، وأن يصلوا إلى بيئة نصية أو غرافيكية ، وأن يشاركوا في اتصال بوساطة حاسوب وأن يطلبوا المساعدة (ويتوقعوا الشرح كجزء من " النتاج") في مكان يتم فيه التشديد على المعرفة الخبيرة . نتكافيه هو أيضاً مكان للاستخدام [العمالة] حيث يكون كثير من السمات المميزة لمكان العمل ، كالمراقبة ، ظاهراً . ينخرط مستخدمو وزبائن وآلات نتكافيه أيضاً في "جغرافيات عرض مكان العمل" كجزء من الخلق المتواصل لمشاهد الحوسبة ، وبناء الجنوسة . رغم أنني أرى هنا أن تمييز مشاهد الحوسبة مفيد تحليلياً ، فإن دراسة النماذج الشخصية typology ليست شاملة وإن أياً من هذه المشاهد ليس متساوقاً بشكل كامل أو مستقراً أو متميزاً كلياً عن المشاهد الأخرى . في الواقع إن النقطة التي تتقاطع فيها [المشاهد] وتتصادم يمكن أن تؤمّن المواقع الأجدى للدراسة[٣] .



(1 – 11)

الجنوسة والمشاهد على الشابكة:

إن الثيمات (الموضوعات) التي جرى تسليط الضوء عليها في البحث حول الجنوسة والتفاعلات على الخط تحدد موقع الممارسات المرصودة في نتكافيه[٤]: فضاءات منتديات البريد الالكتروني، جماعات المناقشة، التبادل النصي الحقيقي الزمن في MUDs و IRC، الشبكة web، البيئات الثنائية – الثلاثية الأبعاد (2D – 3D). ينكب القليل من الأعمال الموجودة على الفضاءات المحددة الموقع الملموسة للحوسبة وهذه المشاهد على الشابكة. وحتى الآن تركّز معظم البحث على الخصوصيات الاستطرادية والرمزية لثقافة الشابكة[٥].

تستمد المجازات المستخدمة لوصف المشاهد على الشابكة بأقصى تجريدها من الخطابات التي تكون متضمنة في التصورات الخاصة للجنوسة. في الولايات المتحدة استُعملت مصطلحات مثل "حد/ تخم" لوصف الفضاء على الشابكة بكونه غرباً متوحشاً (الكترونياً) جديداً. يعتقد نقاد أمثال ميلر أن هذه الصور تحتكم إلى مُثُل "الذكورة الفردانية". ما يقلق ميلر أيضاً هو أن توصيف "التخم/ الحد" يمكن أن يشجع مجموعة بعينها من الردود المخيفة من قبل النساء على هذه الشبكات. كذلك يرى ستولابراس المتنبه إلى خطابات الجنوسة، "أن فكرة الصبي المديني عن الشارع" هي جزء لا يتجزأ من المشهد الأدبي، الذي يكون تأثيره مهماً لأجل البناة الكثيرين للتقانات على الشابكة.

مسح الجنوسة:

بنقل البؤرة من سرديات الفضاء السايبري الكبيرة إلى المشاهد المكونة على الشابكة وفضاءات ممارستها يتضح أن لكل فضاء عمارته المميزة وتقاليد سلوكه الخاصة به. علاوة على ذلك، تكون هذه المشاهد متطبقة (مقسمة إلى طبقات) بفعل الكلفة ومتاحية حرية الوصول، ومواءمة النظام والفرضيات حول المهارة التقنية. في ضوء مناقشة الجنوسة، فإن تلك الفضاءات التي تبرز هي

الفضاءات النصية التفاعلية الحقيقية الزمن للمودات[٦] MUDs . فالمودات يجري تصويرها أكثر من أي مشهد آخر على الشابكة بوصفها انتهاكية من خلال أداءات الجنوسة . كما يبدو ، فإن استعمال المودات يغير الطريقة التي يمكن أن "نخبر" بها الجنوسة:

"بالنسبة للمشاركين يسلط التمويد MUDing الضوء على قضايا تأثير الجنوسة على العلاقات البشرية. فالأساسي بالنسبة للتأثير هو حقيقة أنه يسمح للأشخاص بأن يخبروا (يمرو بخبرة) بدلاً من أن يرصدوا فقط ما يبدو أنه شبيه بالجنوسة المعاكسة أو أنه لا يمتلك جنوسة على الإطلاق" (Bruckman 1996: 322)

كيف تحدث هذه الخبرة بالجنوسة؟ في هذه البيئة النصية ، يُطالب المستخدمون على الشابكة ("اللاعب" أو "الشخصية" "Character") ، في كثير من الأحيان بتقديم وصف لأنفسهم بالإضافة إلى الأسماء (الكنيات) . إن جزءاً من هذا الوصف هو"العَلَم الجنوسي Gender Flag" . هذا العَلَم يمكن أن يتحكم بمجموعة الضمائر الشخصية التي يستعملها برنامج المود MUD للإشارة إلى الشخصية في التفاعلات اللاحقة . لقد حسبت كندول في عام ١٩٩٤ أن ٢١ بالمائة من الشخصيات في Gamma MOO كانت مصممة كأنثى . مع ذلك فهي تصف أيضاً المجال العريض لمعجم المفردات والضمائر الشخصية التي تم توليدها خارج المعجم التقليدي المذكر/ المؤنث ، هو/ هي . في Gamm MOO تشمل هذه: :"either" (إما) التي تستعمل الاصطلاح هو/ هي وـه/ ـها؛ "ويستعمل Splat" بشكل مشابه ، e* وh*؛ والجمع "plural" يستعمل "they" هم و"them" هم . يلح بعض الكتاب على أن هذه اللغات الجديدة يمكنها أن تزيح مقولات الجنوسة التقليدية دفعة واحدة . يعلق ماك راي ، وهو يكتب عن الجنسانية في MOOs بقوله:

"تمتلك جنوسة سبيفاك المتاحة على MOOs على سبيل المثال، مجموعة فريدة من الضمائر: eirself, eirs, eir, em, e. لقد شجعت بعض الناس على اختراع أجساد جديدة كلياً وإضفاء الطابع الايروتيكي عليها بطرق تجعل مقولتي الأنثى أو الذكر عديمتي المعنى" (McRae 1996:257)[٧]

حتى مع التسليم بصعوبة قرن هذه التسميات الجنوسية بالأجساد المادية/ الاجتماعية الحيوية التي اختارتها، يوحي الكثير من الروايات بأن الرجال هم أكثر أرجحية من النساء لأن يجربوا بالأدوار الجنوسية المتبادلة. في غالب الأحيان تُجمع التصورات الخاصة للعرق والجنوسة والإثنية والجسد عندما تكون الأوصاف الموسعة من بضعة أسطر نص أو أكثر مسموحة. على سبيل المثال يصف أحد المستخدمين شخصيتهن بأنها جميلة، أنثوية، سنورية(*). . . . إن قسماتها الآسيوية تؤكدها عيناها الزرقاوان الفاتحتان (شخصية Puss-n-Boots لدى Kendall 1996:214).

يبدو من الروايات الموجودة أن أية إزالة للجنوسة إنما تحدث من خلال توليفة من المجازات التقليدية أو النمطية المقولبة، ومن خلال إواليات تقاوم بشكل عنيف ترسيم جنوسة MUD إلى خبرة الأجساد المادية/ البيواجتماعية. وهذا يكون الأكثر وضوحاً في الطرق التي يتم بها إظهار الجوانب الأخرى من شخصيات MUD:

"إن اختيارات العرق هي أكثر رجحاناً لأن تكون بين دوارفيش وإلفيش وكلينغون من أن تكون بين آسيوي وأسود وقوقازي؛ إن اختيارات الطبقة هي أكثر رجحاناً بين المحارب والساحر واللص منها بين [ذي] الياقة البيضاء أو [ذي] الياقة الزرقاء" (Reid 1996:331).

(*) سنورية felinoid نسبةٍ إلى السنوريات وهي فصيلة من الحيوانات اللاحمة تضم الهر والفهد والصفة هنا مجازية طبعاً (المترجم).

هذه الاختيارات لـ "العرق" أو "الطبقة" الواقعة ضمن المعرفة الثقافية التحتية subcultural للمقامرة والإعجاب تحل محل مناقشة التصنيفات والمفردات التقليدية للحركات الاجتماعية. فقد أشار الباحثون إلى أن الموقع العرقي والطبقي لغالبية المستخدمين هو "غني وأبيض". إن الجنوسة والعرق والموقف الاجتماعي الاقتصادي قد أخفقت كلها بفعل مجموعة من الممارسات الثقافية الخاصة بالمود التي تحول دون "إعادة" تصدير التصنيفات إلى تجربة معاشة أخرى بأية طريقة تبسيطية. فمع الجنوسة يصبح ذلك معقداً عندما يقطع الانزياح اللغوي باستمرار عن طريق الالحاح على كشف الذات المجنوسة " الأصلية" بدلاً من المظاهر الأخرى للهوية الاجتماعية. مع ذلك فإن الطريقة التي يكون بها المستعمل محسوباً على جنوسة "حقيقية" نادراً ما تسمح بمناقشة الخبرة الاجتماعية المعقدة لجسد مادي/ حيوي اجتماعي مجنوس.

تُجعل الثقافات المودية MUD للجنوسة محلية، وغالباً ما تكون اصطلاحات الجنوسة فريدة خاصة بمود محدد. في البيئات التي نشأت فيها العلاقات الطويلة الأمد للدعم الاجتماعي، يحصل القليل من اللعب الخفي بأدوار الجنوسة بشكل متواصل، رغم أن بعض المستعملين من المعروف عنهم أنهم يشاركون كشخصيات من الجنس المضاد. مع ذلك حتى في هذه الحالات عندما يتبنى مستعمل شخوصاً من الجنس المضاد فإن المستعمل يطور [لنفسه] سمعة ليس كإمرأة بل كرجل ذي اسم أنثوي. في الحالات التي يكشف فيها مثل هذا المسح الجنوسي بدون إنذار مسبق لا تكون النتيجة تشجيع التحول الثقافي في القيم حول الجنوسة بل زيادة بناء المجازفة الاجتماعية ضمن الفضاء الالكتروني.

خبرات الاتصال القائمة على الجنوسة:

رغم أن المودات، من وجهة نظر شيفرة الحاسوب والصور المكانية، هي من الناحية المعمارية أكثر تعقيداً من بعض فضاءات الشابكة الأخرى، فإن إحدى

السمات المشتركة هي الإبلاغ عن التحرش الجنسي للمستخدمات . هذا هو أحد الأنماط المجنوسة للاتصال في مشاهد الشابكة التي تجذب أوسع اهتمام إعلامي جماهيري . لقد تم تسليط الضوء بشكل متناسب على المودات بسبب الحوادث المبكرة والعلنية الواسعة الانتشار (التي تثير الجدل في مجتمعات الـ المود نفسها) بما في ذلك "الاغتصاب في الفضاء السايبري" . مع ذلك ، كما تشير بريل ، يوجد التحرش الجنسي على متصل continuum من رسائل البريد الالكتروني "Wanna fuck" اليومية المرسلة من غرباء إلى ذوي الأسماء "الأنثوية" بشكل واضح ، إلى "القناع" الالكتروني الذي حملته بريل نفسها . من الصعب تخمين مدى هذا التطفل أو الأهمية الكلية التي يعلقها المستخدمون عليه . إنه يسلط الضوء على طريقة أخرى تتأثر بها الخبرة بالجنوسة على الشابكة بمشاهد الشابكة (على الخط) النوعية والمموضعة ، في هذه الحالة هي ذلك الفضاء الذي توفره مزودات خدمة الانرنت "ISPS" . إن أولئك الذين يمتلكون حسابات جامعية (ac or edu) هم أقل رجحاناً بكثير لأن يتلقوا الكمية من رسائل البريد الألكتروني "Wanna fuck" التي لا يمكن تعقبها من أولئك الذين لديهم ISPS تجارية وبالأخص أمريكا أونلاين (AOL America on line) التي يُبلّغ مستخدموها في الولايات المتحدة عن تلقي عدد يصل إلى ثلاثين بريداً غير مستحب باليوم(٨) .

ليست الخبرات المجنوسة لاتصالات البريد الالكتروني محدودة بالرسائل غير المستحبة إلى الإناث . فالبحث في هذا الحقل يرسم بعض التنوع مثل الإرسال بصوت مختلف" ، على غرار عمل عالمة النفس كارول غيليغيان . لقد وجد هرينغ ، بالتركيز على الأساليب المتباعدة الإرسال على جماعات المناقشة ، وقوائم البريد وفرق أخبار شبكة الاستخدام ، وكذلك في ثقافات الأسئلة التي تُسأل بشكل متكرر (FAQs)(*) أن الألفاظ على الشابكة موجهة إلى الذكور ويطغى عليها الذكور .

(*) Frequently Asked Question.

رغم أنه يوجد غالباً إدراك يومي بين المستخدمين أن الرجال بذيئون أو "ملتهبون" [لهاليب] في التفاعلات على الشابكة، ترى هرينغ أن هذا تبسيط مفرط. فهي تُعرّف الالتهاب [اللهلبة] بأنه الشكل الأكثر تطرفاً من "الأسلوب الخصامي" الذي يمكن أيضاً أن يتضمن موقفاً فوقياً، إرسال رسائل طويلة و/ أو متكررة والمشاركة بشكل غير متكافئ في مناقشة. هذا الأسلوب يستخدم غالباً من قبل المستعملين الذكور. وجدت هرينغ أسلوباً آخر، تسميه الأسلوب الموهون/ الداعم. إذ تستنتج أن "هذا الأسلوب تكشفه النساء بشكل شبه حصري وهو المعيار الاستطرادي في كثير من قوائم النساء فقط والقوائم المتركزة حول النساء. تسقط هرينغ هذا الاكتشاف على الأخلاقيات المتناقضة والمعايير الأخلاقية للرجال والنساء على معظم القوائم وجماعات الأخبار. إنها تستشهد بالرد على استبيانها الذي تم توزيعه على الخط. كان الرجال أكثر رجحاناً من النساء لأن يلهبوا تفكير هرينغ حول الاستبيان ذاته. ففي ردودهم على الاستبيان كشف الرجال عن ثلاث قيم كانت شبه غائبة كلياً عن ردود النساء: التحرر من الرقابة، والصراحة والسجال. إن اتجاه "التحرر من الرقابة" يمجد منظومة قيم فوضوية يكون الإلهاب فيها نوعاً من العدالة التصحيحية. أما الصراحة فتثمن التعبير النزيه والصريح عن أية آراء. وأما تثمين السجال فيعني أن الحوارات الصدامية ينبغي تشجيعها كوسيلة للوصول إلى فهم أعمق للقضايا وشحذ المهارات الفكرية للمرء". هذه العوامل الثلاثة تؤلف معاً المنطق الذي من خلاله ينتهك بعض المستخدمين قيم التهذيب التي يمكن أن تسود من نواحٍ أخرى. توحي دراسة هرينغ أن الرجال يميزون بين الخصامية الجيدة (السجال) والخصامية السيئة (الإلهاب) في حين أن النساء لا يقمن مثل هذا التفريق إذ يعاملن كل هذه الصدامات الخصامية بوصفها عدائية[٩].

وجد باحثون آخرون أن مشاركة الرجال والنساء تختلف بين قوائم المناقشة وجماعات الأخبار، حتى عندما يصور المشهدان على الشابكة الموضوع

نفسه. لقد درست كلرك Clerc أشكال الإعجاب الإعلامي على الشابكة، فوجدت أن بين المعجبين الذين يناقشون نفس البرنامج التلفزيوني الكترونياً كانت النساء أكثر رجحاناً إلى المشاركة في جماعات المناقشة من جماعات الأخبار المستخدمة للشبكة. وفقاً لمسحها، فإن ٤٢ بالمائة من المجيبات على الأسئلة كن يرسلن مرة واحدة على الأقل في الأسبوع إلى القوائم مقارنة بـ ٢٢ بالمائة فقط من المجيبين الذكور. في جماعات الأخبار، كان الرقمان هما ٢٨ بالمئة لأجل النساء و ٣٧ بالمائة لأجل الرجال. تستنتج كلرك أن المشهدالمحدد على الشابكة هو العامل الحاسم في مشاركة النساء. فالاختلاف هو بشكل واضح القطع/Format (التصميم) وليس المسلسل [التلفزيوني]: على سبيل المثال، رغم أن النساء يشكلن حضوراً قوياً جداً على STREKL [قائمة مناقشة " STRK Trek]، فإنهن أقل من ثلث المرسلين على جماعتي الأخبار rec. startrek. Misc, وهذا يصح أيضاً على جماعة أخبار وقائمة rec. arts. Startrek. Current.

رغم أن دراسة كلرك هي لمجموعة محددة من منتديات المعجبين fandom fora، فهي واحدة من الدراسات القليلة التي تنظر أيضاً إلى الممارسات الثقافية الموازية على الشابكة. فالنساء هن أكثر رجحاناً لأن يشاركن في الأشكال التقليدية للإعجاب (مجلات المعجبين المطبوعة، المؤتمرات) أكثر مما يشاركن في أي من الفضاءات المتاحة على الشابكة، حتى حيث يمتلكن الفرصة للمساهمة الكترونياً. يثبت عمل كلرك المخاطر في افتراض أن الثقافات على الشابكة يمكن [إعادة] ترسيمها في أماكن أخرى بأية طريقة مباشرة ويسلط الضوء على الطريقة التي تعمل بها الجنوسة ضمن مشاهد على الشابكة لتحويل طبيعة الإعجاب الذي يحدث هناك.

النسوية السايبرية Cyberfeminism:

ثمة رافد آخر في الكتابة حول الجنوسة والمشاهد على الشابكة يشدد على الأنماط الجديدة من الفعالية النسوية وإمكانيات مقاومة السلطة الذكورية المتاحة

من خلال هذه التقانات الجديدة. إن النسوية السايبرية، كما تدافع عنها سادي بلانت تمجد صلات النساء بالآلات. فالنسوية السايبرية على حد تعبيرها هي:

((عصيان مسلح من طرف سلعة ومادة العالم الأبوي (البطريركي)، انبثاق مشتت موّزع مؤلف من روابط بين النساء، بين النساء والحواسيب، بين الحواسيب وروابط الاتصال، والصلات والشبكات الارتباطية Sadi Plant 1996:182)).

في ضوء ذلك، فإن الشابكة هي فضاء جديد لا تختفي ضمنه الجنوسة بل يمكنها أن تعيد تأكيد نفسها لفائدة النساء. إن بلانت، إذ تموقع زعمها في أعمال ايريغاري Irigaray، وتطلق المزاعم المتطرفة حول القدرة التقنية، تجادل بأن العوالم الافتراضية بطبيعتها تحديداً " تقوض كلاً من الرؤية العالمية World view والواقع المادي لألفي سنة من السيطرة البطريركية".

إن نبوءة بلانت هي أن شبكات "الرحم" الرقمي تشجع ليس أقل من ثورة جنسية جديدة (١٩٩٧) مع أنها [بلانت] لا تحدد المشاهد على الشابكة التي تكون داخلة في هذه الحركة الاجتماعية. رغم أنه من المعترف به على نطاق واسع أن بلانت كانت الشخصية الرئيسية التي جلبت النساء والمستقبلات futures السيبرنتية إلى [دائرة] الاهتمام العام، خصوصاً في المملكة المتحدة، فإن انعدام اهتمامها بخبرات المستعملات المحددات قد انتُقد من قبل علماء الحاسوب النسويين. من وجهة نظر سياسية، يحذر سكوايرز من أن النسوية السايبرية قد لا تخدم النسوية المادية materialist إذا كانت تؤيد "الهراء السايبري" technophoric cyber drool. وينبه إلى:

((أننا فعلنا خيراً بالإلحاح على النظر إلى النسوية السايبريّة بوصفها مجازاً لأجل الانكباب على العلاقة البينية بين التقانة والجسد، وليس كوسيلة تستعمل الأولى [التقانة] لتجاوز الثاني [الجسد] Squires 1996: 195)).

رغم أن النسوية السايبرية قد تم تبنيها من قبل بعض النساء في المشاهد على الشابكة مثل النشر [نشر الكتب] على الشبكة web publishing ، فإن المقاومة العلنية الأكثر شيوعاً للممارسات عديمة الرحمة للذكورة البيضاء هي محلية ونوعية مثل الجماعتين الاستراليتين VNX Matrix و geekrrl .

تفسد استراتيجياتهن التمردية مصطلحات المنظومات التقنية ، مثل تشويش مستخدمي محرك البحث الذين يبحثون عن "الفتيات" على الشبكة "باستعمال كلمة "grrl" بدلاً من كلمة "girl" . في أمكنة أخرى خلقت النساء "فضاء" آمناً على شكل قوائم خاصة على أساس المصلحة أو الهوية. فقد رأت هول أن الأشكال المختلفة من النسوية السايبرية تتواجد على قائمة مناقشة واحدة خاصة بالنساء فقط رغم أن طبعتها من النسوية السايبرية هي محددة محلياً وأكثر تواضعاً من طبعة بلانت. وكشفت دراسة كلرك للإعجاب عن وجود "Star Fleet Ladies Auxiliary and Embroidery/ Baking Society" ، وهي قائمة مناقشة خاصة ابتدعتها مستخدمة تعبر عن الاستياء من أدوار النساء في مسلسل Star trek وانتقدت بقسوة بسبب ذلك على القائمة العامة. إن استعمال التهكم هو موضوعة (ثيمة) مشتركة في الأسماء التي يتم إطلاقها على القوائم الخاصة. فالنساء اللواتي يردن التحدث إلى نساء "حقيقيات" يتعلمن أنه يجب عليهن أن يبحثن عن غرف دردشة على الخدمات التجارية بأسماء مثل "sensible footwear" وليس "girlchat"(١٠) .

من الواضح أن المشاهد على الشابكة لا يمكن توصيفها بمجموعة واحدة من المصطلحات المتصلة بالجنوسة. في بعض الفضاءات يتوقع من مهمات الجنوسة أن تكون متساوقة داخلياً وغير قابلة للتحويل. في أمكنة أخرى ، خصوصاً حيث تكون إمكانية الوصول محصورةً في فضاءات للنساء فقط ، تكون الجنوسة جزءاً من تمثيل (إعادة تقديم) موثوق لا يعترف بالتمييز على الشابكة/ في مكان آخر.

مع ذلك ففي أمكنة أخرى يجتذب عرض شخصية ذكرية بدلاً من شخصية أنثوية انتباهاً أكثر إلى التعابير. في كل مكان في المشاهد على الشابكة تكون الجنوسة جزءاً من ممارسة ماهرة، إن في إنكارها أم في تشجيعها. فالتشوش المحيط بالجنوسة يحدث حيث لا يكون المستعمل مدركاً لدرجة الثقة (أو الشكية) التي يتعين أن يمتلكها إزاء تمثيلات الهوية التي يجري تقديمها هناك. عندما تنشأ بيئات تنشد محاكاة الفضاءات ثلاثية الأبعاد، يتم إنتاج صورة غرافيكية جاهزة كشخصيات وتمثلها شخصية. رغم أن مجال الطرق التي يمكن بها تمثيل الجنوسة يبدو أنه يتزايد في هذه الفضاءات، فإن كثيراً من المشاهد على الشابكة تستمر في كونها متطبقة (مقسمة إلى طبقات) عن طريق مخزون محدود جداً من التمثيلات المجنوسة التي تُتداول ضمنها. في الفقرة التالية سأقارن هذه الفضاءات بالفضاءات "الحقيقية" للنتكافيه Net café وسأدرس كيف تم خلق التمثيلات المجنوسة وصيانتها وتحريفها. حتى ضمن هذا الفضاء الفيزيائي الأضيق، يجري تقديم المسارات والمخزونات المتعلقة بالجنوسة بوصفها متعددة وأحياناً متناقضة، رغم أن الوسائل التي تنجز بها التمثيلات في Net café ليست نصية بالدرجة الأولى كما في المشاهد الكثيرة على الشابكة.

الجنوسة ومشاهد الترجمة:

تتضمن النشاطات اليومية في مقهى إنترنت Net café المشاركة في المشاهد على الخط لكن كثيراً من الممارسات لا تحدث على الخط. خلافاً لكثير من الأطر المكانية المنزلية أو المؤسساتية للحواسيب، فإن مقاهي الشابكة هي المواقع التي تنطوي فيها السيرورة الواضحة لاستهلاك الآلة على محاولات لسيقنتها contextualisation وتفسيرها كجزء من المنتج الذي يشتريه الزبون. في مقاهي الشابكة يمكن تصور المنتج باعتباره يمتلك بضعة مكونات مترابطة متوفرة لأجل الاستهلاك تشمل:

- الآلة بوصفها حاسوباً معزولاً؛
- الآلة بوصفها جزءاً من شبكة محلية ضمن المقهى؛
- الآلة بوصفها جزءاً من شبكة عالمية؛
- الأنظمة/ البنية التحتية التقنية (مثال ذلك سرعة وصل الشبكة)؛
- جو/ محيط المقهى؛
- ديكور المقهى؛
- موقع المقهى؛ و
- الطعام والشراب.

كل مكون من هذه المكونات هو بحد ذاته معقد ويمكن أن يجمع عناصر متنافرة. فديكور المقهى مثلاً، يدل على الطرق التي يقدم بها المقهى نفسه بالنسبة إلى الأشغال وهياكل المالية المحلية أو القومية الأخرى (الإعلان في النوافذ، البطاقات البريدية والنشرات الإعلانية المجانية، الترقيات، إلخ) بالإضافة إلى كونه الحصيلة الجزئية لإدعاء طاقم العاملين أن الفضاء يمثل طبعتهم الخاصة من "Cyber vibe"[11]. في حين لا يوحي بأن كل ممثلٍ [فاعل] في مقهى الشابكة سوف يدرك أو يستهلك المنتج نفسه، فإن السمة الأساسية لهذه الفضاءات عموماً هي جمع سلسلة من الخبرات المألوفة (شراء القهوة، الجلوس في المقهى، مراعاة معايير المخالطة الاجتماعية، إلخ) مع المواجهات الأكثر غرابة غالباً مع الحاسوب.

التنظيم المكاني للقاءات مقهى الشابكة/ (نتكافيه):

خلال أربعة أشهر من عام ١٩٩٦ عملت في نتكافيه وهو مقهى الشابكة في وسط لندن[12]. في هذه الفقرة سأصف المخطط الأساسي للمقهى وكيف

كانت تدار التفاعلات بين الآلات والزبائن والعاملين. تظهر اللقاءات التي حصلت في نتكافيه بلغة أورمرد "كيف تمارس علاقات السلطة والسيرورات التي تُنجز بها الذاتيات المجنوسة". وهي توضح أيضاً كيف تعمل الشابكة كسيرورة عن طريق ربط الأشخاص والآلات والفضاءات، والعلاقة بينهم. لقد كان نتكافيه بطرق كثيرة فضاء عالي التنظيم والتطبق يسعى إلى تصوير نفسه كمكان لا تهم فيه الجنوسة.

لقد تم تنظيم نتكافيه على أربعة مستويات، كان واحد منها فقط هو أرضية المقهى floor. كنتيجة لذلك فقد كان معظم المقهى "خارج الحلبة"، خارج المشهد العمومي. كانت أرضية المقهى هي البؤرة المركزية لأجل الاهتمام العام، والمكان الذي كانت تدار فيه معظم تفاعلات الزبائن – الطاقم – الآلات. في هذا الفضاء كانت مهام العاملين أو المضيفين السايبريين Cyber hosts هي بيع وقت الشابكة على حواسيب مشبوكة (مربوطة بشبكة) مرتبة على مناضد مرتفعة على مدار المقهى، وتقديم المشروبات والوجبات الخفيفة من طاولة الخدمة التي تواجه الباب الأمامي للمقهى. كانت طاولة المحاسبة هي موقع التعاملات النقدية، وكانت البقعة التي يحجز فيها الوقت على الآلة. فلو صادف الزبائن آلة أو مضيفاً سايبرياً قبل أن يصلوا إلى طاولة المحاسبة فقد كانوا يتوجهون إليها. كان الكثير من النشاطات التي تحدث حول طاولة المحاسبة يقوم على تنظيم المضيفين السايبريين للزبائن في مجموعات مرتبة وقابلة للإدارة من التفاعلات بما في ذلك الإشارة إلى أين ينبغي عليهم أن ينتظروا إذا لم تكن الآلة متاحة بعد وتشجيعهم على شراء " شيء ما [للأكل أو الشرب] فيما أنت تنتظر". لم يكن الزبائن يشجعون على التسكع حول طاولة المحاسبة، فيأخذون مواقع أغلبية تفاعلات المضيفين السايبريين– الزبائن الموسعة إلى جوانب المقهى حيث كانت تتوضع الحواسيب.

أحد الأشياء الأولى التي لاحظتها حول المقهى، والتي كانت تثير تعليقات كل من الزبون والطاقم، هو ألوان المفروشات الداخلية. فالجدران كانت ذات لون أخضر ليموني، والمقاعد والطاولات برتقالية أو ليلكية اللون. كانت معظم السطوح الأفقية الأخرى (طاولة المحاسبة، الحاجز الفاصل بين أرضية المقهى وفضاء مدير المقهى) ذات لون معدني كامد. أما واجهة طاولة المحاسبة فكانت باللون القرمزي الغامق الذي يضاهي وحدات الرفوف الواقعة خلفها، التي تضم المشروبات المعبأة في قوارير على رفوف زجاجية. فوق طاولة الحساب كان ثمة ست ساعات، كل واحدة تعطي الوقت حسب توقيت مدينة/ نطاق زمني: نيويورك، لندن، باريس، موسكو، طوكيو، وسيدني.

في قبو لا نوافذ له تحت أرض المقهى، ولا يمكن بلوغه إلا عن طريق مجموعات منحدرة من الأدراج كانت "غرفة التدريب" و"غرفة الطاقم". كانت الأولى تعكس المخطط العام للمقهى في الأعلى: حواسيب على طاولات حول حافة الغرفة. لم تكن تستعمل إلا عندما كانت "التدريبات الجماعية" جارية. أما الثانية تتكّون من فجوة جدارية آجرية يتعين على المرء أن يمشي نصف دبيب ونصف تسلق للوصول إليها. ما إن يصبح بداخلها حتى تصبح شبيهة بقبو خمور صغير لأنه لا يوجد أي ضوء طبيعي. كان هذا هو المكان الذي يؤمل من المضيفين السايبريين أن يستعملوه عندما يكونون "في استراحة" من أرضية المقهى.

في الطوابق الواقعة فوق أرضية المقهى كان ثمة مجموعتان من المكاتب. فعلى الطابق الأول، كان ثمة مجموعة من الغرف الصغيرة المتعنقدة حول مساحة استقبال صغيرة. هذه المكاتب كانت تضم طاقم العاملين (الإداريين) الذي كان ينظم جلسات التدريب على الشابكة، "الأحداث" (يجمع منصات المنتجات التي تؤجر، فضاء المقهى، مع أو بدون جلسات تمرين)، و "العلاقات العامة" وبعض أعضاء طاقم الدعم التقني المرتبطين بتجربة البث على الشبكة

webcasting . بالمقابل كان معظم الطاقم التقني (الشبكات والمنظومات) يعمل على الطابق العلوي من البناء، الذي كان لبعض الوقت أيضاً يؤمن فضاء لأجل مجلة الشابكة (مطبوعة)، وISP. توسعت الـ ISP في منتصف فترة العمل الميداني، معيدة توضيع المكون الإداري من طاقمه إلى المكاتب الواقعة على بعد ٢٠٠ ياردة أسفل الشارع. على مدى معظم وقتي هناك. كان الطابق العلوي مكرساً للخط الساخن و"منظومات" الدعم التقني الـ ISP، أولئك الذين كانوا يؤمنون الدعم التقني للمقهى والـ ISP. بين كل هذه المستويات من البناء كان ثمة درج واحد، تتفرع عنه المراحيض. فوق مكتب الطابق العلوي كان ثمة سقف، يستعمله الطاقم كمكان للانصراف من المستويات الأخرى. أثناء أشهر الصيف، كان يستعمل أثناء الاستراحات أكثر بكثير من غرفة الطاقم الرسمية في الأسفل. كنتيجة لذلك، في طريقهم صعوداً أو نزولاً على الدرج، كان المضيفون السايبريون غالباً يشاهدون ويتفاعلون مع المستويات الأخرى من تشكيلات المقهى التي ما كانوا ليواجهونها لولا ذلك لو أنهم انتقلوا فقط بين طابق المقهى والقبو.

كان الروتين اليومي لطابق المقهى يتركز حول ساعات الافتتاح للعامة. في معظم الأيام كان المقهى يبدأ الشغل في الساعة الحادية عشر صباحاً، رغم أن طاقم المكاتب على المستويات الأخرى والمنظف كانوا غالباً يتواجدون في المبنى في الساعة الثامنة والنصف صباحاً. في أحيان قليلة كانت "الأحداث" المشتركة تعني أن المقهى ينبغي أن يكون مستيقظاً وشغالاً في الساعة ٩ صباحاً. كان المضيفون السايبريون وطاقم الدعم التقني يعملون بنوبات (ورديات) متداخلة، إما "مبكرة" أو "متأخرة"، نظراً إلى أن المقهى كان يغلق في الساعة العاشرة مساءً. كان الكثيرون من الطواقم الأخرى يعملون من الساعة ٩-١٠ صباحاً وحتى الساعة ٨ مساءً على الأقل. وأنا أحاول أن أرى أكبر عدد ممكن من النشاطات المتنوعة، فقد أمضيت بشكل نموذجي ما بين ١٠ إلى ١٤ ساعة في

المقهى، لمدة ستة أو سبعة أيام في الأسبوع. لم يكن أمراً غير معتاد بالنسبة للطاقم، خصوصاً المضيفين السايبريين، أيضاً أن يقضوا وقتاً بعد الوردية في المقهى، في معظم الأحيان على الخط على آلة غير مشغولة. إن الساعات التي قضيتها في نتكافيه لم تكن خارج مجال المستخدم النظامي. لقد وزعت وقتي بين الطابق، حيث "تساعدت" مع الزبائن، والمستويات الأخرى من المقهى حيث دونت ملاحظاتي على حاسوبي النقال (الأقل تطفلاً من القلم والورق في هذا الجو) أثناء التحادث (الدردشة) مع أفراد الطاقم الآخرين. أثناء ساعات محددة من اليوم، وخصوصاً فيما بعد في إقامتي عندما أعيد تشكيل مكتب مدير المقهى، فقد شغلت طاولة مكتب على الطابق الأول من البناء، في نفس الغرفة كواحد من الموجهين وفريق التدريب. لقد أمضيت فترات من الزمن جالسة في الطابق العلوي مع طاقم الدعم التقني، وأصغي إلى عمل خط المساعدة. وأجريت أيضاً مقابلات مسجلة على أشرطة مع المدير والمضيفين السايبريين والطاقم التقني حول انطباعاتهم عن نتكافيه وخبراتهم الأخرى في الشابكة والحوسبة.

إن الأسلوب النموذجي الذي حصلت به اللقاءات بين الزبائن والمضيفين السايبريين والآلات في نتكافيه، كما لوحظ من مدوناتي المبكرة، كان كمايلي:

«يدخل الزبائن إلى المقهى عن طريق الباب فقط، يصعدون إلى طاولة المحاسبة حيث يحجزون على آلة. يدفعون مقابل وقتهم على الآلة بمقدار ٣٠ دقيقة مقابل ٢,٥٠ إسترليني (بأسعار مخفضة لأجل الطلاب). يُوجهون إلى آلة (مرقمة) أو إلى منضدة لينتظرو ريثما يصبح حاسوب شاغراً. حالما يصبحون على الآلة، بمكنهم أن يطلبوا المساعدة من المضيف السايبري الذي، عندما لا يقوم بخدمة الزبائن، يحوم حول الآلات أو طاولة المحاسبة. كل المضيفين السايبريين يرتدون قمصان تي التي تحمل اسم المقهى وهذه هي الكيفية التي يعرفون بها. إن اللباس الرمزي، الذي لا يُفرض بصرامة، يتطلب أيضاً سروالاً أسود أو جينز أسود. إذا طلب منهم أن يفعلوا ذلك يشجع

المضيفون السايبريون على مساعدة الزبائن في أية مشاكل حينما يكونون على الحواسيب، لكن التعارفات (الدخولات) إلى الشابكة (المعروفة باسم intro) لأجل المستخدمين تكون محددة رسمياً بخمس دقائق. يتم تعريف الآلة على الزبون إما عن طريق الإشارة في اتجاهه من طاولة المحاسبة أو، إذا كان ثمة دخول intro لعرضه يقوم المضيف السايبري بمرافقة الزبون إلى مقعده، ويقف إلى جانب الزبون ريثما يشرح الإجراءات الأساسية للبريد الالكتروني وجماعات الأخبار والشبكة والدردشة في الزمن الحقيقي real time chat. يشار إلى نهاية الوقت المشترى على الحاسوب من قبل المضيفين السايبريين الذين ينادون بالأسماء الأولى في الاتجاه العام للآلة التي خصصت للزبون. غالباً لأن الآلات تتعطل أو أن الزبون يطلب موقعاً مختلفاً، فإن المستخدم لا يكون على الآلة الأصلية. إن النداء إلى طابق المقهى يمكن الطاقم من تتبع هذه الحركة، التي تكون هامة خصيصاً إذا أراد الزبون أن يشتري مزيداً من الوقت. معظم الزبائن ينصرفون حالما يتم إنهاء زمن بلوغهم الشابكة)).

بروفيلات الزبائن:

في أحد أسابيعي الأخيرة في نتكافيه أجريت مسحاً للزبائن على مدى سبعة أيام، فقمت بجمع ٦٤٩ استبياناً. من هذه الاستبيانات تم توليد البروفيل العام التالي لزبائن نتكافيه. رغم أنه في معظم الفضاءات المسكونة بحواسيب عديدة متاحة لأجل الاستخدام العمومي (مثل مخابر الحواسيب، Turkle 1984) كان عدد الرجال يتفوق على عدد النساء بشكل غامر، فقد كانوا في نتكافيه يشكلون أقل من نصف الزبائن المجيبين على الاستبيان. كان نصف المجيبين فقط يعملون بدوام كامل أو جزئي، وهو رقم تفسره إلى حد كبير حقيقة أن ثلث القاعدة الإجمالية للزبائن، الظاهر من المسح، هم طلاب. كان البروفيل العمري للمجيبين يعكس أيضاً التعداد السكاني الطلابي: ٤١ بالمائة كانوا في الفئة العمرية ١٨-٢٤ سنة، و٣٧ بالمائة كانوا في الفئة ٢٥ - ٣٤ سنة. كان الزبائن

يمتلكون مستوى عالياً من التعليم، فأكثر من النصف في وقت المسح كانوا قد نالوا لتوهم نوعاً من التأهيل الجامعي. رغم أنه كان يبدو أنهم سكان محليون- فقد ذكر الثلثان أنهم يعيشون في لندن - فإن كثيراً من هؤلاء في الواقع كانوا زائرين لفترة قصيرة إلى العاصمة، وأكبر فئة يمكن تحديد هويتها في هذا الوضع هم الطلاب الأميركيون على البرامج الصيفية في المملكة المتحدة.

في ضوء نشاطات المقهى، كان نصف الزبائن قد دخل إلى المقهى للمرة الأولى وكان واحد من كل عشرة يستعمل الشابكة للمرة الأولى. إن أكثر من نصف الزبائن العائدين هم نظاميون عرفتهم بأنهم يدخلون إلى المقهى مرة واحدة في الأسبوع على الأقل. في أقصى هذا الطيف من الاستخدام، فإن ٣ بالمائة من المجيبين قد دخلوا إلى المقهى أكثر من مرة واحدة في اليوم. بالنسبة للغالبية، سواء كانوا قد استخدموها أم لا، فإن ثلاثة أرباع المجيبين قد امتلكوا إمكانية الوصول إلى الشابكة في أماكن أخرى، وإن واحداً من كل خمسة تقريباً كان له صفحة على الشبكة web-page سواء لأنفسهم أو مرتبطة بعمالتهم (شغلهم) أو مؤسستهم التعليمية. لقد كشف المسح عن الفصل المثير للاهتمام لنتكافيه عن حضورها على الخط. فالغالبية العظمى كانت قد سمعت عن نتكافيه من خلال الشائعة أو من خلال وسائل الإعلام المطبوعة التقليدية، بدلاً من أن يكون ذلك من خلال صفحاتهم على الشبكة أو حضور بثها على الشبكة.

إنه وقت العرض مرة أخرى: الجنوسة والعرض في نتكافيه:

تُصوَّر الشابكة في كثير من الأحيان بوصفها تجميعاً مشبوكاً عالمياً لوحدات رقمية: نص، وصور وصوت. لقد أنتج نتكافيه الشابكة كظاهرة محلية بالإضافة إلى كونها ظاهرة عالمية. بوصفها مكاناً لا رقمياً بالإضافة إلى كونها مكاناً رقمياً. لقد كشف إحساساً قوياً بالحضور الفيزيائي من خلال إظهار أرض المقهى كفضاء تحدث فيه الشابكة، الصيانة الدقيقة لتصميم داخلي وخارجي

"سايبري" مميز وإدارة أدوار الطاقم بوصفهم مضيفين سايبريين. اعتمد نتكافيه أيضاً بشكل هادف، مقومات البنى التحتية للندن وأعاد تشكيلها، وخصوصاً موسيقا النوادي الليلية المتميزة والأزياء.

في هذه الفقرة سوف أشرح هذه الممارسة لإبداع الشابكة من خلال المفاهيم التي طورها كرانغ Crang في عمله على الطبيعة الأدائية لعمالة المطاعم. رغم أن المطاعم تمثل مجموعة مختلفة نوعاً ما من المعايير الاجتماعية أكثر مما تمثل المقاهي، فإن تشديد كرانغ على بُعد العرض display في عمل المطاعم يتصادى بقوة مع الطريقة التي كان نتكافيه يعمل بها لخلق منتجه. لقد تم دمج الجنوسة في هذا المنتج من خلال تقديم عديم الرحمة (رغم أنه ليس متعمداً أو علنياً بشكل منتظم) للآلات بالارتباط مع الجنوسة والفضاءات المجنوسة. في بعض الأحيان كان يبدو أن الجنوسة مربوطة بإحكام بالفرز التقليدي للواجبات الروتينية التي يمكن أن تكون قد حصلت في أي مكان عمل ذي توجه خدمي، بدلاً من أن تشكل تمفصلاً واعياً بين الجنوسة والتكنولوجيا فريداً بالنسبة إلى نتكافيه. مع ذلك فإن هذا العمل الخدمي كان مكملاً لمشهد الترجمة لمقهى الشابكة. في نهاية المطاف لا يمكن عزله عن إنتاج الجنوسة وشبكات الآلات.

تتحدث مقالة كرانغ، "حان وقت العرض: حول جغرافيات عرض مكان العمل في مطعم في جنوب شرقي انكلترا"، حول فترة مطولة من المراقبة المشاركة في "سموكي جوز"، وهو واحد من سلسلة مطاعم كانت تؤكد على تناول الغداء بوصفه حدثاً، أو حتى خبرة مسرحية. إن العبارة التي تأسر هذه الدعوة إلى الأداء، "حان وقت العرض" قد ظهرت في الكتاب الدليلي لطاقم العاملين الذي يفصل أدوار ومسؤوليات المستَخْدمين. يشير كرانغ إلى أن المطعم كان يتميز بالحضور المشترك للإنتاج وإلى شكل بعينه من الاستهلاك (P.696). وفي نتكافيه أثبتت جغرافيات عرض مكان العمل أيضاً هذا الحضور المشترك. فالمقهى لم ينتج فقط نوعاً بعينه من خبرة المستهلك/ المنتج المتصلة

بالحواسيب، بل أنتج أيضاً خبرة حول الجنوسة. في تحليله يرى كرانغ أن جغرافيات عرض مكان العمل الموجهة إلى مرتادي المطاعم كانت تعمل من خلال ستة محاور متبادلة التحديد لعلاقات الاستهلاك الاجتماعية - المكانية".
في نتكافيه فإن المنطق السيروري لمشهد الترجمة يمكن أيضاً توصيفه بأنه يعمل من خلال العلاقات الاجتماعية المكانية للاستهلاك وإعادة الإنتاج. يمكن إيجاد كل واحدة من العلاقات الاجتماعية المكانية" لكرانغ في الأجواء المحيطة بنتكافيه: تخيلات الأطر التفاعلية؛ الهياكل المكانية للأطر التفاعلية؛ أشكال الاتصال؛ الروح الجماعية للمنتج؛ علاقات التنظيم والسلطة؛ سياسة الهوية. إن كل مجموعة من هذه العلاقات يمكن استعمالها لشرح الطريقة التي تم بها إنتاج الجنوسة وتمثيلها واستهلاكها في هذا الموقع.

تخيلات الأطر التفاعلية:

لقد وجد نتكافيه مقهى الانترنت ليس فقط كمكان فيزيائي تتحقق فيه اللقاءات مع الشابكة، بل أيضاً كنتيجة للجغرافيات التخيلية في أذهان المدراء، والعاملين والزبائن. رغم أنه كان ثمة رؤية قوية من الموجهين مفادها أن المقهى هو مكان لا تقرر فيه الجنوسة نوع المنتج الذي يُستهلك، فإن رسالة "حرية الوصول المتكافئة" أثناء الكثير من النشاطات على أرضية المقهى كانت ممارسات "فعل الجنوسة" بالتوازي مع فعل التقانة هي ممارسات معقدة. إن تخيلات الأطر التفاعلية، كما يشير كرانغ، هي هامة ليس فقط لأجل المجازات الجغرافية التي تقوم عليها وتولدها، بل أيضاً لأجل الدور الذي تلعبه في ضبط الممارسات الاجتماعية.

كان الفضاء الذي حاولت الإدارة وطاقم العاملين أن تنشئه كمكان تشجع فيه النساء على تصور صلة بالآلات ينحو إلى الإفساد من قبل الزبائن أنفسهم، وإلى درجة أقل من قبل الذين يواجهون المضيفين السايبريين. فالزبائن كانوا يميلون إلى إعادة نقش أدوار محددة عندما يواجهون المضيفين السايبريين. وكان

هؤلاء الأخيرون يعلقون غالباً على الطريقة التي يتوقع من المضيفات السايبريات، بغض النظر عن جنس الزبون، أن يقدمن بها القهوة، ومن المضيفين أن يساعدوا بالآلات. في عدة مقابلات علق المضيفون السايبريون على هذا بوصفه ممارسة تقطع سيرورة شغل المقهى: فكل أفراد طاقم الطابق كانوا قابلين للتبادل فيما بينهم نظرياً، ولم يكن ثمة تقسيم للعمل قائم على صنع القهوة أو على مهارات الحاسوب التخصصية. فقد عبر أحدهم عن الإحباط من أن الزبائن لا يتفهمون أنهم " لا يجدون مضيفهم السايبري الخاص بهم". فهم لم يكن يتوقع منهم أن يختاروا مضيفاً سايبرياً على أساس الجنوسة (أو على أي أساس آخر). أثناء مشاركتي هناك، كانت المضيفات على العموم يقضين فترة عمل في نتكافيه أطول من نظرائهن الذكور، لكنهن يمتلكن خبرة أكبر في حل المشاكل التقنية. إن سخرية الزبائن الذين يحاولون أن يقيموا تحالفات بين المضيفين السايبريين والآلات لم تنسحب على أولئك الذين كان عليهم أن يترجموا الآلات على أساس يومي.

كان المضيفون السايبريون يتحدثون، فيما بينهم، حول ظلم المعاملة المجنوسة، لكن كان من الصعب إعكاسه نظراً لمعايير الخدمة المهذبة التي تعتبر ملائمة في المقهى. في أحيان قليلة، كان المضيفون الذكور يبدون بشكل متعمد أنهم غير متاحين عندما يشير الزبون طلباً للمساعدة، ولذلك يفرضون التعامل مع مضيفة سايبرية. ذات يوم سأل زبون ذكر مضيفة سايبرية، كانت لوحدها عند طاولة المحاسبة، سؤالاً تقنياً حول قدرات الآلة. عندما كانت تجيب وصل مضيف سايبري ذكر ليتفقد حجوزات الآلات، فكرر الزبون السؤال كلمة كلمة للواصل الجديد. فأشار المضيف السايبري الذكر بصرامة إلى أن هذا السؤال قد أجابت عليه زميلته للتو. مع ذلك فإن هذا النوع من العمل كان ينظر إليه على أنه محفوف بالمخاطر ولم يكن هو المعيار بين طاقم العاملين.

البنى المكانية للأطر التفاعلية:

كانت البنى المكانية لنتكافيه متضافرة مع الطرق التي يعمل بها كمشهد للترجمة وكمكان لأجل اللقاءات. رغم أن طابق المقهى كان موقعاً للقاءات العامة، فإن الشغل ككل قد جعل ممكناً عن طريق التفاعل والتعاون من قبل طاقم العاملين على كل المستويات الأخرى من البناء. بالنظر إلى نتكافيه في مجمله، كان التقسيم المجنوس للعمل في إنتاج المشهد ظاهراً إلى حد أكبر مما لو أنني ركزت ملاحظاتي على طابق المقهى لوحده. بهذه الطريقة أظهرت البنية المكانية للبناء الأنواع المختلفة من الاستخدام (العمالة) التي تحصل على كل مستوى على حدة. فالسلم بين الطابقين أصبح موقع تفاعل رئيسياً لأجل طاقم العاملين وبالأخص الطريقة التي يجري بها التفاوض على منتجات مشهد الترجمة ويعاد تنقيتها بعيداً عن أنظار العامة.

كانت هذه الترتيبات المكانية أيضاً تقطع المحاولات لتشجيع الحيادية الجنوسية حول الآلات. وهذا ما كشفه التباين بين مساحتي طابق المقهى والطابق الأول والطابق العلوي من البناء حيث يقع مديرو الدعم التقني والنظم. وسط عملي الميداني التقت بي بالصدفة إحدى المضيفات السايبريات عندما هبطت الدرج من فترة قضيتها على الطابق العلوي. جعدت أنفها بقرف تهكمي وأخبرتني أنها تتحاشى الذهاب إلى الطابق العلوي لأنه "مثل مبولة الرجال". كانت مساحة الطابق العلوي في الواقع مأهولة في معظمها بالرجال. في منطقة الدعم التقني، حيث كان كل المستخدمين ذكوراً باستثناء واحد، فكان كل فرد من الطاقم يجلس إلى قطاع من مقعد طويل إلى جانب حاسوب وهاتف. حول الحواسيب كانت تقبع المفكرات، لفافات الطعام السريع، دلائل التشغيل، الروايات (الخيال العلمي عادة) وأشياء صغيرة مثل الحيوانات البلاستيكية لأجل التمثيلات. تحت طاولات الحواسيب كانت قدماي تجدان في بعض الأحيان قطعاً مطروحة من اللوحات الأم motherboards وسواقات الأقراص disc drives وكتلاً متشابكة

من الكبلات. حتى رغم أن مجموعة الدعم التقني كانت تعمل كفريق عالي الكفاءة عند الطلب لأجل حل المشاكل فإن المضيفين السايبريين عموماً كانوا يتصورون الطريقة التي كانت ترتب بها النتاجات الصنعية على الطابق العلوي بوصفها "الخبطة"، وكانوا ينأون بأنفسهم عن الدعم التقني "الحقير" عن طريق مغايرة قمصانهم نتكافيه التائية "الأبرد". مع ذلك كانوا يعرفون أن عمليات طابق المقهى معتمدة على مشيئة الدعم التقني للطابق العلوي للرد فوراً إذا كان ثمة فشل في المنظومة وهكذا كانوا بشكل عام يحتفظون بآرائهم لأنفسهم. ومع ذلك كانت الذكورة ممثلة على الطابق العلوي بوصفها "الخبطة" ومتفوقة تقنياً.

أشكال الاتصال:

لقد أثرت أشكال الاتصال التي كان نتكافيه ينتج بواسطتها اللقاءات أيضاً بشكل حاسم على الطريقة التي كانت تستهلك بها المنتجات، كما يقترح كرانغ لأجل سموكي جوز. إذ كان مجال الطرق التي يمكن أن يحصل بها الاتصال في نتكافيه يتضمن تشكيلة واسعة من أشكال الاحتكاك وجهاً لوجه بين طاقم العاملين والزبائن والآلات، بالإضافة إلى التفاعل مع المشاهد على الشابكة التي يمكن فيها أن يأخذ الاتصال شكل التبادل النصي و، لفترة قصيرة أثناء إقامتي، شكل فيديو حي لبث المقهى على الشبكة.

لعب فريق العلاقات العامة (PR) الدور الأهم في تقديم المقهى كظاهرة محلية وعالمية، وشكل هكذا بحد ذاته شكلاً من الاتصال المؤثر على علاقات الاستهلاك الاجتماعية المكانية.

كانت العلاقات العامة (PR) ناجحة إلى أقصى درجة في إعادة التشكيل بشكل ثابت لتاريخ المقهى في التقديمات الإعلامية وخصوصاً من خلال صور مؤسِّسَتَيْه. فقد تم تصوير المرأتين فوتوغرافياً في المجلات النسائية الصقيلة وهما ترتديان ملابس "سايبرية" Cyber، ونشرت صورهما في عدة مجلات

حاسوبية ومجلات تقانة الحوسبة الموجهة إلى عامة الناس. علقت إحدى النساء لي بقولها إنهم من خلال هذه الدعاية يجعلون الشابكة جذابة للتصوير الضوئي photogenic. كشف الكثير من لقطات الدعاية في مجلدات سجلات العلاقات العامة كيف أن وسائل الإعلام نجحت بسهولة في نقش صورة نتكافيه مؤنثة بوصفها الجانب "الاجتماعي" من الحوسبة وذلك بتصوير النساء وهن يحملن فناجين القهوة قرب الحواسيب. في المقابل كان المشرفون التقنيون ينحون إلى أن يتم تصويرهم وهم في تماس جسدي مع الآلة، وهم يلمسون الفأرة (الماوس) عادة. نظمت العلاقات العامة أيضاً بضعة أحداث كان فيها Cyber vibe لنتكافيه مجسداً ضمن منتج صنعي: منحوتة لشفتين حمراوين تمسكان فيما بينهما قرص حاسوب. هذا الاختيار لجزء من الجسد (الشفتين) الذي جُعل مؤنثاً (صقيل أحمر ساطع) موصولاً بجزء من جسم آلة (القرص) قد استعمل كتذكار للمكافآت التي يمنحها المقهى وكشعار logo في الزخرفة الداخلية.

الروح الشعبية للمنتَج:

بما أن تخيلات الأطر التفاعلية لم تكن دوماً مشتركة بين كل مشتركي نتكافيه، فقد كانت الطريقة التي يعرف بها المنتَج هي نفسها حصيلة صراعات بين التمثيلات المختلفة للموضوعات والأشخاص والممارسات. كما يذكرنا كرانغ، في أي لقاء يباع فيه منتج أو يُبادل ثمة تعريفات متنازع عليها سياسياً للمنتج الذي يجري تقديمه.

كان المنتَج، على الأقل في أنظار المشرفين، خبرة موسَّلة بحاسوب و/أو تغذية حيث كان غياب الجنوسة كسوق جزءاً مكوناً. مع ذلك فقد استُعملت الجنوسة أيضاً كمورد لأجل العلاقات العامة التي أنتجت صوراً للنساء والآلات كمصيدة لأجل الدعاية. كما اقترحت أعلاه فإن هدف المشرفين أيضاً قد تعقد بفعل الممارسات اليومية لـ"فعل الجنوسة" الناجم عن تخيلات الزبائن. مع

ذلك فإن جزءاً من السبب في أن معظم المضيفين السايبريين تقدموا بطلبات من أجل العمل في نتكافيه هو أنه لم يقدم نفسه كمقهى تقليدي أو كمألف [مِظَنّ] "nerd" حاسوبي. بالأحرى كان موقعاً ثقافياً ذا منزلة أكبر نسبياً من المقهى الشائع، والذي ينتج cyber vibe حوسبة يتضمن تخيل المرء لذاته بوصفه مرتبطاً بموقع رئيسي ستحدث فيه تطورات الشابكة والوسائل المتعددة multimedia بغض النظر عن الجنوسة. لقد رأى المضيفون السايبريون أنفسهم كمنتجين وحراساً (قيّمين) على هذا الـ cyber vibe من خلال مظهرهم الجسدي ومن خلال المشاهد الصوتية التي سهلوها من خلال منظومات الموسيقا ومن خلال معرفتهم المحلية "بمجريات" لندن الأخرى، وخصوصاً مشاهد موسيقا "التكنو" والدرم إن باص. بهذه الطريقة جسد المنتَج الفرضيات حول جنوسات لندن المحلية والخبرات بها بقدر ما جسد الفرضيات حول التكنولوجيا.

العلاقات التنظيمية والسلطوية:

إن كثيراً من علاقات السلطة في نتكافيه أمكن إسقاطها مباشرة على البنى المكانية (الفضائية) للمبنى. فالمشرفون وطاقم المراتب الوسطى كانوا فيزيائياً "فوق" أولئك الذين تحت إشرافهم. فلو أن مضيفاً سايبرياً قد "صعد إلى الطابق العلوي" فقد كان هذا يعني عادة أنه ذهب ليرى شخصاً أعلى في سلم الراتب والمنزلة والسلطة.

رغم أنه كان من الممكن دخول مكاتب الطابق الأعلى عبر باب جانبي يؤدي إلى المبنى، فإن معظم الطاقم الذي كان عمله يمس بشكل مباشر السير اليومي للمقهى يصل إلى السلم سيراً عبر المقهى نفسه. حتى عندما كان المقهى خالياً نسبياً من الزبائن الدافعين للمال كان ذلك يعطي الانطباع بأن الموقع يمور بالحركة، عندما كان أفراد الطاقم يتوقفون من أجل دردشة مع الزملاء أو يجتمعون على الكابوتشينو للانتقال إلى الطابق الأعلى. من ناحية أخرى،

فإن الطاقم التقني وكثيراً من الذين يعملون على الطابق العلوي كانوا يفضلون المدخل الجانبي إلى المبنى، متحاشين بذلك أن يُرو (أو أن يُرى) من قبل الذين يتفاعلون على طابق المقهى. لما كان طاقم الطابق العلوي مذكراً بشكل غالب، فإن تدفق الأشخاص قد أفرط في تمثيل عدد الطاقم الأنثوي في المبنى والتداول حول المقهى. بهذه الطريقة أصبحت العلاقات التنظيمية والسلطوية جزءاً من جغرافيات العرض وعلاقات الاستهلاك الاجتماعية - المكانية عندما كانت تُظهر أو تخفي الممارسات الجنوسية (أو تخيلات تلك الممارسات) التي كانت تؤلف نتكافيه. كان أحد مظاهر العمل الأنثوي الذي كان محجوباً هو التنظيف الصباحي المبكر. فالمنظفة، المستخدَم الوحيد الذي لم يكن له عنوان بريد الكتروني، لعبت دوراً حاسماً في الترجمة المرئية للآلات إلى شكل عملي عندما سُكب الطعام والشراب. فقد كانت تبلغ أيضاً عن حالة الفوضى النسبية على مختلف مستويات المبنى وتنقل رسائل ومشاهدات الطاقم الذين كانوا مطلوبين على طوابق أخرى.

سياسة الهوية:

كما هو واضح في الفقرات السابقة، فإن التفاعلات في نتكافيه مقيدة بهويات المشاركين. لقد أوجدت الآلات سمعات فردية لأجل العمل أو الكينونة "مريضاً"/ "صعباً". فقد نجح المضيفون السايبريون في خلق جو من المشاركة المتنوعة نظراً إلى أنهم، كجماعة، كانوا ينتمون إلى ثقافات قومية كثيرة: مكسيكية، إيطالية، فرنسية، إسبانية، قبرصية، بريطانية وأميركية. كانت هويات الزبائن يشار إليها عندما كان المضيفون السايبريون ينادون أسماءهم في نهاية وقتهم المخصص لهم. بعض الزبائن أيضاً يصبحون معروفين بأنهم "نظاميون" regulars، ما يبدل الطريقة التي يسير بها اللقاء. فالنظاميون من غير المحتمل أن يحتاجوا ترجمة صريحة للمنتج، ومن المحتمل أكثر أن يستهلكوا

الطعام والشراب، فيما هم يترددون، مع المضيفين السايبريين على طابق المقهى. وفي أحيان كثيرة كان النظاميون يمتلكون خبرة حاسوبية معتبرة ويصبحون عوناً قديراً لأجل مضيف سايبري يتعامل مع سؤال صعب من زبون. إن أياً من الهويات المجندة في نتكافيه لم تكن منيعة على إعادة التموقع reposition هذه في علاقتها ببعضها البعض.

إن عدداً كبيراً من الطرق التي ظهرت بها الهويات في تفاعلات نتكافيه إنما كان من خلال اللجوء إلى الممارسة والخطاب المجنوسين. وإن كثيراً من ذلك قد تم إحياؤه من قبل أفراد طاقم المقهى أنفسهم، لكن الطريقة التي أمكن بها استعمال الفئة "نساء" استراتيجياً لأجل الربح قد تذبذبت مع مرور الزمن. فعندما افتتحت نتكافيه لأول مرة أُنجز الكثير في التغطية الصحفية وفي المقهى نفسه من تدريبات النساء فقط التي جرى عرضها. في البداية كانت هذه التدريبات كاملة، لكن بعد عام أوقفت، كما أخبرني مدير التدريب، "بسبب انعدام الاهتمام". أصبحت "النساء" ممثّلات في أجساد المضيفين السايبريين وفي المنتجات الصنعية (على شكل) «شفاه». فقد استمرت مطالبة المشرفات بأن يشاركن بآرائهن حول النساء والتكنولوجيا في أحداث حول العالم، وكانت التدريبات الخاصة تجري عندما كانت جماعة النساء تربطن بقضية ذات أهمية خاصة لهن. منذ فترة عملي الميداني افتتحت أمسية نسائية مرة في الأسبوع في نتكافيه، حيث تقوم DJ نادي سحاقي باختلاق تسلسلات الأحداث في حين تكون الحواسيب متاحة لأجل الاستعمال. تعلن نشرة الدعاية لأجل الأمسية عن "حلويات وألعاب لأجل الفتيات". هذا الحدث تصورته ونظمته إحدى المضيفات السايبريات، التي لاحظت انعدام الزبائن في تلك الليلة من الأسبوع. ولقد كان نجاحاً كبيراً في جلب الزبائن الدافعين للمال إلى نتكافيه في أوقات اللاذروة off-peak، وكذلك في إعادة تعريف المقهى بوصفه مكاناً تحدث فيه الأحداث العامة مع زبائن إناث بشكل غالب. علاوة على ذلك فقد خلق فضاء في نتكافيه تكون

فيه الجنسانية السحاقية ممكنة التعبير عنها بالارتباط مع المشهد الموسيقي لنادي لندن والتكنولوجيا، خالقة مثالاً على الشذوذ السايبري "Cyber queer".

تأملات في الأجساد والجنوسة ومشاهد الحوسبة:

في نتكافيه، يبدو أن تمثيلات الجنوسة تُنْجز جزئياً على الأقل من خلال "إعمال" التكنولوجيا. مع ذلك فإن التكنولوجيا لا يمكن مساواتها بالحواسيب لوحدها. بالأحرى يمكننا أن نستذكر رأي أورمرد القائل بأن التكنولوجيا يتم تكوينها عن طريق الممارسات الاستطرادية وتحالفات المواد والمعاني. في نتكافيه تقوم الحواسيب بوظيفتها عبر شبكات العلاقات الاجتماعية التي تجمع المشاركين المتفرقين من عدة مستويات من المبنى، بعبارة أخرى، تتجاوز التكنولوجيا تخوم الآلات. إنها تتغلغل في الـ"Cyber Vibe"، التفاعلات بين المضيفين السايبريين والزبائن، وحتى الأسماء المعطاة للمنتجات الأخرى في المقهى (Cyber salad على سبيل المثال). أحد منجزات نتكافيه كمشهد ترجمة للحوسبة هو أنه يمكن المشاركين من بعثرة التمثيلات الاستطرادية للشابكة، و"السايبر" cyber وشبكات الحاسوب العالمية على طيف من اللقاءات والمنتجات الصنعية التي لم يتم تمييزها سابقاً بسبب تحالفها مع التكنولوجي. إن سيرورات مشاهد ترجمة الحوسبة هي طريقة لإعمال الشابكة وطريقة لإعمال الجنوسة. في هذه الفقرة سأعيد ربط لقى عملي الميداني في نتكافيه بالعمل السابق عن المشاهد على الشابكة بالعودة إلى الطريقة التي يستحضر بها الجسد المجنوس. إن إطار تفكيري هو إلحاح آدم على أن ربط التجسيد والمنظومات التكنولوجية يجب أن يؤخذ على محمل الجد من قبل المنظرين النسويين والنقاد ذوي الصلة بهم. إذا كانت مسألة التجسيد بالنسبة للنظرية النسوية تقوم على دور الجسد في إنتاج المعرفة، ويتفق آدم مع منظرين كثيرين على أن هذا هو الحال، عندئذ تصبح المهمة هنا هي إظهار أنواع الأجساد التي تسكن نتكافيه وتحديد أيها الذي ينتج (أو ممنوع عن الإنتاج). إن العودة إلى الأجساد، كما سأبين، تعيد في الحقيقة البؤرة إلى الوراء إلى مجازات المكانية التي بدأت بها مناقشتي للنتكافيه.

وتشكل مجموعة من الأجساد التي تنتج المعارف عن طريق السيرورات التي تمازج بشكل واع الجسد المجنوس مع تمثيلات المنتجات الصنعية والخطابات التكنولوجية. في نتكافيه يمكن الحديث عن ثلاثة أمثلة على هذا الامتزاج. أولاً، كانت أجساد المضيفين السايبريين تُستعمل لعرض التعريفات المتنافسة للمنتج. فالمضيفون السايبريون تم تقسيمهم من قبل الإدارة إلى طبقات على قاعدة كم كانوا "سايبريين"، وهذا أصبح ظاهراً عندما تم اختيار الأكثر "سايبرية" من الطاقم لكي يُصوّر مزيناً بالسلع الجديدة مثل قمصان تي التي تحمل شعار نتكافيه. في هذا المثال أُضفيت منزلة "سايبر" بحقيقة أن المرأة قيد الدراسة كانت لها جدائل خضراء طويلة وبضعة وخزات جسد مرئية غير تقليدية. كشفت معاينة طريقة استعمال أجساد طاقم العاملين لتشجيع نتكافيه (وهي ممارسة كان لهم قدر مشكوك فيه من قدرة التفاوض عليها) أنه في كل الحالات عدا واحدة كانت النساء هن اللواتي تم اختيارهن لعرض السلع. هذه النزعة شجعتها جزئياً شعبية قميص تي المحكم الالتصاق بالجسم الذي كانت السوق المتوقعة لأجله هي أنثوية حصراً، بدلاً من قميص تي التقليدي الأحادي الجنس. ثانياً، استعمل جسد مشرفتين لخلق المعارف حول الجنوسة والتكنولوجيا التي تم تصديرها إلى صفحات المجلات الصقيلة كما أشرنا في الفقرة السابقة. صارت أجساد هؤلاء المشرفين ترمز إلى نتكافيه وبطريقة محددة أكثر، إلى الشابكة. لقد حاولت الصور الوجهية النصفية (البورتريه) أن تصور مزيجاً من الأجساد المجنوسة الممثلة مع ملابس "تكنو" وركية. مع ذلك، فإن الفرصة لأجل هؤلاء النساء ليخلقن تعريفهن الخاص لعلاقتهن المجسدة مع الجنوسة بقيت خارج لقطات الموضة حيث كانت الملابس والمكياج والموقع والوقفة تقررها تقاليد المجلة بدلاً من اختياراتهن الخاصة. ثالثاً، في تمثيل الشفتين اللتين تمسكان قرص الفلوبي يُدمج تمثيل مؤسلب للجنوسة بشكل هادف بشيء هو كناية عن الحاسوب. هذا التمثيل يمثل صهراً لأجزاء الجسد، لذلك أساويه بالمثالين الأولين مع بعض التردد. مع

ذلك فإن أجزاء الجسد هذه تبدو أنها تولد معارف متشابهة بالربط الذي لا مفر منه للنساء والتكنولوجيا (رغم أنني لم أنجح أبداً في التحقق مما إذا كان المصمم قد تفكر فيما إذا كانت الشفتان تأكلان القرص أم أنهما كانتا تبصقانه). إن حقيقة أن التمثيلات تم تقديمها ككنايات عن النساء في الوسائل المتعددة قد تشير إلى أن الصورة كان المقصود بها أيضاً أن تكون مفهومة خارج المنظومة السيميائية الداخلية للمقهى.

بالعودة إلى الأدب القائم حول الجنوسة والمشاهد على الشابكة يتضح أن الأجساد أيضاً تظهر في التداولات من الدرجة التي يكون فيها الحضور الجسدي هاماً في هذه الفضاءات. ومع ذلك، تنحو أنواع الأجساد التي تظهر في مناقشات المشاهد على الشابكة إلى أن تكون محصورة بالأداء اللغوي أو التمثيلات ذات التداول المحدود خارج الفضاءات التي خلقت منها. تتجلى المعارف التي تنتجها هذه الأجساد من خلال طريقة "إعمال" الجنوسة (بشكل غالب عبر المدخل النصي) التي لا يمكن مساواتها بسهولة مع تلك التي تصادف بين الأجساد في نتكافيه. ضمن نتكافيه، على الأقل في الأمثلة الثلاثة المسرودة المذكورة أعلاه، يكون من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، تجنب ربط أجساد النساء بالوقائع اليومية المادية البيواجتماعية للكينونة أنثى والمعارف المنتجة عن طريق المرور بتجربة هذه الوقائع. كما شرحنا في الفقرة السابقة، مهما كانت طبعة رسالة المقهى أو الـ cyber vibe منتحلة لأجل الاستعمال الخاص للمضيفين السايبريين فقد كانت أيضاً عرضة للمقاطعة من قبل الزبائن الذين كانوا يعيدون نقش مفاهيم الجنوسة والمهارة على بعض الأجساد دون غيرها في مسار تفاعلاتهم. بالطبع، إن لكل مستخدمي المشاهد على الخط وقائع مادية/ بيواجتماعية، مالم تكن محاكيات "bot" (روبوتية) ضمن البرمجيات، ومع ذلك فإن أجسادهم تصور في معظم الروايات الحالية بطريقة تحجب دور الجسد المجنوس في إنتاج المعارف خارج دور المشاهد على الشابكة. وهذا بشكل واضح هو الحال في بعض التنبؤات المستقبلية حول الهروب من الحضور الفيزيائي، لكنه جلي أيضاً في الأبحاث

اللاحقة التي لم "تتقضَّ" السيرورة التي تصبح بها الجنوسة "الافتراضية" حقيقية والعكس بالعكس.

الطريقة الأخرى لشرح هذه النقطة هي وصف الوسائل البديلة التي كانت بها الأجساد منتجةللمعرفة في نتكافيه. في هذا الموقع كانت الأجساد أيضاً تصنّع المعرفة في سياق **حركتها من خلال** الفضاءات الفيزيائية للمقهى بالإضافة إلى المشاهد على الشابكة التي يمكن الوصول إليها هناك. تنتج الأجساد في الحركة روايات انتقالاتها وتدمجها عندما تواجه مواد وخطابات في مشهد الترجمة. كان الزبائن يسيرون حول طابق المقهى متفاعلين مع كل من الآلات والمضيفين السايبريين، مستهلكين الآلات والطعام، وهم يجربون الديكور والموسيقا ويسمعون تاريخ نتكافيه. في هذه السيرورة كانوا يولدون القصص عن كيفية إعمال الجنوسة والشابكة من خلال الأجساد النقالة. كان المضيفون السايبريون وأفراد الطاقم الآخرين أيضاً يتنقلون عبر المبنى، خالقين أوصافاً لمستويات عمليات المقهى بلغة الجنوسة والخبرة التكنولوجية، بما في ذلك بناء نمط الذكورة على الطابق العلوي بين طاقم الدعم التقني. إن الانتقال الجسدي للمشرفات بين نتكافيه والساحات العامة الأخرى قد تم دمجه في معاني إعمال التكنولوجيا في المقهى. عندما كان الاهتمام الإعلامي بالمقهى في ذروته، كان امتلاك أجساد قابلة للنقل، تمثل النساء والحوسبة، حاسماً في الطريقة التي كان بها المقهى قادراً على أن يصبح مشهد ترجمة مربحاً للحوسبة بدون امتلاك ميزانية دعاية ضخمة. أخيراً، كانت أجساد الآلات (أو أجزاء جسدها) تُحمل حول المبنى وخصوصاً بين الطابقين اللذين كان الإصلاح يُجرى عليهما، عندما كانت الآلات تدور، كذلك كانت المعاني المجنوسة تخلق حول من سيركب حاسوباً معطلاً وحول من كان يحتاج لأن يتملق أو يتزلف للقيام بذلك. كانت إدامة مقاربة للعرفان مبالغ فيها حاسمة عندما كانت الحاجة لأجل أولئك الذين لديهم معرفة شبكية حاسوبية مفصلة في قمة إلحاحها: في المعارض والتدريبات خارج الموقع كانت الآلات ترتحل لتشارك في مثل هذه النشاطات في ذروة المخاطرة بتعليق صورة نتكافية

كمشهد ترجمة للحوسبة بعدم القيام بالوظيفة إطلاقاً، أو، بشكل عام أكثر، بـ"شبه" عمل (على سبيل المثال، الحصول على وصل الشابكة بطيء جداً، أو بعرض وصلات ويب مقطوعة).

في الختام أود أن أقترح أن صياغة الأجساد بوصفها مرتحلة ضمن نتكافيه يعيد توجيهنا إلى منفعة المجازات المكانية وإلى مشاهد الحوسبة كطرق للتركيز على جغرافيات مادية وتخيلية محددة. لأجل دراسة الجنوسة في العلاقة بالتكنولوجيا يبدو من الملائم بشكل خاص أن نتبع الأجساد المادية البيو-اجتماعية لكي نتوصل إلى فهم كيف يمكن ممايزة الجنوسة عن التكنولوجيا في مشاهد الحوسبة كما هي ظاهرة في نتكافيه. قد يكون من المثمر أيضاً أن نتبع الأجساد المادية/ البيو اجتماعية في مشاهد الحوسبة حيث يكون أقل وضوحاً للقيام بذلك، كما المشاهد على الشابكة. هذه المقاربة تقر بتوصية أورمرد أن السوسيولوجيا النسوية للتكنولوجيا يجب أن تبتعد عن المقاربات التي تعزل التكنولوجيا عن العلاقات الاجتماعية البطريركية ما لم يكن المرء مشاركاً في التشكيل الاجتماعي للآخر. في نتكافيه، بأخذ طيف المواد والمعاني التي كانت تستعمل على محمل الجد، فقد وجد أن تداخلاً معقداً من التمثيلات والخبرات المجنوسة لا يمكن استيعابه في العنوان القديم للتكنولوجيا بوصفها ذكورية بشكل متأصل. بالأحرى، كما كشفت نشاطات نتكافيه اليوم، فقد تُرجمت الشابكة بوصفها مكاناً تشكل فيه التحالفات الجديدة لأجل الجنوسة في نفس الوقت الذي تم فيه كسر هذه التحالفات عن طريق الأنماط المقولبة القديمة التي غالباً ما تفهم من خلالها الجنوسة والتكنولوجيا. هذه التحالفات وانقطاعاتها كانت معتمدة على الثقافات المحلية للمكان والفضاء بقدر ما كانت معتمدة على مشاهد الحوسبة.

كلمات شكر:

أود بشكل خاص أن أشكر باميلا غيورغي، توم دلف - جانيوريك وساشا روزنيل لأجل القراءة والتعليق على المسودات الأولى لهذه الورقة.

هوامش

(١) إنني استعمل مصطلح "مشهد" landscape للإشارة إلى مجموعة من الفضاءات والتمثيلات التي تؤلفها، والتي تعيد في الوقت نفسه بشكل ثابت إنتاج، السمات الهامة في العالم الثقافي للحوسبة والشابكة.

(٢) كما يلاحظ ستون Stone (١٩٨١)، فإن الرغبة في التجاوز ذاتها تُحدد اجتماعياً: "النسيان حول الجسد هو حيلة ديكارتية قديمة، حيلة ذات تبعات غير سارة لأجل تلك الأجساد التي يتم إسكات كلامها بفعل نسياننا—عادة النساء والأقليات" (١١٣ : ١٩٩١).

(٣) على سبيل المثال، أولئك الذين ينون مشاهد الشابكة هم غالباً أولئك الذين يسكنون المشاهد التخصصية للآلة. مع ذلك فإن الطرق التي تدخل بها الفرضيات الاجتماعية لهذا المجموع السكاني في بناء البرمجيات والزبائن يتم تجاهلها غالباً أو ينظر إليها على أنها عديمة الصلة بهؤلاء المبرمجين انفسهم (Mc Donough).

(٤) لا يسمح لي المجال بأن ألخص هنا البحث الموسع الذي يندرج تحت مصطلحي "المشاهد التخصصية للآلة". فضاءات مبرمجي الحاسوب وعلماء الحاسوب الآخرين وأخصائيي شبكات الحاسوب والمنظومات وعمال الدعم التقني وغيرهم اللصيقين بالآلة (CF. Vllman 1996). هذا موضوع أعمال مكتوبة أخرى.

(٥) رغم أن برنامج ESRC الجديد حول "المجتمع الافتراضي"؟ (http://www.esrc.ac.UR) يتضمن مشاريع تأخذ الموقع على محمل الجد، مثال ذلك "السياق الاجتماعي لمانشستر الافتراضية"

(DrP. Harvey, Dr S. F. Green and Dr J. Agar, University of ManChester)

(٦) يعرف بافل كورتيس، مطور MUD مبكر، الـ MUD بالمصطلحات التالية: "الـ MUD هو برنامج برمجيات software يقبل "التوصيلات" من مستخدمين متعددين عبر نوع ما من الشبكة (مثال ذلك خطوط الهاتف أو الشابكة) ويؤمن لكل مستخدم على حدة إمكانية الوصول إلى قاعدة بيانات مشتركة من "الغرف" (rooms) و "المخارج" (exits) والموضوعات الأخرى. فكل مستخدم يتصفح ويتلاعب بقاعدة البيانات هذه من "داخل" (inside) إحدى هذه

الغرف، إذ لا يرى سوى تلك الأشياء التي تكون في نفس الغرفة وينتقل من غرفة إلى غرفة غالباً عن طريق المخارج التي تربطها" (٣٤٧ :١٩٩٦).

(٧) عندما واجهت جنوسة "سبيفاك" Spivak لأول مرة، ظننت أنها إشارة إلى غاياتري. تش. سبيفاك، الناقدة النسوية ما بعد الكولونيالية التي كتبت عن "الجوهرانية الاستراتيجية".

مع ذلك ينقل ماك راي McRae (١٩٩٦) أن مقولة سبيفاك اخترعها مايكل سبيفاك Michael Spivak في كتابه بعنوان:

The Joy of Tex: AGourment Guide to Typesetting with the AMS-TEX Macro package ((American Mathematical Society 1990

(٨) بناءً على مقابلات مع ١٥ طالباً في جامعة كاليفورنيا بركلي كجزء من تقييم مقهى مولانو (CF. Thorme, S. and Wakefod, N) (قابلية المشاركة في التفاعل الرقمي: رؤية ثقافية لتعلم اللغات الأجنبية من خلال عقد مؤتمرات MOO في الزمن الحقيقي، ورقة غير منشورة).

(٩) تحرص هرينغ على الإشارة إلى أنها لا تقصد أن تضّمن "كل الرجال" في فئة واحدة و "كل النساء" في الفئة الأخرى. بالأحرى إنها تعلن أن الحدود القصوى لكل سلوك على حدة كانت مجنوسة بقوة (١٩٩٦). مع ذلك فإن موقفها، المنبثق عن حقل الألسنية، يمكن قراءته بوصفه جوهرانياً على نحو ملحوظ.

(١٠) هذا انبثق عن مقابلات مع مستخدمات أمريكا على الشابكة.

(١١) استعمل المصطلح cyber vibe من قبل اثنين من الطاقم الأنثوي لتكافيه ذات عصر هادئ عندما كان لديهما الوقت لاستقصاء تكنولجيا الكاميرا الرقمية الجديدة المركبة على إحدى الآلات. بهذه الكاميرا التقطنا صورهما الخاصة وباستعمال برمجيات التلاعب بالصورة، كتبتا "cyber vibe personified" فوق صورتيهما الوجهيتين وقامتا بطباعتهما لأجل أفراد الطاقم الآخرين.

(١٢) هذا البحث كان ممكناً بفعل منحة ما بعد دكتوراه من قبل ESRC. إن مشروع "خبرات النساء بالاتصال بوساطة الحاسوب على الشبكات الالكترونية" قد مولته منحة ESRC Grant H53627502195.

القسم الثالث

تفكير وكتابة الافتراضي

١٢- الواقعين الافتراضيين للتقانة والتخييل

قراءة الفضاء السايبري لوليام جيبسون(*)

بقلم جيمس نيل

الفضاء السايبري والخيال العلمي:

إن كلمة "فضاء سايبري" سرعان ما أصبحت كلية الوجود أكاديمياً وصحفياً. فالفضاءات المعلوماتية للشابكة Internet والشبكة العالمية world wide web تستحق اهتماماً متزايداً من الوسائط [وسائل الإعلام] عندما ندخل عصر الثقافة السايبرية. يجد مستخدمو الحواسيب الشخصية أن من الصعب أن يتخيلوا أين "توجد" وثائقهم في الفضاء اللاموجود ظاهرياً الذي يتم بلوغه من خلال محطة عملهم. في المكاتب ومقاهي الشابكة، تلتقي الفضاءات المدينية والالكترونية. ومع ذلك فإن فضاءات البيانات هذه لا تحمل سوى أوهى شبه بالفضاء السايبري، الجغرافيا التخييلية العلمية التي ابتدعها وليام جيبسون William Gibson في القصة القصيرة التي تحمل عنوان "الكروم المحترق" (8 /1986) *Burning Chrome*(١). والتي تطورت عبر الثلاثية الممتدة من الروايات: (93 /1984) *Neuromancer* و(1986/7) *Count Zero* و(9 /1988) *Mona Lisa Overdrive*.

(*) The Virtual realities of technology and Fiction: reading William Gibson's Cyberspace.

أعتقد أن هذه الخلفية مهمة - ليس لأنني أرغب في استرجاع الموقع الأصلي لأجل كلمة "فضاء سايبري"، بل للتشديد على أن إنتاج واستهلاك أفكار الفضاء السايبري يحدثان في سياقين مختلفين جداً. تهدف هذه الورقة إلى سبر بعض المعاني المعطاة للفضاء السايبري في سياق واحد بعينه: كتابة وقراءة التخييل العلمي **"الهرائي السايبري"** لجيبسون.

إن "الهراء السايبري" cyberpunk، وهو جنس فرعي من التخييل العلمي، اكتسب شهرة نقدية وشعبية بين منتصف الثمانينات (١٩٨٠) وأوائل التسعينات (١٩٩٠). إنه يصور في العادة عالماً مستقبلياً قريباً ديستوبياً يهيمن عليه رأس المال الاندماجي ويعاد تشكيله بشكل قاس عن طريق التقانات الجديدة: تبديلات الجسد، الأشكال الجديدة من الوسائط وفوق كل شيء الفضاء السايبري. لقد تم التهليل للهراء السايبري بوصفه خيالاً علمياً ما بعد حديثاً كشكل ثقافي ذي بصيرة ممتازة في الثقافة المعاصرة (Jameson 1991)؛ لكن أيضاً بوصفه "الفن الذكوري الأبيض الطليعي للعصر"[٢]. ثمة تمثيلات خيالية علمية أخرى كثيرة للفضاءات المعلوماتية يمكن دراستها خارج الفضاء السايبري لجيبسون، ويُجادل غالباً بأن هذه تقدم تصورات أكثر إمتاعاً وأكثر تقدمية؛ مع ذلك فإن جيبسون هو بالتأكيد أهم مؤلف هراء سايبري من حيث التأثير والشعبية.

في الحقيقة، تضع ألوكير روزان ستون. رواية *Neuromancer* لجيبسون عند نقطة حاسمة في "أسطورة أصل منظوماتها الافتراضية"؛ فقد "قدمت . . . . المجال العمومي التخيلي وأعادت تشكيل المشترك الاستطرادي الذي أرسى الأساس لأجل إمكانية نوع جديد من التفاعل الاجتماعي". في حين قد يبدو الفضاء السايبري لجيبسون على مسافة طويلة من الفضاءات الافتراضية للعالم الحقيقي المذكورة سابقاً، تكتب ستون إن رواية *Neuromancer* في زمن ريغان ودابرا DAPRA هي ذات حضور تناصي ضخم ليس فقط في إنتاجات أدبية

أخرى من الثمانينات، بل في المنشورات التقنية، ومواضيع المؤتمرات وتصميم أجهزة الحاسوب، والخطابات العلمية والتكنولوجية بشكل عام.

في هذا الفصل أناقش كتابة الفضاء السايبري، شكله النصي، وتفسيرات بضعة قراء خيال علمي تمت مقابلتهم بتعمق في مجموعات في عامي ١٩٩٢ و١٩٩٣ (٣). إنني أجادل بأن جيبسون يكتب الفضاء السايبري بوصفه "فضاءً رقيقاً"، تكون فيه السرعة والحركة هما الكنايتان الرئيستان عن الخبرة المفضَّأة. فالقراء الذين قابلتهم كانوا يشعرون بأنه رد مشترك على الفضاءات الرقيقة وعلى الخيال العلمي. فهم [أي القراء] لم يُضللوا طويلاً، مع ذلك. كانت إحدى الطرق التي أضفوا بها المعنى على هذا الفضاء الملتبس هي عقلنة مظاهره الأكثر غرابة، بوصفها من خلال المجازات التكنولوجية. على وجه الخصوص، طور بضع مناقشين فهماً للفضاء السايبري من خلال خبراتهم الخاصة بتقانة المعلومات.

بمعنى ما، كما يشير كاتب الخيال العلمي مارك ليدلو، فإن تمثيلات الفضاء السايبري هي بحد ذاتها تقانات، أدوات يستعملها المؤلفون والقراء لفهم هذا الفضاء:

((ليس لدي أي اهتمام خاص، أو فهم، بالتقانة بحد ذاتها.... كل ما عليك أن تسأل كاتباً عنه فعلاً هو الكتابة وتقاناتها: الأساليب السردية والاستراتيجيات. لحسن الحظ، أنه هنا، في مناقشة التكنيك الأدبي، يمكن أن يتقاطع الواقعان الافتراضيان للتقانة والتخييل)).(التشديد في الأصل، Laidlaw 1993: 648).

ومثل ليدلو، أنا أكثر اهتماماً بتقاطع تقانة الكتابة والتقانات الافتراضية هذه من اهتمامي بطبيعة الواقع الافتراضي ذاته. بقدر ما يتعلق الأمر بالفضاء السايبري لجيبسون، أود أن أجادل بأن استعمال جيبسون لتقانات الكتابة يسمح للقارئ بفهم تقانة الافتراضية، ويسمح للقراء بأن يكون لهم استعمالاتهم الخاصة لهذه التقانات. قبل أن يكون بمقدوري التوسع في هذه الأفكار، أحتاج إلى شرح كيف ينتج جيبسون الفضاء السايبري.

الفضاء السايبري: تصور ما لا يمكن تصوره:

((الفضاء السايبري. هلوسة لا إرادية يمر بها يومياً بلايين المشغلين الشرعيين، في كل أمة، الأطفال الذين يجري تعليمهم المفاهيم الرياضية. تمثيل بياني لبيانات مستخلصة من بنوك كل حاسوب في المنظومة البشرية. تعقيد لا يمكن أن يخطر بالبال. خطوط من الضوء ممدودة في لا فضاء العقل، عناقيد وكوكبات من البيانات. مثل أضواء المدينة، تتقهقر)) (*Neuromancer* 17: 249).

((ضاع كلياً، آنذاك: كان فقدان حس الاتجاه المكاني يحمل رعباً خاصاً بالنسبة لرعاة البقر [مشغلي الفضاء السايبري].)) (*Neuromancer* 17: 249).

الفضاء السايبري، الذي يعرف أيضاً بالرحم Matrix، هو فضاء البيانات الافتراضي لجيبسون، الذي تُمثل فيه المعرفة الموحدة لمجتمع المعلومات كموضوعات افتراضية في فضاء لا نهائي، منظم كشبكة نظامية(٤). يتساطح المستخدمون مع الفضاء السايبري من خلال حواسيبهم للقيام بعمليات على هذه البيانات. هذه العمليات، مثل كل النشاطات في الفضاء السايبري، تكون مفضأة، عندما ينتقل المستخدمون عبر الرحم، ينتقلون من موقع إلى آخر ويدخلون ويغادرون قواعد البيانات. هذه المجازات الفضائية/ المكانية تمثل طرقاً لجيبسون، ولقرائه وللآخرين لفهم "لا فضاء" المعلومات، ما يسمح لهم بخلق جغرافيات متخيلة للشابكة وفضاءات البيانات الأخرى.

في الحقيقة، يجادل سكوت بوكاتمان بأن جيبسون في المقتطف التالي "يجعل مشروعه الخاص واضحاً":

((كل البيانات في العالم مكدسة مثل مدينة نيون كبيرة، لذلك يمكنك أن تطوف وتمتلك نوعاً من الإمساك بها، بصرياً بأي حال، لأنك لو لم تفعل ذلك، لكان ذلك معقداً جداً، وأنت تحاول أن تجد طريقك إلى قطعة معينة من البيانات التي تحتاجها)). (*Mona Lisa Overdrive* 2:22).

كما يشير بوكاتمان فإن "الفضاء السايبري هو طريقة لتصور ما لا يمكن تصوره: (1993b:152).

قراءة العوالم: القراءة والجغرافيا والتخييل العلمي:

يحتم تفحص الفضاء السايبري لجيبسون تحليلاً للعلاقة التي تربط المؤلفين والنصوص والقراء، علاقة تُخلق ضمنها المعاني الأدبية وتُحول. فالمعنى يُخلق بين المؤلفين والقراء، بين الكلمات المكتوبة على الصفحة والممارسات التي يستخدمها القراء لفهمها؛ لذلك فإن إبداع المعنى يمكن أن يقال إنه يحدث كجزء من حوار بينهما.

إحدى أوضح الطرق التي يعبر فيها عن هذا الحوار في الطباعة هي في شكل **الاصطلاحات** Conventions، التي تتراوح من أساليب المخاطبة إلى البنى الشكلية والسردية. لذلك فالاصطلاحات تمثل معاني متفق عليها بين المؤلفين والقراء وتكون مرئية **داخل** النص كجزء من نسيج أو بنية أو أسلوب السردية. إن المؤلفين يجندونها للإيحاء للقارئ بأن الرواية ينبغي أن تقرأ بطريقة معينة. بوضوح، يجب على القارئ أن يكون مطلعاً على هذه الاصطلاحات، وهذه الاستراتيجيات تكون مفتوحة على الجدال، لكن حقيقة أنها يمكن تمييزها داخل نصوص كثيرة للغاية توحي بأنها في الغالب مقبولة على نطاق واسع.

إن تفحص الفضاء السايبري لجيبسون يحتم دراسة مجموعتين من تقانات الكتابة هذه: تلك التي تعنى بجنس التخييل العلمي، وتلك التي تُعنى بالفضاء.

يقوم كل جنس [أدبي] على مجموعة مختلفة من الاصطلاحات، التي تزيد من حصر العمليات التي يمكن إحداثها لتؤثر في النصوص. أود أن أجادل بأن جنس التخييل العلمي يتميز بتوتر بين خطابين متعارضين، هما الاستيهام (الفانتازيا) fantasy والواقعية العلمية scientific realism، ويمكن فيه إيجاد

الاصطلاحات من كليهما. الفرق الحاسم بين الاثنين هو أن الاستيهامي fantastic يحاول أن يتكلم عن المستحيل، في حين تحاول الواقعية العلمية أن تترجم الخبرة على نحو لا إشكالي من خلال الاحتكام إلى العقلانية والمعرفة العلمية.

تلاحظ دراسات الاستيهام أنه يعمل بين الواقعي واللاواقعي، مستعملاً الأخير لإزالة الألفة عن المسلمات. لقد جادل تزفتيان تودورف بأن هذه البينية (الوسيطية) in-betweenness يمكن رؤيتها داخل النص، في هيئة اصطلاحات التردد. فالقارئ يتردد في فهم النص ولا يمكنه حسم التوتر بين الواقعي واللاواقعي لأن المؤلف يقدمهما كليهما على أنهما معقولان بالقدر نفسه. الشخصيات في النص هي أيضاً غير أكيدة مما يجري. فهي تمر بهذا التردد بنفسها. إن الاصطلاحات التي تثير هذه التردديّة في النص تشجع القارئ على أن يصبح غير أكيد من الواقع الحسي المشترك.

يعتمد التخييل العلمي على الاستيهام لأنه مؤطر في مستقبل (أو ماضٍ) مجهول وغالباً في مكان لم يكتشف بعد. مع ذلك فإن أوصافه تكون معقولة عموماً أكثر مما هي مستحيلة، ومنسجمة مع المبادئ العلمية:

«بغض النظر عن تأطيره في الزمن والفضاء، يعتمد التخييل العلمي على انتهاكات ما يفكر به قراؤه بوصفه واقعاً. ولتبرير هذه الانتهاكات، فإنه يقيم صور الواقع على أسس نظرية في جوهرها» (Samuelson 1993: 198).

تعتمد الواقعية العلمية على الاستيهامي، لكنها تمضي إلى حسم التردد بين الواقعي واللاواقعي. حيثما يطرح الاستيهامي الأسئلة فإن الواقعية العلمية تقدم الأجوبة. هذه العملية تكون ظاهرة أيضاً في النص، عندما تقدم الاصطلاحات للقراء الفرصة لفهم العوالم المتغربة للاستيهامي.

لكن سيرورة الترجمة هذه ليست مضمونة. ففي حين يكون التخييل العلمي ناجحاً بشكل عام في حل الاستيهامي، يكون المؤلفون والقراء قادرين

على استعمال هذه الاصطلاحات بطرق غير متوقعة. إن اصطلاحات الواقعية العلمية يجري تحريفها عندما يرفض القارئ الإيمان بالتفسير العلمي، مفضلاً غرابة الاستيهامي. هذه الإمكانية التحريفية تبقى كامنة ضمن نصوص التخييل العلمي بحيث يمكن خلق لحظات من الاستحالة في ممارسات الكتابة أو قراءتها. أحد الأمثلة التي سيتم سبرها فيما بعد هو تعايش **الفودو Voudou** الهاييتي والعقلانية الأميركية الشمالية ضمن الفضاء السايبري لجيبسون.

المجموعة الثانية من الاصطلاحات التي يجب دراستها هي تلك التي تنتج تمثيلات المكان. رغم أن دانييلز و رايكروفت يريان أن "الرواية هي جغرافية بشكل متأصل"، فينبغي الاعتراف بأن فضاءات الرواية يجب اختلاقها بشكل فاعل من قبل المؤلفين والقراء، وتنصيصها كاصطلاحات. هذا يسمح لنا بأن نرى أن ثمة طرقاً مختلفة كثيرة لإنتاج الفضاء في الخيال، بما في ذلك الأوصاف المجتزأة المسهبة لكثير من المؤلفين الواقعيين للقرن التاسع عشر، والاستراتيجيات الحداثوية لدوس باسوس، واللافضاءات المتغربة للخيال الاستيهامي.

يستخدم تمثيل جيبسون للفضاء السايبري استراتيجيتين مختلفتين: [الاستراتيجية] الواقعية، أو ما يدعوها لينارد ديفيز "الفضاءات السميكة"، التي تقدم أوصافاً مسهبة؛ والمحاولات لنقل الفضاء من خلال التجسيد النصي لخبرة المكان. لقد ميز مارك بروسو بشكل مفيد بين هذين النمطين بوصفهما الجغرافية في النص وجغرافية النص، على التوالي.

الاستراتيجية الأولى مألوفة لنا من دراسات هاردي Hardy والروايات الواقعية الأخرى، التي تنتج مشاهد أدبية من خلال الوصف المولع بالتفاصيل. إن جغرافية النص هي مفهوم أعقد ويعكس انحدار هذه الفضاءات "السميكة"، في الخيال الحداثوي. ففي رواية **ترحيل مانهاتن** *Manhattan Transfer* من تأليف دوس باسوس تمثل الخبرة المكانية بالانتقال عبر نيويورك من خلال استعمال اصطلاحات

تمنح الخبرة المدينية شكلاً نصياً. فالمشي عبر المدينة يمكن تمثيله بمثابة كولاجات تعيد إنتاج التتابع المكاني والزماني لعناصر المشهد المديني. إن مصطلح بروسو لأجل هذه الاستراتيجيات، التي تعتمد على الانتقال هو "الوصف الحركي". وهو وصف يمكن فيه وصف "المسارات اليومية للفرد بأشكال خطابية ضمن النص. كنت سأقترح أنه في المصطلحات التي قدمتها أعلاه، فإن جيبسون نادراً ما "يسمّك" الفضاء السايبري، مركزاً بدلاً من ذلك على جغرافية النص". بعبارة أخرى، إن استعماله الأساليب الوصفية الحركية يمثل نصياً الخبرة المكانية بالفضاء السايبري، بدلاً من تقديم الأوصاف المجتزأة السكونية. ثمة مبررات ممكنة عديدة لأجل ذلك، بما فيها الجهل المشهور لجيبسون بالحواسيب، لكنني سأقترح أن السبب هو أجناسي generic [متعلق بالأجناس الأدبية]. ففي حين أن الفضاء السايبري يمكن ترتيبه، فإنه فضاء أكثر استيهامية من أن يُفصّل على نحو شامل ويُسمّك بالأسلوب المرتبط بالخيال الواقعي. إذاً كيف يمكن تصويره؟.

كتابة الفضاء السايبري: الحركة والاستيهام:

يتم [المرور] بخبرة الفضاء السايبري من خلال الحركة، وخصوصاً بلغة السرعة:

((الحركة الرأسية من خلال جدران اليشب الحليبي، الأخضر الزمردي، الإحساس بالسرعة التي تتجاوز أي شيء عرفه من قبل في الفضاء السايبري.........

"يا للمسيح" قال كايس، ممتلئاً رعباً، عندما انعطف كوانغ وهوى فوق الحقول التي لا أفق لها من نوى تسيير ـ أشبول، فضاء سايبري نيوني لا نهاية له، تعقيد يجرح العين، ساطع، حاد كالأمواس")) (*Neuromancer* **23: 302**).

((بلا جسد. ننحرف إلى قلعة كروم الجليدية. ونمضي سريعاً. سريعاً. إنه يمنحنا شعوراً كما لو كنا نركب ذروة البرنامج الغازي. عشرة يتدلون فوق منظومات الـ glitch الهائجة وهي تتحول)) (*Burning Chrome*).

يخلق جبسون انطباعاً بالسرعة والحركة من خلال إيقاع وخطو هذه الأوصاف. في *Neuromancer*، يتردد كايس جيئة وذهاباً بين الفضاء السايبري والعام الواقعي وخبرات مولي كما تُنقل إليه من خلال تقانة(*) simstim. هذا يمثل امتداداً جديداً ومضللاً لمدينة دوس باسوس المتشظية، مضيفاً الفضاء السايبري إلى كولاج الفضاءات المقدمة في النص (**Bukatman 1993b: 148**).

يجعل جيبسون أيضاً هذه الخبرة مبهمة من خلال الـ (التشوش الحسي) synaesthesia. إذ يتم المرور بخبرة الفضاء السايبري بوصفه غريباً، مستحيلاً: الشم، اللمس والذوق تتم محاكاتها ودمجها. ثمة مثالان يجعلان هذا واضحاً: الدخل الحسي لكايس الذي انحرف بسرعة. امتلأ فمه بطعم الأزرق المصدع للرأس (*Neuromancer, 23: 303*). "رائحة الفولاذ البارد والجليد داعبت ظهره" (*Neuromancer 9: 140*).

لذلك من الممكن أن نرى أن تصوير جيبسون للفضاء السايبري ينتج فضاءً نصياً استيهامياً. مع ذلك، لابد أن يقع هذا ضمن الحوار مع الواقعية التي تميز التخييل العلمي. في حين أجادل بأن الأسلوب الحركي والحيل الحركية مثل الكولاج والتشوش الحسي يمكن أن تنتج أوصافاً استيهامية للفضاء السايبري، يجب الاعتراف بأن الرحم هو أيضاً فضاء منظم. خلافاً لنيويورك دوس باسوس، يتم بناء الفضاء السايبري على منظومة شبكية خطية، مجموعة من النقاط الرياضية والهندسية المنظمة بطريقة تجعلها ممكنة الوصول وذات وظيفة بالنسبة لمستعمليها. فالأسلوب الحركي، منظوراً إليه بهذه الطريقة، يمثل فحسب طبعة مسرّعة من الحركة الأكثر رصانة من نقطة إلى نقطة[٥].

إن الفضاء السايبري، بوصفه شبكة مبنية بدقة أو رحماً، هو استيهامي فقط لأن مقياسه لانهائي ومقدار البيانات فيه منظم بشكل معقد للغاية. فالواقعية العلمية، في هيئة فضاء مبني رياضياً وهندسياً، توفر مجازاً وطريقة للسيطرة على

(*) تقانة Simstim ورد ذكرها في رواية Neuromancer لوليام جيبسون، وهي تحفيز الدماغ أو الجملة العصبية لشخص باستعمال تسجيل (أو بث حي) لتجربة شخص آخر (المترجم).

العناصر التائهة للاستيهامي في الفضاء السايبري، في الحقيقة، في محاولة جيبسون لإيجاد طريقة لفهم فضاء المعلومات، فإنه قد قوض إمكانيته الاستيهامية(٦).

على كلٍ، فإن الفضاء السايبري شديد الالتباس تحديداً لأن الحوار بين الواقع والاستيهامي لا يمكن حسمه نهائياً. إن التوازن بين الخطابين يختلف تبعاً للاصطلاحات وقراءتها، بحيث أن لحظة الإفساد (للواقعية) ولحظة الترتيب العقلاني (للاستيهامي) تتواجدان معاً ضمن النص. في رواية *Neuromancer*، على سبيل المثال، نُواجه بخليط من مجازات الترتيب والبعثرة:

((وفي الظلام المنوّر بالدم وراء عينيه، الفوسفينات الفضية التي تغور من حافة الفضاء، الصور التنويمية التي تثبت مارة مثل شريط مجمّع من أطر عشوائية. رموز، أشكال، وجوه، مندالة مشطاة، مغمغمة من المعلومات البصرية.

من فضلك، توسل، الآن –

قرص رمادي، لون سماء تشيبا

الآن –

القرص بدأ يدور، أسرع، يصبح كرة من اللون الرمادي الأكثر شحوباً.

يتمدد –

وتدفق، أزهر لأجله، حيلة اوريغامي النيون السائل.

تكشف بيته عديم المسافات، بلده، لوحة شطرنج ثلاثية الأبعاد شفافة تمتد إلى اللانهاية)).

(*Neuromancer*)

إن فقدان حس الاتجاه disorientation يتم تنصيصه [أي إدخاله في النص] عن طريق الوصف الحركي، بالمعنى الحرفي للكلمات (غليان، وثوب)،

ونسيجها الاستهلالي المشترك (flowed, flowered, fluid) وعن طريق التقطيع (شريط مجمّع من أطر عشوائية). ومع ذلك، فإن المقتطف يستفيد أيضاً من عدد من المجازات الهندسية (المندالة، القرص، الكرة) قبل وصف "رقعة الشطرنج الثلاثية الأبعاد الشفافة" التي تمثل الشبكة المرتبة للرحم. علاوة على ذلك، في الانتقال من حالة الخبرة المتشظية إلى حالة الترتيب. يسرد المقطع سيطرة كايس على فوضى الفضاء السايبري. هذا الفرض للبنية يوازي انتصار الجنس الأدبي للواقعية العلمية على الاستيهام.

لكن السيناريو المضاد يحدث أيضاً عندما تدخل لحظات الشك الاستيهامي، بشكل مقتضب مع ذلك، إلى النص. الناقل الأساسي لأجل ذلك في عمل جيبسون هو وجود **الفودو** في الفضاء السايبري. في نهاية رواية *Neuromancer* يتحد عدد من الذكاءات الاصطناعية (AIs) وتصبح واعية كلياً. إنها تتشظى فوراً إلى ذكاءات كثيرة أصغر وتتبدد في أنحاء الرحم لأسباب لا يمكن شرحها بسهولة هنا، تتخذ في وقت لاحق شكل لوا Loa (أرواح) الفودو الهايتي في رواية *Count Zero* ورواية *Mona Lisa Overdrive*. أود أن أطور حجة بوكاتمان القائلة بأن هذا يفسد ترتيب الفضاء السايبري:

«إن لتساطح خرافة الفودو مع اليقين السيبرنتي تأثيراً مفسداً حرفياً على الكمال الهندسي، العقلاني، للفضاء السايبري. "فالميثولوجيا" الحداثوية للعقلانية، إواليات العقل الأداتي، يتم تقويضها عن طريق مجموعة جديدة من الغزوات التكتيكية ما بعد الحديثة» (Bukatman 1993b: 214).

بهذه الطريقة يفسد الاستيهامي عقلانية النص وعقلانية الفضاء الممثل. ربما يأتي المثال الأكثر دراماتيكية على ذلك في نهاية رواية *Count Zero*. عندما يدخل واحد من اللوا Loa منطقة خصوصية من الفضاء السايبري تحاكي حديقة غويل Park Güell في برشلونة. إننا نمر بتردد في النص، تردد تعبر عنه أيضاً

شخصيات أخرى، كما عندما لايمكن وصف اللوا في البداية: "شيء ما يشد كمه [كم بوبي]. ليس كمه بالضبط، بل جزءاً من عقله، شيء ما. . . . . (*Count Zero*, 32: 318). ثم يظهر اللوا في حديقة فيريك Virek كصليب خشبي بكل تجهيزاته الطقسية حتى رغم أن القارئ "يعرف" أنه ذكاء اصطناعي (AI) يعمل في فضاء بيانات محوسب مصمم عقلانياً. إن التوتر بين التمثيلين -اللوا أو الذكاء الاصطناعي AI- لا يبقى طويلاً لكنه يظل قادراً على التغريب estranging بقوة.

يمر بوبي نيومارك بلحظة استيهام أقل إجفالاً في بداية *Count Zero*، تعمل على تقديم (وليس شرح) طبيعة هؤلاء الساكنين الاستيهاميين للفضاء السايبري: "وشيء ما يجري تعلمه في الداخل، شساعة لا يمكن التعبير عنها، من خلف الحافة القصوى لأي شيء سبق له أن عرفه أو تخيله، ولمسه" (*Count Zero* 3: 32). (التشديد في الأصل). لذلك يقدم جيبسون فضاءً تخييلياً معقداً وغامضاً للقراء لكي يكتشفوه، فضاءً يكون مرتباً بشكل عقلاني لكنه مفتوح أيضاً على اللايقين الاستيهامي. لدراسة نجاح هذه المحاولات لنقل خبرة الفضاء السايبري، نحتاج إلى اللجوء إلى القراء.

قراءة الفضاء السايبري: "إنه غامض حقيقي"

إن مناقشات المتناقشين حول الفضاء السايبري يمكن قراءتها بوصفها مماهاة للمشكلة مع تصوير جيبسون والردود المختلفة التي يمكن القيام بها(٧). في الحالة الأولى، تمسكوا بما كانوا يرونه بوصفه "غموض" أوصاف جيبسون للفضاء السايبري الذي أفسره بأنه قلق من انعدام الأوصاف "السميكة" المفصّلة للفضاء. إن حلولهم لهذا الانعدام المدرك هي حلول ساحرة، نظراً إلى أنها حشدت شروحات مختلفة لتفسره، وأحد مظاهر ذلك يتضمن قراءة الفضاء السايبري في حوار مع خبراتهم الخاصة بتقانة المعلومات.

لتطوير هذه الأفكار أرغب في التحدث حول المظاهر الأكثر استيهامية أو غموضاً لتمثيل جيبسون، ثم أنتقل إلى مناقشة مختلف الطرق التي يحسم بها القراء التردد النصي الذي يميز الاستيهامي.

إن الفضاءِ السايبري هو مكان غامض، كما يظهر الحوار التالي:

مايك ر: [. . . . . .] – أظن أنه من الغامض نوعاً ما كيف يقارب المرء هذه الأشياء ثم تكون هناك حاسة تسرق بها البيانات –.

جون: نعم. إنه غامض حقيقي. [. . . .].

جايل: إنه غامض بشكل متعمد! [يضحك] (B_2).

إن وصف مايك ر للفضاء السايبري يؤكد أيضاً افتقار جيبسون إلى الوصف الواضح:

(([....]ـ ثمة كيانات صلبة تمثل البيانات وهي موضوعات افتراضية [موافقة من جون وأماندا]، هكذا أنت لازلتـ والانطباعـ أنا لست متأكداً من أنه معلن بصراحة – هو أنك تحوم في هذا الفضاء [موافقة من جون] لكن بعدئذ تتفاعل بطريقة سيئة التعريف مع هذه البيانات)) (B_2).

كان رد الفعل العام على هذا الغموض هو الإحباط أو الارتياب:

(([....] إنه نوع من غير المعرَّف في أن يخبرك نتفاً منه، لكنه لا يقول فعلاً، "هاك ما يحدث، هاك ما يحدث". أنت تعرف، إنه غريب، أنت تعرف، إذا كان بإمكانك أن تدخل إلى مكان لا يوجد فيه أحد تستطيع أن تراه، تنظر إلى الأسفل، لاشيء)) (Ragner, C_2)

ما الذي يحرك هذه الاستجابة؟ أرى أنها متجذرة في طبيعة الجنس الأدبي. عندما يواجه هؤلاء القراء بفضاء جديد ومتغرب مثل الرحم، فإنهم يبحثون

عن طريقة لترتيبه. هذا هو الأصل لكل من محاولة جيبسون لوصف الفضاء السايبري ولرغبة الكثير من القراء في خرائط وأوصاف لهذا الفضاء المستحيل. لذلك فإن السعي لتصور ما لا يمكن تصوره هو مشروع مشترك.

يمكن إيجاد التأييد لهذه الحجة في مناقشات هؤلاء القراء لكتابة جيبسون للفضاء. إذ تقول أماندا إنها لم تقرأه لأجل المكان:

(([...] المرة الأولى التي أقرأ فيها اياً منهم، لم أفكر حقاً في المشهد بشكل واقعي، لأنني كنت متأثرة للغاية بما كان يحدث، لم أستطع أن آخذ الوقت لأتصوره، هكذا تكوّن لدي نوع من انطباع في ذهني كان خلفية كافية فعلاً لـ um، لأقرأ الرواية ربما، إذا كنت تعرف ما أعني. وهو ليس سوى إعادة قراءة لهم بالفعل ....،[يضحك] بما أننا بدأنا مجموعة المناقشة هذه، حيث أنني لاحظت erm ... أنت تعرف، مثل، اكتشاف نقاط حول المشهد وبالفعل حيث يحدث الفعل — حتى — أنت تعرف إنه يشبه الذي في الانبطاح، أو أنه حيثما [موافقة من مايك ج.] "لأنك تعرف — أي جزء من الانبطاح؟. لأنك لا تأخذه حقاً — إنه سريع الخطو، إنك لا تأخذ الوقت لتصوره، إنه أعقد من أن يُتصور بسرعة، وأنت تمل من فعل ذلك، لأنك تريد أن تكتشف ماذا يحدث بعد ذلك)). (B_4).

هذا الإغفال للمشهد يُعزى إلى حقيقة أن أماندا كانت تقرأ التخييلات لأول مرة. تبعاً لـ S/Z بارت (1975) Barthes، يرى هنري جنكنز أن الرغبة في حسم السردية يكون الأقوى في القراءة الأولى. وفي القراءات اللاحقة، يتحول الاهتمام إلى مكان آخر، إلى علاقات الشخصيات، إلى المعاني التيمية (الموضوعاتية)، إلى المعرفة الاجتماعية التي يدعيها المؤلف. أو. ربما، إلى المشهد التخييلي. إن الاستراتيجيات المستعملة لتسميك الفضاءات قد لا يتبناها بعض القراء أو على الأقل ليس قبل اللقاء الثاني أو اللاحق مع النص، لقد تبنى مايك فكرة أماندا أن ايقاع السردية يجعل تسميك الفضاء صعباً:

((إنه يشبه ــ كونك لم تعد قراءتها. ــ أنا ــ erm للنظر إلى كيف يفعل ذلك، لكنني أحرزت بشكل كبير جداً ذاك الاحساس بالسرعة [موافقة من أماندا] وبشكل ما فقد اقتضى تفصيلاً هائلاً، حتى رغم أنني لست متأكدة من أنه موجود فعلاً [........] إنك تقطع و تعجن شيئاً في ذهنك وهو خليط من الأشياء التي أنت على اطلاع عليها))(B_4)

في هذا المقطع تعترف أماندا برقة فضاء جيبسون الممَثَل[٨]. بعد ذلك بوقت قصير، رأت أن تسميك الفضاء هو أسلوب للقراءة يمكن استعماله إذا رغب القارئ:

((أعتقد أن ما فعله حقاً هو أقصى ما يمكن توقعه من اي كاتب أن يفعله، فقد وصف المشاهد حتى النقطة ثم يَترك للقارئ فعلاً أن يملأ الفجوات، وأن يجعل المشهد كاملاً إذا كان بالإمكان أن يكونوا مربكين هكذا. إذا لم يكونوا كذلك، فحسناً، عندئذ يمكنهم أن يستمتعوا بالمشاهد عندما يرون بنوع من الشيء)) (B_4 التشديد مضاف).

إن ما يثير الاهتمام للغاية في مناقشات القراء في الفضاء السايبري هو أن غموض تصوير جيبسون يبدو أنه يجعل من الصعب عليهم أن يستمتعوا بالمشاهد. في الحقيقة، إنهم متحمسون لملأ الفجوات وتسميك هذا الفضاء. هذا يوازي مناقشتهم للنصوص الخيالية العلمية الأخرى، حيث يتم تطوير التمثيلات الملتبسة والمتقلقلة وشرحها من خلال الأطر العلمية والعقلية. لقد اقترح مايك ج، وهو يناقش مسلسل Helli Conia أنه قادر على فهم الطبيعة غير المعتادة للكوكب لأنه يحمل شهادة جامعية في علم الفلك والفيزياء، وهو قادر على وضع Helli Conia في إطار علمي معقول. على نحو مماثل، شرح أفراد المجموعة A مفاهيمهم لـ *Downbelow Station* (1983) من تأليف س. ج. تشيريه و Dune (84/1965) من تاليف فرانك هربرت بلغة الإمكانيات الإيكولوجية. هكذا فكيف استجاب هؤلاء القراء لتمثيل جيبسون المرتب إنما غير الأكيد؟

عقلنة الفضاء السايبري:

بشكل له دلالته، يبرهن الفضاء السايبري على أنه قابل للإدارة تماماً بالنسبة لكثير من القراء. لقد ناقشت قبلئذ حضور الاستيهامي في الفضاء السايبري في هيئة الفودو. يمكن أن نتوقع من القراء أن يكونوا مترددين حول تفسير هذا الإفساد للفضاء العقلاني. هذا ليس هو الحال، كما تبين هذه المناقشة (المتشظية بشكل معترف به)[٩]:

ألفين: [. . .] في الحقيقة، يجعله [جيبسون] يبدو كما لو أن الناس يخطئون إدراك التقانة، مثل كل الناس من قبل – لا استطيع أن أتذكر الـ [؟] – كيف رأوا الذكاءات الاصطناعية بوصفها فودو –

كاغنار: أوه، نعم.

ألفين: نعم، أنت تعرف، الآلهة، الكل يسيء فهمها، ويسيء استعمالها (C_2).

لقد رأى الفين أن شخصيات جيبسون قد "خلفتها" التطورات التقانية وأن اللوا تبدو غريبة فقط لأن الذكاءات الاصطناعية معقدة بما يكفي لخداع الجاهلين. هذا مثال رائع على قراءة تذهب بعيداً في شرح العناصر الاستيهامية من خلال استعمال إطار من العقلانية العلمية.

الأمثلة الأخرى على هذه الاستراتيجية هي أكثر إبداعية، عندما عمل المتناقشون باجتهاد أكثر لعقلنة الفضاء السايبري. يكشف المثالان الأوليان على ذلك عن استعمالات مختلفة للواقعية العلمية، بدءاً بمساهمة ألفين:

«ليست لديك فكرة واضحة عن كيف_ أقصد على سبيل المثال. كيف أن كايس يتلاعب بالفضاء السايبري بطريقة. [موافقة من راغنار] [...] لست متأكداً أبداً. لذلك أعني أن الفضاء السايبري غامض جداً. [...] أقصد، بتلك

الطريقة يترك ذلك لك بطريقة ما. لتنظر إليه بالطريقة التي تريدها [موافقة من راغنار]، يتركه مفتوح النهاية جداً بطريقة ما، لأن هذا هو السبب في أنه يفترض أن يكون بيئة حوسبة صديقة للمستعمل إلى أقصى درجة. يمكنك أن تدركه بطريقة مماثلة بالطريقة التي تريدها ربما أن شخصاً ما آخر سيدرك الفضاء السايبري فعلاً بطريقة مختلفة كلياً، رغم أنه من الناحية الوظيفية سيكون هو نفسه [موافقة من راغنار] ((التشديد مضاف C_2).

يصبح الإبهام النصي نوعاً من برمجيات "صديقة للمستعمل" عندما يقرأ الفين أسلوب كتابة جيبسون من خلال مجاز تقاني. أضاف مارك انه رأى موازياً لهذا الإبهام الصديق للمستعمل في خبرته الخاصة بالألعاب المتعددة المستعملين (C_2).

التفسير الواقعي الثاني لأجل الإبهام يعتمد أيضاً على العوامل التقانية. إذ يرى مارك:

((إنني أراها [تمثيلات الفضاء السايبري] جميعاً نوعاً معتدلاً من الأسلوب، لأن عد المعالج، السرعة التي تنتقل بها المعلومات، وبشكل واضح [النظام؟] - الأساسي لا يمتلك التفصيل [موافقة من راغنار] - [...] - يبدو ذلك أكثر تجريداً)) (C_4).

يشرح مارك الطبيعة "الأساسية" للفضاء السايبري لجيبسون في ضوء سهولة تشغيل هذا النوع من النظام. بشكل مماثل، يرى راغنار أن العامل المحدد سيكون "القابلية للحياة التجارية" Commercial viability، ما يؤدي إلى معيرة المعلومات (C_2)، وقال سيمون "لا يمكنك أبداً أن تحصل على صورة حقيقية لشكله . . . لأنه يعمل بسرعة الحاسوب (C_4). من خلال هذه الأفكار، يستعمر القراء الفضاءات الخالية لأوصاف جيبسون للفضاء السايبري، التي تقدم تفسيرات واقعية لأجل الإبهام تكون متساوقة مع التقانة التي يصفها جيبسون. هذه استراتيجيات تخييل علمي أساساً.

ثمة استراتيجيات أخرى، عامة أكثر، يمكن استعمالها. يعود راغنار المحبط في محاولاته لتصور الفضاء السايبري، إلى الفيلم:

((أنت تعرف، أحب ترون Tron، حتى قبل أن أسمع بفكرة الفضاء السايبري، إنك تعرف، [؟] فيلم جيد، لكنه تمثيل جيد جداً للفضاء السايبري، والفكرة الأساسية أيضاً، داخل الحاسوب، و um .... أنت تعرف، في ذاك الوقت كان ممتازاً حقاً، [...])) (C_2).

يؤطر [فيلم] ترون Tron بشكل مثير للجدل تمثيلاً قوياً للفضاء السايبري بالنسبة لكثير من القراء قبل أن يقرأوا جيبسون. هذا الاستعمال لوسط بصري يسمح للقارئ بأن ينتج الفضاء السميك الذي ينعدم من أوصاف جيبسون، فالفضاءات البصرية كهذه هي أسمك من الفضاءات الأدبية، عندما تأسر الصور الفيلمية بشكل تلقائي الـ mise en sce'ne الذي ليس له موازٍ في النصوص المكتوبة.

الفضاء السايبري، الشابكة والواقع الافتراضي:

الطريقة الرئيسية الثانية التي يفهم بها القراء الفضاء السايبري هي من خلال خبرتهم الشخصية بتقانة المعلومات. هذه السيرورة هي سيرورة حوارية بشكل واضح: قراءة جيبسون تفهم هذه التقانات لكن استعمالها يمنح قراءة جيبسون شكلاً، كما يمكن أن نرى في هذين المثالين. إن روب، الذي يود أن "يطوف حول أميركا" على الشابكة (A2)، قد وصف الصلات التي أقامها بين قراءة *Neuromancer* وعمله بشبكات الحاسوب:

(([...] – عندما قرأت *Neuromancer* ثم بدأت في هذا المكان [عمله] استطعت أن أدخل إلى الشابكة، شيئاً من هذا القبيل، إنه تقريباً مثل – من الواضح أنك لا تدخله في رأسك [ضحكة من جيمس]، لكنني أتجول كما تعرف، حول شبكات الحاسوب حول العالم لذلك كان بمقدوري أن أتكلم مباشرة إلى الحاسوب في هيوستن، تكساس. وفي الوقت نفسه كان بمقدوري أن

أستعيد مادة من شخص في واشنطن. وكل شيء فوري، إنه كله يحدث هناك على شاشتي.لكنني أستطيع القيام بالشيئين في الوقت نفسه، أوأكثر لذلك فإنه يشبه تقريباً كما تعرف. كونك هناك جسدياً بشكل فعلي في مكان ما في هيوستن سيكون هناك قرص صلب يدور لأنه يأخذ المعلومات ويشبه إعادته من خلال الشبكة إلي›› (A1).

بالنسبة لروب إنه يكاد يشبه كونك في الوقت نفسه في هيوستن في واشنطن ، وفي لندن تنظر إلى هذه الشاشة ، القادرة على إحداث حركة فيزيائية في هيوستن . هذا يقتنص شيئاً من انعدام المكان للفضاء السايبري لجيبسون .

يركز وصف جون لخبرته بالحوسبة على مفهوم السرعة المتصل بالفضاء السايبري .

‹‹الشيء المثير للاهتمام حول الشعور المدرك بالعمل مع الفضاء السايبري، هو الاستغراق، السرعة المدركة الهائلة لفعل كل شيء هو أن العمل مع الحواسيب بشاشة ولوحة أو فأرة يمكن أن يكون مثل ذلك الآن إذا كنت متمرساً جيداً بشكل كفؤ فيما تفعله، والجهاز سريع بشكل معقول. لقد أمضيت أساساً يوم عملي بالكامل إما أكتب البرامج، أكتب حول البرامج أو أقوم بالنشر على سطح المكتب desktop في كثير من الأحيان يكون الحال هو أنني أختفي كلياً. إنني تماماً على وشك أن أدرك بشكل واع الشاشة.لكنني لا أنظر إليها فعلاً إذا أردت أن تلفت انتباهي عليك أن تلمسني [أصوات موافقة]. إنه نفس الاستغراق عندما أكون مشدوهاً في قطعة جيدة جداً من القراءة، أو فعلاً أنساق بعيداً مع فكرة ـ لقد اكتسب نفس الخبرة وهو يتمكن منه بشكل جيد جداً›› (B2, emphasis added)

إن إحساسي بالتسامي ، إحساس الوجود في مكان آخر (أو عدم الوجود في أي مكان آخر) عند القراءة أو التفكير هو شائع تماماً (de Certeau 1984) ،

وهنا يمتد [الإحساس] إلى السطح الفاصل بين الفضاء السايبري والإنسان: جون مستغرّق في عمله[١٠].

وراء هذه التعليقات - التي تجد توازيات بين فضاءات جيبسون المتخيلة وخبرات تقانات المعلومات - طور القراء أيضاً فهماً للفضاء السايبري يقارنه بالأفكار الأخرى للواقع الافتراضي. إن مناقشاتهم هامة لسببين: الأول، إنهم يعتمدون على إطلاعهم على الحواسيب ليثبتوا طبيعة فضاء بيانات جيبسون. والثاني، بفعلهم ذلك تصبح عقلانية الفضاء السيبيري ذاته استيهامية. لقد وصف جون أشكال الواقع الافتراضي VR والفضاء السايبري بلغة وظائفهما:

(([...] إنك تحاول أن تقدم طريقة للتحدث إلى شيء ما، طريقة لإدراك شيئاً ما تكون فعالة لأجل العمل الذي تحاول فعله [موافقة من جايل]، وهذا يناسب الطرق التي تحاول أن تفكر بها)) (B_2).

رأى جون أن التفكير في الفضاء السايبري، ينطوي على تساطح جديد وبالتالي طريقة جديدة للعمل مع الحواسيب التي وصفها بأنها تنشر النموذج الإرشادي المكتبي (**desktop paradigm B٢**) - بعبارة أخرى، إيجاد مجازمختلف لأجل الحوسبة بوصفها عملاً.

وهذا يمكن إعادة رده إلى قراءة ألفين للإبهام النصي لجيبسون بوصفه المكافئ لتقانة صديقة للمستعمل تجعل من السهل على القارئ أن يفهم. في تعريف ومناقشة الفضاء السايبري كان الكثير من المناقشين حريصاً على تمييزه عن تقانات الواقع الافتراضي الموصوفة في الهراء السايبري أو المجربة في الحياة الواقعية:

[ثمة اختلاف بين الواقع الافتراضي الذي يقدمه جيبسون والواقع الافتراضي الذي يتنبأون به. الذي يكون_ كاملاً، أنت تعرف الفكرة هي أن البيانات graphics (الغرافيكيات) هي جيدة للغاية بحيث أنها ستكون قابلة للتمييز عن الواقع. erm، في حين أن عالم جيبسون مكون إلى حد كبير جداً

من خطوط الحاسوب - [.....] - والشبكات - [....] - إنه بشكل واضح عالم حاسوبي [موافقة من جاسون]، أنت تعرف، إنه لا يحاول أن يجعله يشبه الواقع.[..] ([..]) **(James, A_2).**

هذا يعترف بأن الطبيعة الهندسية، المرتبة للفضاء السايبري هي، بطرق كثيرة، النقيض للواقع. يطور مايك هذا بطريقة مثيرة جداً للاهتمام:

(([...] لقد ذهبنا إلى الحاسوب، لم نجعل الحاسوب يتمظهر في شكل نحن متآلفون معه، لقد دخلنا في عالم آخر، أي واحد يكون أكثر ألفة،- ببعض الطرق تتخيله كحالة طبيعية للحاسوب)). (B_2).

إن الفضاء السايبري لا يحاكي العالم الواقعي لمنفعتنا، إنه يحاكي "الحالة الطبيعية للحاسوب"، هذا تغيير أساسي في تصوراتنا لتقانة المعلومات؛ بيئة "صديقة للمستعمل". يبدو أن القراء يرون هذا العالم المرتب بالشكل الأكثر عقلانية من العوالم يمتلك خاصية مغربة لأنه غير طبيعي للغاية.

هذه التعليقات تضيف انعطافة أخرى إلى أفكار الفضاء السايبري، ما يوحي بأنها في كمالها الهندسي غريبة بشكل كامن ومضللة - لقد مررنا بالشروحات الواقعية علمياً وخرجنا إلى الاستيهامي مرة أخرى. مع ذلك فإن هذه الأفكار يجب معاملتها بحذر واهتمام بالسرديات التي توجد فيها. إن تقانات الواقع الافتراضي هذه تبعاً لتقديمها من قبل المؤلف يمكن أن تكون أكثر استيهامية أو أكثر هيكلية من الفضاء السايبري. وهذا يتعقد أكثر في لحظة القراءة: "عالم الحاسوب" يقرأ كسطح بيني صديق للمستعمل وكمكان جديد ولا إنساني في مناقشات القراء الممثلة اعلاه.

استنتاجات:

في كل واحدة من القراءات المقدمة هنا - كتابة جيبسون للفضاء السايبري وتفسيرات القراء والنقاد واقتراحاتي الخاصة - يوجد عنصر إبهام. فالفضاء

السايبري هو تمثيل متعدد المعاني polysemic إلى درجة عالية؛ إنه يدعو ، لكنه لا يطالب ، القراء إلى العمل على "تصور ما لا يمكن تصوره". مع ذلك ، كان من المستحيل تطوير هذا التبصر بدون الاعتراف بدور القارئ في استعمال اصطلاحات الخيال العلمي للتفكير حول هذا الفضاء. في حين أن القواعد الأجناسية يمكن أن تثبت تطبيقات التفسير التي تستعمل لفهم هذه التقانات ، فإن هذه القواعد تكون مرنة بما يكفي بحيث يكون القراء قادرين على المقاومة ، تكتيكياً ، وصنع نوعهم الخاص بهم من المعنى القائم على الخبرات الشخصية بتقانة المعلومات ، أو بالنصوص ذات الصلة. مع ذلك ، في حين يكون القراء إبداعيين بشكل هائل ، فينبغي علينا ألا نخلط هذه الإبداعية بالمقاومة.

بالفعل ، بالعودة إلى القضية الشديدة التعقيد للتوسيل النصي للإيديولوجيا ، يبدو أن القراء الذين قابلتهم قد أعادوا إنتاج صورة الفضاء السايبري فحسب بوصفه "الاستيهام الخرائطي cartographic fantasy الذكي للأقوياء" ، مع كل زخارف الفضاء "الذكوري" (١١). كما قلت سابقاً ، تستند هذه الحجة النقدية إلى حد كبير على شكل الفضاء السايبري: هندسته ونظامه. لهذا يصبح شكل الفضاء السايبري مثل التحديق في نيويورك من ذرى مركز التجارة العالمي: "إنه يحول العالم الساحر الذي كان المرء "ممسوساً" به إلى نص يقبع أمام عينيه. إنه يسمح للمرء بقراءته ، بأن يكون عيناً شمسية ، تنظر إلى الأسفل مثل إله" (de Certeau 1984: 92).

إلى حد ما ، واجهت مشاكل تسمية ومعرفة الفضاءات "الجديدة– الهوة بين المعرفة واللغة –من قبل مستكشفي ومستعمري آخري others أوروبا. قد يكون من الممكن أن نرى في إبهام هذه القراءات للفضاء السايبري لجيبسون بعض أصداء لهذه الكفاحات الأبكر لفرض النظام على المجهول: لإجبار الأمكنة على أن تكون ذات معنى ، ولجعلها **تعمل** لأجل القارئ.

لكن هذا الوصف النقدي يمثل أيضاً تسطيحاً لتعقيد هذه التفسيرات، وهو نزوع تعميمي له منطقه الخاص به، [منطق] التجريد والسيطرة. من المهم أن نتذكر أن هذا تمثيل محشو ضمن جنس التخييل العلمي. إن شكل الفضاء السايبري ليس ببساطة تبعة للبطريركية أو الكولونيالية أو لرأس المال العالمي. بالأحرى، لا توجد سياسة هذه القراءات إلا في لحظة الأداء. فالقراء يبدعون؛ إنهم لا يستهلكون ويعيدون الإنتاج ببساطة. إن إبهام الفضاء السايبري، بين العقلانية العلمية والاستيهامي، يدعونا أيضاً إلى إبقاء تفسيراتنا مفتوحة.

على سبيل المثال، بما أن الفضاء السايبري يبدو فضاءً مرتباً بشكل مبهم إلى حد ما، فكيف يمكن جنوسته ببساطة وعلى نحو لا إشكالي؟ إنني حذر من اقتراح أن تصورات الفضاء السايبري **تعكس** ببساطة الموقف الخاضع لقارئ التخييل العلمي الذكوري "النموذجي"، وهو شخصية أسبغ عليها الطابع الميثولوجي بشكل واسع من قبل الخطاب الشعبي ووسائل الإعلام. هذه الحجة تتطلب منا أن نرى النص بوصفه "شفافاً" بشكل فعلي، وأن نتفق مع فكرة "القارئ المستقل والممجد لذاته الذي يحول النص إلى مجرد ما قبل نص pre-text". بالفعل، توحي حقيقة أن القارئتين أيضاً قد فسرتا الفضاء السايبري بوصفه "مرتباً" ordered بأننا ينبغي أن نبدأ بتحويل انتباهنا إلى دور ممارسات القراءة، ونتفحص إلى أي مدى تكون هي نفسها مجنوسة قبلئذ.

هذا ليس معناه أنه لا توجد تشعبات سياسية لقراءتيهما. كنت أفضل أن يتحدى المتناقشون العالم المرتب للفضاء السايبري لجيبسون، وأن يروا نزعة محافظة conservatism بعينها في فشلهم في فعل ذلك. مع ذلك، خلافاً للنقاد الذين جرت مناقشتهم أعلاه، لست مستعدة لتوزيع اللوم على جيبسون أو القراء. بدلاً من ذلك أنا أكثر اهتماماً بالطريقة التي يجسد بها استعمال هذه **الاصطلاحات** سياسة بعينها. بهذه الطريقة يمكن رؤية الاصطلاحات بوصفها تقانات السلطة التي تحول العناصر الاستيهامية المفسدة إلى مفهومات واقعية محافظة.

هوامش

(١) تمر كتب التخييل العلمي بإعادة طبعات كثيرة . لمساعدة القراء ، فقد أعطيت تاريخين لأجل الروايات المستشهد بها في النص؛ الأول يشير إلى التاريخ الأصلي للنشر ، والثاني يشير إلى الطبعة التي استعملتها بنفسي . بالإضافة إلى ذلك ، فإن الفصل الذي يظهر فيه المقطع المقتطف يتم إظهاره بعد الرمز § ، بحيث أن (45 :4§) تشير إلى الصفحة ٤٥ ، الفصل ٤ من الطبعة المستشهد بها .

(٢) بشكل له دلالته ، فإن هذه التفسيرات للهراء السايبري تقوم غالباً على قراءات مختلفة للفضاء السايبري .

(٣) تختلف المقابلات الجماعية المتعمقة عن الجماعات البؤرية بطول مدتها وبنيتها المفككة . ضمن الجغرافية كان الرائد في استعمالها برغس Burgess وهاريسون في الكلية الجامعية بلندن في الأبحاث التي أجريت أثناء منتصف الثمانينات . هذا العمل رفض تراث أبحاث السوق ، متبنياً مبادئ وتطبيقات العلاج النفسي التحليلي الجماعي لسبر الخطابات البيئية لعامة الناس (Bur-gess et al.1988a, 1988b; Burgess et al. 1990) . تتضمن السمات الأساسية لهذا النهج تطوير هوية جماعية تموضع الحوار والجدل ضمن العلاقات الجماعية ، ومناقشة أكثر حرية مما يوجد في المقابلات الموجهة لجماعات البؤرة .

(٤) المجازات الأساسية لظهور البيانات في هذا الفضاء هي النجوم في سماء الليل وأضواء المدينة؛ كلاهما يظهران في المقتطف المعاد تقديمه أعلاه .

(٥) "نخس كايس مرة أخرى ، مرة واحدة؛ وثبوا إلى الأمام بنقطة شبكة واحدة" (Neuro-mancer § 9: 140) .

(٦) في هذا المشهد من المهم أيضاً أن البادئة cyber تشتق من السبرنتيك ، دراسة أنظمة التحكم control system .

(٧) تمت المقابلات الجماعية المعمقة مع ثلاث مجموعات من قراء التخييل العلمي لجيبسون في تشرين الأول ١٩٩٢ ونيسان/ أيار ١٩٩٣ . تُعرف النسخ بالفئة (C, B, A) ورقم الجلسة (١ – ٤) ، بحيث أن (B_4) تشير إلى نسخة الجلسة الرابعة للفئة B . إن أفراد الفئات هم كمايلي:

الفئة A: جيمس، روب، جاسون، كريس، بيرز، وماريا. كلهم كانوا في أوائل العشرينات، وكلهم باستثناء ماريا نالوا شهادات جامعية أو مؤهلات عليا في موضوع علمي. في وقت المقابلة، كان روب مصمم منظومات شبكة حاسوب، أما جاسون وكريس وبيرز فكانوا طلاباً، وكان جيمس وماريا يبحثان عن وظائف.

الفئة B: جايل، مايك جي، أماندا، مايك آر وجون. كلهم كانوا في أوائل الثلاثينات باستثناء جايل، الذي كان في الواحد والعشرين من عمره. كان جون وأماندا ومايك جي يعملون بالحواسيب أو الدعم التقني. كان مايك آر كيميائياً باحثاً، وكان جايل طالباً.

الفئة C: ألفين، سيمون، راغنار، ستيف ومارك. كل الطلاب في العشرينات الأخيرة بغض النظر عن ستيف. الذي كان ممرض الطاقم في أوائل العشرينات.

(٨) لقد قارنت أماندا والأفراد الآخرين للفئة B أيضاً بصراحة الفضاءات النصية لجيبسون بالأوصاف الأكثر سماكة، والأكثر تفصيلاً لبريان ألديس، جون كراولي، وغيرهم.

(٩) النوعية الصوتية لتسجيل هذه الجلسة كانت رديئة جداً.

(١٠) رأي مارك آر أن خبرة جون تشبه كثيراً وصف جيبسون للأطفال الذين يلعبون ألعاب القناطر حيث "يمكنك أن ترى منهم أنهم كانوا يريدون أن يكونوا في اللعبة" (B_1 التشديد مضاف).

(١١) على العموم، تأخذ التفسيرات النقدية للفضاء السايبري أحد موقفين. إما أن الفضاء السايبري يُقرأ كتصور ذكوري وأن الشكل المرتب هندسياً والحداثوي للفضاء السايبري يفيد في تقييد تحولات الجنوسة والهوية التي تكون ممكنة في فضاء جديد؛ إن "الفضاء السايبري هو ناقل لأجل السماح لميوعة العلاقات الاجتماعية والجنسية بأن تحدد ضمن التشكلات العقلانية لتقانة المعلومات" (Wolmark 1993: 118; see also Springer 1991). أما الموقف الثاني فيجادل بأن الفضاء السايبري هو مؤنث أصلاً (Stone 1991). فالمستعملون [الذكور] يذكرونه ويفرضون النظام عليه بالقوة بوصفهم "مغتصبين مجازيين" (Nixon 1992: 229). لسوء الحظ، إن هذه القراءات بالتوازي مع التنويعات على هذه الثيمات من قبل روس (١٩٩١) وبوكاتمان (1993b) تتجاهل كلاً من دور الاصطلاحات الأجناسية وإبداعية القارئ. آمل أن أكون قد أوضحت كم هو من الصعب أن ندرس جنوسة النصوص في ضوء تفسيرات قرائها.

١٣- عن المحدودية

فضاء أجساد النص الفائق(*)

مايكل جويس

الفصل الذي أكتب: الإقامة المتغايرة الأماكن Heterotopic أو أنا هنا أليس كذلك.

«كانت الأشياء التي يعرضها هي آثار بالدرجة الأولى؛ إن الصورة الفوتوغرافية قد ألمحت إلى المعرفة التي نادراً ما يظهرها. لقد التقطت القمة المرئية، تفصيلاً أو سطحاً، ووجدت طرقاً أخرى للإشارة إلى ما لا يوجد. ما كان قد أحيل إلى المسافة، عندما لا يقطع دفعة واحدة. كان هذا هو زخم الفراغ في المدينة الثالثة». (في غياب الباريسية ... مولي نسبت ١٩٩٢).

منذ بعض الوقت أُرسل لي نص الاقتراح لأجل هذه المجموعة الذي تضمن، من بعض خلاصات فصول أخرى، التالي:

١٥) النصوص الأثيرية: كلمات في الشبكة(*) مايكل جويس، كلية فاسار، أو مايك كرانغ، جامعة دورهام.

«إن إمكانيات الجغرافيات الافتراضية ليست ببساطة "في الخارج هناك" للتعليق عليها. إنها أيضاً تشي بطبيعة وإمكانيات تلك التعليقات. بتطوير

(*) On boundfulness: The space of hypertext bodies.

القضايا المثارة في الفصل السابق. سيقوم هذا المقال بسبر الطرق التي يمكن أن تؤثر بها التطورات الحديثة في الوسائط الالكترونية في الطرق التي تمثل بها هذه الجغرافيات الافتراضية. بالنظر تحديداً إلى عالم النص الفائق، يتبنى الفصل الحجة القائلة بأن النص الفائق يقدم كوناً صغيراً microcosm من الشبكة ككل ـ أي، إنه يتخذ شكل روابط بين حقول متفرقة من المعرفة في فضاء الكتروني. إنه يسأل كيف يشكل النص الفائق هذه الروابط حول الكوكبات الجديدة من المعرفة التي تجعلها جغرافيتها ممكنة وبشكل مؤقت، حول القدرة التي يجعلها متاحة للقارئ ليعيد ترتيب النص بشكل جذري ليخلق أشكالاً جديدة من المعرفة، ربما تكون أكثر انفتاحاً. لكنه يؤطر تساؤلاته في منظور تاريخي يسأل إلى مدى تتجاوز هذه التطورات بالفعل الأشكال الأقدم للنص وأنماط التمثيل النصي والقراءة)).

هذا هو، بالطبع، الفصل الذي أكتبه، رغم أنه في الوقت الذي اقتُرح علي، كان من الممكن أن يكون شخصاً آخر هو الذي كان يكتبه (الشخص الذي كان قد كتب الخلاصة، كما يفترض المرء، ربما المحرر، مايك كرانغ، المسمى هنا، رغم أن شخصاً آخر كان من الممكن بالشكل نفسه أن يكون قد أعطى لنفسه توصية). منذ عام أو أكثر تلقيت توسلاً مماثلاً من محرر للمساهمة في فصل بخصوص النص الفائق من أجل مجموعة مقترحة حول إعادة القراءة. ذاك التوسل كان موجهاً إلى مايكل مولثروب، وهو دمج لاسمي واسم ستيوارت مولثروب.

لم يكن الأمر هكذا بالنسبة للمحررين والمؤلفين والمقترحات والمجموعات ولذلك لا أفترض أنه يوحي بأن هذه الحكايات تحد بالضرورة من "إمكانيات الجغرافيات الافتراضية . . . . [التي] تشي بطبيعة وإمكانيات تلك التعليقات".

مع ذلك فإن معقولية المؤلفية القابلة للتبديل هي أيضاً معقولية الهوية القابلة للتبديل.

حسناً، أنا هنا، أليس كذلك؟

إن الاستراتيجية لجعل نفسي المركز لنص حول المحدودية هي الشك. ومع ذلك، قد نسأل لمن تعني هوية هذا "الأنا" [شيئاً] (وبالشكل نفسه من هي هذه "النحن" التي يمكن أن تسأل عندما تكون هي في البيت). كما يقول هابرماس، "حتى الهويات الجماعية ترقص جيئة وذهاباً في دفق التفسيرات". إن فصلاً حول النصية الفائقة مطلوب وأياً يكن (بشكل مفضل شخص ما ذو اسم واحد على الأقل يبدأ بـ M) يمكنه أن يكتبه.

يتبين أن فصلاً عن النصية الفائقة هو فصل ناقص. لقد رأى هزيود Hesiod العالم بأنه مؤسس (أو وجد العالم الذي رآه) على النقص.

على مستوى الأسلوب، ربما يوجد نوع محدد من القراء يجد هذا النوع المعين من الهزل الاستبطاني على نحو شاعري يحدد هوية "مؤلف" محدد، هو أنا. بدون شك، يمكنني أن أتذكر نفسي بين هؤلاء القراء. العدد هو إما واحد أو الصفر.

على مستوى الجنس الأدبي genre هذا ضرب من "قصتي"، جنس غريغوري أولمر (١٩٨٩)، الاصطناعي بشكل متعمد، النصي الفائق الإرهاصي للفضاءات المولّدة بشكل تعاقبي (وبشكل مساعد على الكشف).

على مستوى التنظيم العام (يمكننا أن نقول الحجة أو الوحدة العضوية لو كنا أقدم طرازاً؛ يمكننا أن نقول تنظيماً ظاهراً لو كنا أكثر ما بعد حداثة)، فإن أياً منا كان سيفعل ذلك. رغم أنه يجب افتراض أنني قد فعلت حسناً بالقدر نفسه أو أفضل من واحد آخر على الأقل في هذا المثال منذ أن سمح المحرر، واحد مثل هذا الآخر، ظاهرياً بهذا المدخل (أو هكذا أخمن، مع أنه بشكل إسقاطي، عندما أكتب هذا).

يمكنني أن أجد بعض العزاء في نظرية المجموعات التي أقترحها. نظراً إلى أنه من أجل كل واحدة على حدة من المجموعتين، أكون أنا العنصر المتكرر في مجموعة الكتاب الممكنين. لكن في الحقيقة فإن مؤلفيتي المزعومة (بقدر ما لا تكون متضمنة المؤلفيات الوفيرة التي تتكشف عن الأسئلة المتاحة) تعلّم فحسب حدود الأسئلة التي يتم تفحصها هنا، شيء ما فعلته خلاصة مايك كرانغ قبلي بوقت طويل وبمعنى ما لذلك أنجزه دوماً ولو فقط بالإيحاء بغيابه، حضوراً تحدثه مؤلفيتي بشكل مجازي.

يقوم القارئ بوظيفته بالشكل نفسه، هنا كما في النص الفائق، رغم أنه ثمة حظ أقل في أن النص هنا سوف ينسل من مؤلفيته المزعومة ضمن حدود الفصل.

نصوص أثيرية: كلمات في الشبكة، من تأليف مايكل مولثروب أو هزيود. أنا هنا، أليس كذلك، على الأقل حتى الصفحة (آخر كلمة عاجز عن كتابتها بما أن الصفحة نفسها لا توجد في وقت هذه الكتابة لذلك تُرمَّز، تُعلَّم بفراغات تحتها سطر كإشارة على مؤلفية مستقبلية ما، قد تملأ وقد لا تملأ).

يفيد المؤلف بوصفه المفرد. إن فضاء الأجساد النصية الفائقة في التحريض المخطط (المطوي، الكئيب للعنوان المفرد للفصل، "حول المحدودية: فضاء الأجساد النصية الفائقة") الذي يظهر ولا يظهر ضمنه هذا الفصل: "نصوص أثيرية: الكلمات في الشبكة"

((الفقرة التي تقرؤها، أو قرأتها، تبعاً لكيف تؤلف أنت هذه التقفيلة coda، ظهرت أصلاً في نهاية الفصل الذي أكتبه، إلى أن تدخل المحررون بالاقتراح الملائم القائل بأنه "إذا نقلت الفقرة الأخيرة حول مؤلفيتك إلى الواجهة فيمكن أن تهيء القارئ حول كيف يفسر المقال.... [منذ] مالم يقرأوا ((الآمال التقية)) فإنهم لن يعرفوا مسبقاً أن هذا حول النص الفائق)).

هذا حول النص الفائق.

ظن المرء نفسه في مكان آخر:

ناضجاً ومنحنياً

يقنع اليد

أن تمسك ما تملكه

لتلعب به وتتباهى به

("عود بندق لأجل كاثرين آن" شيموس هيني).

"هذا الجنس الأدبي الأيرلندي الخاص، الايمرام immram ، يتعامل مع المجازفات "الجريئة في محيط مجهول .. كيفما كانت المغامرات استيهامية وكانت الجغرافية تخيلية، يدون الايمرام تجارب كانت حقيقية" ("Irish Seafaring: Carl O. Sauer")

لا يظن ديبرغر أنه هنا – ماذا يعني هذا؟ – هو يظن أنه في مكان ما آخر. لا يكفي أن تسأله، أنا أخبركم. ليس وحده في التفكير بذلك، ظن ذلك، أينما كان. دعونا نسأله.

إنه يريد أن يكون في كل مكان، يريد ألا يكون في أي مكان. اليوتوبيات = كل الأمكنة. ليس لديه ساق ليقف عليها. إنه خارج المكان "بجانب نفسه" حسب القول الدارج. إنه معتاد على ذلك، إنه مشعوذ.

إنه [يركب] الموجة الجديدة، هكذا يقال على البرنامج. بطريقة مماثلة، محببة، يلوح للحشد وهو يقول، بلهجة تيوتونية قليلاً (أي . . . . I dun't read any sing) – نمساوية فعلاً، يقول:

لا أقرأ شيئاً على الشبكة بعد. أتفقد الوصلات فقط وأعلّم تلك التي أريد العودة إليها لاحقاً. مع أنني لا أفعل ذلك حقاً".

إن التوسط ليس بدوياً بالتحديد ولا أداتياً ولا جبرياً بل ، بالأحرى إرادياً ، تكوينياً . إن قطع وصلة في شبكة يدرك بوصفه كل مكان يتشرب السطوح ، فضاءً طوبولوجياً ، جلداً ، سطح السطوح بدون سطح ، آمين .

من المهم أن نسأل أنفسنا كيف نؤلف الجسد الذي يرى ذاته في المحدودية ، [الجسد] النفوذ permeable مع أنه ليس بأقل ثباتاً من بقية العالم الزائل ، البيني بالكامل ومع ذلك ليس بأقل كمالاً .

خارج المكان [≠] تناضحي Osmotic -[≠] Ectopic:

ليس بالنفي . إنه شيء ما آخر غير الجسد البدوي الذي يشغل فضاءه الخاص به مع أنه منتزع من موطنه . لا يعتقد ماركوس نوفاك:

«أنحت كلمة pan + topos, pantopicon، لوصف حالة الوجود في كل الأمكنة في وقت واحد، كمقابل لرؤية كل الأمكنة من مكان واحد. فالوجود في كل الأمكنة لا يمكن تحقيقه إلا من خلال التحرر من الجسد، وهذا، مع أنه أيضاً ينم عن الوجود، فإنه وجود يكون عن طريق التحلل، عن طريق تذرية (تذري) الوعي، بدلاً من الوجود عن طريق التركز أو التكثف» (1996, on-line unpaginated).

إنه شيء ما أكثر من انعطاف بيركلي (نسبة إلى الأسقف بيركلي وليس إلى حرم جامعة بيركلي) أن نقول إن ديبيرغر Dieberger (الجبال) يعني بشكل مختلف . فهو ليس لديه أمكنة في أوقات كثيرة وإن يكن ليس في أي مكان على الإطلاق في مكان آخر هنا .

اسمع اسمع .

يقابل إعلانه بتصفيق كبير (عدد كبير جداً من الصبيان في الجمهور يدَّعون عن طريق هتافات الابتهاج أو الاستحسان أنهم أيضاً لم يعودوا يقرأون الوصلات، بل يتأرجحون من غصن إلى غصن مثل طرزان؛ في حين يستندون إلى المعسكر فإن جاين لودر Jayne Loader، فتاة الشبكة وليس جين Jane، تبني أدباً من الوصلات على المخططات الصبيانية – ولا سكاما Schama، لا سيمون تبنى عليه كنيسة – للمص الأولي (قبل الإطار).

توجد أنواع معينة من معرفات القراءة والكتابة التي تستطيع أن تفك الجملة السابقة، مع أنها ليست مجرد متصادفات ذات حدود مشتركة (طرزان وجين هما، بالطبع، الايقونتان الما قبل – الما بعد – كولولنياليتان لبعض المرّوجين الأطفال الما قبل – الما بعد نسويين؛ إن موقع فتاة شبكة جاين لودر (http://www.pulblicshelter.com/wench/) يستغل جمالية طباقية جُعلت شعبية لأول مرة من قبل المجلة الشبكية viz, suck. www. suck. com التي تلعب فيها الوصلات المجسَّدة بشكل ذكي نصاً غبياً، كون المتعة في التمييز المتزامن للطباق الضمني ووفرة الشبكة. (كون الحداثة، كما يعبر عن ذلك إدوارد سوجا، "سياقاً وحالة"، (١٩٩٣: ١٤٧)، الذي ليس الطباق سوى حالة خاصة منه؛ رغم أنني قرأت لأول مرة العبارة أعترف أنني ظننت أنه قال: استحضار Conjecture) إن فيلم لورد، **المقهى** الذري، هو بالتأكيد سر بين الأسلاف المشبوكة مسبقاً لهذه الجمالية للانفصال والوفرة المتداخلين.

يسمي نوفاك هذا الانتقال للوعي من مجتمع رؤية كل الأمكنة الجابذة(*) إلى مجتمع الوجود في كل الأمكنة النابذة(**)، باسم الطرد المركزي.

إن عطف الجملة البريئة بشكل أولي والفقرة المحصورة بهلالين الطويلة والكثيفة والمصممة بشكل زائد ليس مجرد حيلة للحداثوية منفذة كما ينبغي

(*) centripetal panopticon.

(**) centrifugal pantopicon.

(ببلادة) من خلال ما بعد الحداثوية والنصية الفائقة بل هو بحد ذاته مثال على المحدودية.

فإلى حد ينتقل الشبان الموجودون في كل مكان على [العظام] شبه المنحرفة الطائرة من وصلة إلى وصلة بدون ترجل. قد تكون هناك، بالطبع، مبررات لافتراض أن القوة النابذة هي نفس الأغنية القديمة. يمكننا أن نسأل، ما معنى أغنية البجع لشخص يواصل انتقاله؟ ما هو الإنتاج، mea culpa mea marxisme، المتضمن في العبور أو الوصلات أو الفضاء؟ يرى ديفيد هارفي، بنغمة إرهاصية – بعد ماركسية خاصة به، أن "تشويه سمعة أمكنة الآخرين يوفر طريقة لتوكيد قابلية الحياة والقدرة البدئية لمكان المرء الخاص". إن أشباه البشر الصغار يطلقون مثل هذه الدعوات. كل هذا التأرجح من غصن إلى غصن قد يكون مجرد تعليم للمكان place-marking فيما يسميه هارفي "التنافس الضاري على الصور والصور المضادة للمكان" وحيث تلتحم السياسة الثقافية للأمكنة، والاقتصاد السياسي لتطورها، وتراكم مفهوم السلطة الاجتماعية في المكان على نحو متكرر بطرق غير قابلة للتمييز" (١٩٩٣:٢٣). في دراسة لمتصفحي النصوص الفائقة (تعني هنا برامج مثل Netscape أو Internet Explorer) التي لا يستطيع فيها القارئ أن يغير النص بل يستطيع فقط أن يبحر بين مسارات مسبقة التشكيل، مثل حالات (جوالي) Wandersmänner دي سرتو تجد ميريل روزيللو بالشكل نفسه إنتاجاً ضمنياً يستهلك فيه المتصفحون (أي القراء) "بشكل منفعل ما أنتجه أو كتبه آخرون [وتجرد] خطوات السائر عبر المدينة من الجسد، مثل معلومات عديمة الوزن تتخم شبكة . . . " (١٩٩٤:١٣٦) إنها تستحضر جزم دي سرتو أن "مسوحات الطرق تخطئ ما كان: فعل المرور بـ، ذاته" (٩٧: ١٩٨٤) ما يوحي بأنه مثل أثر ديريدي، مثل هذه الخرائط تحفظ ذاكرة الغياب . . . . الأثر المخلَّف يُجعل بديلاً عن الممارسة". بالنسبة للشبان الموجودين في

كل الأمكنة يكون ذاك الأثر مجسداً، هو الجسد في محدوديته، إنها خرائط سائرة (أو طائرة) للمعنى غير المستكشف.

إن إيماءة الناحية الأخرى العطفية والرتق البحثي scholarly stitchery، من ناحية أخرى، ينهيان تحديداً جدلياً (ديالكتيكياً) يحد الفضاء الريشي الذي تقع فيه أنواع معرفات القراءة والكتابة المنهجية التي ليست بأقل ((ما بعد) حداثوية) – التي يمكنها أن تحزم وتفلش الجمل والفقرات السابقة مثل حقائب السفر لمتجول ما، أجنبي على سبيل المثال، يقوم برحلات متكررة في أمكنة أخرى بدون استقرار و يختفي، خارج مجال رؤيتنا، بدون أثر.

لقد اقترحت في أمكنة أخرى كمجاز للنص الفائق توصيف كريستيفا لـ "آخرية الأجنبي" بلغة التكرار المتناغم للاختلاف الذي يتضمنه وينشره بأسلوب يربطها بمقطوعتي Tocattas و Fugues لباخ: "آخرية معترف بها، ومغيظة . . . مثقفة، محرَّرة، منثورة، منقوشة في مسرحية أصلية يتم تطويرها، بدون هدف، بدون قيد، بدون نهاية. آخرية ما إن تتم ملامستها حتى تولي مبتعدة".

رغم أن الآخرية يمكن النظر إليها على أنها بلا حد، فإن الأجنبي هو صورة من المحدودية أيضاً. إنه استمرار الرؤية، على سبيل المثال، أو ببساطة التكرار البسيط. فالأجنبي أو الـ fugue، خصوصاً عندما يكرران، يصنعان فضاءً يكون داخل فضاء النص، وخارجه بشكل متزامن بطريقة ما.

إن إيماءة الاعتراض، الجدلي، الثيمي (الموضوعاتي)، الإيقاعي، الـ fugal، المتكاتل، الأحادي الاسم، القائمة، الوصلة، الابتهال إضافة إلى أي من وكل السلسلة العطفية الأخرى – سواء كانت مزودة بشحطة أم لا – تشكل فضاء النصية الفائقة. فالمحدودية، بهذا المعنى، هي فضاء يصنع نفسه دائماً، شريحة شريحةً، مقطعاً مقطعاً، منسوباً منسوباً؛ لا يصل أبداً إلى أي مكان يوجد فيه ديبرغر على الوصلات (فتحته في طارة واحدة على سطح واحد دوماً).

«[مداخلة: في سياق البحث عن زينون الإيليائي Zenon of Elea لأجل إقامة الصلة بين هذا الفضاء ذي المحدودية الدائمة الانفتاح ومفارقته الشهيرة، أكتشف أنه عندما يُنسخ النص من طبعة النص الفائق Microsoft 97-Bookshelf 1996 من موسوعة كولومبيا المختصرة The Concise Columbia Encyclopaedia إلى وثيقة، على الأقل ضمن منتجات مايكروسوفت، فإن البرنامج يولد بشكل تلقائي (وغير منظور في معظم الرؤى) هامشاً يحتوي على معلومات حقوق الطبع. من الممكن طبعاً أن نتخيل شخصاً ما ينسخ مصطلحات من الـ Microsoft Bookshelf إلى امتداد المصطلحات المنسوخة سابقاً من ذاك المصدر. بمكنه أن يخلق نصاً محدوداً تماماً من الحواف الاقتباسية (الاقتطافية) المتتالية، ليس خلافاً للكونتورات (المناسيب) الطوبوغرافية. Quod erat demonstrandum screen nmane]»

ديبرغر هو أندرياس ديبرغر، اسمه الشاشي (ومهنته) مشعوذ. مؤلف "تصفح الـ www بالتفاعل مع بيئة افتراضية تقنية – إطار لأجل التجريب بالمجازات الملاحية" (١٧٠-١٩٩٦). هنا (أو هناك) يوجد النص الفائق ACM 96 Panel حول الفضاءات (الفائقة) المستقبلية.

ديبرغر ملأ الفراغ في اللحظة الأخيرة لأجل مارك بسك Mark Pesce، المبدع المشارك لـ VRML لغة نمذجة (قولبة) الواقع الافتراضي، (لغة كما هو ظاهر حتى الآن عاجزة عن وضعه في مكانين بآن معاً) وهكذا فإن ديبرغر ليس مدرجاً كمشارك في البرنامج. تعليقاته لا تطبع أو ترسل بريدياً على الشبكة. يمكنني إظهارها. كان عليك أن تكون هناك.

الشرطي الشبح والمخيلة الكنائية:

"إنها ليست مسألة قرار بالدخول إلى الفضاء السايبري. فنحن دائماً فيه، قبل الشرط الحرفي."

Being@Home.......as"

Becomig Information and

Hyper surface)), Stephen Perrella

"لقد هبطت لأرى

بأي حال كان حالي" (كيني روجرز والطبعة الأولى).

حتى هكذا يمكننا أن ندرس الخبرة اللاحقة – السابقة للحالة الراهنة.

إن فضاء العقدة – ليس بالضبط "شاشة" أو "صفحة" – ميتا – عنصر لا يزال دقيقاً من الناحية الحوسبية، على الأقل إلى حد أنه يمكن تحديد موقعه، ولذلك فهو كنائي metonymic. إنه يستجمع مجمل شبكة علاقاته عن طريق فضح فشله في المشاركة ضمن ذاك الكل، الذي لا يوجد بالطبع في أية حالة متماسكة خارج الإيحاء بغيابه، حضوراً تحدثه جزئية العنصر الكنائي.

Whoa. Woe. Woe begone. Wo bin ich?

دعونا نتفحص ذلك ببساطة أكثر. تُمثل صفحة الشبكة (الويب) حالياً كنافذة بطريقة ما للإشارة إلى العمق (الإدراج الخ) الذي يوحي أيضاً بمقياس للإغلاق الموضعي أو المحدودية. مع ذلك فإن ذاك المقياس (عمود الإدراج scrollbar على سبيل المثال) ليس ميتانصياً meta textual بقدر ما هو خارج نصياً extra textual. فالمرء ليس ميالاً ليقول أو يفكر: "وجدت صورة لخنزير على سبعة أتساع المسافة نزولاً على عمود الإدراج على نافذة مفتوحة كلياً على مونيتور ٤٨٠ × ٦٤". فالنافذة نفسها هي مجرد نتاج صنعي لبنية بيانات ضمن نظام التشغيل، أو المتصفح، أو بنية البريد الساخن html (التي قد تكون ذاتها هرمية شكلية أو شبكة مصادفة وانتهازية تم تمثيلها على نحو غير شكلي حتى الآن).

مع ذلك فإن كل واحد من هذه الفضاءات - المقياس التقبلي الذاتي proprioceptive لخنزير على بعد سبعة أتساع المسافة نزولاً أو التجريد اللاشكلي للوعاء الحاوي - يمكن القول إنه ليس فقط يجسد بل يؤلف النصية الفائقة، خصوصاً (النصية الفائقة] لموقع عشوائي، الذي سأقدمه في سبيل المحاولة فقط من خلال العنصر المتميز الواحد (نفسه "يقع" في مكان آخر، في ملف gif file على سبيل المثال، أي، "هذا الخنزير الصغير ذهب ليكبر . . . . . . ").

ترمز خبرة هذا الفضاء ضمن العقدة بشكل كنائي إلى كل من فضاء البنى المجردة لتمثيله (النافذة، النظام، المتصفح، الإطار) والفضاء المركب (الموقع، الشبكة، القصة، القراءة) الذي نخبره ضمنه.

إن الإلحاح على "النقر على المفاتيح" بوصفه المقياس للفعالية الدعائية على الشبكة يقلب بلاغة رسختها صناعة الدعاية (التي أصطلح على تسميتها "بعالم الدعاية": الأرض بكاملها أصبحت اسم علامة تجارية هبية hippie قبل أن يصبح ستيوارت براند معلماً تكنولوجياً) التي تُصور فيها الدعاية بوصفها حيادية وخارج نصية. هكذا تقترح مجلة Wired أن الدعاية ينبغي ربما أن تدخل المضمون (كما لو بقي أن يُخترع موضع المنتَج). من الناحية الفعلية فإن كاتب العمود (أعرف أنني ينبغي أن أضع ذلك في الهامش لكن حتى لو كان هذا العزو كذباً، فإن الحجة، إذا كانت هكذا، لا تصمد والكتابة في تلك المجلة ليس المقصود بها أن تستمر فقط) يوحي بأن الدعاية تحاك من خلال المضمون (كما لو كان textus يعني أي شيء آخر؛ كما لو أن الحياكة ليست اختراقاً؛ كما لو أن الجملة المعترضة لم تكن رئة).

إن وضع هذه الحجة بعينها(إذا كانت حجة؛ فإن click through لم يقرر بعد) هو طبعة من الإعكاس نفسه. يعتمد تعيين الحدود لهذا الخطاب على تصور مبتكر لكونه ذا معنى. إن "المحلية"، كما يرى أرجون أباردوراي، منتحلاً

مصطلح رايموند ويليامز، هي بنية من الشعور. يجب على القارىء أن يفترض أن إطلاق الصوت المفضّأ هنا يعيد تقديم(يدخل) مضمون الحجة التي تكون هي نفسها ممثلة بإدراك ذاك التناسج(التمثيل، الدخول). ربما أكون"مجنوناً" ببساطة أو مفكراً صبيانياً.

فيما أتابع حديثاً في هامبورغ (N53°33´N10°0´E) على سبيل المثال تتقدم إمرأة لتسأل إن كنت بوذياً، قائلة، ((كان عليّ أن أصغي عن قرب شديد لأنني أستطيع أن أتأكد من لحظة إلى لحظة ما إذا كنت تناقش القصيدة التي ألفها ميلوش أم المفهوم العلمي للتفرد الكارثي، أم نظرية النص الفائق. "ذاك هو المفهوم العلمي للتفرد")) رد الـ sensei.

إن الفكرة الحداثوية القائلة بأن المعنى يقدم نفسه في (أو بعد après) التفتت يتم طرحها (بذرها) في ما بعد الحداثوية إلى تفتت صيغة المضارع للمعنى كتيار مضطرد. من الإنصاف أن نسأل أين يتوضع هذا التيار؟ هذه الأرض بكاملها؟ هذه السبعة أتساع الخنوص [الخنزير الصغير]؟ الفضاء ضمن عقدة؟ كتاب القدرة في الإعصار السينمائي؟

إن عالم التمثيلات المرمزة لا يوجد في أية حالة متماسكة خارج إيحاء غيابه، حضور يحدثه العنصر الكنائي.

المشعوذ غير المجسَّد، الكلي المحدودية، die Berger، يوجد في الغياب. إنه في طريقه ليس [غير موجود] في أي مكان (nomos) بل في مكان آخر (تناضح osmosis). إن التقطيع الذي لا نهاية له للمحدودية. يحول تفكير دولوز وغواتاري حول الأملس والمثلم إلى ريبورتاج خالص. التناضح هو توازن السائل على امتداد حاجز نصف نفوذ.

إن الشبكة تتجاوز المكانية الحتمية للنصوص الفائقة الأخرى بأن تصبح تناضحية بشكل أولي وسريعة الزوال. (قبل الكتُبية bookishness المفرطة الرجعية

لـ Myst أبدع راند وروبين ميلر عالماً آخر (آخرة) دائم السعادة فائق التخييل على نحو مفرط في Cosmic Osmo) . بالالتفاف على مفاهيمنا للإثبات والكشف ، والتماس ، نجد أنفسنا نسقط في المفهوم . إن الاعتراف بالاعتراضي يحث طالبتي سامنثا تشايتكين على تقديم مجاز من صنف جديد ، في نقد لتمثيلات النص الفائق المكاني:

((كان الأحرى بي .... أن أقفز في الهواء وأدع الأرض تعيد ترتيب نفسها بحيث أنني، وأنا أسقط على نفس البقعة، أجد نفسي في مكان ما مختلف. إلى أين أكون ذاهباً عندما أقرأ؟ ليس إلى حيث يذهب النص نفسه، بحيث يمكن أن أجد نفسي هناك)) (١٩٩٦).

تعتبر "الأنا" (I) ثابتة (كما هنا) وتتجنب الإيماءة المصطلح عليها التي تحجب الأنا / العين eye/I وهكذا إما أن تموضع العالم ضمن نظرة gaze أو تذوت العالم ضمن خطاب discourse . إن الأرض تمنح مؤلفيتها الخاصة بها عندما تُرى الصلة بوصفها tour en l' air . ومع ذلك فهي ، En bas . تقف النفس ككناية metonym ، على الأرض الصلبة ، جزءاً ليس بديلاً عن ، بل بمثابة الكل .

إن العالم (الأرض) (يعاود) اكتساء قوته في المكانآخرية elsewhereness لمحدوديتنا (عبارة تستدعي في جمعها الكوني للإيَّاتnesses(*) – معنى مفقوداً لليوتوبية [الطوباوية] ، العبارات التراتيلية للمهتز(**) الـ Sussurus للمدائح – يسوع الجميل). السؤال الجاهز هو الانبعاث: ما الجسد؟

من الصعب ألا نتخيل أن شيئاً ما يستمر على (هذه الأرض) في مكان آخر عندما نحط مرة تلو الأخرى على عالم يفتل. مصدر القلق الأكثر شيوعاً

(*) NESS هي لاحقة تضاف إلى الصفة فتحولها إلى اسم في اللغة الانكليزية مثال ذلك big (كبير) ← bigness (كِبَر).

(**) المهتز Shaker أحد أفراد طائفة دينية أميركية تعرف بالمهتزين . . . (المترجم).

الذي يحكي عنه طلابي عندما يأتون لقراءة تخييلات النص الفائق هو الشعور بأن القصة تستمر في مكان آخر إما رغم إراداتهم أو في غفلة منهم.

لقد تنبأ روائي ومنظّر النص الفائق ستيوارت مولثروب في وقت مبكر من التاريخ الحديث (لخلق فضاء) للنظرية الأدبية النصية الفائقة بهذه الصفة الكنائية للفضاء التخييلي الفائق: "أن تتصور نصاً بوصفه فضاءً صالحاً للملاحة ليس هو نفس رؤيته في ضوء منهج واحد، مقرر مسبقاً، للقراءة". يقارن مولثروب التلميح المبكر إلى الكمال الذي يقدمه التخييل التقليدي [الذي] يحتم ويجيز سلسلة البنود التي يتألف منها السرد بالمجاز المميّز للخريطة "في تخييل النص الفائق الذي يمكّن القارئ من بناء عدد كبير من هذه المنظومات، بدلاً من تفضيل أي منظور كنائي واحد . . . حتى عندما . . . . لا تكون هذه التصورات قد تم التنبؤ بها من قبل مصمم النص" (١٢٩ : ١٩٩١).

لقد اقترحت في مكان آخر أن هذا الصنف من الزعم لأجل تخييل النص الفائق يكمن وراء صيغة امبرتو ايكو التحويلية الحرفية لـ "العمل المفتوح" ولو أنه مع ذلك مدين بالفضل إليها، وهي التي تقدم للقارئ "إقحاماً موجهاً في شيء ما يبقى دوماً العالم المقصود من قبل المؤلف" (١٩٨٩:١٩). ومع ذلك حتى مولثروب (مهما يكن بالضرورة، بما أننا في أولى مراحله – منذ عقد فقط – كنا جميعاً نتصور قارئاً وكاتباً واحداً في رقصة يتحركان على شبكة واحدة) تجادل من منظور القارئ الواحد، غير مدركة نفسها لتقدّم أندادها الحقيقيين أو المتخيلين في مكان آخر من خلال النص المتحرك:

«الكناية metonymy لا تخدم المجاز ببساطة في التخييل الفائق للنص، بل تتعايش مع المجاز metaphor في علاقة جدلية معقدة. يكتشف القارئ مسارات من خلال المتاهة النصية، وهذه المسارات يمكن أن تؤلف خطوطاً سردية متماسكة ومنغلقة. لكن كل واحد من هذه الاجتيازات من الكناية إلى

المجاز يكون هو ذاته محتوى ضمن البنية الكبرى للنص الفائق، ولا يمكنه ذاته أن يستنفد إمكانيات تلك البنية)). (١٢٩:١٩٩١).

إن إدراك طلابي للمكان الآخر المتزامن الذي يتصورونه من محدوديتهم يتم إعلاؤه لأنهم يدركون أن اختياراتهم تشكل القصة، أو بالأحرى إن حضورهم المستمر يجسدها.

"إن ملاحة navigation النص الفائق"، كما يلاحظ تيري هاربولد تعني ليس فقط اجتياز فضاءً بين نقطتين في السردية؛ إنها تعني أيضاً اختيار الافتراق عن مسار مقرر مسبقاً" (١٢٩:١٩٩١).

الشرطي الشبح phantom limb هي القصة التي تستمر في مكان آخر في حين نمر بقصة الهنا المكرر. يتولد لدينا الشعور بأننا في مكان آخر، على أرض أخرى. ومع أن المكان الآخر هو أيضاً هنا، فإن ما يميز الكناية عن المجاز هو هروبها التحت مداري suborbital، تحولها الدلالي الجانبي انزياح متفضيء ضمن فضاء الحرفي literal خارج سرعة التملص المداري للمجاز. "إن إمكانية أن يكون بمقدور القارئ أن يختار الانحراف عن مسار السردية، وأن يبقى ضمن حقل/ أرض لا يزال مساراً على نحو قابل للتعريف للنص الذي تقرأه هي"، يقول هاربولد [هذه الإمكانية]، "تعقد إلى حد كبير مجازات الحركة المتعمدة التي يمكن تطبيقها على فعل القراءة"(١٢٩:١٩٩١). ففي الداخل والخارج بآن معاً، لا تشعر القارئة بخسرانها بقدر ما تشعر بخسران الحضور المجسد لمحدودية الجسد. فالأرض والجسد على حد سواء هما توقان منظوميان.

ليس "الجسد، كما يلاحظ دونالد كونز، فكرة مجردة بل كياناً حياً. الجسد هو ما يفعله الجسد، ولهذا يكون الجسد متحالفاً مع سيرورة الإحداث enactment التي تكتسي "البعد الرابع" الذي يعاد حشره في موقعه الجديد بين التمثيل والعالم". يحدد كونز موقع هذا الإحداث في

"فجوة في منظومة [جملة] الأبعاد الديكارتية . . . . بين البعدين ٢# و٣# "حيث يرتبط" الزمن المفضّأ والفضاء المزمّن" بالعضلية muscularity والتفعيل enaction والتحبيك emplotment وديناميك الانتقال من الصور (الخيالات) إلى الوقائع المجسمة ، أي ، العالم الذي يصبح فيه الفعل البشري فعلياً ، العالم الواقعي القابل للتشارك (١٩٩٥) .

الفصل الثاني ، المشهد الخامس: يدخل الواقعي ، يرافقه مختلف الأسياد والسيدات ، الرجل الفرنسي وآخرون:

((ثمة أيضاً ربما، بشكل محتمل في كل ثقافة، في كل حضارة، أمكنة واقعية ـ أمكنة توجد وأمكنة تشكل في تأسيس مجتمعنا ذاته ـ هي شيء مثل الموقع المضاد، كل المواقع الحقيقية الأخرى التي توجد ضمن الثقافة تكون في الوقت نفسه ممثّلة، وموضع تنافس ومقلوبة. أمكنة من هذا النوع هي خارج كل الأمكنة، حتى رغم أنها من الممكن أن تدل على موقعها في الواقع. لأن هذه الأمكنة مختلفة بشكل مطلق عن كافة المواقع التي تعكس وتتكلم حولها، فسوف أدعوها، عن طريق المقارنة باليوتوبيات، هيتيروتوبيات (أمكنة مغايرة) (Foucault ١٩٨٦: ٢٤)).

المتكلم هو الرجل الفرنسي ، فوكو ، وهو يتصارع مع ملاكة (رغم أن المشاهدين ربما قد يخطئون هذه فيظنونها رقصة) . فيما يدعى فضاءه الهيتروتوبي الواقعي أريد أن أضع مسكناً صغيراً ، كوخاً طقوسياً ربما ، يمكننا فيه ، لأغراض هذه الدراما ، أن نميز بين الشبان الطائرين على آلاتهم شبح المنحرفة والشابات اللواتي يغزلن في الجو .

متغاير المكان # خارج المكان: Heterotopic # ectopic

لأن اشتياق سامنثا ليس ، كما أظن ، لأجل الجسد خارج الجسد ، الذات خارج المكان ، خارج الزمانية ولذلك ما وراء الفنائية . ليس الاشتياق لأجل

الحقيقة المبرهنة بذاتها والمجسَّدة، برهاناً. لأن، كما يلاحظ كوينز، "براهين الجسد، بالتعريف محرومة من إمكانية التجرد؛ إنها ترتكب المغالطة المنطقية للإحالة الذاتية self-reference . . . . أي، السعي إلى الخطو خارج الشرط الإنساني لكي تصف عنصراً منه، يجب على العقل أن يزيف منزلته كجسد، كعنصر من الذات قيد البحث".

لقد تصارع فوكو مع هذا الملاك أيضاً، وهو يبحث عن الفضاءات التي يمكن فيها رؤية الإحالة الذاتية. أعتقد أنه، بين اليوتوبيات وهذه المواقع الأخرى:

«قد يكون ثمة صنف من الخبرة المشتركة المختلطة، التي ستكون هي المرآة. إنني أرى نفسي هناك حيث لا أكون، في فضاء افتراضي غير حقيقي ينفتح خلف السطح، أنا فوق هناك، حيث لا أكون، نوعاً من ظل يمنح مرئيتي الخاصة بي لنفسي، يمكنني من رؤية نفسي هناك حيث أكون غائباً». (٢٤: ١٩٨٦).

رغم أنه ربما لا يوجد شيء للنظر إليه (أو من خلاله). بدلاً من [في مكان] اللاواقع خارج المكان للغياب الحاضر فربما يكون ما نراه هو الترجرج المتغاير المكان، الهنا – هناك للمرأة في الجو، التحول الإبستيمي نحو النمط/ العشواء وبعيداً عن الحضور/ الغياب لما تصفها ن. كاثرين هايلز N. Katherine Hayls. بالدالات المترجرجة(1993: 71) flickering signifiers.

متغاير المكان = التناضحي: Heterototopic = osmotic

تقول هايلز، "متفاعلة مع الصور الالكترونية بدلاً من النص المقاوم مادياً":

«أمتص من خلال أصابعي بالإضافة إلى عقلي نموذجاً من التدليل لا يوجد فيه تطابق واحد لواحد بسيط بين الدال والمدلول. إنني أعرف بشكل حسي حركي كما بشكل مفاهيمي أن النص يمكن التلاعب به بطرق كانت مستحيلة لو وجد كموضوع مادي بدلاً من عرض بصري. عندما أعمل مع النص-

كصورة، فإنني أجسد داخل جسدي الأنماط الاعتيادية للحركة التي تجعل النمط والعشواء أكثر حقيقية، أكثر صلة وأكثر قوة من الحضور والغياب» (١٩٩٣:٧١).

[يخرج الواقعي والرجل الفرنسي والفتاة التي تغزل من ضمنهم].

في محاولة لمقاربة فضاء النصية الفائقة في هذا الشكل الخطي كتبت هذه المقالة في سلسلة من الطلاءات، Viz ليبارد ١٩٨٣، غير محددة بأسلوب طباعة أو، بقدر ما يتعلق بالموضوع، بأي شيء سوى السردية الأكثر بدائية أو العلامات الإعرابية، باستثناء ربما مصطلحات الفقرة التي يكون هذا مثالاً - شاذاً - عليها. لهذا فإن الزمني وحده يحدد هذا التطبق والزعم هنا، كما في أي نقش، خرائطي، فولكلوري، أو أسطوري، هو عرضة للملاحظة الفيزيائية والتحقق. حتى هكذا فإنني أقصد تمييزاً مدركاً بالحواس للفضاءات هنا، ليس خلافاً لرسم الخرائط، أو بشكل أفضل مع ذلك شيء ما قريب من "التدفقات الثقافية العالمية". لأبادوراي (١٩٩٦: ٣٣). أي، (أ) المشاهد الإثنية، (ب) مشاهد الوسائل (جـ) المشاهد التقنية، (د) مشاهد المال و(هـ) مشاهد الأفكار. في الحقيقة، إن ادعائي الخاص (ايداهو Idaho الخاص بي كما يمكن للمرء أن يقول) هو أن مختلف الفقرات هنا تشكل عناصر فيزيائية تخيلية لمشهد أرضي افتراضي. هكذا فإن قسماً واحداً يوجد في ذهني هو "الصحراء" في حين يكون آخر "مدينة الأبراج الكسرية" وهلم جرا. تبقى هذه غير محدودة (رغم أنها - لنستحضر اللازمة الديريدية الحتمية - غير ملحوظة).

الكونتورات النصية الفائقة والتقبل الذاتي المتغاير المكان:

Akiddleedivytoo أي: "الولد سيأكل اللبلاب أيضاً" (من أغنية للأطفال).

((**تبدأ المقاربة التصويرية imagistic بالصورة لكنها تنتهي بالترجمة. أما المقاربة الكنائية فكانت تبدأ بالترجمة –بشكل فعلي، بفشل الترجمة_ وتنتهي بالصورة، التي هي الوسيلة الوحيدة لإدامة العلاقة الملتبسة للمعاني المتعددة المرادفات**)) (**سماكة الماضي: "كناية الامتلاك" دونالد كونز.**

إن شعور المرء بكونه وراء ذاته يجب بالطبع أن يقبع ضمن ذات المرء أو خلاف ذلك لن يكون هناك أي حس قد أسقطه المرء وراء الذات.

كل شيء يقوم على تلك الـ "it"، رغم البنية الإيحائية لأسلوب تعبير هذه الجملة بحيث تَسِمُها في بعض الدوائر الأدبية بوصفها حداثوية سكونية (أي وليام كارلوس وليامز).

لقد قبلت منذ زمن طويل حقيقة أنني استعادي بشكل بعدي قبلي حداثوي (إعادة سياق واستحضار فائقة لسوجا).

إن الجيل الأول من كتاب تخييل النص الفائق، والبيداغوجين [علماء التربية]، والمنظرين الأدبيين، كما لاحظنا سابقاً أعلاه، تمرسوا في الأنظمة حيث كان الكتاب وقراء النصوص المحدودة نسبياً ("ليست لانهائية، لكنها ضخمة جداً، كما اصطلح جاي بولتر) يتمتعون ببيئات تفاعلية غنية نسبياً. مع ظهور الشبكة المدارة بالصورة بعد تطوير الموزاييك، يأخذ القراء والكتاب حصتهم في شبكة من النصوص غير المحدودة نسبياً (حيث تُفهم النصوص بالمعنى الفكاهي pomo الذي يتضمن الصورة – الديناميكية (الحراكية) والسكونية، بالإضافة إلى التفاعل الصوتي والتشاركي) التي تمنح بشكل مفارق فقط البيئات التفاعلية الضئيلة نسبياً. إن جيلاً ثالثاً (مدفوعاً بالجافا Java، كما يمكن للمرء أن يقول)

من المحتمل أن يبيع إمكانية الوصول إلى الفضاء اللامحدود مقابل الخبرة الغنية ضمن البيئات المطوقة تجارياً (المشبوكة داخلياً intranetted أو الـ infotained). هذه الفضاءات الشبكية الأخيرة قد لا تكون خلافاً لقوارب السياحة ذات القعر الزجاجي المتحركة بلا صوت وبشكل غير مرئي فوق تمدد وصخب الشبكة المأهولة بشكل غني لكن التفاعلية بشكل ضئيل في الأسفل، تفتش عن نيون تترا، وأتلانتيس، وحطام الطائرات الساقطة أو الغواصات المستنْفَرة.

لا تعمل الصورة إلا إذا تخيل المرء القارب ذا القعر الزجاجي مجهزاً بأسباب الراحة والمتعة: مشرب كوكتيل، إلهاً مجسداً، لعبة **shuffleboard**، محرك بحث، طاولة قبطان، جهاز سمعي حقيقي.

إن الصورة لا تعمل أبداً إذا كان يجب شرحها بشكل بدلي.

من المهم إقامة تمييز بين "العمل" و "القيام بالعمل" كما أشار، منظر برلين الفائق من الجيل الثالث عندما أبلغ العالم المعرفي الممتلئ الجسم في الاجتماع في هامبورغ (Jan 1997 7 15:11:13) (بأسف، نادماً) في الذكرى السنوية العاشرة لنشر العمل التخييلي الفائق بعنوان: **بعد الظهر afternoon** أن بياناته أظهرت أن ذلك لا يعمل ("إنه يبرهن عن طريق الجبر"، قال بك موليغان "إن هاملت هو جد شكسبير وأنه هو نفسه شبح أبيه").

إن الصورة، في النص الفائق، تعمل دائماً بشكل بديلي بالمعنى البيولوجي لنمو الطبقات الخليوية المتعاقبة. يقول ماتورانا: عندما تكلمت أولاً عن المنظومات الحية بوصفها منظومات ذاتية التكوين:

«كنت أتكلم عن المنظومات الجزيئية. لاحقاً، عندما صنعت منظومة حاسب ليولد منظومة ذاتية التكوين تحققت من أنه من الضروري أن أجعل جزيئية المنظومات الحية واضحة لكي أتجنب التشوشات .... نموذجاً حاسوبياً يحدث

في فضاء غرافيكي يولده الحاسوب وهذا هو السبب في أننا لم ندعّ أننا نمتلك منظومة حية ... مع ذلك فقد كان من الممكن أن يكون ملائماً أن نسمي كل المنظومات الذاتية التكوين، بغض النظر عن الفضاء الذي تقع فيه، منظومات حية)). (١٩٩١: ٣٧٥ – ٧٦).

((باستعمال ذاك المصطلح الذي من الأرجح أن أسنان الجغرافي سوف تصطك له، حاولت في سلسلة من المقالات الممتدة على حوالي عقد من الزمن أن أستكشف مفهوماً عاماً لما أسميته الكونتور [الكفاف] النصي الفائق (لم أكن أقتبسها جميعاً هنا نظراً لوجود تقارير صحفية حديثة تقول بأن ثمة عملاء برمجيات يمكنهم، بالحديث عن الكونتورات، أن يولدوا فهرساً اقتباسياً، صنفاً من رؤية GIS للمشهد الفكري، يكون حساساً لاقتباس الذات ويسوي ركامات المنصات الذاتية الإحالة)).

لم أكن أعرف شيئاً أكثر (أو أقل) من وصف إحساس القارئ (الآن إن وضع هذه الفاصلة المقلوبة، البنية السطحية، ذو دلالة) بالتغيير يتغير عبر سطح النص. لقد وضعت في ذهني شيئاً ما أقل تكاتلاً من كونه إيروتيكياً، إحساس مداعبة حبيب يعبر فيه الشكل عن ذاته في تعاقبية بدون أي تثبيت بالضرورة.

إن صياغتي الأكثر تميزاً لهذا المفهوم العام:

((الكفاف (الكونتور)، بمفهومي، هو تعبير واحد عن الشكل القابل للإدراك لنص متغير بشكل مضطرد. يصنعه أي واحد من قرائه أو كتّابه في نقطة مفترضة في قراءته أو كتابته. تتضمن عناصره المكونة الحالة الراهنة للنص الذي في المتناول، المقاصد المدركة وتفاعلات الكتاب والقراء السابقين التي أدت إلى النص الذي في المتناول. وتلك التفاعلات مع النص التي يرى القارئ أو الكاتب الراهن أنها تنبع منه. وأيها يكون الأكثر قراءة غالباً في الشكل البصري للنص اللفظي أم الغرافيكي أم المتحرك. هذه الأشكال البصرية قد تشمل المضمون الظاهر

للنص في المتناول، تصميمه الواضح والمتاح؛ أو التصميم الضمني والديناميكي الذي يدركه القارئ أو الكاتب الحالي إما كأنماط أو تجاورات أو تكرارات ضمن النص أو كتجريدات تقع خارج النص)) (Joyce 1996: 280).

[هذه الصياغة] تعاني وراء جديتها (لنستعمل مصطلح وودي آلن) من ثباتها . في الحذف الأول في المقتطف المكتوب بخط سميك أعلاه أزلت زعماً (استُعيد هنا) أن "الكفافات يعيد تقديمها القارئ أو الكاتب الراهن كسردية" . إن الزعم نفسه يستعيده فعلاً هيذر مالين:

((عندما أكتب نصاً فائقاً ht تحدث أشياء غريبة، فأنا أكتب وأبدع، وأنا متأكد تماماً أن لا شيء متسقاً يجري. أنا أفقده. المنظورات تتضاعف فيما أنا أحقق إمكانيات خطابي. أنا أرى ما الذي ينشأ، وأرى الكفافات والأشكال والحركات ... فأنا لم أكن أخططها، لم تكن من وعيي المؤلفي.

أحاول أن أتبع التيارات الناشئة؛ أبدأ بركوبها وإيصالها إلى بعض الاكتمال أو الاستنزاف، لكنني لست متأكداً من أنهالي، رغم أنها من صنعي. مالم يكن النص يكتب ذاته. فأنا أجعله يحدث بشكل ما .... ينتهي بي المطاف عالقاً في منتصف حركتي الخاصة بي)). (Hether Malin 1998)

هذه (العالق في منتصف الحركة) هي خطوة عملاقة (وإن يكن المرء معلقاً في زمن التوقف مثل لعبة الأطفال ? mother May I) بعيداً عن البداية – المنتصف – النهاية . في فضاء ما أسميتها القصة النصية الفائقة التي تتغير في كل مرة تقرؤها فيها ، "تصبح القصة مسألة أين كنت ، فعل دو سرتو De Certeau المذكور سابقاً ذاته للمرور بـ" . في السعي إلى وصف مفهوم عام للكفاف النصي الفائق لم أكن أعني أكثر مما يوحي به مالين هنا: القراء والكتاب يقررون الاعتراف بشكل مدرك نحو الخارج من منتصف حركتهم الخاصة . هذا هو القياس التقبلي الذاتي (التقبل الذاتي هو مسح بطني ، تلتف فيه مستويات المسَّاح حول معنى داخلي للفضاء

ومعنى للفضاء الداخلي على حد سواء) الذي يجسد حرفياً منظومة إعلامنا العالمية على خشبة المسرح والفطرية (وهكذا الأولى). إن قياساً مماثلاً (بالمعنى الموسيقي للطرد المركزي) يبدو أنه يشي بما يراه جون بيكلز كربط صريح بين النص الفائق و GIS، أي:

"مع ظهور البيانات الرقمية المكانية (الفضائية)، والتمثيل الغرافيكي الحاسوبي والواقع الافتراضي ... فإن مبدأ التناصية المشترك بين كلٍ من النص الفائق و GIS يلفت الانتباه إلى الشذرات المتعددة والرؤى المتعددة، والطبقات التي تكون مجمّعة تحت قوانين جديدة للترتيب وإعادة الترتيب التي يجعلها المعالج الميكروي ممكنة)) (٩:١٩٩٥).

ما يعني القول (مرة أخرى) إن إيماءة الاعتراضي الجدلي، الثيمي (الموضوعاتي)، الإيقاعي، الطردي، المتساوي الضغط، الكنائي، القائمة، الوصلة، الابتهال بالإضافة إلى أي وكل - ما إذا كان مزوداً بشحطة أم لا - درزات تراكبية تؤلف فضاء النصية الفائقة.

((من المهم أكثر أن هذا هو الفضاء المعاش فيه، بالمعنى المزدوج لـ "في الجسد" و"الموطن"، كون الجسد والفضاء هما الميدان للاعتيادي، الذي يعني بالتعريف القاموسي، "مرسخ بالاستعمال المديد". في النص الفائق تكون أشكال القصص مرسخة بشكل حرفي تماماً عن طريق الاستعمال، ليس خلافاً للطريقة التي وصف بها ساور، في حقبة ألطف لكن أقل تهديداً، لأجل علم الجغرافية. يوصف فن الجغرافي بأنه متمركز حول الإنسان بشكل واضح، بمفهوم قيمة أو فائدة الأرض للإنسان و، ليس خلافاً للمفاهيم العامة لكفاف النص الفائق ومرة تلو الأخرى حدد موقع الفعلي (المساحي/ المنطقي areal) بدلاً من موقع العالم في فعل المرور بذاته:

((إننا مهتمون بذاك الجزء من المشهد المساحي الذي يعنينا ككائنات بشرية لأننا جزء منه، نعيش معه، مقيدون به، ونعدله. هكذا نختار تلك الصفات للمشهد على وجه الخصوص التي تكون أو يمكن أن تكون ذات فائدة لنا .... إن الصفات الفيزيائية للمشهد هي تلك التي تمتلك قيمة الموطن، الحالية أو الممكنة)) (Sauer 1963: 393).

باتجاه الحافة Edge wise:

((حتى صفائح lemellae الصحراء تنزلق فوق بعضها البعض، محدثة صوتاً لا يمكن تقليده)).

(جيل دولوز وفليكس غواتاري، رسالة حول البداوة – آلة الحرب).

((إن نقد نموذج "الأداتية" instrumentality لا يأخذ في الحسبان بصراحة التأثيرات المتضاربة الـ aporetic للرغبة. سيكون من المثير للاهتمام أن نتابع نموذج قراءة المنحرف للصلة، لنحدد كيف يمكن أن نقولب الأداتية بطرق تتجاوز المنفعة المحضة)).

(Terry Harpold, Author's Note' 1996)

السكين هي رمز الداخل من الخارج. لا أحب أن أفكر بهما. تتكرر النصلة المشحوذة، وفي التكرار، تستبق كفاف الداخل من الخارج. من أين جاءت السكين؟ الإيماءة هي إيماءة الشرطي policier. إن مجرد وجودها يصنع لغزاً من الفضاء المعروف. والسكين هي بالشكل نفسه تاريخ. إن تفضيء التاريخ (قطعه) يصنع مكاناً لأجل مسرحية القراءة والكتابة (التي هي بالطبع المسرحية/ مسرحية، كلمات/ على الكلمات) والهوامش الثقافية (سكين من؟ قاتل الإمبراطور؟ هل يختلفان) التي تحتويها وتمثلها.

((إذا كان النص الفائق تشكله اللامحدودية ـ الفضاء الذي يصنع ذاته دوماً، شريحة شريحة، مقطعاً مقطعاً، كفافاً كفافاً (كونتوراً)، دون الوصول إلى أي مكان أبداً؟ عندئذ، مثل فضاءات إدراكنا والاحتلال المفتوح حديثاً عن طريق GIS، فإنه على الدوام الأنظمة الجديدة التي يكون خاضعاً لها ويهرب منها في الوقت نفسه كل شريحة جديدة من GIS زينو تقدم عقاراً لأجل الاقتصادات الإمبراطورية. مع ذلك بالشكل نفسه أيضاً يفتح فضاء تنافس لأجل الأجنبي المسلح الآن بنصلة الامتدادات غير المتوقعة حتى الآن التي يسكنها بشكل فطري)).

في فقرة تدعى "المكانية المُشْكَتَة للتاريخانية" ضمن فصل ينظّر من منظور المكان المغاير heterotopia لفوكو (والذي أُدين له بشكل واضح) يعرف إدوارد سوجا التاريخانية بأنها سيقنة تاريخية مفرطة التطور للحياة الاجتماعية والنظرية الاجتماعية تغمر بشكل فاعل وتهمش (تُمَحْيط) المخيلة الجغرافية أو المكانية (١٤٠ :١٩٩٣). بالفعل، في انبهار المحدودية وتتابع جرئ للحواف الاقتباسية (الذاتية والآخرية) فإن سوجا في فصله المعنون "الجدل الثلاثي للمكانية" Trialectics of spatialty في كتابه **الفضاء الثالث** Third space يقتبس منه مقتبساً في كتاب **الجغرافيات ما بعد الحديثة** postmodern Geographies النص الأصلي النصي الفائق الإرهاصي proto للاستحضار البارع [للكاتب الأرجنتيني خورخه لويس] بورخس Borge's للألف Alph بوصفه المكان "حيث تكون كل الأمكنة" (٥٦ :١٩٩٦) كوضع يأتي فيه كل شيء [التشديد، من عنده] مانعاً جامعاً:

((الذاتية والموضوعية، المجرد والملموس، الواقعي والمتخيل، الممكن معرفته وغير الممكن تخيله، التكراري والتفاضلي، البنية والقوة، العقل والجسد، الوعي واللاوعي، المضبوطِ والخارج عن حدود الانضباط، الحياة اليومية والتاريخ الذي لا ينتهي)) (Soja 1996: 57).

إن النصية الفائقة المدروسة في أوسع مظاهرها (سواء كانت شبكة web أو فضاء ثلاثي space 3) قد وقعت فريسة لتاريخانية من نوع تاريخانية سوجا، تتراوح من السيقنة الفائقة التطور لما يدعى الفضاء السايبري عن طريق شبكات الإعلانات المترابطة لأجل الدعايات ومحركات بحث أخرى إلى غمر وتهميش المحلية والتجسيد – على حد سواء – التي تؤلف حتى الآن الواقع الافتراضي. عن هذا الأخير، يمكن أن نقول الآن إن الواقع الافتراضي ربما كان يوفر المثال الأوضح على كيف أن الفضاء السايبري يظهر ما يدعوه ديفيد هارفي "بناء المكان المضاربي"(*). ((المشاريع المربحة لامتصاص رأس المال الفائض، كان من الصعب إيجادها في العقدين الأخيرين، يقول هارفي، "ونسبة معتبرة من الفائض قد وجدت طريقها إلى بناء المكان المضاربي)) (٨:١٩٩٣)

بوضع الواقع الافتراضي جانباً (وأي مكان آخر أتوسل إليك؟) بالشكل نفسه يوجد نوع من خرائطية كليف نوتس Cliff Notes لبعض أخصائيي "السطح البيني البشري الذين هم أيضاً "يغمرون ويهمشون المخيلة الجغرافية أو المكانية". تأمل على سبيل المثال الشرائح التصنيفية taxonomic المتتالية لمجازات فابريس Fabrice (١٩٩٠: ٢٧ – ٤٩) بشكل واضح، وإن تكن مشوشة في نهاية المطاف، لأجل أنماط البيانات في مقالة تحمل عنوان "مشاهد الإعلام. يقترح فلورين Florin خمس فئات (يتردد المرء في القول: فضاءات أو كيانات)؛ فيما يلي حاشيتي لتلخيص ديبرغر لها:

* مجموعات البيانات التي يتم تمثيلها كحقول (حرفية) في المشهد أي، إن الحقول ذات البيانات الأقدم تتلاشى إلى الأفق مثل بعض أنواع الشهادة القانونية وأعذار العشاق.

* الوثائقيات التفاعلية يتم إبرازها كنوع من قرية، كما يفترض المرء، يأتي فيها الناس ويذهبون وهم يتحدثون عن ميكل أنجلو. وهذه متمايزة عن التالي؛

(*) speculative place construction.

* الأفلام المزودة بحواشي التي تتميز ببنيتها الخطية وهكذا يتم تمثيلها (على الرغم من هيراقليطس) عن طريق الأنهار و(آل غور وبيل غيتس يحضران) الطرق العامة السريعة وهلم جرا؛

* شبكات الأدلاء الذين يُصورون كأشخاص آخرين في المشهد كل واحد منهم يحسبه المرء ثرثاراً مثل الغدران ومختلفين كالأشجار وجاهزين دوماً لمساعدة الغريب؛

* نشاطات تشغيل اليدين التي تتراوح من الألعاب البسيطة إلى المحاكيات المعقدة والتي ينبغي أن نتخيلها كالملاعب أو حدائق التسلية أو الليغو lego، أي، طبعات أقل استطرادية لنفس أنماط البيانات الخمسة.

هذا المخطط هو بالطبع مجرد طبعة مجسدة من "السطح البيني الاجتماعي" الذي ننتقل فيه من مجاز سطح المكتب لنشمل حوض المطبخ. هنا كل من الطاولة والحوض يتم رسنهما ويتم إخراجهما من أجل مشوار (المشي).

لأن معظم أخصائيي Hci (السطح البيني الحاسوبي البشري) هم أبرياء من التاريخ وساذجون مثل بيوت الدمى أو سكك القطارات المصغرة، فإن المشاكل التي ترافق تقطيع العالم إلى مشاهد والتي هي مادة للشرطة policiers ما بعد الكولونياليين تتحمل التدرب عليها. مع ذلك فإن "قراءة التصوير الأيقوني للمشهد"(*) كما يلاحظ بيتر جاكسون (منتحلاً العبارة المقتطفة من كوسغروف ودانييلز ١٩٨٨) تعني المجادلة من عالم السطوح الخارجية والمظاهر إلى عالم داخلي من المعنى والخبرة (١٧٧:١٩٨٩). بالتأكيد قد يتوق المرء إلى مشهد معلوماتي حتى بنصف غنى مشهد بروغل Breughel بالمعنى والخبرة، أو على الأقل إلى مشهد يمكن أن يمثل بقدر ما مثله شاعر بروغل، المعلم العجوز أودن Auden من المعاناة و "موقفها الإنساني: كيف يحدث ذلك/ فيما شخص آخر

(*) iconography of landscape.

يأكل أو يفتح نافذة أو يتمشى ببلادة" (Muse'e des Beaux Arts) . كل هذا ، مع ذلك ، يُقتطع من العالم عندما يؤخذ كسطح بيني . فالسطح البيني غير المجسّد (المجرد من الجسد) يضع العالم على الحافة ، بلا كفاف . إنه تشريح جثث necropsy .

في مقابله يقف نوع مختلف من القطع، المحدودية المتعلقة بأخذ عينة (خزعة) من نسيج حي (الاختزاعية) biopsy لما يدعوه سوجا في مواجهة ألف Aleph بالتزامن الكلي الشمول.

((تفتح عوالم لا نهاية لها لاستكشافها و، في الوقت نفسه... نستثير إحساساً فورياً بالمسؤولية، يأس [من] أن تعاقبية اللغة والكتابة، تعاقبية الشكل السردي وسرد التاريخ، لا يمكن أن تفعل أكثر من خدش سطح تزامناتها فوق العادية)).

يبدو المشهد المعلوماتي لفلورين في البداية متغايراً بما يكفي ليلائم رؤية معاصرة من التزامنات والفضاء المبني اجتماعياً ، نظراً لخلطته المكونة من الإصلاح الزراعي والمشهد الاجتماعي والتفاعل البشري الممكن . مع ذلك ، ليس صدفة أن فلورين يأتي إلى Hci من عالم التلفزيون . هذا المشهد المأهول يتم تقطيعه عن طريق العبورات التي لا ترحم للشعاع الماسح الذي يقطّع المشهد والذات والموقع على حد سواء .

لأن الشبكة ترتبط باتجاه الطرف (مجانبة) ، كما قلت في مكان آخر ، فإن ذلك يوحي بأن كل شاشة تكون مربوطة بأخرى؛ هكذا يكون النص الفائق الحقيقي على الشبكة هو الفاصل لشاشة عن الأخرى . يتفاعل الاستبعاد والتضمين ، الخارج يعرّف المركز (في الجسد يدعى هذا التقبل الذاتي proprioception ، هذه الكيفية هي التي يدرك بها الجسد العمق عن طريق عمقه الخاص به ، السطح عن طريق سطحه الخاص به: هل المغزل يطبع حيث تنتهي الأصبع أم حيث يبدأ العالم؟) .

ثمة قصة في كل شريحة. هذه قصة الكفاف، على الأقل إذا أخذت بوصفها شيئاً ما غير العروض metric.

جوزف بول جرنغان من واكو، تكساس، قاتل محكوم، http://qqq.nim.nih.gov، الإنسان المرئي الذكر، يضم ١,٨٧٨ شريحة لأجل عدد إجمالي من البيانات الأولية قدره خمسة عشرة جيغا بايت، بما في ذلك الـ MRIs ومسوحات CAT والصور الفوتوغرافية. أما الإنسان المرئي الأنثى المجهول الاسم فيضم ٥,١٨٩ مقطعاً عرضياً. كانت وجبة جرنيغان الاخيرة تضم التشيزبرغر والمقالي، والشاي المثلجة. كان جرنيغان فاقداً سناً واحداً، وزائدته الدودية وخصيته في وقت موته.

بسبب القدرة الحسابية وفضاء البيانات الذين يتطلبهما الإنسان المرئي فإنه لا يوجد إلا في التكرارات المشبوكة والتمثيلات الديناميكية. ولأنه ميت، فهو لا يمكن أن نقول عنه إنه يوجد. لأنه يوجد.

الفضاء في المفرد/ التفرد:

"وضعت جرة في تنيسي

وكان حولها، على تلة"

(حكاية الجرة، والاس ستيفنز)

إنني أعتبر **الفضاء** الحقيقة المركزية للإنسان المولود في أمريكا، منذ كهف فولسوم إلى الآن. إنني أهجئه بالحروف الكبيرة لأنه يأتي كبيراً هناك. كبيراً وبلا رحمة.

(Call me Ishmael, Charles Olson)

هاكم أمثولة التفرد، كما يرويها بوذيساتفا الجليد:

«يحكي صهر زوجتي قصة أعيد سردها عادة لأسباب التكثيف الأخلاقي كما لو أنها حدثت له. يندفع عائداً إلى بيته في الشتاء (لأغراض الأمثولة أجعل هذا البيت مقصورة في سفوح السييرا التي لا يمكن الوصول إليها إلا بوساطة عربة ذات أربع عجلات على امتداد طريق لقطع الأشجار يكون مغلقاً غالباً؛ أما خارج الأمثولة فهو يعيش في ميتشيغان، اسمه جو مون) ينتقل في عربة زجاجية كبيرة من ماء الشرب، نوع من الجرة البلاستيكية السميكة المفرطة الضخامة يوضع بداخلها مبرد ماء. كان يقوم برحلات قصيرة طوال اليوم، إنها سياقة طويلة من المقصورة إلى البلدة. في المقصورة يضع جرة الماء على كتفه ويبدأ برفعها فوق الطريق إلى المقصورة عندما يتوقف صوت الماء فجأة ويشعر بها تتحول إلى جليد في لحظة، كتلة صلبة على كتفه»).

هذا هو التفرد، النقطة التي تقوم فيها منظومة بتغيير الحالات في اضطراب (هذه الجملة كانت تارة تستخدم الكلمة "Causes" (يسبب/ أسباب) فيها، وتارة أخرى كان فاعلها هو مفعولها). عندما أروي الأمثولة أقول غالباً.إنه لا توجد نقطة وحيدة، لا توجد درجة صفر مئوية، حيث يصبح الماء جليداً. تخيل بدلاً من ذلك الارتطام البطيئ للسوبارو (دعونا نقول) على طول الطرق الجبلية، الارتفاع والانخفاض الإيقاعيين للجرة على كتف صهر زوجتي، التحول المفاجئ عندما يكون القطقط(*) نصف الذائب صلباً.

مع ذلك يصح الشيء نفسه على الأمثولة، سواء حكيت هنا أو هناك (مبنى الفلسفة في جامعة هامبورغ، على سبيل المثال: يمكنك أن تحدد هذا القص الفعلي هكذا بإحداثيات GPS أو التاريخ الفعلي لإحدى إخباراتها – ٨ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٧ – مع أنه لا توجد درجة صفر مئوية تشكل قصاً (إخباراً)، ولا أمثولة يمكن القياس عليها، ولا قصة تاريخية).

(*) القطقط sheet: مطر متجمد أو نصف متجمد (المترجم).

قبلئذ، أعلاه (أين هذه الأعلاه التي أستشهد بها عرضاً؟) فقد هددت القصة بأن تكبر بينياً إلى ما وراء المعنى المتحكم به الذي تركت تعددياته وتزامناته تعبر عن نفسها (كما لو كان بالإمكان منعها من فعل ذلك). بعض هذه التوسعات تبدو موسيقية (زمنية) بقدر ما هي مكانية (فضائية)، على سبيل المثال، لقد أُغريت (في الحقيقة دخلت ثم قطعت وأعدت القولبة هنا) بأن أضيف العبارة مقلوبة إلى العبارة التالية التي لم تعد تارة أعلاه، ولم تعد تارة العبارة التي أغريت بإضافتها، بل بالأحرى العبارة مع حياتها الخاصة هنا:

"ينقل في عربته قارورة كبيرة من ماء الشرب، نوع من الجرة البلاستيكية السميكة الكبيرة الحجم التي تضعها مقلوبة رأساً على عقب بداخل مبرد ماء".

مع ذلك حتى الزمانية هنا متعددة. في أضعف الأحوال إنها مضاعفة، مع كون الزمانية الأولى تسكن ضمن زمن (عروض prosody) الجملة التي يتخذ فيها الداخل رأساً على عقب إيقاعاً ساراً معيناً وفرحاًهزلياً (إن لم يكن كونياً)؛ والزمانية الثانية (مكانية إلى حد كبير) لـ in illo tempore، التي تكفل الحقيقة القابلة للإدراك بالحواس في سردية تستميل جمهوراً أو قارئاً قد خبر جرة مقلوبة لمبرد ماء لإضفاء المعقولية على هذه القصة (في الحقيقة كان لجو مون مثل هذه الجرة في ميتشيغان، في الحقيقة هذا هو اسمه، في الحقيقة، بدلاً من تينسي – أو فيما يتعلق بهذا الموضوع كاليفورنيا توجد سفوح السبيرا – هي الولاية التي يسكن فيها).

مع ذلك فأين فضاء هذا الجزء من الأمثولة؟ هل يسكن في فضاء، سفح هضبة تخيلي؟ السطح الطوبولوجي الوحيد للطارة على كتف البطل؟ المفهوم العام للتفرد كما يعبر عنه كاتب تخييل نصف فاهم فقط خائف من أن يكتشفه فيزيائي حقيقي؟ مبرد الماء الذي يتخيله القارئ؟ الذاكرة التقبلية الذاتية للثقل على جرة مقلوبة؟

لا يهم ذلك بالطبع (فهو ليس قضية بالطبع). فالفضاء يكمن في شبكة إخباراته tellings. في بعض الأحيان يكون الفضاء حرفياً (تورية pun واضحة تتضاعف إلى فضاء ساحلي) كما في الفراغ الباراغرافي بعد حيلة التأطير (أعلاه في illo tempore) لبوذيساتفا الجليد التي تمكن المرء من أن يحتل بضعة منظورات سردية (حيث الواحد إثنان على الأقل: كاتب وقارئ)؛ أو syntagma التركيبية (الإعرابية) المغلقة لـ "صهر الزوجة" التي تحكي، بشكل شبه ايديوغرامي، قصتها الخاصة بها عن التتابع ما بعد الحديث، قصة مع ذلك "لا تروى" هنا وهكذا حقاً (بقدر ما هي قصة غير متضمنة في القصص الوفيرة ظاهرياً من نواح أخرى التي تنفتح عن الأمثولة) ترسم حدود القصة التي تروى هنا.

هذا الميتا - إخبار meta-telling هو نوعه الخاص به من التحقق والتعيين بعدة معان. يمكنك أن ترى الفضاء حيث الجملة ("أعلاه") لم تُحرر لأجل إيقاع الداخل مقلوباً رأساً على عقب، وحيث (أيضاً "أعلاه" رغم أنها في مكان آخر) كانت مصممة هكذا يمكنك أن ترى استبطان القصة يبدأ (بشكل معترض) بالانحلال. (قائمة يمكن أن تكون معترضة بالشكل نفسه، تشهد القصة المصغرة للعبارة الموسعة التي تسم قلقي وأنا أتكلم عن التفردات بين الفيزيائيين. الجغرافية بين الجغرافيين).

إن بعضاً من هذا التكشف يسم فضاء المعقوليات.

على سبيل المثال لدى المجيء إلى كتابة هذه القصة بدأت أفكر أن الإلحاح الذي تكتسبه موهبة الإخبار الشفهي لأمثولة الرحلة إلى البلدة بموقع السييرا يكون مفقوداً نوعاً ما، إن لم يكن مهدّداً دفعة واحدة، في الطباعة حيث نقرأ السييرا ككناية عن الربيع أو الثلج الذائب (وإن يكن مطبوعاً بطابع رومانتيكي، بما أن رازم الظهر يعرف فإن giardia يفكك التحام بعض الأشكال لأجل الماء الرائق). تساءلت، باختصار، ما إذا كان علي أن أفسر ذلك، أو بالأحرى

ما إذا كان مثل هذا التفسير سوف يكسب في المعقولية الأمثولية ما يخسره في العلموية scientism البليدة (الكلمات لها نفس هذا التناوب ، اللا– أو ليس مجرد الإعرابي: فهل "الأمثولي" أو "العلموي" ، كل OED موثّق يستعمله ، يجعل القارئ يصغي إلى الجملة أو يتخلى عنها؟ وماذا عن التأملات المعترضة الموسعة؟ أو المجاز المرمز لفك الالتحام كوصف لفعل متطفل على المجاز الأقل ترميزاً إنما الاصطلاحي للغدران الجبلية؟) .

كان عالم سرد في جمهور هامبورغ غاضباً تماماً: فضاء! فضاء! كل ما تتكلمون عنه هو الفضاء! ماذا حدث للزمن؟ القصة زمنية ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٧ درجة الحرارة٤° مئوية الألستر متجمد) .

القصة النصية الفائقة هي الفضاء الذي يفتحه إخبارها . والفضاء الذي تفتحه يدعى . .

" . . . . هزهزة البيت مرة أخرى ، المنزل مرة أخرى"

((هذه هي المعرفة المفقودة والمكتشَفة، توكيد اللمس، من الرأس إلى القدم. هذه طفوية، مخاطرة، عصيان – ما يتعين أن يكون في المنزل، غير ذي بيت، متقدم باستمرار .... محروماً من الأولي – ومن ليس، مع أرض (كرة) مقسمة، الكوكب برمته مقطّعاً مسقوفاً، مقطوعاً ومعجوناً –حتى مياهه_ ماذا يمكن لجسد أن يفعل، إذا كان جسداً، سوى أن يقر، تعويضاً، بالعناصر في حدوده الخاصة به. اسحبها خارجاً، اعتصرها. مضيف. بيت)).

(The body in four parts, Janet Kauffman)

((هذا حول النص الفائق . "حول" كما في aroundabout . أو roundabout. Home & page. Homepage أسيجة الشكل التي تشكلنا . الهزهزة . محدوديتنا jag .

كل شيء حولنا، إذا لم تلاحظ، الصفحة الرئيسية homepage تختفي، تتمزق أو تطمسها أسواق التسوق على الشابكة on-line. كل شيء حولنا، إذا لم تلاحظ، الصفحات الرئيسية تختفي، باقية مثل الفطور السامة (غاريقون) في فسحات الركون لأسواق التسوق.

كل ما حولنا في البيت هو هنا وليس هنا، إننا محدودون به، محدودون من أجله. المنزل هو المكان المتغاير المكان "خارج كل الأمكنة" على حد تعبير فوكو، "حتى رغم أنه قد يكون ممكناً أن نشير إلى موقعها في الواقع". واسم موقعها (في الواقع) هو البيت)).

المتغاير المكان = البيت:

الفضاء الذي نظهر ولا نظهر فيه هو البيت. يرى فوكو أن تاريخ الفضاءات هو تاريخ السلطات بما في ذلك "التكتيكات الصغيرة للموطن" (١٤٩ : ١٩٨٠). الاستراتيجية المتغايرة المكان لجعل المرء نفسه المركز لنص حول المحدودية هي بناء البيت. "مع البيت الذي خبره شاعر" يقول باشلار Bachelard نصل إلى نقطة مرهفة في الكوزمولوجيا البشرية. فالبيت إذاً، هو في الواقع أداة للتحليل المكاني topo-analysis؛ إنه حتى أداة كفؤة، للسبب ذاته وهو أنه من الصعب استعماله" (٤٧ : ١٩٦٤).

يحدد باشلار موقع بيت الشاعر هكذا بحيث يعكس بطريقة ما تدفق البعد الرابع لكونز بديناميك انتقاله من الصور إلى الوقائع المجسمة، أي، العالم الذي يصبح فيه الفعل البشري فعلياً، العالم الواقعي والقابل للاقتسام. بالنسبة لباشلار فإن العقلانية الهندسية للفضاء البيتي، ينبغي أن تقاوم المجازات التي تستقبل الجسد البشري والروح البشرية" بدلاً من ذلك فإن عالم الأحلام، المستقل عن كل عقلانية، يغري (٤٧:١٩٦٤). ليست عمارة البرهان (الجسد، النص الفائق، الاستعداد لحدوث شيء ما) هي نفسها التي يديمها البيت (العالم، القراءة، خطوط الرغبة). يكتب كونز:

«في حين تتطلب العمارة نتاجات صنعية لإدامتها. فهي أكثر شبهاً بالاستعداد لحدوث شيء ما. إنها تشكل خطوط الرغبة والدفاعات ضد الخطر. إنها تتبلور بين جوعنا إلى العالم واشمئزازنا منه. العمارة ليست متماهية مع الموضوعات الأخرى التي تحتاجها لإدامتها. ولكن متى يتوقف الحجر عن كونه صخرة ويبدأ كونه المفتاح لقنطرة؟» (1995: on-line unpaginated).

أحد الأجوبة هو عندما نحتاجه لأن يكون كذلك. إن الجسد هو وسيلتنا العامة لنمتلك عالماً. كما يجادل مرلو- بونتي. فمن عوالمه الثلاثة الممكنة، بما في ذلك [العالم]، البيولوجي الذي يفترضه حولنا الجسد في أفعال ضرورية لأجل صون الحياة؛ والعالم الثقافي الذي "لا يمكن فيه تحقيق المعنى عن طريق الوسائل الطبيعية للجسد" ولذلك "يبني لنفسه أداة"؛ إنه العالم الثالث الغامض يوحي بفضاء النص الفائق المتغاير المكان. . . . لا يملك مرلو بونتي حاوية مناسبة مثل البيولوجيا أو شفافة في المتناول لأجل هذا المعنى الذي يعمده باسم "نواة للدلالة الجديدة". بوصفه العالم المتوسط في نصه الأصلي يتم تقديمه كانتقال حرفي من العالم البيولوجي إلى العالم الثقافي، مظّهراً من خلال "عادات حركية كالرقص".

«وهكذا نكمل الدائرة (إنها تدور في عائلة من آل جويس Joyces الذين لا رابط يربطهم) إلى مرآة فوكو "للخبرة المشتركة المختلطة" حيث "أرى نفسي هناك حيث لا أكون" وخلفي أرى سامتنا تفتل في حين يحلق الشباب من حلقة إلى حلقة في الأعلى. هاأنا نصف منفتل نصف محلق أرفع سقيفتي الطقسية (هذا حول النص الفائق) وأسميها بيت الإنسان الجميل homme sweet home.

١٤- تعقيد لا يمكن تصوره
الفضاء السايبري من نواحٍ أخرى(*)

بقلم: نك بنغهام

«إذا كان علينا أن نصف تلك الكومة المختلطة من شرائح الحاسوب، والتنظيمات والذاتية، والبرمجيات، والمتطلبات القانونية، والروتينات، والأسواق بدون استعمال المصطلحات الحداثوية أو ما بعد الحداثوية، فكيف سنباشر؟» (Latour 1996b: 305)

مدخل: في كل مكان هو نفسه.

فيما مضى، كان الفضاء السايبري مجرد كلمة؛ تم تجميعها، كما يقول وليام جيبسون، الكاتب الذي نحتها:

«من مكونات اللغة الصغيرة والمتاحة بسهولة. فورة استعمال الألفاظ الجديدة: الفعل البدئي لشعرية البوب. سبق أي مفهوم مهما يكن. إنه مبتذل وأجوف ـ ينتظر معنى متلقى. كل ما فعلته أنني طويت الكلمات كما تُلقن. الآن ثمة كلمات أخرى تنمو في الصدوع» (٢٧ : ١٩٩١).

إن الفضاء السايبري، الذي لم يعد مجرد كلمة، هو الآن شيء مكتمل النمو، وهذا الشيء هو في كل مكان. نحن نعرف أنه في كل مكان لأننا نُخبر إنه في كل مكان. لابد أن يكون في كل مكان: انظر ما نملكه الآن لم

(*) Unthinkable Complexity? Cyberspace Other wise .

نكن نملكه آنذاك، لدينا مجلات حول الفضاء السايبري (wired وغيرها) لدينا ملحقات صحف حول الفضاء السايبري (the Guardian's online . . . الخ)، لدينا دلائل إرشادية حول الفضاء السايبري (The Rough Guide to the Internet-etc)، لدينا مذكرات من الفضاء السايبري (Surfing the Internet etc). لدينا روايات non-SF (لا خيالية علمية) حول الفضاء السايبري (Email etc)، لدينا أفلام حول الفضاء السايبري (Johnny Mnemonic etc)، لدينا برامج تلفزيونية وإذاعية لا نهاية لها حول الفضاء السايبري (The Net etc)، لدينا مشاهير حول الفضاء السايبري (Sadie plant etc)، لدينا مقاهي حول الفضاء السايبري (The Hub et)، وحتى لدينا حالات الذعر الإعلامية الإلزامية من الفضاء السايبري (Free Kiddie Porn Shack etc). والآن، أخيراً ومن الممكن تماماً أن يكون آخراً، لدينا أكاديميات حول الفضاء السايبري: العناوين هي أكثر من أن تذكر، لكنها تكفي للقول إن كلمة cyber قد حلت محل Post (ما بعد) بوصفها البادئة الأكثر تفضيلاً (cyber-space [الفضاء السايبري]، cyber-bodies [الأجساد السايبرية]، cyber-cities [المدن السايبرية]، cyber-sex [الجنس السايبري]، cyber-futures [المستقبلات السايبرية]) يبقى القوس مفتوح النهاية) . . . . . .

هذه الحالة بحد ذاتها، جديرة بالملاحظة تماماً. وما هو حتى أكثر جدارة هذا: باستثناءات قليلة، فإن القصة التي تحكى من خلال كل واحد من هذه الوسائط المتنوعة هي نفسها في الجوهر. مرة تلو الأخرى هي نفسها. الصحف هي نفسها كالأفلام، المجلات هي نفسها كالأكاديميين. وكما لاحظ ثريفت Thrift مؤخراً حول هؤلاء الأخيرين:

«ثمة نمط من الكتابة حول تقانات الاتصالات البعيدة الالكترونية يصبح الآن كلي الوجود. وفقاً لهذا الجسم من الأدب فإن مانراه الآن هو أقل من بعد

جديد يدخل إلى حيز الوجود. هذا الفضاء الجديد (وعلى نحو يثير الاهتمام، هو بشكل شبه دائم فضاء) يندرج تحت أسماء كثيرة [....] لكنها تدل على الشيء نفسه)).

وهذا هو، كما عبر عن ذلك مؤخراً شين كوبيت، بحيث أن الماكلوهانية Mc Luhanism الحتمية التقانية التي أحياها جان بودريار هي شبه "عقيدة ثابتة" (١٩٩٦ : ٨٣٢).

هذه العقيدة الثابتة هي التي أريد، في هذا الفصل، أن أنضم إلى ثريفت وآخرين في تحديها. إنها مهمة ملحة: الآن ثمة خطاب سايبري cyber-discourse قد ترسخ، وسوف يتطلب الكثير من العمل لجعل ما كان قبل الآن مألوفاً أكثر مما ينبغي غريباً مرة أخرى (Dienst 1994). لكنها قبل كل شيء مهمة ضرورية إذا كانت الأكاديمية بصدد أن تأخذ على محمل الجد انعكاسيتها المكتَشفة الجديدة حول أصناف القصة التي ترويها والطرق التي ترويها بها. لأنه كما كتب جيمس كاري وجون كويرك منذ أكثر من ٢٥ عاماً:

"يقترب تشجيع وهم الثورة الالكترونية من التواطؤ من قبل المثقفين على صناعة أسطورة المركّب complex الكهربائي ذاته" (Carey 1989: 138).

بلغة البنية، أقارب هذه القضية بتقسيم الفصل إلى جزأين رئيسيين. في الثاني، أعتمد على عمل مايكل سيرز وبرونو لاتور (من بين آخرين) في محاولة لبلورة أسلوب للتعبير عن الفضاء السايبري يمكن أن يمثل بديلاً مثمراً للطريقة المحدودة نوعاً ما التي يُعامل بها في الوقت الراهن. قبل ذلك، مع ذلك، أريد أن اصف بمزيد من التفصيل ذاك النمط من التفكير في جغرافياتنا الافتراضية السائد للغاية في الوقت الراهن. أريد تحديداً أن أجادل بأن ما يُقدم لنا هو فضاء سايبري كتمظهر معاصر للجليل sublime التقاني. (من الجدير بالملاحظة هنا أنه في الحالتين سوف أدرس على نطاق كبير "الفضاء السايبري" بمعناه الأضيق،

أي بوصفه "الحقل المعرفي" الذي يتم إنتاجه عن طريق ومن خلال الاتصالات بوساطة الحاسوب (CMC) مثل البريد الالكتروني، ومجموعات الأخبار ووظائف الدردشة على الشابكة).

الفضاء السايبري بوصفه جليلاً تقانياً:

((الفضاء السايبري. هلوسة جماعية يمر بها يومياً بلايين المشغلين الشرعيين في كل أمة.....

..... تمثيل بياني لبيانات مستخلصة من بنوك كل حاسوب في المنظومة البشرية. تعقيد لا يمكن تصوره. خطوط من الضوء ممتدة في لا فضاء العقل، عناقيد وكوكبات من البيانات، مثل أضواء المدينة الآخذة في التقلص .....))
(Gibson 1984: 67).

كان لمجاز الجليل(*) تاريخ طويل ومعقد. فقد تبناه و (أعاد) تعريفه عدد من المؤلفين المختلفين الذين يكتبون في عدد من المواقع والعصور المختلفة – لعل أشهرهم لونجينوس في القرن السادس، وإيمانويل كانط وجوزف أديسون وإدموند بورك في القرن الثامن عشر – وخضع لشيء من الإحياء في قرننا. لقد تراوح بين وصف الاستراتيجية البلاغية ومقولة التجربة الجمالية، وطُبق على قائمة تكاد لا تنتهي من الموضوعات. إن ما بقي ثابتاً نسبياً عبر هذه التحولات، مع ذلك، هي ضروب الصفات التي يمكن القول إنها تميز الجليل. إذ تضم هذه، كما صنفها بورك، القوة، الحرمان، الفراغ، العزلة، الصمت، الأبعاد العظيمة (خصوصاً الاتساع في العمق)، اللانهاية، الفخامة، وأخيراً الغموض (لأن الغرابة واللايقين يثيران الرهبة والفزع): "كل الصفات، على حد تعبير سكوت بوكاتمان، التي توحي بعوالم خارج نطاق التعبير والفهم البشريين".

(*) الجليل sublime: سبق شرح المصطلح في مكان سابق من هذا الكتاب (المترجم).

يلخص المؤلف نفسه المشاعر التي يثيرها مثل هذا الإحساس هكذا:

((يثير الجليل أزمة لدى الشخص بقطع العلاقة التقليدية المعترف بها بين الذات والواقع الخارجي. إنه يهدد الفكر البشري، منظومات التدليل الاعتيادية، وأخيراً الشجاعة البشرية: فالعقل خرج عن ذاته عن طريق حشد من الصور الكبيرة والمشوشة التي تؤثر لأنها مكتظة و"مشوشة". التأثير النهائي ليس سلبياً، مع ذلك، لأنه يترافق بشكل شبه فوري بمعالجة للقوى اللانهائية على الشاشة، وتماهياً معها، إن العالم الظاهراتي يتم تجاوزه عندما ينتقل العقل ليحيط بما لا يمكن احتواؤه)) (ibid. : 266 – 67).

الآن، كما أشرت قبلاً، فإن الأصل الدقيق لما "لا يمكن احتواؤه" قد تغير على مر الزمن. وإذ ارتبط أصلاً باللغة الشعرية والبلاغة المحكية على وجه الخصوص، فقد كان مقبولاً في القرن الثامن عشر أن الجليل يمكن استحضاره عن طريق التمثيل البصري لفخامة العالم الطبيعي. فقد أصبحت معالم كالجبال والصحاري والمحيطات وهلم جرا مادة خام لتراث رسم المشاهد (المناظر) الذي كان، كما كتب بوكاتمان، أقل انشغالاً بالدقة المحاكاتية mimetic من انشغاله بتشجيع "سلوكات مشهدية spectatorial معينة"، من أبرزها "سلوكات التأمل في عظمة الخالق". مع ذلك، بعد أن نقل بورك الاهتمام بعيداً عن الطبيعي بالإيحاء بأن مشاعر الجلال يمكن إثارتها عن طريق التصورات البشرية للأبعاد الكبيرة – ما أطلق عليه اسم اللانهاية الاصطناعية – وعندما بشر القرن التاسع عشر بما كان يُعرف على نطاق واسع بوصفه "طبيعة ثانية" صناعية – صار الجليل يستخدم أكثر فأكثر مع الإحالة إلى بيئة تقانية على نحو متزايد.

مثل أبيه، فإن للجليل التقاني تاريخه أيضاً. كما بين ديفيد ناي David Nye بشكل موسع، فإن التطورات المتلاحقة – من السكك الحديدية مروراً بشبكات الهاتف وناطحات السماء، إلى الكهرباء والقنبلة الذرية – قد تم التفكير بها جميعاً بلغة جليليتها sublimity.

في مثل هذه الحالة، فإن المفهوم العام نفسه قد تم التحول إليه لكي يؤسس فهماً لظاهرة جديدة بشكل مزعوم. فالجليل التقاني إذاً، قد أصبح طريقة لـ "فهم" ما يمكننا جميعاً أن ندعوها "صدمة الجديد". نظراً إلى هذه الخلفية، من المفاجئ بالكاد أن كثيراً من التفكير الدارج حول "جغرافياتنا الافتراضية" قد اتبع نفس المسار. لأن، على حد تعبير بوكاتمان:

«الصعود المذهل للتقانات الالكترونية الإعلامية قد عجل بحدوث أزمة المرئية والسيطرة. إذا كانت السلطة الثقافية تبدو الآن قد تجاوزت مقاييس النشاط والإدراك البشريين، فقد استجابت الثقافة آنذاك بإنتاج مجموعة من تصورات – أو ترميزات allegorisations – "الفضاءات" الجديدة للنشاط التقاني» (ibid. : 281).

هذه "الفضاءات" الجديدة (أو بشكل عادي أكثر، الفضاء، كما سنرى)، قد أشير إليها بمصطلحات مختلفة، بدءاً من (لنلتقط بعضاً من المصطلحات الأكثر تأثيراً) "فضاء التدفقات" (Castells 1996)، مروراً "بالفضاء الفائق ما بعد الحديث" (Jameson 1991) إلى المصطلح الأكثر شيوعاً من بين الكل، "الفضاء السايبري" (Gibson 1984). مصطلحات مختلفة، لكن البلاغة نفسها: معجم الجليل التقاني يحشده كل واحد من هؤلاء الكتّاب، ليس (كما يتم عن طريق الجليل الطبيعي) لمفهمة المواجهة مع موضوع ذا حجم أو قدرة غامرة فيزيائياً بل بالأحرى كوسيلة للقبض بواسطتها على تعقيد السيرورات والعلاقات التي تبدو خارج الفهم العقلاني، في حين تسهل بشكل متزايد نشاطات الحياة اليومية. كان التواتر الذي تتم به هذه النقلة يعني أن الجليل التقاني قد أصبح المجاز المفضل الذي تمثل به جغرافياتنا الافتراضية. ما يعنيه ذلك أيضاً هو أن ثلاث نزعات على الأقل، داخلية، كما سأجادل، إلى ذاك المجاز، يعاد إنتاجها في عدد دائم الازدياد من المواقع.

النزعة الأولى: المجموعية الافتراضية:

النزعة الأولى هي التفكير بالعالم (فقط) بلغة المجاميع totalities . كما لخص جوزف تابي Joseph Tabbi أخيراً، صارت شبكاتنا المتقاطعة المعاصرة من الحواسيب ومنظومات النقل ووسائل الاتصالات، وريثات "الطبيعة" الكلية القدرة لرومانتيكية القرن التاسع عشر، تمثل كبراً Magnitude يجذب وينبذ في الوقت نفسه (١٩٩٥:١٦). يمكن للمخيلة، التي تُواجه بمثل هذا، يمكنها أن ترد إما بشكل انفعالي أو بشكل فاعل: إما أن

"ترغب في أن تكون مغمورة في الشبكة، وبذلك تخاطر بتجربة فقدان الهوية أو "حُصار الاندماج" أو ترغب في معارضة أو استبدال المظهر الجليل ببناء لغوي خاص بها، أو أن "تمتلك" لفظياً موضوع حصاراتها" (ibid. : 16 – 17).

باختيار الخيار الثاني، يسمح التفكير من خلال الجليل التقاني للعقل بأن "يحيط" بما لا يمكن احتواؤه كما رأينا قبلاً. بفعل ذلك، فإن الغموض الخارجي الواسع يتم إدراجه في صورة واحدة من اللا نهاية المتجانسة. التعبير الأشهر عن هذه السيرورة المتعلقة بالفضاء(ات) الإلكتروني (ـة) الذي نُعنى به هنا، إنما تقدمه السطور الشهيرة لجيبسون من رواية *Neuromancer* التي تفتتح هذه الفقرة. إن ما نحصل عليه في ذاك المقتطف، كما في أمكنة أخرى في عمل جيبسون – بالشكل الأبرز ربما (وبالتأكيد بالشكل الأكثر بصرية) في الاقتباس السينمائي لإحدى قصصه القصيرة المبكرة؛ رواية *Johnny Mnemonic* (التي من أجلها كتب المؤلف تمثيلية الشاشة) – هي فضاء سايبري يوصف بأنه عالم إقليدي، مشبوك، يمتد بشكل منتظم وبلا نهاية في كل الاتجاهات: مجموع هندسي.

الآن لو كانت *Neuromancer* وبقية ثلاثية "التمدد" مجرد الرواية الأخيرة في خط طويل من روايات التخييل العلمي قائمة على لغة الجليل التقاني لتوصيل خبرة مشهد مستقبلي آخر، مع ذلك، لكانت تمتلك أكبر قليلاً من أهمية عابرة

هنا. لكن الحقيقة هي، كما وثّق ديفيد توماس، أن "رؤية جيبسون القوية" قد أصبحت أكثر من ذلك بكثير، مؤثرة على "الطريقة التي يبني بها باحثو الواقع الافتراضي والفضاء السايبري أجندات بحثهم وإشكالياتهم. بالنسبة لساندي ستون، فقد كان تأثيرها حتى أوسع انتشاراً: إذ تكتب أنه عن طريق التعبير عن "متخيل تقاني واجتماعي" جديد وبلورة مشترك بحث جديد من عدد من الحقول المتفرقة، فإن رواية *Neuromancer* على وجه الخصوص قد قامت بدورها كـ:

«حضور تناصي هائل ليس فقط في إنتاجات أدبية أخرى من الثمانينات، بل في المنشورات التقنية، وموضوعات المؤتمرات، وتصميم أجهزة الكومبيوتر، والخطاب العلمي والتقاني عموماً» (٩٩ و ٩٥ : ١٩٩١).

كان ذاك الـ "عموماً" يتضمن العلوم الاجتماعية، ومن السهل أن نفهم السبب. لأن نوع الرؤية الموحَّدة للفضاء السايبري التي يقدمها جيبسون يتناسب بشكل دقيق جداً مع نمط من التفكير بالمجتمع عموماً والتقانة خصوصاً، كان سائداً على مدى القرن الأخير على الأقل. وفي بحثه عن "الصورة الكبيرة" فإن هذا التراث – الذي تلخصه الأشكال الأقل تواضعاً من الماركسية – قد استحضر بلاغة الجليل، وكتّاب اليوم أمثال فريدريك جيمسون وديفيد هارفي، ومانويل كاستلز كلهم يكتبون عن الحاجة إلى مفهمة "المجموع الاجتماعي العالمي" فالتفسيرات الملحمية لـ "العولمة"، وانضغاط الزمكان على الفضاءات الالكترونية هي التي حثت برايان وينستون على التحدث عن ظهور "ابتهال أساسي" غير مفكر، يتعلق بتقانات الاتصال بوساطة الحاسوب. تشكيلة من الفرضيات – التي يمكن التفكير بها بوصفها "جديدة" على نحو لا إشكالي، بوصفها تنتج "أزمة" تمثيل، وبوصفها تقوم بدور السطح البيني لعالم آخر، "غير واقعي" بشكل ما. – [هذه التفسيرات] أصبحت كليشيهات سايبرية، وبالتالي فإن مناقشة جغرافياتنا الافتراضية قد أصبحت مقيدة بإطار محدود جداً وبالحاجة إلى/ أو الرغبة في القصص السهلة.

لأنه كما يعبر جيم كولينز، يؤدي فرض المنظومية systemacity على إنتاج المعلومات، وتداولها وتكرارها إلى إنشاء "رحم" matrix يجعل كل شيء أكثر قابلية للإدارة بكثير، سردياً وإيديولوجياً. إن أي تشديد على استثناءات مثل هذه الصيغة، يتابع قائلاً، "من شأنه بالطبع أن يقوض التضاد الثنائي بين رعاة البقر والشركات".

النزعة الثانية: الحتمية افتراضياً:

لا تفيد جملة كولينز الأخيرة كمدخل متقن إلى النزعة الثانية التي أريد أن أعرفها بأنها داخلية بالنسبة إلى مجاز الجليل التقاني والكتابات التي تقوم عليه فحسب بل تشير أيضاً إلى كيف أنها، بطرق عديدة، تبعة للأولى. لانه بالتفكير بلغة المجاميع، كما رأينا كثيراً من أدب العلم الاجتماعي الذي أهتم به هنا يفعل ذلك، يفترض هذا العمل مسبقاً تمييزاً ثابتاً ولا إشكالياً بين الاجتماعي والتقني. أو بشكل أدق، بين الذات والفضاء السايبري. إن المواجهة التي يتطرق إليها كولينز بين "الكاوبوي" والشركة، قد تكون إشارة إلى البنية السردية لروايات جيبسون، لكنها تمثل أيضاً إيضاحاً لاتجاه أوسع في الأعمال اللا تخييلية استخدم نفس الحيل البلاغية.

ليس من الصعب أن نفهم السبب في أن هذا ينبغي أن يكون كذلك. كما لاحظنا من قبل، فقد نصب الجليل ذاته كمواجهة بين الفرد والموضوع الخارجي – وهي في هذه الحالة مواجهة تكنولوجية – ذات أبعاد مثيرة للرهبة حرفياً. حتى عندما ينتقل العقل إلى فهم هذه "اللا نهاية الاصطناعية" فإن المراقب يُترك مع شعور باليأس في وجه عدم وجود ذات non- self مستقلة. وكما تعبر روزاليندا وليامز على نحو أدق، تنطوي جمالية الجليلية على الحتمية التقانية في أنها تنسب (أو ربما من الأفضل أن نقول إنها توزع) القوة بحيث يكون الطرف اللابشري من "المعادلة" محبواً بقدرة أكبر تنطوي على الفعل، على ممارسة القوة. إن الحتمية

التقانية، بالطبع، هي شيء يرغب العلماء الاجتماعيون بدون استثناء تقريباً في فصل أنفسهم عنه. رغم ذلك، يبقى الخطاب الأقوى (ومن هنا الأكثر شعبية للتغيير المادي الاجتماعي المتداول حالياً، ولما كانت ربما هذه هي الطريقة الأفضل لوصف الكثير من التنظير الحديث حول الفضاء السايبري والظاهرات المرتبطة به). في حين يتم تحاشي نموذج "كرة البليارد" التقليدي، الذي وفقاً له يتدفق التجدد التكنولوجي من الخارج و "يؤثر على عناصر المجتمع" (Fisher 1992: 8)، يسود نموذج "طبعة الأثر" impact-imprint الأجدد في مناقشة "تأثيرات الاتصال بوساطة الحاسوب.

((وفقاً لهذه المدرسة في التفكير، فإن التقانات الجديدة تبدل التاريخ، ليس بمنطقها الاقتصادي، بل بالنقل الثقافي والسيكولوجي لصفاتها الجوهرية إلى مستعمليها. إن التقانة "تطبع" نفسها على النفوس الفردية والجماعية)) (ibid. : 10).

وبالبقاء مشدوداً إلى الأجندات الحديثة التقليدية التي تلح بداهة على أن الاجتماعي والتقني منفصلان ويجب أن يعاملا هكذا، يتجاهل الصنف من التعليق الذي يشير إليه كلود فيشر بشكل متكرر مكتشفات كتلة متغايرة لكن متماسكة من الأعمال، [مكتشفات] تنجم ليس عن "خواص الأدوات" بل عن "ما يفعله الناس بالأدوات". إن فكرة أن انتشار الوسائل الالكترونية يمكن التعبير عنه على أفضل وجه كتواريخ للتطبيقات التي تصبح بها مثل هذه التقانات جزءاً من نسيج الحيوات اليومية لكل أصناف الجماعات والأفراد، وأن هذه السيرورات قد تتغير مكانياً وزمانياً، [هذه الفكرة] تبدو مناقضة كلياً للطموحات الكبيرة لعقيدة العلم الاجتماعي السائدة فيما يتعلق بهذه المسائل. أو كما يقول كولينز:

((الموقف الذي يبقى غير معلن [...] هو أن هذا الفضاء السايبري، بدلاً من كونه متخيلاً كمبلغ إجمالي أو شكل يمكن التفكير به على نحو أكثر جدوى بلغة الانقطاع، هو نشاز نغمات متنافرة ينجم عن تقانات مختلفة موضوعة لاستعمالات مختلفة جذرياً)) (١٩٩٥: ١٥).

النزعة الثالثة: السيطرة الافتراضية:

مرة أخرى، إذاً، يتم تذكيرنا بأنه، بجعل بعض الأشياء أكثر قابلية للتفكير بها من الأشياء الأخرى، فإن الجليل التقاني، مثل كل أشكال البلاغة، ليس استراتيجية جمالية "منزهة" بل استراتيجية ملحقة بالخطاب كشكل من السلطة. هذه النقطة تؤكدها النزعة الأخيرة من النزعات الثلاث التي أريد من خلالها أن أصفها. الآن، ينبغي ألا يكون مفاجئاً أنني أرغب في لفت الانتباه إلى ما يشكل الأساس لمعجم مفردات "المواجهة والسيطرة" الذي يشكل نموذجاً لأصناف تفسيرات الفضاء السايبري التي كنت أدرسها هنا. لأنه، كما يلاحظ بوكاتمان، "يجب على المرء أن يعترف (بإيجاز على الأقل)، بالاستيهامات المتكررة للجنسانية والسلطة التي تفعل فعلها ضمن كثير من هذه النصوص".

وهي ليس من الصعب العثور عليها: عندما يتم تجاوز اللحظة المزعزعة للاستقرار أساساً للوجود في مواجهة مع "المعقد بشكل لا يخطر بالبال" فإن موقع الراصد والمرصود يتم إعكاسه، ما يؤدي إلى خبرة مجدّدة ومقواة من جديد للذات التي تكون الآن "حرة" في استيعاب "مجمل whole" الكل على الفور. هذه هي، بالطبع "حيلة الآلهة" الذكورية بامتياز: الحلم بوجهة نظر غير مجسدة تثمر جملنة [جمعنة] totalisation (تخيلية)، لموقع مهيب (مستحيل) - مكان النقد - يكون فيه "المرء دوماً الصائب، الأكثر معرفة والأقوى".

حتى هذا "الامتياز"، مع ذلك، لا يمنح سوى للقلة. بالنسبة للجزء الأعظم في تلك النظرية الاجتماعية التي تقوم على حيلة الجليل (التقاني) يستمر النظر إلى "الجماهير" بوصفها أقل أو أكثر يأساً. عندما يُعنى ذاك العمل بالفضاء السايبري ينحو الأفراد إلى أن يتم تصويرهم بوصفهم غارقين في بحر من المعلومات، وعاجزين عن تشكيل هوية متماسكة في عالم اكتسح فيه فرط الإشارات المقاييس المرسخة للفضاء (المكان) والزمن. وحدهم أولئك الذين أنجزوا الأعمال البوليسية

واكتشفوا المفتاح الذي يفتح واقعاً "سرياً" يمكنهم ربما أن يمتلكو المنظور الذي يخبروننا منه ما الذي يجري في الواقع. الآن رغم أنه يتعذر الدفاع عن هذه الحجة بشكل واضح - لأسباب سيميائية (سيميوطيقية) أساسية قبل كل شيء آخر - فإنها تستعاد بشكل ديني لأن الخيار الآخر يعتقد أنه ينحدر إلى عالم الجماعات الميكروية (المصغرة) العشوائي وغير القابل للحسم. مرة أخرى، إنه انقسام مغلوط الفهم؛ مشكلة زائفة: ثمة خيارات أخرى.

الفضاء السايبري كنظام يحمل رسالة:

سأبدأ بأن أقص عليكم أسطورة قديمة:

«في وقت متأخر من حياة الإمبراطور شارلمان وقع في حب فتاة ألمانية. انزعج البارونات في بلاطه انزعاجاً شديداً عندما رأوا أن العاهل، المستغرق كلياً بعاطفته العشقية والمُهمل لهيبته الملكية، يتجاهل شؤون الدولة. عندما توفيت الفتاة فجأة، انفرج رجال البلاط انفراجاً ـ لكن ليس طويلاً، لأن حب شارلمان لم يمت معها. فقد أمر الإمبراطور بأن يحمل الجثمان المحنط (المضمخ) إلى غرفة نومه، حيث رفض أن يفارقه. إن كبير الأساقفة توربين، وقد ذعر من هذه العاطفة المروعة، أرتاب بوجود سحر وأصر على فحص الجثة. فوجد تحت اللسان الميت للفتاة خاتماً ذا حجر كريم مثبت فيه. حالما صار الخاتم في يدي توربين، وقع شارلمان بشكل مشبوب في حب كبير الأساقفة فأمر بالإسراع في دفن الفتاة. ولكي يتخلص من الوضع المحرج، رمى توربين بالخاتم في بحيرة كونستانس، فوقع شارلمان فوراً في حب البحيرة ولم يبرح شطآنها». (Calvino 1992: 31).

قد تبدو أسطورة فرنسية قروسطية موقعاً غير واعد لنبدأ منه اقتراح تقنيات بديلة للتعبير عن الفضاء السايبري، لكن بالتفحص بدقة أكثر، بالتدقيق أكثر فيما يقوم بدور "الحلقة السردية" و"البطل الواقعي" لهذه القصة الرائعة، تبدأ طريقة

أخرى للقص بالتكشف . فالكيان موضوع البحث ، بالطبع ، هو الخاتم السحري لأن ، كما يلاحظ كالفينو:

«**حركات الخاتم هي التي تحدد حركات الشخصيتين لأن الخاتم هو الذي يقيم العلاقات بينهما. ويتشكل حول الموضوع السحري نوع من حقل القوة الذي هو في الحقيقة أرض القصة نفسها. يمكن القول إن الموضوع السحري هو إشارة خارجية ومرئية تكشف الصلة بين البشر أو الأحداث**» (**ibid. :32**).

ما أريد أن أقترحه هو أن الخاتم السحري لأسطورة كالفينو يعمل كمثال ناقص – لكنه في هذا السياق على درجة عالية من الإيمائية – على ما أسماها الفيلسوف مايكل سيريز "أشباه الموضوعات" quasi-objects . كما بينتُ بشكل أكثر إسهاباً سابقاً فإن سيريز Michael Serres ، المتحرر من الوهم عن طريق الموقف المفقر [القائل بأن] "الأشياء" قد صمدت تقليدياً في الفلسفة والعلم الاجتماعي (باختصار: قوية جداً أو ضعيفة جداً) قد سعى لإنتاج "فلسفة لائقة للموضوع" تمنح كل أصناف الكيانات دورها المستحق في البناء (المشترك) للعالم. لقد أعيد تصويرها كأشباه موضوعات – متعددة في الفضاء (المكان) ومتحركة في الزمن ، مضطربة ومترجرجة مثل لهب ، علاقية – الدور الفعال الذي تلعبه المؤثرات actants اللاعضوية في تكوين الجماعة التي تفكر ، التي تتذكر ، التي تعبر عن ذاتها و ، أحياناً ، تبتكر ، يمكن في النهاية إعادة التعرف عليه . إنها مثل الخاتم السحري أعلاه ، تنجز هذه الوظيفة بالتداول بين – ومن هنا ترتبط– بعض (وليس البعض الآخر) من تشكيلة المكانيات المحلية التي يقوم عليها مفهوم سيريز للاجتماعي:

«**جسدي يعيش في فضاءات كثيرة بقدر ما شكّل المجتمع، أو الجماعة، أو الجماعية: البيت الإقليدي، الشارع وشبكته، الحديقة المفتوحة والمغلقة، الكنيسة أو الفضاءات المسيجة للمقدسات، المدرسة وتنويعاتها المكانية التي تحتوي على**

نقاط ثابتة، والطاقم المعقد لجداول الطمث وفضاءات اللغة. والمصنع، والأسرة، والحزب السياسي، وهلم جرا. بالتالي، فإن جسدي ليس مغروزاً في فضاء واحد، بل في تقاطع من روابط هذه التعددية)) (١٩٨٢: ٤٤ ـ ٤٥).

إن كل ثقافة، بالنسبة لسيريز، يمكن وصفها بالطريقة التي "تبني فيها وبتاريخها تقاطعاً أصلياً بين هذه التنويعات المكانية". يتبدل كل من هذا التقاطع وما يضمه، بالطبع، مع الزمن: المجتمعات تتحول [تتمسخ] Metamorphosise كما تتحول [تتطفر] Mutate بعض المورفولوجيات أو تتلاشى، فيحين تولد [مورفولوجيات] أخرى أو تكتسب أهمية: "التصور، البناء، إنتاج الصلات، العلاقات، أنظمة المواصلات – الاتصال عموماً – تنشأ بسرعة بحيث أنها تنشئ على نحو مستمر عالماً جديداً، في الزمن الحقيقي. هذه هي السيرورة – أو السيرورات – التي حاول سيريز أن يستوعبها طوال عمله عبر الحكاية الأسطورية (بمعنيي تلك الكلمة) للإله الإغريقي هرمس الذي:

((بتجديد نفسه إنما يصبح بشكل مستمر إلهنا الجديد، طالما كنا بشراً – ليس فقط إله أفكارنا، إله سلوكنا، إله تجريداتنا النظرية، بل أيضاً إله أعمالنا، إله تقانتنا، إله تجاربنا، إله علومنا التجريبية. بالفعل، إنه إله مختبراتنا، حيث، كما أشرتَ أنت [لاتور]، كل شيء يقوم بوظيفته من خلال شبكات العلاقات المعقدة بين الرسائل والأشخاص. إنه إله بيولوجيتنا، التي تصف الرسائل التي ينقلها الجهاز العصبي المركزي أو عن طريق علم الوراثة. إنه إله علم الحاسوب، إله التمويل السريع والمال السريع الزوال إله التجارة، إله المعلومات، إله الوسائل)).

(Serres with Latour 1995: 114).

في الآونة الأخيرة، مع ذلك، حث مدى هذه المجموعة الأخيرة من التطورات سيريز على تصنيف مشروعه بوصفه "نظرية عامة للعلاقات"، مثل لاهوت سيكون فيه الشيء الهام هو علم الملائكة angelology – مجموعة

مشاغبة من الرسل. لأن "ما يبرز اليوم حتى أكثر من شخصية هرمس هو الشكل الذي سيتخذ عند موته [. . .]، شكل عدد من الملائكة". في أحدث أعماله (خصوصاً Angels (1995b)) وبشكل متساوق في عمل برونو لاتور الذي نقل مشروع سيريز، بمعاني كثيرة، من الفلسفة إلى العلوم الاجتماعية، فقد منحت بعض الأهمية لأصناف العلاقات التي تقتفيها مجموعة فرعية من فئة أشباه الموضوعات التي اصطلح لاتور على تسميتها "المتنقلات غير القابلة للتحول" immutable mobiles. فالمتنقلات غير القابلة للتحول هي "مواد يمكن تحقيقها بسهولة وتنحو إلى الاحتفاظ بشكلها" و، كما يشرح روبرت كوبر، توفر الإمكانية المثيرة للفضول للسماح للأشياء بأن تكون بعيدة وقريبة في الوقت نفسه.

«الإداريون والمدراء، على سبيل المثال، لا يعملون بشكل مباشر على البيئة، بل على النماذج والخرائط والأرقام والصيغ التي تمثل تلك البيئة؛ بهذه الطريقة يمكنهم أن يتحكموا بالنشاطات المعقدة والمتغايرة عن بعد وفي الملاءمة النسبية لمحطة عمل ممركزة. إن الأحداث التي تكون عن بعد (أي بعيدة ومتغايرة) في الفضاء والزمن يمكن مقارنتها بها بشكل فوري في شكل ورقي على طاولة متحكم مركزي. لقد كان لهذا التأثير المفارق لتقريب الأحداث البعيدة في حين، في الوقت نفسه، يبقيها على مسافة، من خلال تدخل التمثيلات. بعبارة أخرى، إن قدرة التمثيل على التحكم بحدث عن بعد هي شكل من الانزياح يكون فيه التمثيل دوماً بديلاً أو إعادة تمثيل للحدث وليس الحدث نفسه أبداً» (١٩٩٢: ٢٥٧).

من هنا، (وللتبسيط)، يمكننا أن نقول، تاريخياً، إن عدداً من التطورات الاجتماعية - التقنية بما فيها الكتابة، والطباعة، والورق والنقد، والنظام البريدي، ورسم الخرائط، والملاحة، والاتصال الهاتفي قد ولدت كلها أشكالاً جديدة من المتنقلات غير القابلة للتحول و(بالنتيجة) الإمكانية لأجل

التشكلات الجديدة للمراكز التي يمكن جمعها فيها، والهوامش التي يمكن لمها منها. لقد جادلت في مكان آخر بأن التقانات التي تشكل شروط الإمكانية لأجل الاتصال بوساطة الحاسوب يمكن معالجتها بشكل مثمر بوصفها أحدث هذه "الابتكارات"، وأن هذا الخط من التفكير هو الذي أريد أن أواصله (في اتجاه مختلف قليلاً) أدناه. على وجه التحديد، أريد أن أقترح ثلاثة احتمالات بشكل خاص تقدمها هذه النقلة مقارنة مع أسلوب الكتابة الذي حددت هويته في النصف الأول من الفصل، بأنه (للأسف) مهيمن في هذا الحقل.

الاحتمال الأول: من السطوح إلى الشبكات:

أولاً، إذاً، يوحي ما سوف أدعوه لأجل الملائمة الأسلوب "اللاحديث" للتفكير من خلال الفضاء السايبري بأننا يمكن أن نكون في حال أفضل إذا أدركنا الاجتماعي بلغة الشبكات بدلاً من لغة المجاميع. باعتباره يمتلك خصيصة ليفية، خيطية، خيطية سلكية، حبلية، شعرية لا يمكن أن تُفهم أبداً بمفاهيم المستويات والطبقات، والأراضي، والكرات، والمقولات، والبنية، والمنظومات (Latour 2 :1997). من المثير للسخرية أن أحد الأمثلة التي يبرهن بها لاتور كيف أن مثل هذا التغيير في المجاز يمكن أن يؤدي إلى تفسيرات تكون في الوقت نفسه أكثر حذاقة، أكثر تاريخية، وأكثر تجريبية، هو الشبكة التقانية:

((هل سكة القطار محلية أم عالمية؟ لا هذه ولا تلك. إنها محلية بكل الوجوه، نظراً لأنك تجد نائمين وعمال السكك ولديك محطات وآلات تذاكر أوتوماتيكية مبعثرة على طول الطريق. مع ذلك فإنها عالمية، نظراً لأنها تأخذك من مدريد إلى برلين ومن برست إلى فلاديفوستوك. على كل، إنها ليست كونية بما يكفي لأن تكون قادرة على أن تأخذك إلى أي مكان. من المستحيل أن تصل قرية أوفرغنات من مالبي بالقطار، أو بلدة ستافورد شاير الصغيرة [التابعة لـ] ماركت درايتون. ثمة مسارات مستمرة تقود من المحلي إلى العالمي، من التفصيلي إلى الشمولي، فقط عندما يدفع ثمن الخطوط الفرعية)) (١١٧ :١٩٩٣).

بشكل يثير السخرية، لأن فكرة لاتور هي أننا ينبغي أن نطبق الدروس المستقاة من الشبكات التقانية حيث لا نلاقي عادة "أية صعوبة" [في] مصالحة مظهرها المحلي "وبعدها العالمي" مع تلك العناصر الأخرى من مجتمعاتنا كالمنظمات، والأسواق، والمؤسسات التي لسنا مستعدين سوى للمبالغة في تضخيم حجمها وصلابتها:

((إنها مكونة من أمكنة معينة، مرتبة وفق سلسلة من التفرعات التي تتقاطع مع الأمكنة الأخرى وتتطلب تفرعات أخرى لكي تنتشر. بين خطوط الشبكة لا يوجد، تحديداً، شيء على الإطلاق: لا قطار، لا هاتف، لا أنبوب شفط، لا جهاز تلفزيون)).

مع ذلك، في حالة الشبكات التقانية التي تؤلف الفضاء السايبري، كان الحديث عنها بلغة الجليل يعني هنا أيضاً أن الفضاء بين الوصلات قد تم ملؤه، وأننا نترك غالباً مع سطح أملس آخر، مع ذلك، من النوع الذي يكافح لاتور للانفصال عنه. هكذا، رغم أنه قد يبدو واضحاً، من الضروري أن نجزم بأن الشبكة Net ليست محلية ولا عالمية. إنها محلية في كل الوجوه نظراً لأنك تجد دائماً طرفيات وموديمات. ومع ذلك فهي عالمية نظراً لأنها تربط شيفيلد وسيدني. مع ذلك إنها ليست كونية بما يكفي لأن تأخذك إلى أي مكان، رغم كل شيء، لا يمكنني أن أرسل بريداً إلكترونياً إلى أقرب جار لي وما بين ثلث وإلى نصف سكان العالم لا يزال يعيش على بعد أكثر من ساعتين عن أقرب هاتف. على كلٍ، خلافاً لبلاغة "العالم الآخذ في الانكماش اللامعقول" (Kirsch 1995) التي يقوم عليها الفضاء السايبري بوصفه جليلاً تقانياً، ليست الحجة هنا فقط هي أن الشبكات تمتلك القدرة على عبور (أقرأ تجاوز) الفضاء والزمن المعتبرين كإطار مرجعية لا يهتز تقع بداخله الأحداث والمكان (التشديد في الأصل (Latour 1987: 228 بالأحرى، الزعم هو أقوى (بكثير):

((الفضاء والزمن. على العكس من براهين كانط، ليسا المقولتين البديهيتين لإحساسنا. فالآلهة والملائكة والكرات، والحمائم، والنباتات، والمحركات البخارية، ليست في الفضاء ولا يتقدم بها العمر في الزمن. على العكس، إن الفضاءات والأزمنة يتم اقتفاؤها عن طريق الانزياحات العكوسة أو اللا عكوسة للأنماط العديدة من المتنقلات mobiles. إنها تتولد عن طريق حركات المتنقلات ، إنها لا تؤطر هذه الحركات)) (التشديد في الأصل Latour 1988b: 228).

كما رأينا أن الخاتم السحري لكالفينو قد شكّل نوعاً من حقل القوة الذي هو في الحقيقة أرض القصة ذاتها. كما أظهر بيير ليفي (أحد طلاب سيريز) (١٩٩٦)– فإن المتنقلات غير القابلة للتحول مثل البريديات الالكترونية، وإرسالات الجرائد، ورسائل IRC تُقتفى بتداولها في الوقت نفسه في زمكانات (سايبرية) جديدة و– هو ما يربو إلى الشيء نفسه، في أصناف جديدة من الجماعيات. إلى هذه الأخيرة أريد أن التفت الآن.

الاحتمال الثاني: من التقني مقابل الاجتماعي إلى التقني- الاجتماعي:

في مراجعة للفضاء السايبري التي بدأت بتلخيصها، إذاً، فإن "الهنات" heres، و"الهناكات" theres لا توجد مسبقاً، بل يتم خلقها عن طريق الصلات التي تربطها: النسيج الاجتماعي ليس كائناً بذاته، بل هو علاقي وفي سيرورة التطور المضطرد. إحدى الطرق لدراسة ذلك بلغة الفضاءات الإقليمية التي نكون أكثر ألفة معها، هي أن نفكر بالشبكات بوصفها "تطوي" معاً نقاطاً بعيدة قياسياً. إن الطية fold "تحدد" أين وكيف أصبح العالم مضغوطاً على حد تعبير توم كونلي في مقدمته لكتاب *Le pli* لدولوز Deleuze (لا "ما إذا أم لا"، بل "أين وكيف") ويعبر بشكل مفيد عن التأثير الذي تمارسه الشبكات على وصل المفصولات. يمكن خلط العناصر الجديدة معاً، يمكن خلق مقاربات جديدة إذا جاز لنا القول. إن حصيلة هذا الدمج هي دوماً غير أكيدة: "الثالث"، كما

تعلق جانيت ونترسون في كتابها **تجنيس الكرز** Sexing the Cherry (١٩٩٢) ليس "معطى". قد يكون، كما افترض مايكل ما فيسولي Maffesoli، أن "قبائل" جديدة يمكن توليدها:

((إن هيئات نشرات الحاسوب يمكن (لأغراض ترفيهية أو إيروتيكية أو وظيفية) أن تخلق رحماً اتصالياً تظهر فيه جماعات ذات أهداف مختلفة، وتكتسب القوة وتفنى؛ جماعات تعيد إلى الأذهان نوعاً ما البنى القديمة لعشائر أو قبائل القرى. الفرق الوحيد الجدير بالملاحظة الذي يميز السديم nebula الالكتروني، هو بالطبع زمانية هذه القبائل تحديداً. بالفعل، كنقيض لما يُعنى عادة بهذا المفهوم العام، فإن القبلية tribalism التي نسبرها هنا يمكن أن تكون سريعة الزوال كلياً، تنظم عندما تحين الفرصة. إن العودة إلى مصطلح فلسفي قديم، يتم استنفادها في الفعل. كما أصبح واضحاً في تقارير إحصائية كثيرة، فإن المزيد والمزيد من الناس يعيشون كعازبين، لكن حقيقة العيش وحدهم ـ لا تعني العيش في عزلة. بحسب المناسبة – خصوصاً بفضل الخدمات الحاسوبية للـ مينيتل Minitel [رائد أهلي فرنسي للخدمات المتاحة الآن دولياً من خلال الشابكة (nb)] فإن العازبين يمكن أن ينضموا إلى جماعة مفترضة أو نشاط مفترض. إن "القبائل" القائمة على الرياضيات والصداقات والجنس والدين والمصالح الأخرى يتم تكوينها بطرق كثيرة (والمينيتل مجرد واحدة)؛ كلها تمتلك أطوال أعمار مختلفة وفقاً لدرجة استثمار الأبطال)) (١٩٩٦: ١٨٣٩ – ١٨٤٠)

إن معظم تعاملات جماعات الأخبار الناشئة المرتبطة بالاتصال بوساطة الحاسوب (بما في ذلك (جماعة) مافيسولي) سعيدة بالتحدث عنها بوصفها نتيجة "لتأثير" التكنولوجيا على المجتمع أو، بشكل مناظر، الحصيلة "لتشكيل" التكنولوجيا وفقاً لحاجاته ورغباته. في السيناريوهين، تنحو "القبائل" الناتجة إلى أن تُعامل كما لو كانت "معلقة في فراغ". إن ما يقدمه الهيكل المفاهيمي المطوّر من قبل سيريز ولاتور الملّخص بشكل انتقائي هنا (في البند الثاني)،

بالمقابل، هو طريقة لتطوير الجماعات البشرية بوصفها دوماً تقنو اجتماعية بشكل كامل (لنستعمل كلمة خرقاء)، مربوطة دوماً إلى بعضها قبلئذ عن طريق أشباه الموضوعات. كما يعلق ليفي:

((يمكن للمرء أن يعيد سرد تاريخ البشرية منذ بدايته بوصفه تتابعاً لموضوعات ناشئة، كل واحد منها موصول بشكل لا ينفصل بشكل بعينه من الديناميك الاجتماعي. عندئذ سيلاحظ المرء أن نمطاً جديداً من الموضوع يستحث طرازاً بعينه من الذكاء الجماعي وأن كل تغيير اجتماعي هام حقاً ينطوي بالضرورة على ابتكار موضوعاً. في مدى الزمن الأنثروبولوجي، تتشكل الجماعيات وموضوعاتها ضمن الحركة العامة نفسها)) (٧ – ٦ :١٩٩٦).

إن الجماعيات collectivities الجديدة للفضاء السايبري (إذا كانت هذه الكيفية التي نختار الإشارة إليها)، إذاً، لا تمثل أقل ولا أكثر من آخر قسط في سلسلة طويلة من الإنتاجات المشتركة بين الأشخاص والأشياء. ما إذا كانت الكيانات قيد البحث أدوات، قصصاً، جثثاً، أو مساهمات هيئة النشرات، تبقى الكيفية التي تحدد هويتها هي نفسها: "القدرة على تحفيز العلاقات الاجتماعية"

الاحتمال الثالث: من الشرح إلى القصص الوافية:

من حيث المبدأ، إذاً، تؤدي أشباه الموضوعات دائماً نفس الوظيفة (ويجب أن نعترف بذلك في قصصنا). عملياً، بالطبع، ستتصرف دوماً بشكل مختلف: المسارات المتبعة، العلاقات المقامة، الجماعات المشكّلة، الفضاءات المربوطة والمخلوقة، سوف تتغير وفقاً للسياق (ويجب أن نعترف بذلك في قصصنا أيضاً). تمثل الوسائل لاستيفاء هذين المحكين بآن معاً الاحتمال النهائي بحيث أريد أن أعرف النقلة اللاحديثة amodern بوصفها عرضاً Offering. إنها، بطرق كثيرة، أصعب فرصة للانتهاز والإعمال operationalise، صعبة لأننا – بوصفنا علماء اجتماعيين – مقيدون للغاية بطريقة أخرى "لفعل الأشياء".

لأن أخذ المشروع الذي يواصل سيريز ولاتور إنجازه على محمل الجد يتطلب في نهاية المطاف أن نتخلى عن أعز أسلحتنا: موقع الهيمنة، كما ذكرت سابقاً ذاك هو النقد critique.

في أغلب الأحيان فإن تفسيرات الاتصال بوساطة الحاسوب التي تعرض علينا يتم تشريبها بما يسميها لاتور "سياسة التفسير": إنها ترغب في تفسير الفضاء السايبري. ما أعنيه بذلك هو أنها تسعى - كما يعنيه أي عمل نقدي جيد- إلى تقسيم العالم إلى رزمتين: "رزمة صغيرة تكون مؤكدة وأكيدة، البقية الهائلة التي يُؤمن بها ببساطة و هي في حاجة ماسة جداً لأن تُنتقد وتُؤسس، لأن يعاد تثقيفها، تجليسها". (انطلاقاً إلى القائمة القصيرة، سواءً كانت تحتوي (على سبيل المثال) "الكوجيتو"، "المتعالي"، "الصراع الطبقي"، "الخطاب" أو - في حالة الفضاء السايبري- (على سبيل المثال) "الرأسمالية المتأخرة/ المرحومة"، "الذكورة"، "ثقافة النرجسية"، "التعقيد الذي لا يخطر ببال" للبقية يمكن اختزالها إلى مقاييس يمكن تدبرها: تفسيرها.

لكن لماذا السعي إلى التفسير على الإطلاق؟ ولماذا ينظر إلى التفسير القوي - حيث تكون عناصر القائمة الصغيرة "مترابطة" مع مزيد من عناصر القائمة الطويلة- على أنه أفضل بشكل متأصل من التفسير الضعيف؟ لكن ما يسمح لنا التفسير الطويل به وما لا يسمح لنا الضعيف به هو الفعل عن بعد. إذا كان المرء يستطيع أن يبقى في (القائمة القصيرة) A ولايزال مستمراً في الفعل (القائمة الطويلة) B عندئذ فإن ما يتمتع به المرء هو **السلطة** power: أن يكون قادراً على تفسير الفضاء السايبري أو أي شيء آخر من خلال صيغة بسيطة هو الخطوة الأولى إلى كسب الهيبة. وهذا، كما يجادل لاتور، هو بالضبط ما يدور حوله الكثير من العلم الاجتماعي، كما هو منظم تقليدياً: بناء الامبراطورية، إرادة الاعتراف. نريد أن نكون مثل العلماء "الحقيقيين" الذين نراهم يمثلون مثالاً (أعلى) لأنهم "تمكنوا من" التفسير.

كما كتب روبرت كوخ، حاذياً حذو سيريز، الذي يدين بدوره إلى عمل رينيه جيرار، يرى لاتور أن مسار السجال الأكاديمي والسياسي هو في الواقع محكمة تقرر وتحدد فيها المسؤولية عن النتائج:

((إنه يعني أن السبب (العامل، المقرر، النمط أو المتلازم) هو الحصيلة لتجريب المسؤولية التي تؤخذ من خلالها عناصر قليلة من الشبكة على أنها الزخم وراء الشغل كله. إنه، عملياً، إلى حد كبير جداً اختيار للمثلين أو، تبعاً للحصيلة، إتهام يوجه ضد كبش فداء. إن الإيمان بالسبب والنتيجة هو دائماً، بمعنى ما، الإعجاب بسلسلة إصدار الأوامر أو كراهية الرعاع الباحثين عن شخص ما لرميه بحجر)) (Latour 1988b: 162).

بدلاً من تكرار "وصفة الاتهام" هذه وتقديم قائمة قصيرة أخرى، مفعمة بالقوة أو "الميتا – لغة". إن مجموعة من الأدوات، إذا جاز القول، تفتتح إمكانية متابعة الممثلين وسلسلة التحولات، والاستبدالات والتفويضات، التي يمرون من خلالها في أي إطار معطى، في حين يواصلون الارتكابات النظرية القوية، التي لخصتها أعلاه. التحدي، إذاً، هو إنتاج تفسيرات للعالم تكون فيها المقولات الكبيرة التي نظل معلقين إليها مفترَضة مسبقاً، لكنها تنتج، إن كانت تنتج بالمرة، عن أفعال مختلف أشباه الذوات أو أشباه الموضوعات [الأشياء] المتضمنة والمستحضرة.

الاختلاف الذي يخلقه الاتصال بوساطة الحاسوب:

. . . إذاً، لا يمكن تحديده مسبقاً. إن الاختلاف الذي يخلقه الاتصال بوساطة الحاسوب يجعله مختلفاً دائماً. كما يستدل عن طريق الأعمال الحديثة المتداخلة الاختصاصات حول الموضوع ما يمكن أن نكون قادرين على تقديمه، مع ذلك، بإحضار تبصرات سيريز ولاتور للتأثير على إشكالية الفضاء السايبري، هي بعض البيانات المترددة بخصوص ما دعاها لاتور أخيراً "وصفات التفويض"

delegation regimes المتضمَّنة في معمارات المعلومات من مختلف الأنواع. فهذه مصممة "لتتبع في الوقت نفسه انتشار عدد غير محدود من الكيانات والعدد المحدود من الطرق التي تفهم بها أحدها الآخر، وهي طريقة جيدة مثل أية طريقة لوصف جهود سوزان لي ستار وكارن رولدر لإعادة صياغة مفهوم "البنية التحتية" بطريقة تكون ملائمة لعالم من الوسائل الالكترونية.

إن طرح السؤال "متى" بدلاً من "ماذا" هو بنية تحتية [أرضية] infrastructure للتأكيد على أن شيئاً ما " يظهر للناس في الممارسة، متصلاً بالنشاطات والبنى" كنقيض لشيء ذي صفات مفترضة مسبقاً مجمدة في الزمن"، إذ تحدد ستار ورولدر ثمانية أبعاد للمفهوم. البعد الأول، إن البنية التحتية **محشوة**، "غاطسة" في، بداخل، بنى، وترتيبات اجتماعية" وتقانات أخرى؛ البعد الثاني، إنها [أي البنية التحتية] شفافة للاستعمال، "بمعنى أنها لا يتعين إعادة اختراعها في كل مرة أو تجميعها من أجل كل مهمة"، بل تتصرف بدلاً من ذلك كدعم غير مرئي؛ البعد الثالث، إن للبنية التحتية"مطال أو مدى" خارج "حدث واحد أو ممارسة أحادية الموقع؛ البعد الرابع، إنها "يجري تعلمها كجزء من عضوية" membership [في] "مشترك ممارسة" تتطلب حالة من "التسليم جدلاً" فيما يخص "النتاجات الصنعية" والترتيبات التنظيمية" لبنية تحتية بعينها؛ البعد الخامس، إن البنية التحتية تشكل **الأعرافَ** وتشكلها" [**الأعرافُ**] Conventions لمشترك ممارسة؛ البعد السادس، إن البنية التحتية تتصرف كـ "**تجسيد للمعايير**" عن طريق الانخراط في بنى تحتية وأدوات أخرى بطريقة ممعيرة؛ البعد السابع، إنها لا تنمو من جديد de novo، بل بالأحرى تكون "مبنية على قاعدة منصوبة" وبذلك "ترث القوى والتحديدات من تلك القاعدة"، وأخيراً، إن البنية التحتية ذات الخلفية النظامية "**تصبح مرئية لدى الانحلال**".

بتفصيل أكثر بكثير مما أمتلك من الفراغ للخوض فيه هنا، تسارع ستار ورولدر إلى استخدام هذه الوصفات في تحليل كاشف للطرق التي تم بها تبديل

أنماط عمل فريق مشتت جغرافياً من علماء الوراثة عن طريق إدخالها إلى أداة برمجية تعاونية موصى عليها و (بالمصادفة من حيث التوقيت) والشابكة بمختلف استعمالاتها. ثمة مقطع قصير يستحق بالتأكيد تسليط الضوء عليه، مع ذلك، ولو فقط من أجل الطريقة التي يقدم فيها بشكل تأكيدي للغاية فإن السبب في أن نوع المعجم التناظري الذي طوره سيزر ولاتور للسماح لنا بالتكلم بنفس الروح ونفس الطبقة البلاغية عن أشباه الذوات وأشباه الموضوعات، هو ضروري للغاية، إذا كنا بصدد أن "ننصف" النوع من الكومة المختلطة، التي ليست بيئات اتصالها بوساطة الحاسوب سوى تمظهر حديث خاص:

((العلماء لا "يسكنون على الشبكة". إنهم يستفيدون منها استفادة شديدة على نحو متزايد؛ المشاركة الإلزامية بشكل متزايد لأجل التطوير المهني أو حتى المشاركة، مع مجموعة سريعة التغير من مصادر المعلومات، التي تبدل بشكل جذري مشهد "مستعمل" و "مزود" المعلومات؛ شدة الروابط البينية والتطور البنيوي التحتي تسير بسرعة مدوخة. ذاك التطور غير متكافئ؛ إنه مزيج مثير للإهتمام ومملوء بالحدود المتنقلة بشكل مضطرد بين خطوط العمل والجماعات ومراحل السيرة، والثقافة الجسدية والافتراضية والمادية ومشاكل المقياس الملحة بشكل متزايد والمثيرة للإهتمام)) (ibid.: 131).

من هذا المنظور، كما يعبر عن ذلك لاتور نفسه فإن:

((التنظيمات، في النهاية لم تعد تبدو الآن هي نفسها ذلك أنها نظراً إلى تفاعلاتها المحلية، الموضعية، وإلى مرسليها أضيف الكثير للغاية من الحواسيب وبنوك البيانات. والكثير للغاية من النتاجات الصنعية والتقانات الذهنية، الكثير جداً من القصص، من مراكز الحساب وغرف معالجة المعلومات. المعرفة الموزعة والموضعة كثيراً للغاية. لم يعد واضحاً إذا كانت منظومة الحاسوب شكلاً محدوداً من التنظيم أو إذا كان التنظيم شكلاً موسعاً من منظومة الحاسوب.

ليس، كما في أحلام الهندسة وكوابيس علماء الاجتماع، لأن العقلنة الكاملة كانت ستحدث بل، على العكس، لأن الهجينين الرهيبين هما الآن متمادان (coextensive)».

خاتمة: ما وراء شعارات الحداثة:

«تكون رؤى التقانات الجديدة [التي] تثوّر الطريقة التي نعيش بها غالباً جريئة، وكاسحة وألفية millenarian. من المثير سماعه أنها تبيع الكتب؛ إذ يمكنها أن تكسب عيشاً جيداً على دارة المحاضرات المدمجة. لكن عمرها التخزيني shelf life مكافئ تقريباً لعمر ماك الكبير» (Fischer 1997: 113).

كما في حالة شبكات تقانية كثيرة من قبل، فإن خليطاً فعالاً من التأييدية والتشككية الحاسمتين بالقدر نفسه قد رفع الفضاء السايبري إلى موقع "شعار الحداثة" (لنستخدم عبارة فيشر الموفقة): إنه فعلاً، إشارة على العصر بغض النظر عما إذا كان المرء ينظر إليه بأمل أم بيأس. إن ما جادلت به في هذا الفصل هو أن أخذنا الجغرافيات الافتراضية على محمل الجد يجب أن يعني الانتقال إلى ما بعد الإغراءات الكثيرة التي تعرضها روايات الوجبات السريعة هذه نحو شيء ما أكثر تغذية قليلاً. بالاعتماد على أعمال سيريز ولاتور، فإن ما حاولت أن أبينه – بشكل مقنع على نحو تفاؤلي – هو أنه توجد طرق أخرى للتحدث عن الاتصال بوساطة الحاسوب غير الطرق المعروضة في الوقت الراهن، طرق ربما تكون أكثر كفاية لمهمة التعلّم والرسم الدقيق لماذا ومتى وأين تشكل اختلافاً بالفعل. دعونا ألا نسأل ما هو الفضاء السايبري أو ما الذي يرمز إليه، بل ما الذي يجمعه معاً وما الذي يبقيه متفرقاً.

١٥- عوالم افتراضية

المحاكاة، النضوب، الإغواء والصور الزائفة(*)

بقلم: ماركوس أ. دويل وديفيد ب كلارك

"أفلاطون يحمرّ خجلاً" (نيتشه ١٩٦٨: ٤١).

مدخل:

"أي موضوع ، أو فرد أو وضع قديم هو اليوم جاهز افتراضي" (بودريار ١٩٩٦: ٢٨).

إذا أطلقنا تثاؤباً لمجرد ذكر الواقع الافتراضي والفضاء السايبري والافتراضية المجسَّدة، قلبنا أعيننا لتسمية الحضور عن بعد telepresence والمكان البعيد teletopia والاستنساخ الالكتروني ، فذلك لأن شيئاً ما قد فقد في الاندفاع الطائش إلى الخروج من التجربة المشتركة أو المبتذلة للحياة اليومية بسبب الروعة الظاهرة لأحدث التقانات. بحسب روبنز ، فإن "التقانات الجديدة لا تعد بشيء. . . أقل من التكرار" لوجودنا الدنيوي ، إذ تقوم بدورها كترياقات في حينها للتحرر من السحر القديم العهد والاغتراب المفروض على البشرية عن طريق الشيفرات المجردة والآلات. مع ذلك ، فإن الأكثر احتمالاً مما يرافق الخطابات حول أحدث التقانات والتعبيرات الجديدة للزمكان الذي تعبر عنه – سواءً كان يوتوبياً أم يوتوبياً

(*) Virtual Worlds: Simulation, suppletion, S(ed) uction and Simulacra.

مضاداً dystopian ، أو محسوباً – هو فهم مفقَر للواقعي والافتراضي؛ أي ، فهم مفقر للزمكان. ما هو ملفت للانتباه الشديد في هذا الإفقار هو أنه يخترق كلاً من الافتراضي والواقعي إلى النقطة التي يتم فيها التفكيك الثابت للافتراضي إلى طبعة محللة بشكل رديء من الواقع (صنوه المنحل أو المتحلل) حيث لا يعود الواقعي والافتراضي قابلين للتمييز وفقاً **لكيفيات** (قوى وتأثيرات)، بل فقط وفقاً **لكميات** (أكثر أو أقل). يتخذ هذا "الانهيار"في شكل الزمكان بشكل نموذجي واحداً من مسارين: الافتراضي بوصفه "اقتراب زائف" من الواقعي (مجرد نسخة طبق الأصل)؛ أو الافتراضي بوصفه "الانحلال" أو "التحقق الفائق" للواقعي – كون الحدين الأقصيين يحتلهما كارهو التقانة ومحبو التقانة على التوالي.

في الفقرتين التاليتين من هذا الفصل سندرس بالتفصيل هذا الانهيار المقسوم للافتراضي، قبل الرجوع إلى الدراسة الأكثر مباشرة للمعاني الضمنية "للوهم الافتراضي" بلغة رغبة لا تشبع في التحقق الفائق لإمكانيات العالم؛ وفي الفقرة الأخيرة، الخصيصة الافتراضية للواقعي ذاته. إن موضع الرهان هنا ليس فقط كيف نفكر في الواقعية والافتراضية والواقع الافتراضي؛ بل أيضاً كيف نصور الزمكان نفسه. ربما كان الخطأ الأهم الذي نتمنى أن نسلط الضوء عليه هو اختزال الواقعية إلى فعلية والافتراضية إلى إمكانية: كما لو كان الفعلي والافتراضي هما **المعطى** given و**المعطى مسبقاً** pre-given على التوالي. إن الحاجة إلى إعادة التفكير في الزمكان، بدلاً من أية تقانات عصرية، هي التي تفرض التحدي الأكثر إلحاحاً.

الواقع الافتراضي ا: المحاكاة. أو الاقتراب الزائف من الواقعي

« في تلك الأيام لم يكن عالم المرايا وعالم البشر، كما هما الآن، مفصولين عن بعضهما البعض. كانا، بالإضافة إلى ذلك، مختلفين تماماً؛ فلا الكائنات ولا الألوان ولا الأشكال كانت هي نفسها. إن كلتي المملكتين، المرآتية والبشرية،

كانتا تعيشان في تناغم؛ فقد كان بمقدورك أن تأتي وتذهب عبر المرايا. ذات ليلة غزا البشر المرآتيون الأرض. كانت قوتهم كبيرة، لكن في نهاية الحرب الدموية سادت الفنون السحرية للإمبراطور الأصفر. فقد صد الغزاة، وسجنهم في مراياهم، وفرض عليهم مهمة تكرار كافة أفعال البشر، كما لو في نوع من الحلم. لقد جردهم من قوتهم وأشكالهم، واختزلهم إلى مجرد انعكاسات (خيالات) خانعة. مع ذلك، سيأتي يوم يتم فيه التخلص من التعويذة السحرية. إذ ستبدأ الأشكال بالاهتياج. شيئاً فشيئاً سوف يختلفون عنا؛ شيئاً فشيئاً لن يقلدونا. سوف يخترقون حواجز الزجاج أو المعدن وفي هذه المرة لن يُهزموا» (Borges 1974: 67 – 68).

بلغة الحس المشترك، فإن الافتراضي بالنسبة إلى الواقعي هو مثل النسخة بالنسبة للأصل: إنه ليس أكثر من انعكاس و [تمثيل] وإعادة إنتاج(*) – إذ ترمز (re)(*) إلى مجرد آخر من نفس الشيء (النسخة الرديئة والمطيعة)، أكثر مما هو تحول أو تمايز (النسخة الرديئة والمنحرفة). إن الافتراضي بوصفه نسخة هو وافد متأخر وزائد، يتعلق بشكل مفارق بالشيء الأصلي، في حين يمايز نفسه عنه. أما الافتراضي بوصفه نسخة فهو ثانوي، اشتقاقي وتكميلي. إنه سطحي، زخرفي ويُجعل مساعداً، ليس فيه شيء جوهري. إنه يشارك بدون انتماء. مع ذلك ينبغي على المرء أن ينسى أن كل نسخة طبق الأصل هي ازدواجية وكل مكمل خطير. كبديل أو صنو للواقعي– الأصلي، فإن الافتراضي– النسخة يمكن أن يتوصل إلى أن يطمسه أو يسده، بالتوازي مع إمكانية إدراك الاختلاف بين الواحد والآخر: المال، صنمية السلع، واللعب بالإغواء، كأمثلة واضحة.

إن المفهمة السابقة تطغى عليها نظرية تطابق (التمثيل)، التي تكون فيها الصورة (الافتراضية) التخيلية تابعة للهوية الذاتية الأصلية للواقعي. إن القيمة

(*) المقصود بها re التي تبدأ بها كلمات reflection (انعكاس) وrepresentation (تمثيل) وre-production (إعادة إنتاج).

التبادلية والقيمة التعاقدية ينبغي أن تعكسا القيمة الحقيقية (زمن العمل، الاستثمار الليبيدي، المنفعة، . . . . الخ)، كما إن الكتابة ينبغي أن تكون مرآة للكلام. كتأثير سطحي، فإن الافتراضي ينبغي ألا "يطفو" بحرية: ينبغي أن يثبت إلى شيء ما أساسي، يعبر عنه بشكل مطيع. انسجاماً مع هذه الصورة المستعبدة للفكر، يجادل روبنز بأن مصطلحي الواقع "الافتراضي" و[الواقع] "الاصطناعي" يميلان إلى التوليد الحاسوبي للعوالم البصرية الواقعية ثلاثية الأبعاد التي يمكن فيها لمشغل بشري مجهز بشكل مناسب أن يستكشف ويتفاعل مع الموضوعات البيانية graphical (الافتراضية) إلى حد كبير بنفس الطريقة التي يمكن بها أن يستكشف ويتفاعل مع العالم الواقعي. لهذا، فإن الافتراضي لا يمكن أن يكون أكثر من تقليد باهت للواقعي: مجرد محاكاة. في أفضل الأحوال، إذاً، فإن الحضور عن بعد هو الحد الذي إليه يشعر المرء أنه حاضر في البيئة الموسولة. مع ذلك فإن هذا الإخضاع للافتراضي إلى الواقعي لا يعتمد على المرجعية؛ إنه لا يتطلب [من] الافتراضي أن يمثل شذرة قائمة فعلاً من الواقع[1]. بالأحرى، إنه يقوم على فصل حاد للواقعي والافتراضي، بحيث يوجد ثبات للأشكال الجوهرية. لأنه في حين يمكن أن يكون هناك تحويل موضَع للتأثيرات بينهما (كما في رؤى وتعويذات السحر والعرافة)؛ لا يمكن أن تكون هناك الصيرورة آخر becoming-other (كما في تحويل المعادن إلى ذهب وفضة في الخيمياء والانمساخ السحري في الاستذئاب lycanthropy (التحول إلى ذئب). باختصار، وفي سبيل المظاهر والخبرات، قد يبدو الافتراضي واقعياً والعكس بالعكس، لكن في جوهريهما المقابلين، لا يلتقي الاثنان أبداً. إن توازيهما ممدود بشكل واضح في الفضاء الإقليدي. (في فضاء منحنٍ)، مع ذلك، كفضاء الأرض، فإن المتوازيات يمكن أن تتقاطع وتتشابك. من هنا حقيقة أن كثيراً من الأدب يحصر نفسه بملاحقة التأثيرات السطحية والوهمية بشكل مطلق. هل إنك تخدعنا؟ ولمصلحة من؟

إن الافتراضي، كنظير للواقعي، يخفض مرتبته بالضرورة. لا بديل

تناظري يمكنه أن يعيد إنتاج التبيُّن resolution الأصلي بالشكل نفسه من أجل نسخة عن نسخة. هذا هو السبب في أن الواقع الافتراضي (ينزع الصفة الواقعية) عن العالم. إنه تصوير جاف xerography – نقش جاف – يبهت [متحولاً] إلى الرمادي. من هنا كان الكثير من الهياج بخصوص نشوء المشتركات الافتراضية، السياسة الافتراضية، الشركات الافتراضية، الحروب الافتراضية، الجنس الافتراضي . . . الخ، والافتتان والقلق المتزايدين بخصوص النزاعات الحدودية الظاهرة بين الواقعي والافتراضي. هذه الهموم تذيَّل بتلميح يقول بأن ما هو ذو دلالة في "العالم الميكروي الافتراضي" هو أن المستعمِل يكون بعيداً عن اكتمال الوجود البشري "الواقعي". أو كما تدعي هايلز في ملاحظتها المختصرة حول **الأجساد الافتراضية والدالات المترجرجة** "عندما نتدافع إلى استكشاف الآفاق الجديدة التي جعلها الفضاء السايبري متاحة لأجل الاستعمار، دعونا أيضاً نتذكر هشاشة عالم مادي لا يمكن استبداله"(٢).

على نحو عنيد، إذاً، يؤدي مفهوم التقريب الزائف المحلل بشكل خاطئ إلى عبادة أونطو – ثيولوجية [وجودية–لاهوتية] للأصالة يُصور فيها الواقعي كضحية دنيوية هشة ومنفعلة لإغواء افتراضي(٣). أو بالأحرى: يكون الواقعي ضحية لمص/ إغواء S(ed)uction افتراضي؛ لأن الاستيهام يكون مُهيكلاً حول إفراغ العالم الواقعي . . . . إن العالم الافتراضي الذي كان فيما مضى خارجاً هو الآن مطموس: لا حاجة لمفاوضة ذاك الواقع المتسم بالفوضى والعنيد. هكذا، يكون من المغري "ألا نعود نرى أي حاجة مهما تكن لأجل هذه البقية التي أصبحت عائقاً" كما يرى بودريار، على نحو محزن نوعاً ما: إنها "معضلة فلسفية حاسمة، مشكلة الواقعي الذي تم التخلي عنه". من المثير للتعجب، إذاً، أن الافتراضية في خطابات التقريب الزائف تُدمج بهذه السهولة مع الطفيلية والابتزاز والتوحد. الافتراضي هو ملحق خطير من النوع الأكثر تقليدية. مثل الكتابة أو الرسم، كل تقانة واقع افتراضي هي فارماكون [عقار شافٍ شامل]،

دواء، علاج، جرعة، عقار، سم، سحر، . . . . الخ. إنها تُنعش الذاكرة وتقوي الخبرة والإحساس، لكنها بفعل ذلك تسهل النسيان، والعجز، والحرمان الحسي. على قاعدة هذه الملحقات، قد تحاول الكائنات البشرية أن تريح نفسها من بعض إمكانياتها ومسؤولياتها المتكدسة.

على سبيل المثال، يلاحظ بودريارد كيف أن [جهاز] الفيديو المولج في التلفزيون يتولى القيام بوظيفة مراقبة الفيلم بالنيابة عنك، ويرى أن "فكرة أنه توجد آلة لتخزين [إمكانيات المرء المكبوتة] وترشيحها، تدخل إليها [الإمكانيات] لتتلاشى بهدوء، هي فكرة مريحة بعمق. وهكذا يكون لشريط فيديو 3M'S scotch TM لازمته الشعبية: إعادة التسجيل لا تبهت(*)! التي يغنيها في الدعاية التلفزيونية هيكل عظمي في حلقة من الفيلم يعاد تشغيلها بلا توقف؛ لمجرد تأكيد حقيقة أن التقانة الافتراضية هي موجودة بشكل مفترض لصون البشرية فيك. حتى رغم أنها تفعل ذلك عن طريق نزع الصفة الواقعية عن الكون. يحمل النتاج المذكور كفالة إعادة تسجيل مدى الحياة، لكن من غير الواضح حياة من هي المقصودة: حياتك، حياة الشريط، حياة الافتراضي، أم حياة الواقعي؟ (مما يثير التشاؤم أن اختبار 3M's التصوير البياني لجودة نصوع الشريط [الذي مدته] أربع ساعات يصل فقط إلى التسجيل ذي الرقم ألفين تقريباً كما لو كان ليعترف بحقيقة أن العام ٢٠٠٠، بمعنى معين، لن يحصل: بودريار ١٩٨٦).

من الواضح أن الامتياز الممنوح إلى الواقعي في مقابل الافتراضي بوصفه "تقريباً زائفاً" ليس زمنياً بقدر ما هو أونطولوجي. لكن كما سنرى، ستكون هذه الأنطولوجيا على الدوام قبلئذ شاهداً – في الشفافية الطيفية لعلم أشباح حقيقي – على انتقام روحي مروع (٤). يكفي أن نلاحظ، في الوقت الحالي،

(*) Re-record-don't fade away!

أنه لا يوجد شيء جديد في إضفاء الأولوية (هذا كما يدعى الأصل) على نسخته. فكر بالأفلاطونية وتحطيم التماثيل والأصنام وبرنامج Antiques Road show [على قناة] BBC. كما يؤكد أبريوكس "تبقى الثقافة الغربية إلى حد كبير تحت العين اليقظة بقسوة لأناها الأعلى superego الأفلاطوني". وفقاً لذلك، فإن الافتراضي- مثل كل الصور والمفاهيم والأفكار- يجب إبقاؤه في مكانه؛ يجب أن يثبت في ما يعيد تقديمه و/ أو يزيحه من مكانه وأن يكون تابعاً له. الواقعي يجب ألا تخسفه/ تكسفه ظلاله أو مغيباته alibis (أمكنته الأخرى elsewheres). الازدواج يجب أن يكون لمنفعة الشيء نفسه الذي يثمر من خلال آخريه فقط لفائدة إعادة الإنتاج [التكاثر] الموسّع. هكذا، في حين أن أحدث تقانات الصورة تُعرّف في كثير من الأحيان بأنها "ما بعد فوتوغرافية" - وهو زعم يشي بفهم بائس جداً للتصوير الضوئي-، في أنها تنقل نقش الضوء وراء إعادة التقديم المحضة للطيف المرئي إلى صور زائفة خالصة؛ إلى النقطة التي ينتقل فيها التلاعب الرقمي بالواقع السابق إلى جيل مكتف بذاته، من الصور الرقمية[٥]+ رغم أنه تناصي بشكل واضح؛ إنها توصف بشكل ثابت بمصطلحات أفلاطونية. على سبيل المثال، يختتم ميتشل دراسته **للصدق البصري في العصر ما بعد الفوتوغرافي** بإعادة توكيد، وإنذار، وجواب: ((على مدى قرن ونصف بدت الأدلة الفوتوغرافية إثباتية على نحو لا يمكن دحضه)) كما يستذكر. أما اليوم، "يجب علينا أن نواجه مرة أخرى الهشاشة التي لا يمكن اجتثاثها لتمييزاتنا الأونطولوجية بين التخيلي والواقعي، والمراوغة التراجيدية للحلم الديكارتي. لقد تعلمنا بالفعل أن نثبت الظلال، ولكن ليس أن نؤمّن معانيها أو نثبت استقرار قيم صدقها؛ إنها لا تزال تترجرج على جدار كهف أفلاطون".

الآن، إن "الصور" ما بعد الفوتوغرافية، المولدة بالحاسوب لا تعتنق "مثالاً أفلاطونياً" فحسب، كما يعبر عن ذلك يونغبلد Youngblood- "بل إنها لا تحيل إلى شيء خارج ذواتها سوى القوانين "المثالية" الخالصة للطبيعة التي تجسدها . . .

لكن، بالنسبة للكثيرين، يطمح الحاسوب إلى أن يصبح "آلة شاملة"، إلى حد أن يستطيع أن يحاكي، ويشمل ويقلد كل وسط آخر. في مثل هذه الآلة الشاملة لا يصبح الوسط هو الرسالة فحسب، بل يصبح الوسط أيضاً شاشة شفافة على نحو خالص. إن تأثير الواقع الافتراضي هو إنكار دور الإشارات (bits والبيكسلات pixels والشيفرات الثنائية) في إنتاج ما يمر به المستعمل بوصفه حضوراً غير موسوط . . . كما في الرسم الخداع trompe l'oeil لفن الخداع البصري، يجب أن يصبح الوسط شفافاً ليصبح العالم الممثَّل واقعياً. . . . مع منظومة واقع افتراضي VR لن تعود ترى الحاسوب بالمرة – لقد ولى. كل ما هو موجود هو أنت" (Ryan 1994: §8؛ المقتطف المتضمن مأخوذ من Lanier and Biocca 1992: 166). هذا معناه أن الآلة الشاملة لن تعود مقولبة على العمق الافتراضي للمرآة (الانعكاس المنظوري)، نظراً إلى أنها ستكون بشكل فوري ذاتية الحضور، تعيد بث ذاتها بدون إرجاء أو تحلل (استنساخ، انتياب [انشباح]).

بالفعل، إن مصطلح "فضاء سيبري" ذاته، مع صلته الاتيمولوجية [الاشتقاقية] من خلال "cyber" بكلمة kybernan اليونانية (التي تعني يتحكم أو يوجه)، يبدي تثبيتاً معيناً على إنشاء "فضاء تحكم" من شأنه أن يمكّن المرء من أن يطرد، أو على الأقل يحتوي، انشباح الحضور الذي سيرافق مثل هذه الآلة الشاملة[٦]. إنه يشي بتوق أفلاطوني جديد إلى اختزال الافتراضي إلى مجرد صورة طبق الأصل عن الواقعي. لأنه في حين يحصرون الأفلاطونيين الصورة الافتراضية بتمثيل الأشكال المثالية عديمة الزمان وعديمة المكان الكوريوغرافية في الواقع[٧]، فقد استبعد الأفلاطونيون الجدد بشكل ثابت المثلنة idealization لكي يتركونا مع عالم ونسخه الكاملة: إن المرجعية الذاتية autorefrentiality المولدة بالحاسوب تصبح الكمال ذاته. مع ذلك فإن الواقعي لا يملك سيطرة على الصور والوقائع الافتراضية. "في حين يسعى التمثيل إلى امتصاص المحاكاة بتفسيرها كتمثيل زائف، فإن المحاكاة تغلف الصرح الكامل للتمثيل كصورة زائفة".

باختصار، إن الافتراضي لا يُقولب - يُصنّع، يُشكّل، يُبرز، يُسقط - عن طريق الواقعي، بل ينطلق من بُعد مختلف كلياً. إن المحاولة لاختزال الافتراضية إلى سحر ونزع واقعية زيروغرافيا(*) للعالم ليست حتى (معركة تخيلية أو عقيمة؛ صراع مع الظلال). الافتراضي ليس ظلياً. إنه ليس تصويراً ظلياً مائلاً للواقعي والمثالي: تظليلاً لكل واحد في الآخر. على العكس من ذلك: الافتراضي هو واقعي بشكل كامل. لكن لاحظ تعدد المعاني. هل الافتراضي واقعي بشكل كامل بمعنى الواقعي بشكل كامل، بشكل خالٍ من العيوب، بشكل خالٍ من الأخطاء كلياً، بشكل مطلق وبشكل دقيق؛ أو هل هو واقعي بشكل كامل بمعنى واقعي تماماً أو فقط (بوصفه) واقعي؟ في الفقرة الختامية من هذا الفصل سوف تتوقف عند المعنى الأخير الذي يكون فيه الافتراضي هو (فقط) مجرد واقعي. في هذه الأثناء، فإن الفقرتين التاليتين سوف تتابعان المعنى الأول الذي يكون فيه الافتراضي اكتمالاً للواقعي: يلخص الأول منهما النسخة المبتذلة ([فرط] واقعية الواقعي)، ويتابع الثاني مثل هذا الابتذال إلى الهلاك (الإنهاء للواقعي). وفي حين يتبيَّن أن طبعتي الافتراضي "أكثر" نوعاً ما من الواقعي، فإنهما مختلفتان أساساً في تأثيراتهما: فرط الاكتمال يسعى إلى إبطال الواقعي؛ فرط الافتراضية الواقعية يفتح فقط الفعلية على الأحداث الأخرى، غير المتنبأ بها. واحد يؤدي من الوجود في العالم إلى العدم؛ الآخر يقود من الوجود في العالم إلى الحياة الافتراضية (الحيوية) للصيرورة - فقط - إلى التلاشي.

سنبدأ إذاً، بأن ننبذ ببساطة تشويه سمعة الافتراضية بوصفها زيروغرافيا ملتبسة ومزدوجة. من هنا فصاعداً، سيكون من المقبول أن نحب الصورة الزائفة simulacrum؛ وأن نحبها كلها أكثر بسبب الافتراق عن التمثيل - لأجل تحويل (re) من كلمة representation (إعادة تقديم/ تمثيل) من مجرد واحد آخر من الشيء نفسه إلى إنتاج تحويلي بالكامل لشيء ما هو غير الشيء نفسه. في الحقيقة، إن الصور الزائفة لا تعيد تقديم أي شيء (ولا حتى نفسها)؛ إنها أفعال،

أحداث، وقوعات تحدث على سطح الأشياء باتساق كلها من تلقاء ذاتها. نظراً لسقوط الستارة الحديدية الاونطولوجية التي كانت تفصل العقل والمادة بشكل قسري – ستارة مسرحية كانت على الدوام تُنزل قبلئذ منذ اللحظة التي تُرفع فيها – فإن الصورة الزائفة لـم يكن لها سوى ذاتها: رغـم أن الصورة الزائفة يمكن من خلال رسم خداع trompe l'oeil، معين أن تعطي الوهم بالتماثل، وإعادة الإنتاج والتمثيل/ إعادة التقديم– بحيث أن هذه الصورة الفوتوغرافية لي ليست أنا (لا تخلط الصورة [الخيال] والشيء)، ولا هي مثلي (لا تخلط الحدث الذي يكون بالسبب الذي لا يكون). تشكل أليغورية (مرموزية) بورخس "للبشر المرآتيين" الطليعة لعنف اختزال الآخرية إلى التكلم البطني **ventriloquy** عن الشيء نفسه، لقسر الافتراضية على أن تظلل، لجعل الافتراضي نسخة مطابقة (عن العالم). في تعليقه على حكاية بورخس، يلاحظ بودريار أن "خلف كل انعكاس [خيال]، كل تشابه، كل تمثيل، يكمن عدو مهزوم محجوباً. فالآخر يُهزم ويدان بمجرد أن يكون الشيء نفسه" – كل تمثيل هو صورة رقية (عبودية)، الشبح لكائن كان سيداً فيما مضى. طُمست فرديته. ومع ذلك بالضبط لأن الشخص نفسه يظن أنه قد جعل الآخر ملوماً، أن الافتراضي هو مجرد تمثيل (ممتثل أو متمرد) للواقعي، فإنه يفتقد الآخرية، الاختلاف، الغيرية والافتراضية في ذواتها ولذواتها، وحتى أنه يفتقد افتقادها.

الواقعيون الافتراضيون لا يبحثون عن انعكاسات ذواتهم لدى الآخرين. بالأحرى، يجهدون ليشعرو ويحسو باقتراب الأشخاص المرآتيين، الذين قد يكونون وقد لا يكونون متخفين في الظلال، مثل طفل مرعوب أو سفاك صبور، قد يكون وقد لا يكون متشبثاً بالسطح، مثل شخصية من فيلم كوميدي مليء بالخشونة والعنف يتفادى مصادفة الانكشاف بالتعلق بشكل غير مقصود بالابواب عندما تفتح.

الأهم من ذلك، أن الواقعيين الافتراضيين، خلافاً للواقعيين النقديين، ينأون بأنفسهم عن كل أفكار العمق التي من شأنها أن تدعي بعض الامتياز الأونطولوجي "على" التأثيرات السطحية للمحاكاة والصور الزائفة. في حين يمضي الواقعي النقدي "عميقاً، عميقاً عميقاً" تحت السطح، كما قال إدي مورفي Eddie Murphy ذات مرة، يغوص إلى الأسفل، إلى الأسفل بحثاً عن الجوهريات، مثل صائد اللؤلؤ، فإن الواقعيين الافتراضيين يكتفون بالانزلاق فوق السطح، مثل حصاة مقذوفة تسف فوق سطح بحيرة؛ أو مثل نظرة جانبية لقارىء يرشف نظرة فوق الصفحة. لكننا لسنا قادرين مع ذلك على القول، ببساطة تامة، إننا لم نعد نحس بعالم وصنوه: يوجد (فقط) مجرد عالم واحد، يكون متأصلاً بذاته وذاتي التكوين. لسنا بعدُ قادرين على الرجوع إلى السطح، لكوننا قد اكتشفنا، مثل أليس في بلاد العجائب، أن"الأعماق" القديمة هي نفسها ليست سوى انطواء وانفلاش وإعادة انطواء معين للسطح. وكما سنرى، فإن هذا العالم الرقيق كالرقاقة افتراضياً هو واقعي بشكل كامل. إنها افتراضية واقعية. هنا والآن، العالم مشبوح: ليس بظهورات شبحية آتية من عالم آخر أو بعد آخر، كالأفكار أو الأشكال المتعالية التي يجب إعادة إنتاجها هنا على الأرض؛بل بحقيقة أن العالم "الواحد" يكون مطوياً بطرق عديدة. الافتراضية الواقعية ليست مزدوجة بل متعددة – إنها تشعب متأصل يعتمد اتساقه، بالضبط، على وجهة نظر المرء.

لذلك، عندما نطفو على السطح، وقد تحررنا من استعباد الأعماق، يجب أن نفاوض طبعة أخرى من الافتراضية. هذه الطبعة تعشق الافتراضي، لكنها تظل منذورة أكثر مما ينبغي للافتقاد Lack. على وجه التحديد، بدلاً من الافتراضي [الذي] يفتقد الواقعية والأصالة. . . . الخ (بوصفه مجرد نسخة). فإن الواقعي الآن هو الذي يفتقد الافتراضية. فإذا نظر المرء إلى العالم من وجهة نظر هذه الأخيرة، فسوف يجد أن العالم ليس مملوءاً؛ أنه مُفقر.

لكنه ليس عالم الندرة [الشح] الذي يتحقق من خلال الإنضاب كما لو كان مخزوناً يتم استنزافه. لقد تميز العالم الواقعي على الدوام بالندرة. على هذا الأساس، يبرز النشوء evolution كمحاولة بطيئة بشكل مؤلم لـ "ملء" العالم قليلاً، لتحقيق قليلاً من إمكانياته. بدلاً من مجتمع الانحفاظ والصون، أو مجتمع الإنتاج وإعادة الإنتاج، ربما نحتاج إلى مجتمع الخلق والابتكار: ثمة الكثير للغاية لاستحضاره في العالم؛ الكثير للغاية من التجارب والطفرات للقيام بها. فكل إمكانية تخطر بالبال ينبغي تحقيقها. ولو فقط في الذهن. لتسريع الأشياء، ربما ينبغي على المرء أن يعلق المبدأ الانتقائي لبقاء الأصلح: فهو محدّد أكثر مما ينبغي ويستبّعد عدداً كبيراً من الإمكانيات. (رغم كل شيء، فإن الصيغتين الحداثويتين القديمتين "الشكل يتبع الوظيفة" و "يصلح لأجل [يؤدي] الغرض" تنمان عن افتقاد محزن للمخيلة، لا يلائم بشكل واقعي سوى ضرورة استيفاء شروط بيئات معينة). بهذا الخصوص، يمكن للمرء أن يشارك بكل وسيلة لإحداث التطفرات[التحولات] العابرة للجينات. وإذا كانت أشكال الحياة الناتجة لا تستطيع أن تعيش طويلاً وتزدهر أو تجد هدفاً مناسباً وحافزاً، في أي من بيئاتنا القائمة، عندئذ سوف يتعين على المرء أن يوجد محميات خاصة لأجلها، كما يحدث لأجل الكلب المقلوب ظهراً إلى بطن وذرية الإنسان-الذبابة المقرونة وراثياً، "برندلفلاي" في فيلم الذبابة - الجزء الثاني The Fly II (من إخراج كريس والاس Chris Wallas 1989,). لكننا بالطبع، نمتلك مسبقاً مثل هذه المحميات لأجل نتاجاتنا، أفكارنا، رغباتنا، سياراتنا، وحتى ذواتنا. على قاعدة صور الفكر هذه، فإن العالم المتروك لنا ينبغي أن يُضاعف ويُطفّر إلى ما لا نهاية. فأهلاً بكم إلى الواقع الافتراضي II:

الانعتاق أخيراً من أجل عالم الافتقاد، من أجل عالم يفتقد تحقق الاختلاف اللا محدود . . . . نحن الواقعيون الافتراضيون لم نعد نخدعكم، تأكدوا؛ لكن هل نجعلكم موسوسين؟ (كما هو الحال مع برامج الدردشة التفزيونية

النهارية، نحن نسأل فقط لأنها مجرد إمكانية أخرى للتحقق والتعنيف – للتواقح والتوبيخ، هذه هي).

الواقع الافتراضي (٢): النضوب. أو تحلل الواقعي:

((اعتقد أرسطو أن الهدف من الصنعة techne هو خلق ما تجد الطبيعة أن من المستحيل القيام به)) (Guattari 1995: 33).

بالمقارنة مع مميزات الافتراضي بوصفه نسخة منحطة، خطيرة ومزدوجة من الواقعي، بوصفه ممارسة للانسداد السحري، للزيروغرافيا والسكياغرافيا، فإن الطبعات التي تتخذ (خطأً) الافتراضي على أنه تبيُّن resolution للواقعي تعمل من خلال إعكاس خطاب التقريب، الذي يعجز عن أي تفكيك، من شأنه أن يمنعه – "بالمعنى الحرفي يطرده" أو يشوه شكله. بهذا المعنى فإن الافتراضي بالنسبة إلى الواقعي هو كما الكامل بالنسبة إلى الناقص. هنا، الواقعي هو الذي يُصور بوصفه جزئياً، معاباً، وناقصاً؛ في حين أن الافتراضي يَعدُ بمجيء تقويم وتبيُّن نهائي. لا تعطى الأولوية للساقط أولاً، إنها تُحجز لأجل الثاني التام. الافتراضي ينشر العجب بـ "تصحيح" العيوب في الواقعي؛ بتخطي قيود ونواقص وحدود الواقعي – خصوصاً نفوذ الزمكان (الواقعي). اشهد مثلاً، رواج مصطلحات مثل تماسف distanciation وانفلاش disembedding، وتقارب وانضغاط والتغاء الزمكان. أو مرة أخرى: فكر بضعف البصر والنظارات، الانبهار، والنظارات الشمسية. بهذه الطريقة، لا يعود الافتراضي يحط من امتلاء موقف أصلي ما بأن يلحق به بعض الاحتمال الانسدادي والاعتباطية (كما في خطابات التقريب الزائف)؛ بالأحرى، إنه ينضاف إليه، مكملاً له ومتمماً إياه[٨]. الواقعي المعطى دائماً يمتلك متسعاً لأجل إضافة ضمن ذاته؛ إنه دائماً يمتلك مسبقاً انفتاحاً أو شقاً يستبق ما هو آت. هكذا فإن الواقعي يفتقد بشكل عادي ما سوف يتوصل الافتراضي إلى أن يوفره. من المؤسف، أن الواقع نادراً ما يكفي. لحسن الحظ،

أن الافتراضية تفرج/ تحيي بشكل ثابت. يشير بودريار إلى النضوب القادم بوصفه "التحقق الافتراضي للعالم". مع ذلك فإن مثل هذا التحقق التام للواقعي- فرط التحقق- ليس هبة من العدم ex nihilo للطبيعة؛ يجب إنتاجه كتأثير خاص. من هنا حقيقة أن الامتياز والأولوية يمنحان إلى الملحق التام، عندما يتوصل إلى أن يفرج ويتم النقص في الأصلي. هكذا، ينبغي على المرء أن ينسى البحث الأونطو- ثيولوجي (الوجودي - اللاهوتي] عن التمثيل الأصيل. لأنه لا توجد مجيئات ثانية في هذا العالم أو في أي عالم آخر. إن الاختلاف هو الذي يعود. كما مع إعادة المزج التي لا نهاية لها للتراكات tracks الموسيقية، فإن التكرار هو محوّل ومُباين. برغم ذلك، ثمة واجب في فرط التحقق القسري للعالم. تأمل على سبيل المثال، الإطناب المحيط بالهندسة الوراثية [الجينية] ومشروع الجينوم البشري. تلح الهايجّيا [إلهة الصحة] الموسوسة على أن كل شيء يجب أن يكون خالياً من الجراثيم؛ من الفضاء الخارجي إلى الفضاء الداخلي، من برامج الحاسوب إلى DNA. هكذا هو نقاء الشيفرات. مع ذلك، مرة أخرى، لا شيء جديداً في اعتبار الواقعي بمثابة طبعة معطوبة من مثال ما. إذ يجده المرء في كل أسلوب للتفكير المثالي والمادي واليوتوبي [الطوباوي]، ناهيك عن زراعة الحدائق التزيينية وتنسيق الزهور. ولا يوجد أي شيء جديد في تمييز شيئاً ما في الواقعي يمنح مع ذلك إمكانية وصول (مؤكدة؟) إلى مثل هذا المثال. إنه المخزون لكل أشكال النقد المتأصل الذاتي. وما إذا كان هذا الاعتبار يمنح منحى مثالياً أم مادياً، فإن علاقتنا بالافتراضي تكون دائماً مؤطرة بلغة التحقق. عن طريق الافتراضي، يكون المرء قادراً على تحقيق (تفعيل) الإمكانية الكامنة للعالم. (من هنا تأثيرات فرط الواقعية). فالمرء يضمن إمكانية الوصول إلى ما يبدو أنه أكثر واقعية من الواقع. (من هنا تجربة التجاوز المحققة في استنزاف وإبادة العالم). هكذا "عندما نأتي أخيراً إلى أن نكون مغمورين في هذا "الفضاء السايبري" ينبغي أن نكون قادرين على تحقيق إمكانيتنا الحقيقية التامة". عندئذ سينتهي ذلك-

وينقضي. باختصار بتمني العالم أكثر واقعية، فإننا نجرده من الحيوية. فالواقعي ينمو وينمو؛ ذات يوم كل شيء سيكون واقعياً؛ وعندما يكون الواقعي شاملاً، فإن ذلك سوف يعني الموت (Baudrillard 1996: 46).

على كلٍ، لا يستطيع المرء أن ينجو من النزعة المركزية البشرية anthropocentrism لهذه الطبعة من العلاقة بين الواقعي والافتراضي، التي تتطلب بشكل واضح حضور ذات **ليجسد** الاختلاف، لأن دهشة الافتراضي ليست محصورة فقط بتأثيرات واقعه **الغامرة** (المحاكيات والصور الزائفة)؛ بل تمتد أيضاً إلى **تفاعليته**: "ففي حين أن الانغمار قد يكون استجابة لتمثيل سكوني، فإن التفاعلية تتطلب محاكاة ديناميكية"، و"الواقع الافتراضي يصالح الانغمار والتفاعلية من خلال توسط الجسد". هذا جلي في سياق البورنوغرافيا الرقمية. في التحقق الافتراضي للعالم، يعمل الذات [الشخص] كمحور بين نواقص الواقعي (خصوصاً عائق الزمكان) وكمال الافتراضي (حضور عن بعد شامل، يمكن أن ينسحب من الجسد الواعي والحسي). علاوة على ذلك، تسمح نتاجات وأجهزة العلم التقني بشكل متزايد للمستعمل الواقعي (أي لنقل الناقص) بأن يقوم بوظيفته في السجل الافتراضي (أي المكتمل). على سبيل المثال، إن ألبسة البدن وأغطية الرأس الجراحية الترقيعية للواقع الافتراضي لا تساعد ببساطة على تحقيق الإمكانية الكامنة للجسد عن طريق حذف التحديدات الكلية الواقعية أكثر مما ينبغي لانطمار زمكان المستعمل؛ إنها تنتج في الوقت نفسه هذا الانطمار/ التجسد (embedment /embodiment). تماماً مثلما أن المعيرة normalisation تولد الانحراف، فإن الذاكرة تخلق إمكانية النسيان، والنظام ينتج الفوضى، والعقل يستدعي الجنون، واختراع السيارة كان في الوقت نفسه اختراع تحطم السيارة. وهكذا في إحدى دعايات أورا Aura لأجل لعبتي Interactor Cushion و Backpack فإن لباس ألعاب الواقع الافتراضي يدفع فعلاً إلى القَرْص! يُعد المستهلك بتجربة الألعاب، والأفلام وأقراص السي دي CDs

كما كان المقصود بها أن تكون عن طريق "تحويل كل الفعل على الشاشة إلى اهتزازات ضخمة". كما يبدو، يمكن للمرء حتى أن "يكتشف ما هو شكل الموسيقا" كما لو أن الموسيقا لا يُشعر بها بشكل عادي.

على نحو ينطوي على مفارقة، بما أن المقدرة، والكفاءة والأداء هي تابعة للسياق أكثر من كونها مفترضة مسبقاً، فإن تقانات الواقع الافتراضي تُعجز الجسد، أو بشكل أدق "تمكنه بشكل مختلف" لكي ينكر العيوب التي تولدها بشكل ارتجاعي[٩]. في بعض الأحيان، من خلال المصادفة يندمج جسم مفترض بشكل حميم في كوكبة من الكثافات، والقدرات، والمشاعر: منزل من منزل. في بعض الأحيان سيتطلب الأمر الدخول في شكل لكي يصبح واحداً "في الحشد". وفي بعض الأحيان سوف يبقى سيء التهايؤ، أو مُستبعداً، أو يلوذ بالفرار. إلى ذلك الحد، تقوم تقانات الواقع الافتراضي وأجهزتها الاجتماعية بوظائفها إلى حد ما مثل نظام العدالة الجنائية أو البيئة المدينية: كلها تعالج الأجسام المتغايرة [محولة إياها] إلى أشكال يمكن التعرف عليها وإدارتها. لا يمكن أن يوجد نقص بدون كمال، ولا نضوب أصلي بدون استكمال منبعي، وبالتالي لا واقعية بدون افتراضية. هكذا هو "انتقام البلور" "المفعول به [المضروب] يرد الضربة".

في مقابل خطابات التقريب الزائف، إذاً، لا يوجد أي فصل جذري للأشكال غير القابلة للتحول وغير القابلة للتحويل بين الواقعي والافتراضي، لأن الأخير ليس سوى طبعة ممددة من الأول. إن توازي السلسلتين لا يعود يحافظ على انفصالهما من خلال علامات التقليد والتماثل والتشابه. بما أن السلسلتين المتوازيتين تتقاطعان وتتشابكان وتصبحان غير قابلتين للتمييز، فإن كل واحدة منهما تنتزع موطن الأخرى في صيرورة تبادلية أو تطور لا متواز. بهذه الطريقة لا يعود الواقعي والافتراضي متضادين بل يدلان على درجتين مختلفتين من

الإمكان والتحقق على امتداد متصل صوري زائف من الواقعي إلى فرط الواقعي. إن اختلافات الدرجة - الأكثر والأقل: السرعة والبطء، الشدات والارتخاءات، . . . الخ - تطغى على اختلافات النوع السابقة. ومع هذا التغير في التشديد، نكون في موقع أفضل لفهم حدود تفريق وارك Wark. ليس بين الواقعي والافتراضي - فالجغرافية الافتراضية لا تعود أكثر أو أقل "واقعية" كما يلح؛ إنها نوع من الإدراك، من الأشياء غير المقيدة بقواعد القرب، من "الوجود هناك"، بل بين **الواقع** الافتراضي **والجغرافية** الافتراضية: "إذا كان الواقع الافتراضي هو حول التقانات التي تزيد "عرض حزمة" bandwidth خبرتنا الحسية . . . . عندئذ فإن الجغرافيا الافتراضية هي القطب المضاد ديالكتيكياً (جدلياً) للسيرورة. إنها حول الأرض الموسعة التي يمكن أن تؤخذ منها الخبرة فوراً. بأسلوب مشابه، رغم أنه أكثر صرامة، يثبت فيريليو Virilio أن "الزمن الحقيقي" لا يقارن "بالزمن المسجل" بل بالأحرى بالزمن الحالي لوحده، التقانات البعيدة "للزمن الحقيقي". . . . تقتل الزمن الحالي بعزله عن هُناه (here) وآنه (now)، لمصلحة مكان آخر بديل لا يعود مكانه "حضورنا الملموس" في العالم بل مكان "حضور عن بعد" منقطع. انظر، على سبيل المثال، الشرعية المتلاشية لحكم كرة القدم في عصر الإعادة Replay الفورية [لشريط الفيديو على شاشة التلفزيون]. إن ما كان حتى الآن يمثل الواقعي يخضع بشكل متزايد لفرط واقعية التسجيل الحقيقي الزمن. في هذه النقطة نجد أنفسنا في وضع مألوف كله أكثر مما ينبغي - وضع انفلاش وتماسف التفاعل الاجتماعي عبر الفضاء والزمن؛ وضع تقارب وانضغاط الزمكان؛ التغاء الفضاء عبر الزمن(١٠). من هنا فصاعداً، لا يعود الواقعي والافتراضي متمايزين وفقاً لكيفيات (قدرات وتأثيرات)، بل فقط وفقاً لكميات (أكثر أو أقل)(١١). من هنا فصاعداً، فإن الفرق بينهما سوف يُقاس بلغة المجال والأرض التي يمكنهما أن يسيطرا عليها، وسوف يُعرض بلغة الفورية والحضور (عن بعد): "إن مفهوم

الانكشاف يحل محل مفهوم التتابع في قياس الأمد الحالي وقياس الامتداد في مساحة الامتداد المباشر". على هذا الأساس، إذاً، يكون الافتراضي أكثر، وليس أقل، (واقعية) من الواقعي. إنه واقعي فائق hyper real.

ينطبق الأمر إلى حد كبير على التقريب الزائف وتبيُّن resolution العالم. بدون مزيد من الجعجعة، دعونا ننهي الأشياء ببساطة بملاحظة كيف يتبيَّن أن هذا الانهيار المزدوج للزمكان إما إلى نسخ منحط وتباعد [تماسف] موقع أصلي أو إلى تبيّن نهائي لعجز متقهقر أنه يستتبع توكيداً متبادلاً وعكوساً: لا افتراضية بدون واقعية ولا واقعية بدون افتراضية. باختصار، لا يمكن أن يوجد حضور (كينونة) بسيط بدون حضور (عن بعد) "عن بعد" (تغيب، كينونة في مكان آخر). مع ذلك في هذه الصيرورة العكوسة واقعياً للافتراضي والصيرورة العكوسة افتراضياً للواقعي– رد فعل متأخر على درجة تحقق النظام – ما الذي يتبقى من خصوصيتهما المقابلة؟ لا شيء تقريباً. لأن ما يلمح إليه في هذا الانهيار المزدوج للزمكان هو مركب محلل تحليلاً رديئاً: الحضور ذاته (أو إذا كنت تفضل: "الواقع الفعلي"، رغم أن هذه العبارة كما سنجادل في الوقت المناسب، بالكاد تعلق معاً). إنه كما لو أن الواقعي قد تم تهديمه إلى تتابع من النقاط المتكاملة، بحيث أن كل نقطة على حدة في الزمكان الحقيقي يمكن أن يحتلها شيء واحد فقط وأن هذه النقاط يتم وصلها من خلال سلسلة متصلة لا تتغير. من هنا العائق المثلم للزمكان الحقيقي (أي الامتدادي)، الذي ربما يكون أهم عجز [يتم] توليده بشكل ارتجاعي في "الواقعي" من خلال سيرورة التحقق المفرط. بشكل مماثل، إنه كما لو أن الافتراضي قد تم تقويضه إلى مجموعة من النقاط التفاضلية بحيث أن كل "نقطة" على حدة في الزمكان الافتراضي يمكن أن يشغلها عدد لا نهائي من الأشياء وهذه النقاط يتم ربطها من خلال انقطاعية مطواعة. من هنا السرعة المطلقة للزمكان الافتراضي (أي المكثف). هذا التقويض يمنح الواقعي أمنه الفيزيائي ويمنح الافتراضي تخاطره telepathy

الشبحي. (بشكل معترض، يمكن أن يقول المرء إنه إذا كان الواقعي هو الانطواء بين هنا وهناك، عندئذ فإن الافتراضي هو انفلاشه أو إعادة انطوائه: الآن هنا Now Here، ليس في أي مكان Nowhere). من هنا فصاعداً فإن الواقعي سوف يدل على مقاومة وإعاقة المادة، في حين أن الافتراضي سوف يدل على تحليق الروح: الرحلات الشاقة مقابل النزهات بلا حركة؛ الثبات الأونطولوجي مقابل الانجراف الانشباحي؛ الأجساد الحقيقية مقابل الأشباح (Derrida 1994). لكن كما يمكن أن تكون قد اكتشفت من نغمتنا وعباراتنا، ثمة مشاكل مع هذا التوصيف للواقعي والافتراضي بلغة اللحظة التكاملية والتفاضلية (الحضور مقابل الحضور عن بعد).

علاوة على ذلك، فإننا بحاجة إلى أن نواصل بتوسع أكثر قليلاً العبور من التحقق الفائق المبتذل إلى الإنهاء القاتل للنواقص في أي واقع مفترض - أي فعلي.

الواقع الافتراضي٣: الإغواء/المص، أو الوهم الافتراضي للحل النهائي

«العام صفر للواقع الافتراضي. جالية من الرهبان التبتيين الذين نذروا أنفسهم على مدى قرون لنسخ أسماء الرب البالغة تسعة بلايين، وحالما ينهون ذلك سوف يتحقق هدف العالم وسوف يصل إلى نهايته. المهمة متعبة والرهبان المرهقون يستدعون تقنيين من IBM، تقوم حواسيبهم بالعمل في أشهر قليلة. بمعنى ما، إن تاريخ العالم يتم إكماله في الزمن الحقيقي عن طريق أعمال التقانة الافتراضية. لسوء الحظ أن هذا يعني أيضاً اختفاء العالم في الزمن الحقيقي. لأن وعد النهاية ينفذ فجأة وعندما يسير التقنيون، الذين لم يكونوا يؤمنون حقاً بالنبوءة، عائدين نزولاً إلى الوادي، يكونون مشدوهين لرؤية النجوم وهي تنطفئ واحداً واحداً». (Baudrillard 1996: 43 - 25).

كما كنا دائماً، كنا مقيدين أكثر مما ينبغي في اعتبارنا الواقع الافتراضي بمثابة حل نهائي للعالم المثقل بالعيوب يُمنح لنا. في هذه الفقرة سوف نسعى للمضي إلى آخر الطريق مع هذه الصورة الوهمية للفكر. "ما هي فكرة الافتراضي؟"

يسأل بودريار: "التحقق غير الشرطي للعالم". إنها الرغبة في حل للعالم في مقدمة الزمن باستنساخ الواقع وإنهاء الواقعي عن طريق "صنوه". بهذا الخصوص، فإن ما تدعى "التقانات الافتراضية" هي ببساطة الأجهزة الأخيرة في خط طويل من الأجهزة المصممة لإنجاز الحلم المستحيل بتفعيل المجموعة الكاملة من إمكانيات العالم في الزمن الحقيقي. هذا أكثر بكثير من مجرد إطناب، نظراً لأن عمل الحلم المتكرر المعاود للحداثة عموماً، والعلم التقني خصوصاً، هو فك الشيفرة وتطهير العالم كلياً؛ إحداث (إعادة) الحل النهائي لمشكلة العالم؛ استنزاف الرحم للإمكانيات؛ و، لذلك، أن تكون قد نفضت يدك من العالم. فالعالم نفسه هو (عيب) معاب. "ربما يكون هذا هو القدر . . . قدر العالم": نهايته المسرّعة، انحلاله الفوري . . . . مع أنه بدون أي أمل في الخلاص، الجحيم أو الثورة. مجرد تعجيل الأجل النهائي، تسريع الانتقال باتجاه الاختفاء النقي والبسيط". وهكذا تبقى "الحاجة الملحة بشكل حيوي لبقاء هذا الجانب من تشغيل البرنامج، لإزالة برنامج النهاية" يتابع بودريار، لكن "هدف نظامنا هو العكس تماماً: أن نتابع إلى النهاية، لاستنزاف كل الإمكانيات". ما يثير القليل من العجب، إذاً، أن بودريار سوف يطلق على التوق إلى مثل هذا الحل النهائي اسم برمجة "الجريمة الكاملة" لأنه إذا نفذ لا يترك أية أدلة. لا حاجة للقول، إن هذا العمل الحلمي يستمر في البقاء في كثير من الطبعات الأكثر محبة للتقانة والأكثر كرهاً للتقانة من ما بعد الحداثة (ما بعد الصناعية post-industrialism، الرأسمالية الطفولية، . . . الخ). فالحداثة قد جندت العقل دوماً في محاولة عبثية لإزالة الالتباس الضروري للعالم. لقد حاولت أن تدمر العالم كمظهر وكلغز، لكنها لم تنجح سوى في تضخيمه.

لحسن الحِظ، أن الجريمة الكاملة لاستنزاف مخزون إمكانيات العالم، التي تأتي على كل شيء دون أن تترك أي بقية أو أثر، هي مستحيلة من ثلاث نواح. أولاً، إنها مستحيلة لأن مخزون الإمكانيات ليس فقط غير محدود بل

إنه أيضاً لا نهاية لا نهائية تتغير بلا توقف بسبب حقيقة أنها مفتوحة ومضاعفة وفقاً لتساوق متحول (إنها لا نهاية تناضحية شواشية chaosmotic أكثر مما هي لا نهاية مفترضة). ثانياً، إنها مستحيلة لأنها توجد دوماً بقايا وآثار وزوائد. ثالثاً، إنها مستحيلة لأن "الواقع" يراوغ كلاً من فرضية وجوده وفرضية لا وجوده: النقطة ليست، إذاً، الجزم بأن الواقعي يوجد أو لا يوجد. كما يقول بودريار. "حضور" و "غياب" الواقع هما دوماً غير قابلين للتميز وشبحيين. فيما يلي، فإن جثمان الواقعي لن يُسترد أبداً. في كفن الافتراضي، يكون جثمان الواقعي غير قابل للاكتشاف إلى الأبد. في الإجمال، إذاً، من غير المحسوم ما إذا كانت هناك جريمة كاملة أم لا: لا يوجد دليل دامغ في هذا الاتجاه أو ذاك لأن "مبدأ الواقع" ذاته، الذي يعنى بالوجود والحضور المشترك لأطراف وأحداث مختلفة في زمكان واحد، هو "وهم موضوعي"، يقول بودريار. لأسباب سوف تتضح في الفقرة التالية، فإن "الحضور المتكامل ليس سوى [حضور] افتراضي دوماً . . . لذلك فإن الزمن "الحقيقي" لا يوجد؛ لا أحد يوجد في الزمن الحقيقي؛ لا شيء يحدث في الزمن الحقيقي- ويكون سوء الفهم كلياً". لكي يتخلص شيء ما من الوهم الموضوعي، الوهم المادي للكينونة الذاتية الحضور، والمتكاملة تماماً، يجب [على الشيء] أن يختلف ويخضع لتشعب من العلاقات بما هو مختلف وآخر وغائب، ويجب عليه في الوقت نفسه أن يخفي فعل الاختلاف والخضوع هذا لكي يظهر أنه يقف وحده بدون حاجة للدعم. الوهم الموضوعي هو محاكاة الحضور والتماهي في الهنا والآن، عندما لا يكون في الفعلية- أو بالأحرى، الافتراضية- سوى تباين غير مضبوط إلى ما لا نهاية. (على سبيل المثال، حتى بشكل حشوي، "a" ليست "a" - إنها بشكل مقارب دوماً "ذاتها"، وعندئذ فقط إلى حد أن "it" هي المجموعة من الاختلافات السلبية الراسخة بين ذاتها وكل آخر: ليس b-، ليس c، ليس d- . . . . ليس z، ليس aa، ليس bb-، ليس cc، ليس dd. . . ليس zz، الخ. لا حاجة للقول، إن هذه المجموعة

لا نهائية وغير قابلة للإجمال. علاوة على ذلك، بما أن اللاحسمية تقطع كل الطرق فليس هناك حد من الحدود الأخرى التي يحسب على خلفيتها كمال "a"، متكاملاً في ذاته ولذاته. كل شيء دقيق بشكل مبهم. لكن المرء لا داعي عموماً لأن يقلق كثيراً من هذا التخلع اللا نهائي، نظراً لأنه يكفي عادة أن نطويه كله إلى نقطة واحدة: ("it is "a . . . .) يعطي بودريار مثال النظر إلى نجم. بسبب السرعة النسبية للضوء، فإن ما يراه المرء من الممكن أن يكون قد اختفى قبلئذ بفعل التبدد والسرعة النسبية للضوء، كل الأشياء توجد فقط في طبعة مسجّلة، في فوضى يمكن التعبير عنها من مقاييس الزمن على مسافة لا مناص منها عن بعضها الآخر. ولذلك فهي لا تكون حاضرة أبداً بشكل حقيقي بالنسبة لبعضها الآخر، ولا هي، لذلك، "واقعية" بالنسبة لبعضها الآخر. ربما كان الحدث الوحيد الذي يمكن أن يقال إنه قد وجد فعلاً في الزمن الحقيقي هو خلق الكون ذاته. "عندما وصلت تلك الحالة البدئية (والافتراضية بشكل كامل) إلى نهايتها، بدأ وهم العالم".

هكذا، فإن ما يبدو أنه ملمح من [ملامح] تعريف الذات هو بالضرورة فعل رسم للتخوم. لإنشاء هوية، يجب على المرء أن يرسم حداً بين ما هو داخل وما هو خارج. بهذه الطريقة، يطوي المنشعب إلى إثنين، محدثاً الوهم المادي لـ "هذا" و "ذاك". ليكن ما يكون، فكل واحد على حدة يكون مضاعفاً على نحو لا يمكن اختزاله، إلى حد أنه يكون منصفاً معاً بوصفه الداخل للخارج. هذا المضاعف ليس تعريفاً اعتباطياً لأشكال معطاة، كما يدعونا الإسمانيون إلى الاعتقاد، إنه نحت لأشكال علاقية. باختصار، إن لعبة الطي هي متفتحة بدون أن تكون discerptible: الطية تنفغر مفتوحة لكن ما تفلشه لا يمكن تجزئته ولا اقتلاعه؛ الطية تنفلش – وبشكل تبادلي كما مع origami، فإن حدث الطي لا يُعطى في ذاته ولذاته، إنه لا يظهر بحد ذاته أبداً. محولاً إلى جهة واحدة فقط من الطية، يفقد فعل تعريف الذات المزعوم بشكل ثابت آخره أو صنوه. من

هنا الولع في الميتافيزيق الغربي بالتضادات الثنائية والمتبادلة الاستبعاد. هذا النوع من فعل تعريف الذات، الذي جعلته الحداثة خاصاً بها، يقولب الآخر بشكل ثابت، ويعتمد عليه، كطبعة منقوصة من ذاته. فالسيء هو طبعة منقوصة أو ناقصة من الجيد؛ الوهمي هو طبعة ناقصة من الواقعي؛ الكتابة قناع موت لأجل الكلام الحي؛ وهلم جرا. من هنا الحلم الحديث بنظام مثالي يخلق الفوضى بوصفها تغييبه الخاص به (في مكان آخر، "عذره" excuse). فإرادة النظام هي المصفاة التي تفرز من خلالها التعددية إلى نظام وفوضى. الفوضى والشواش هما تأثيران خاصان تحدثهما لعبة طي منظمة محددة. بهذا المعنى "لا شيء كامل، لأنه مضاد للاشيء" (Baudrillard 1996: 75).

مع ذلك، فإن الحلم الفائق الواقعية "للواقع الافتراضي"، الجاهل بشكل أعمى لاستحالته، يوجه ذاته عبثاً نحو استنزاف كل إمكانيات العالم، من خلال تنفيذ ما يشير إليه بودريار بوصفه "**الشيفرة لأجل الاختفاء التلقائي للعالم**".

هذا المثال المصنّم للافتراضي سوف يرتقي إلى العيش في الحضور (عن بعد) لتحقق تام لإمكانيات العالم. إن الإنجاز المنشود للافتراضي في الزمكان الحقيقي يستتبع إجبار العالم على مواجهة حدود إمكانياته. هكذا هي خصوصية هذه الطبعة الأكثر إغواء/ مصاً من الافتراضي. وفيما يتعلق بمثل هذا الوضع ينظر إلى الواقعي بشكل متزايد بوصفه عائقاً (واقعياً). هذا العائق drag ينبغي أن يؤخذ حرفياً: إنه احتكاك، وامتداد ودوام المادة في الزمكان الواسع. بالعكس، فإن عالم الفضاء السايبري والحضور عن بعد، والواقع الافتراضي ينبغي أن يكون "عالماً مثالياً، عالماً خارج الجاذبية والاحتكاك". فهو سوف يتحقق، في الهنا والآن، ناقلية فائقة" بلا تكلفة لا تعرف حدوداً: في الوقت نفسه **الآن هنا**، لا في أي مكان وفي كل مكان بآن معاً". هكذا هو الحلم بحرية حرفية من عائق الزمكان، الذي ينسى بشكل ملائم المجموعة الهائلة

من الأجهزة الاجتماعية–المادية المطلوبة لإدامته. الوهم الافتراضي يتوق إلى زمكان مركزّ، يُطوى فيه الكل إلى اللحظة punctum، بدون أثر للامتداد: الواحد – الكل للحضور غير الموسوط.

"لحسن الحظ"، يقول بودريار، أن "كل هذا مستحيل . . . . . لا يوجد مكان لأجل العالم ولأجل صنوه". وفقاً لذلك، يجب الاعتراف بأن تقانات الواقع الافتراضي هي أي شيء إلا أن تكون افتراضية. بالفعل، لقد سعت إلى خطف فكرة الافتراضي، نظراً لأنها [التقانات] مكرسة للتحقق اللامحدود للعالم (أي، للإبطال الإجمالي للوهم؛ للتحرر من الوهم الجذري والمطلق). في حين أن الواقعي يتم التنبؤ به بشكل مسبق دوماً بلغة تضاده للوهمي، الذي يجعله بمثابة طبعة منقوصة ومشتقة وتابعة من ذاته تكون بذلك عرضة للإنكار من قبل الواقعي؛ فإن الوهمي يقوم على لا تضاد الواقعي والوهمي، على عكوسيتهما ولا تميزهما، وعلى ازدواجيتهما/ تبارزهما وخصامهما الذي لا يمكن مصالحته[١٢].
بما أن تقانات الواقع الافتراضي مكرسة للتحقق القسري للعالم، ولذلك استعديت ضد العالم بوصفه وهماً، فإنها تنتمي إلى الحداثة. مع ذلك فهي أيضاً مشمولة ضمناً في تحول أكثر أساسية. هذا الوضع، كما يرى بودريار، ربما يكون الحالة الوحيدة التي يمكننا فيها أن نأخذ مصطلح "ما بعد حديث" على محمل الجد – نظراً لأن العالم الحديث من المصطلحات وتضاد المصطلحات قد بلغ نهايته. أو، بشكل أدق، لقد عبر للتو ما بعد نهايته.

إن فرضية شرط ما بعد الحديث لا توحي، بالطبع، بإزالة بسيطة للحداثة وكل إنجازاتها من العالم (كما لو كان ذلك ممكناً). إذا تمت مساواة الحداثة "بالسيرورة الهائلة لتحطيم المظاهر. . . . في خدمة المعنى. . . . التحرر من سحر العالم وهجره إلى عنف التفسير والتاريخ"، عندئذ يرقى ما بعد الحديث إلى "السيرورة الهائلة لتحطيم المعنى المكافئ للتحطيم الأسبق للمظاهر". هكذا، في حين أن الحماس الحديث لفرض النظام والتمييزية قد حث على سيرورة رسم

الحدود وصيانة الحدود وتطلّبها، فإن وجود الحدود التي أقامها قد رسخ شروط الإمكانية لأجل تأييد جانبيها، و[رسخ] بذلك التوالد اللاحق للتردد واللاحسم واللاتمييز. من هنا مساواة بودريار لما بعد الحديث بسيرورة الإبادة(١٣). على سبيل المثال، إننا خارج مفردتي النظام: "الخير" good و "الشر" evil، بسبب قصر دارتيهما short-circuit في اللامبالاة المطلقة والتردد؛ لامزيد من الواقعي والوهمي، بل قصر دارتيهما في المحاكاة والصور الزائفة. هذا المخطط هو ملخص مفيد للشرط ما بعد الحديث. مع ذلك، من المهم الاعتراف بسمة إضافية. مقابل كل تلك التصويرات لما بعد الحديث بأنه مثالي، ميتافيزيقي، لا منطقي، يجب الاعتراف بأن ما بعد الحديث ذاته يمزج استقامة وتماسك ودقة هذين المصطلحين وتغيبهما.

وفقاً لذلك، في حين يمكن للمرء أن يرد بالقول إن ما بعد الحديث هو مادي أكثر مما هو مثالي؛ فإن هذه بالتأكيد ستكون مادية materialism من نوع لا جسدي. "وهم مادي". باختصار، لذلك، لا يوجد شيء **لا دنيوي** unworldly في ما بعد الحديث. اللامبالاة، التردد واللاحسم هي في العالم ومن العالم. هكذا، في حين كانت الحداثة تهدف إلى إنجاز **نظاماً** اجتماعياً (مبدأ يُحدث بعض الأسباب الذاتية الدفع، وإن تكن طارئة، للتراتب الاجتماعي) تحمل ما بعد الحداثة شهادة على تفكك ذاك المبدأ – وعلى بروز أشكال جديدة مدهشة من الترتيب الاجتماعي والتقاني. وهكذا يتكلم بودريار ليس فقط عن إبادة، بل أيضاً عن (إعادة) حل نهائي(١٤) يقتضيها هذا المثال للتحرر الجذري من الوهم. لأن هذا التجاوز ذاته للنهاية يشير إلى انحراف معين عن لا عكوسية مبدأ الواقع في شكله النقي– ليس مطلقاً بمعنى العودة إلى عكوسية وارتدادية التبادل الرمزي، الذي سيكون الشكل النقي من العكوسية التي تميز العالم بوصفه وهماً– ؛ بل في شكل لا حسم عام مميز لعالم ليست له أية حدود على الإطلاق. فالعالم ما إن يتحقق حتى يتطاير ويتبخر: "إننا في الكسري، الجزيئي، الجمعي،

العشوائي، العمائي"، كما يرى بودريار. ربما، لذلك، في نقطة معينة، اكتسب مستوى ظواهر الواقع التي يُشكلها الوهم الافتراضي كتلة حرجة، أو بلغت سيرورة التحقق حداً معيناً، كنا منذئذ قد تجاوزناه: "وكوننا يتعين علينا أن نفهم عالماً لا تكون فيه النهاية أمامنا بل خلفنا ومحققة قبلئذ، إنما يغير كل شيء" (Baudriard1995b: 95).

خلاصة الموضوع أن التحقق اللامحدود والبرمجة الافتراضية للعالم يعادلان الجريمة الكاملة: فهو لا يستحضر ويستنزف بآن معاً عالماً كاملاً في الزمن الحقيقي فحسب– [عالماً] كنا سنحذف منه – بل سيمحو كل آثار إنتاجه وإغوائه. لا يمكن للمرء حتى أن يحس بالإجرامية criminality. **في الجريمة الكاملة يكون الكمال ذاته هو الجريمة**. من هنا، فإن الجريمة الكاملة تعادل دوماً المؤامرة الكاملة. لن يكون هناك أي خلاص. و "الواقعي المطلق" الذي يعادل الحلم التقاني للواقع الافتراضي، لن يترك أي متسع على الإطلاق لأجل النواقص الخطيرة للبشرية، أو الزمكان الممتد، أو الواقع الدنيوي. لأن اندماج الافتراضي والواقعي يعادل حالة احتباس، وهو وضع يكون فيه الذات [الشخص] متمادياً مع حالة عامة، مقيداً إلى الفعلية، ومشلولاً بفعل الحضور (عن بعد): ذاتاً **ممسوساً**. [إنها] حتمية بيئية بامتياز؛ حتمية تقانية بامتياز. كل شيء سينجز في تمام الدرجة صفر من زمكان مكثف. يوتوبيا منجَزَة: (إعادة) الحل النهائي لعالم ذي عيوب بلا أثر. (لا مزيد من الظلال، لا مزيد من الامتداد. هكذا، في حين أن الجريمة "الأصلية" ليست كاملة أبداً، وتترك آثاراً على الدوام– فنحن ككائنات حية وفانية أثر حي لهذا النقص الإجرامي– الإبادة المستقبلية، التي ستكون النتيجة [لـ] التحديد المطلق للعالم وكافة عناصره، لن نترك أية آثار على الإطلاق). ومع ذلك، سيكون من غير المحسوم ما إذا كانت هذه الجريمة الكاملة قد ولّدت بشكل تلقائي التغيب Alibi الكامل أم لا. بما أن التغيب هو "كينونة في مكان آخر"، فإن شرط إمكانية مثل هذا التغيب ذاته قد تم تقصيره عن طريق إلغاء

عائق الزمكان. في الواقع، إن الجريمة الكاملة مستحيلة بشكل مطلق. ثمة دائماً آثار- ولا شيء سوى الآثار. مع ذلك لازلنا "نحلم بحواسيب كاملة"، كما يعلق بودريار. "لكن . . . . لا نسمح لها بأن تمتلك إرادتها الخاصة بها. . . لا حرية، لا إرادة، لا رغبة، لا جنسانية. نريدها معقدة، خلاقة، تفاعلية، لكن بلا روح". ومع ذلك، "يبدو أنها تمتلك عبقرية شريرة لأجل الوظائف المختلة dysfunctions تنقذها، وتنقذنا بالطريقة نفسها، من الكمال ومن بلوغ نهاية إمكانياتها". لأنه لو أنجز التحقق المطلق للواقع الافتراضي نهائياً، كما يبدو أن كثيراً من العلماء التقنيين والمطنبين يرغبون، لكنا مجبرين على الخروج من العالم بدون أن نترك أثراً. لما كنا موجودين هنا (ك).

الواقع الافتراضي ٤: الصور الزائفة. أو الواقع الافتراضي/الواقعي:

«لقد عارضنا الافتراضي والواقعي: رغم أن ذلك لم يكن بالإمكان أن يكون أكثر دقة قبل الآن، فإن هذين المصطلحين يجب تصحيحهما. الافتراضي يجعل مضاداً لا للواقعي بل للفعلي. الافتراضي واقعي تماماً بقدر ما هو افتراضي. إن ما قاله بروست بالضبط عن حالات الرنين resonance يجب أن يقال عن الافتراضي: "واقعي بدون أن يكون فعلياً؛ مثالي بدون أن يكون مجرداً؛ ورمزي بدون أن يكون خيالياً"» (Deleuze 1994: 208).

يقترف خطاباً التحقق الفائق والإبادة خطأً خلط الافتراضي بالممكن: فالأخير يستولي على الواقعي ويعاكسه، ويبدده. مشكلة الإمكانية هي التحقق وزوال التحقق: مشكلة الافتراضية هي التفعّل والتفعل المضاد. الآن، ما الذي يمكننا أن نستنتجه من الطبعات الثلاث للافتراضية الملخصة والمفككة أعلاه؟ أن لا شيء قد حُل - وهكذا، فإن الصورة الزائفة simulacrum، رغم كونها قد طردت أونطولوجياً إلى الهوامش، تستمر في انتياب الأنا الأعلى الأفلاطوني للثقافة الغربية. فالديالكتيك [الجدل] الأفلاطوني يقضي بأن يفرق المرء بين

النموذج ونسخه و، فيما بينهما، النسخ المنسوخة بدقة عن النسخ المنقوصة. حيث النسخة الجيدة (eikon) تكون مسبغة بالتماثل resemblance (بقدر ما تنتمي إلى المثال أو النموذج؛ أي، إنها تشارك في مثال الشيء، والنسخة الرديئة (phantasm) تتميز بمجرد **التشابه** (الذي يظهر فقط) – بإرادة سيئة – بوصفها شبهاً، لا يمتلك أي لقب مناسب (لنسب مع المثالي). مع ذلك، فإن الصورة الزائفة (eidolon)، هي نسخة رديئة تنتج "أثر تماثل"– وبفعل ذلك تؤسس نفسها بوصفها حجر الزاوية التي تحمل الصرح الأفلاطوني برمته. لأن الصورة الزائفة هي مقولة ليست لها هوية ثابتة ولا شكل جوهري، تعمل ضمن "بُعد dimension يمكن أن يقال إن الأشياء فيه تكون أسخن وأبرد، أكبر وأصغر، أصغر سناً وأعمر". هذا ليس كما تبين تعليقات دولوز على **أليس في بلاد العجائب** Alice in wonder land للويس كارول Lewis Carroll، تزامناً للكينونات، بل صيرورة مفصولة وعكوسة:

((عندما أقول "أليس تصبح أكبر"، فأنا أعني أنها تصبح أكبر مما كانت. بالمحك نفسه، تصبح أصغر مما هي الآن. بالتأكيد، إنها ليست أكبر وأصغر في الوقت نفسه. إنها أكبر الآن؛ كانت أصغر من قبل. لكن في اللحظة نفسها يصبح المرء أكبر مما كان وأصغر مما سيصير. هذا هو تزامن صيرورة صفتها المميزة هي أنها تتملص من الحاضر.... إنها تتعلق بجوهر الصيرورة إلى الدفع والجذب في الاتجاهين: أليس لا تنمو بدون انكماش، والعكس بالعكس)).

إن منطق الصيرورة الذي تعلن عنه المقولة الملتبسة للصيرورة يكشف عالماً افتراضياً يروغ الحاضر– عالماً يتميز ليس فقط بالاكتمال التام للحضور الذي يُربط عادة بالواقعي، بل بحضور شبحي، انشباح. النقطة مُنتهية. إنها ليست مفترضة في ذاتها ولذاتها، إنها ترحّل، ويعاد طيها. الزمكان يكون دوماً منتهياً قبلئذ. لكن دعونا نوضح: هذا عالم يكشف فيه الافتراضي بوصفه أكثر، وليس أقل، من الفعلي. مع ذلك، بالمحك نفسه، فإن الواقعية الفائقة hyper reality ليست الواقعية الفائقة للتحقق التام أو التفعل الكامل، إنها التي يروغ من خلالها

الحدثُ الحاضر ويتجنب كل حالة عامة فعلية: الزرع، الحصاد، العيش، الموت. الافتراضي هو صيرورة الحدث: هذا هو ما يحدث. لا توجد ظاهرة واقعية بدون افتراضية؛ لا كينونة بدون صيرورة، ولا حضور حي بدون تكرار شبحي.

وفقاً لذلك، إلى الذات الذي كان يرغب في أن يجسد الفرق بين عائق الزمكان من جهة والسرعة المطلقة للتقريب الزائف الافتراضي والتحقق الفائق للعالم من الجهة الأخرى، على المرء أن يستذكر أن الحضور الشبحي أو الافتراضي يبعث الحياة دوماً في هذا الذات، بقدر ما "لا يوجد أي شخص بدون احتباس الذات" aphanisis في مكان ما. هذا الاحتباس يشير إلى السيرورة الأبدية للصيرورة – فقط – إلى التلاشي الذي يميز الذاتية، بلغة غير قابلة للاختزال إلى حضور ذاتي مكتمل للكوجيتو Cogito الديكارتي. لأن الذات يتسم دوماً بوعد تخيلي كلياً بالحضور الذاتي الكامل، الذي يصدر عن الإحساس بالافتقاد الناشئ عن كمال أصلي أسطوري كلياً. هذا الإحساس بالافتقاد ينتج عن كون الذات مزوداً بموقع من قبل الآخر (الرمزي) الذي لا يمكنه أن يحتويه؛ الذي يتجاوزه بالضرورة. و، علاوة على ذلك، إنه شرط تكويني للذاتية أن تتحمل كلفة التقسيم هذه، لأن الذاتية تكون مشطورة بالضرورة بين وعي المعنى المقصود والآخر اللامحرض للاوعي (الجماعي)[١٥]. إن حقيقة أن الآخر يصوره الافتقاد أيضاً – وفقاً للقانون البطريركي (الأبوي)– الذي يبني النظام الرمزي، الذي بموجبه تعمل الأودبة (إضفاء الطابع الأوديبي) Oedipalisation بلغة اسم الأب (أي، بلغة دال يمثل أباً غائباً وبالتالي افتقاداً). – تستتبع أن رغبة الذات (التي تعادل الرغبة في الحضور الذاتي الكامل) غير قابلة للإشباع بالضرورة؛ أن الذات لا يمكنه أبداً أن يحرز حضوراً ذاتياً تاماً، إلا في البعد الافتراضي للحظة (حركة) ارتجاعية من الترقيم punctuation المضاعف أو التضريب (الحشو)[١٦] quilting. إلى حد أن مثل هذا التقديم الذاتي المشوش يكشف عن زمانية غير مضبوطة– نظراً إلى أنها منقطعة عن الحاضر–، يكون الذات هو نفسه في غير محله: إنه،

باختصار، حضور شبحي، افتراضي. كما يلاحظ لاكان Lacan، بوصفي ذاتاً، فأنا دوماً قبلئذ "المقدمة المستقبلية لما سأكون قد كنته من أجل ما أكونه في سيرورة الصيرورة". لهذا، لا توجد هوية موثوقة، كاملة، لأجل الذات بحد ذاته. أو مرة أخرى يكون الزمكان والعالم، والشخص جميعاً منفوخين ومفلطحين played out (s) من المنتصف.

بالتوازي مع هذا التصوير لعالم معرّض دوماً قبلئذ للافتراضية، ينبغي الاعتراف بأن الافتراضي بالشكل الأكثر تحديداً ليس قابلاً للفصل عن الواقعي سواء كتقريب زائف (مجرد محاكاة) أو كتحقق قسري (للتحديدات الواقعية، تفعيل للإمكانية) الواقعي يكون دوماً افتراضياً قبلئذ: أي غير مضبوط وفي غير مكانه. الواقع يُراوغ (اختزاله إلى) فعلية. فيما يلي، لن تحدث القدرة المدهشة على إلغاء العائق (الامتدادي) للزمكان (الحقيقي) الذي تعد به كل تقانات الواقع الافتراضي تلك. وهذا الإصرار لا يتمسك بعدد كبير للغاية من تقانات عصرية— تضع الذات بين واقعية تامة/ منقوصة وافتراضية منحطة/ مكتملة، — ، بل بالامتداد الشبحي للحضور ذاته. هكذا حتى قبل أن يرتدي الذات المجسد ثوباً أو خوذة، أو يقحم نفسه في الشابكة، أو يسجل تركيبه الوراثي (الجيني)، أو ينطلق من أجل التمشي، فإنه يُقاطع دوماً قبلئذ في اللعب غير المضبوط للتمايز والتفارق. لا يوجد الذات بقدر ما يتراءى من خلال درز هذا اللاضبط. فيما يلي، إذا كانت التقانات المبتذلة للواقع الافتراضي ذات علاقة واهية بالافتراضية (الواقعية) فهذا لأن الحياة اليومية نفسها هي دوماً قبلئذ واقع افتراضي، مثلما أنها الأكثر دنيوية من الأدوات والعدة والآلات (Guattari 1995).

إن قصاص تفكيكنا للخطابات الكبرى حول "الواقع الافتراضي" هو هذا: الواقع ليس التحقق لمجموعة من الإمكانيات في زمن وفضاء معطى، تحقق من شأنه أن يكشف استنزافاً تسلسلياً لإمكانيات العالم. الواقعية تكافئ الفعلية، أو، إذا كنت تفضل، إن واقعية مفترضة ليست سوى واحدة من مخزون العالم

من الإمكانيات. على سبيل المثال، فكر بالرؤية الفطرية القائلة بأن بنوك البيانات (المعلومات) الورقية أو الالكترونية هي نوع من "المخزون"، تنتظر بصبر تفعيلها [في] "الزمن الحقيقي" واستخدامها من قبل المستعملين، الذين يمكن أن يكونوا أنفسهم مُشغِّلين آليين أكثر من كونهم بشريين. بدلاً من اختزال الواقعية إلى فعلية ملموسة، وطرد الافتراضية في السيرورة نرغب في المجادلة بأن الواقع هو الفعلي والافتراضي. هذه الـ "و" ليست علاقة الأكثر والأقل، الإمكانيات n (ن) بالإضافة إلى الواحد one الفعلي الذي يُعايش بشكل مباشر. بالأحرى، إنها "و" الطي والفلش وإعادة الطي. الواقع هو المضاعف للفعلية – الافتراضية. مثل هذا المضاعف لا يُعطى مسبقاً، كما يفترض بمصفوفة الإمكانيات أن تكون؛ إذ يتعين دوماً أن يُخلق وينجز في موقعه. إن الفكرة المصاغة بشكل سيء القائلة بأن الواقعي يحقق إمكانية مسبقة التشكيل إنما تقوم على حركة رجعية يفترض وفقاً لها أن الموجود يسبق ذاته والفعل الخلاق الذي يكوّنه. الإمكانية ليست مجرد توافقية Combinatoric إنها أيضاً إسقاط رجعي. يعبر دولوز عن ذلك بهذا الشكل:

«الواقعي يُفترض به أن يكون في صورة الممكن الذي يحققه. (إنه ببساطة يمتلك الوجود أو الواقع مضافاً إليه، الذي يُترجم بالقول إنه من وجهة نظر المفهوم، لا يوجد فرق بين الممكن والواقعي). و، كل ممكن ليس محققاً، يشمل التحقق تحديداً الذي يفترض بموجبه أن بعض الممكنات تُصد أو تُحبط، في حين أن [ممكنات] أخرى "تمر" إلى الواقعي».

إن الوهم الافتراضي، إذاً، يرقى إلى الرغبة في تحقق لا محدود للممكن، إلى إزالة حدوده واستنزافه في الواقعي. لكن "الممكن هو مفهوم زائف، المصدر للمشاكل الزائفة"، يتابع دولوز:

«يفترض بالواقعي أن يماثل [الممكن]. أي، إننا نعطي أنفسنا واقعاً يكون جاهزاً، منجزاً، موجوداً مسبقاً لذاته. وسوف يعبر إلى الوجود وفقاً لنظام من

التحديدات المتعاقبة. كل شيء معطى كامل قبلئذٍ: كل الواقعي في الصورة، في الفعلية الزائفة للممكن. عندئذ تنكشف خفة اليد)).

بالمقابل، الفعلي لا يماثل الافتراضي. على العكس، فإن التحقق [الفعلنة] هو خلق. الكل لم يعد مُعطى، كمصفوفة توافقية للإمكانية؛ إنه دوماً مفتوح قبلئذ وفي (تفكيك) بناء لا نهاية له، مثل الممارسة السينمائية لوصل اللقطات cuts اللا عقلانية. "الكل يجب أن يخلق الخطوط المتباعدة التي يتم تفعيله وفقاً لها والوسائل المغايرة التي يستعملها على كل خط على حدة. ثمة نهائية لأن الحياة لا تعمل بدون اتجاهات، لكن لا يوجد أي "هدف"، لأن هذه الاتجاهات لا توجد جاهزة مسبقاً، وهي بحد ذاتها يتم خلقها "بالتوازي مع الفعل الذي يسري من خلالها". باختصار، ليس للافتراضية الواقعية أية صلة بالتماثل، الواقع (الافتراضي) ليس سوى خلق وتجريب متلازمين.

إذا كان كل ما ورد أعلاه قد أصبح مجرداً أكثر مما ينبغي ومفككاً بالنسبة لميلك، عندئذ اطرح على نفسك السؤال التالي: ما الذي يمكن للجسد أن يفعله؟ (وينبغي على المرء أن يقاوم إغراء أن يقرأ في هذا الجسد البشري، الذي هو نفسه، شكلاً متغايراً ومتحولاً أكثر من كونه جوهراً آمناً). فالجسد ليس مُعطى مسبقاً، ولا يماثل أي شيء. بالأحرى، إن "الجسد" هو إنشاء وتمفصل للعلاقات، العلاقات الاجتماعية بالإضافة إلى العلاقات الشيئية: علاقات السرعات والإبطاءات، علاقات القدرة على التأثير والتأثر بأجساد أخرى. وهكذا يتغير جسد "ما" (a) مع السياق، ويخلق نفسه بلا توقف في موقعه؛ إذ يتعين أن يتم إنشاؤه وتنسيقه وأداؤه. لذلك، لا يوجد حل لمشكلة ما الذي يمكن للجسد أن يفعله. على العكس، إن المهمة بالنسبة لأي وكل جسد هي أن يطرح نفسه (كـ) مشكلة؛ أن يعيد اختراع نفسه بشكل مستمر (كـ) مشكلة. على سبيل المثال، في دراسة للتجارب الجسدية للفنان المسرحي ستيلارك Stelarc- الذي يعلق جسده من الخطافات، يربط أطرافه إلى ترقيعات الكترونية، جاعلاً

التغير المستمر لجسده مسموعاً، مظهراً السطوح والتجاويف الداخلية، . . . . الخ، يلاحظ ماسوهي (١٩٩٦) كيف أن "المشكلة التي تطرحها قوة لا يمكن "حلها"– بل يمكن استنزافها فقط". ليس استنزافها بمعنى تحقق مصفوفة من الإمكانيات المعطاة؛ [بل] استنزافها بمعنى إعادة صياغة المشكلة حتى تتحول إلى مشكلة مختلفة كيفياً. أو مرة أخرى: "إن النمط الاعتيادي الذي يقوم فيه الجسد بوظيفة كمفهوم محسوس – إمكانية – يتم تعليقه جذرياً. يوضع الجسد عند حدود وظيفيته. الجواب على ما يتم تعليقه هو: إمكانية بشرية مجسَّدة". بشكل حرفي تماماً، تكون الخطافات التي يعلق الجسد بها مرئية فحسب – على هذا "المشهد الجاذبي (الثقالي)" . . . . تتشكل . . . . تموجات وتلال على الجلد الممطوط بفعل الخطاف. إنها تفيد أيضاً في تمكين الجسد المعلَّق من المشاركة في سلسلة تحويلية من اللقطات اللاعقلانية. بعبارة أخرى، الجسد المعلق، منزوع الحدود والمحقَّق تحققاً مضاداً إلى نقطة "الإحياء المعلّق"، لا يعرف سوى من التأصل immanence (ما العمل؟) ولا شيء يعرف عن الإمكانية المنطقية (الجسد يكون/ ينبغي/ يتعين). إنه لا يعود يشبه/ يعيد تجميع شكلاً معطى مسبقاً يكون مطروحاً لأجله قبل فصله وتجريبه. للتخلص من نوع معين من التنظيم، فقد انفتح الجسد المعلّق إلى ما يدعوه دولوز وغواتاري "الجسد بلا أعضاء"–المستوي المنزوع الإقليم [الموطن] بشكل تام من التأصل والتماسك الجماعي. في الواقع، إن المشكلة بالنسبة لجسد (بلا أعضاء) هي مشكلة فعل مضاد أو تفعيل مضاد للقوى التي تنظمه وتعصره حالياً. مع ذلك، حتى هنا ليس ضرورياً أن نقلق أكثر مما ينبغي حول التقانات الافتراضية في العلاقة بالجسد. إذا قيلت الحقيقة، فإننا لا نعرف شيئاً إضافياً حول ما يمكن أن يفعله الجسد في الجوانب الأكثر ابتذالاً: الأكل، ممارسة الحب، المشي، القتال، السقوط، الحلم . . . . . ما الذي نفعله بحبل أو قلم أو بيضة؟ بالشكل نفسه بجسد من الفكر: إننا ببساطة لا نعرف ما الذي يقدر عليه الفكر. ثمة مصفوفة من الإمكانيات يمكن أن تقفز

إلى الذهن، لكن ليس هذا هو الحل. لذلك، لا حاجة لأجل الصور القيامية للسايبورغ cyborg كما يؤكد ماسوهي (١٩٩٦). "ما هو مطلوب لأجل الوصل التجريبي ومواصلة اللا إنسانية فينا جميعاً". باختصار، الواقعي غير قابل للاستنزاف افتراضياً، حتى رغم أنه محروم من الإمكانيات. فيما يلي، لن يكون هناك آثار للحياة بعد الانحلال النهائي. لأنه بعد فرط التحقق الوهمي والإبادة لإمكانيات العالم يوجد التكرار المنتج للاختلاف، [تكرار] للمباينة والتفعيل المضاد للمعطيات.

هوامش

(١) في الواقع الافتراضي، السؤال ليس هو ما إذا كان العالم المخلوق واقعياً بقدر العالم الفيزيائي، بل ما إذا كان العالم المخلوق واقعياً بما يكفي بالنسبة لك لكي تعلق عدم إيمانك (Pimented and Texeira: 15).

(٢) يميز برادلي (Bradley (1995: 10 خطابين حول الفضاء السايبري الأول يصف الفضاء بأنه تخم جديد، فضاءً خال و/ أو عديم الشكل "مكتَشَف" في صدوع تقانات المعلومات والاتصال: تخم جديد ينتظر التأهيل الاجتماعي (إضفاء الطابع الاجتماعي). الثاني يرفع الفضاء السايبري إلى مرتبة المهمة التي يتعين تنفيذها وفقاً لـ "حتمية التطور الإنساني الاجتماعي والتكنولوجي".

(٣) ينبغي على المرء أن يلاحظ أهمية كيف أن خطابات "التقريب الزائف تجونس الواقعي والافتراضي. هذه الجنوسة ليست محصورة، مع ذلك، "بخطابات التقريب الزائف"، كما سنرى في الخطابات الكبرى الأخرى حول الواقع الافتراضي قيد الدراسة هنا: التصحيح المتمم للنواقص الارتجاعية في الأصل (موتيفات العدم)، والرغبة الإغوائية في إعادة حل نهائي لـ "العائق الواقعي" لتفعيل مصفوفة إمكانيات العالم (موتيفات إزالة الطابع الجسداني). علاوة على ذلك، فإن أمثلتنا الثلاثة المفضلة على الواقع الافتراضي – مفهومي دولوز وغواتاري "للصيرورة" و "الأجساد بلا أعضاء"، المنطق الازدواجي للانتياب (الانشباح) لدى ديريدا، واحتباس "الذات" لدى لاكان – هي نفسها متداخلة بشكل قوي مع مفاهيم الاختلاف الجنسي. مع ذلك، نظراً لإيجاز هذا الفصل فقد قررنا ألا نعطي هذه الهموم الاعتبار الذي تستحقه، جزئياً لأنها كانت قبلئذ موضوع سجال كبير.

(٤) إذا كان اليقين الملموس والصلابة ينطبقان على الاونطولوجيا . . . . إذاً . . . كيف نصف ما يقوض حرفياً ويهز إيماننا؟ يسأل جيمسون (Jameson (1995: 86. إن جواب ديريدا الساخر – الانتياب hauntology – هو صدى شبحي لو لم يكن يوجد واحد، . . . . لا يعد بأي شيء ملموس بالمقابل؛ على ما لا يمكنك أن تبنيه؛ الذي لا يمكن حتى أن يعتمد عليه للتجسيد (التمدي) عندما تريده أن . . . كله ما يقوله . . . هو أن الحاضر الحي نادراً ما يكون مكتفياً بذاته كما يزعم؛ أننا كنا سنفعل خيراً بالاعتماد على كثافته وصلابته.

(٥) بالكلام بشكل محدد، فإن مثل هذا الجيل الرقمي لا ينتج "صورة"، نظراً لأنه لم يعد يعكس ويشبه أي شيء. النتاج الرقمي هو بدون أصل أو نمط أولي أو نمط بدئي. إنه يُعادل صورة زائفة أكثر من كونه محاكاة.

(٦) ينبغي على المرء ألا يتغاضى عن حقيقة أن "الاستعمال المتكرر للمدينة كنموذج لأجل الفضاء السايبري يوحي بأن ذاك الحقل المعرفي – كمجموعة من علاقات السلطة بين الذوات (الأشخاص) والفضاء والمرئية– يتم تحويله، كمصفوفة من الضوابط، من الدولة إلى الفضاء السايبري (Bradley 1995: 14, see also Crary and Kwinter 1992; Alliez and Feher 1989). ولا ينبغي على المرء أن يتغاضى عن الأجهزة الاجتماعية المختلفة التي تضبط إنتاج ومتاجرة ونشر البيانات (Lyon 1994; Lyotard 1984; Poster 1990, 1995). لكن يكفي القول إن علاقات الملكية والسيطرة هذه لم تعد تصمد– إن كانت قد صمدت بالمرة فعلاً (Deleuze and Guattari 1987).

(٧) إن رنين الألحان الراقصة والكورا Chora متشعبان، وهما مشحونان بشكل خاص فيما يتعلق بالاختلاف الجنسي ولعب الطي. (أنظر على سبيل المثال: Derrida 1982, 1995; Grosz 1995b).

(٨) الفرق بين هاتين الطبعتين من النضوب – الانحطاط المضطرد للأصل (التقييم السلبي) في مقابل أدائه الممكن بلوغه حد الكمال (التقييم الإيجابي) – يعاد إظهاره في الاختلاف بين التمثيل التماثلي analogous والرقمي (digital Mitchell 1992).

(٩) إن تقانات الواقع الافتراضي تغلف بشكل محكم هذه الإعادة تشكيل المتناقضة للجسد: بعيداً عن كونه متخلفاً، يلاحظ ريتشارد (Richards(1995: 35، فإن "الجسد [البشري] يشكل الموقع الأساسي لأجل الواقع الافتراضي". فالحساسات والمستجيبات التي تكون موصولة إلى جسد المستعمل لا تمكن فحسب "خبرة" ممثلنة، عديمة الجسد، [بل] إنها أيضاً تضع الجسد في حالة من الحرمان الحسي في العلاقة ببيئته المباشرة. علاوة على ذلك، فإن هذا السطح البيني والمستقبلات الجسدية والأفعال من جهة أخرى، تؤكد حقيقة أنه "لا يهم كم تصبح غير قابلة للإدراك الحسي . . . . إنها طبقة لصيقة ترصد دوماً" (Richards 1995: 36).

(١٠) يمارس تلفيق مختلف على مثل هذه المفاهيم إذا اعتُرف بأن الزمكان ما بعد الحديث يتميز، قبل كل شيء، بتجريد للفضاء من الزمن. بالنسبة لباومان Bauman (١٩٩٧: ٨٦)، فإن إسقاط الاختلاف المكاني المتعاصر على متصل الزمن، إعادة تقديم التغاير [المكاني] كسلسلة متصاعدة من مراحل الزمن، ربما كان السمة الابرز، وربما أيضاً الأكثر مشيمية للعقل الحديث. ثمة، مع ذلك، دوماً انتقال في اتجاهين، مشمول في أي مجاز: إن إسقاط الفضاء

على الزمن قد أمد الزمن ببعض الصفات التي يملكها الفضاء فقط "بشكل طبيعي": كان الزمن الحديث يمتلك اتجاهاً direction ، تماماً مثل أي خط طيران في الفضاء (Bauman 1997: 86) . هكذا امتلك زمكان الحداثة كل تلك الخواص الضرورية لأجل تخطيط مساراتنا لأجل شق طريق المرء في العالم ، ولأجل ضمان الوصول . إن فقدان الإيمان بأي يقين بالوصول هو ما يميز وضعنا ما بعد الحديث . إن البلاغة المحيطة بالتقانة الافتراضية تتكلم ، قبل كل شيء آخر ، عن الصدمة ما بعد الحديثة لتجريد الفضاء الاجتماعي من الزمن ، عن الحاجة إلى ارتحال بلا حركة في المكان (ترد موتيفات الشيزوفرينيا والهيمان على الوجه إلى الذهن فوراً) .

(١١) (CF. Lukács (1971: 90 ، حول تحويل الرأسمالية للزمن والذات: ((الزمن يفصل طبيعة الكمية ، المتحولة ، المتدفقة؛ إنه يتجمد [متحولاً] إلى متصل قابل للتكميم ، محدد بدقة مليء "بأشياء" قابلة للتكميم ("الأداء" الممدَّى المشيَّأ ميكانيكياً للعامل ، المفصول كلياً عن شخصيته الإنسانية الإجمالية): باختصار ، إنه يصبح فضاء . في هذه البيئة حيث يُحول الزمن إلى فضاء فيزيائي مجرد ، قابل للقياس بدقة ، فإن البيئة في الوقت نفسه تكون السبب والنتيجة للإنتاج المجزأ والمتخصص علمياً وميكانيكياً لموضوع العمل ، ذات العمل يجب بالمثل أن يجزأ بشكل عقلاني)) .

(١٢) على نحو مشابه ، في حين أن الخير يوصف بناء على تضاده للشر ، فإن مبدأ الشر يرتقي إلى عدم تضادهما ، على الإلحاح على تبارز بين مصطلحين غير قابلين للتمييز وعكوسين (وفقاً لذلك ، فإن الشر هو أكثر ، وليس أقل من الخير ، الوهمي أكثر ، ليس اقل من الواقعي) .

(١٣) EX-terminus: ما تجاوز الحد ، إذا جاز القول (Bandrillard 1995b: 95) .

(١٤) الفعل Resolve يشتق من اللاتينية re-solvere ، يطلق؛ يفك مرة ثانية .

(١٥) يوصف اللاوعي على نحو مشهور من قبل لاكان (٢٠ : ١٩٧٩) بأنه مُبَنْين مثل اللغة .

(١٦) الرتي – الدرز أو الوصل – اللامتناهي والمؤقت مع ذلك – للسجل التخيلي (الذي يتميز بالكمال الأسطوري) والسجل الرمزي (الذي يتسم بالفقد) هو الإوالية التي بموجبها يميز الفقد في الذات وآخره بشكل أبدي ويؤجل من خلال الإخفاء ، والتباين والإنتشار .

المراجع

References

Abler, R. (1993) Everything in its place: GPS, GIS, and geography in the 1990s, Professional Geography 45(2): 131 - 139.

Abrioux, Y. (1995) The (mis)adventures of photographic memory, Art and Design 10 (9/ 10): 61- 67.

Acción Zapatista de Austin (1997) Zapatista I Cyberspace, Internet, http:// www.eco.utexas.edu/ faculaty/ Cleaver/ zapsincyber.htm.

Adam, A. (1997) What should we do with cyberfeminism?, in Lander,m R. And Adam, A. (eds) Women into Computing: Progress from Where to What?, Exeter: Intellect.

Adam, A. (1998) Artificial Knowing: gender and the thinking machine, London: Routledge.

Adam, B. (1990) Time and Social Theory, Cambridge: Polity Press.

Adam, B. (1995) Timewatch, Cambridge: Polity Press.

Adam, B. (1997) Timescapes of Modernity, London: Routledge.

Adams, P. (1996). Protest and the scale politics of telecommunications, Political Geography 15(5): 419- 441.

Adams, M. (1989) Machines as the Measure of Men: Science,

Technology and Ideologies of Western Dominance, Ithaca, NY: Cornell University Press.

Adrono, T. (1945) A Social Critique of Radio Music, Kenyon Review 7: 208- 217.

Adorno, T. (1990) [1934] The Form of the Phonograph Record (trans. T. Levin), in T. Levin, For the Record: Adorno on Music in the Age of Its Technological Reproducibility, October 55: 2366-. Originally appeared In German in 1934.

Al-Hindi, K. F. and C. Staddon (1997) The hidden histories and geographies of neo-traditional town planning: the case of Seaside, Florida, Environment and Planning D: Society and Space 15(3): 349- 372.

Alcoff, L. (1988) Cultural Feminism versus Poststructuralism: The identity crisis in feminist theory, Signs 13(3): 405- 436.

Aldiss, B. (1982) Helliconia Spring, London: Triad Grafton.

Aldiss, B. (1983) Helliconia Summer, London: Triad Grafton.

Aldiss, B. (1985) Helliconia Winter, London: Triad Grafton.

Alliez, E. and Feher, M. (1989) Notes on the sophisticated city, in Feher, M. and Kwinter, S. (eds) The Contemporary City. Zone 1 & 2, New York: Zone Books: 41- 55.

Alvarez, J.L. (1996) The international popularization of entrepreneurial ideas, in Clegg, S. and Palmer, G. (eds) The Politics of Management Knowledge, London: Sage.

Amin, A. and Graham, S. (1997) The ordinary city, Transactions of the Institute of British Geographers (forthcoming).

Amin, A. and Thrift, N.J. (1992) Neo-Marshallian nodes in global networks, International Journal of Urban and Regional 16: 571- 587.

Anderson, N. (1992) The Telecom New Zealand Story: The Impact of DeregulationandPrivatizationoftheNewZealandTelecommunications Industry on the Industrial Relations Environment And the Conditions of Employment of the Employees of Telecom (NZ) Ltd. Diploma of Industrial Relations, Victoria University of Wellington.

Andrews, G. (1994) Interactive marketing, IEEE Technology and Society Magazine July: 12- 13.

Ansell Pearson, K. (1997) Deleuze outsid/outside Deleuze: on the difference engineer, in Ansell Pearson, K. (ed.) Deleuze and philosophy: the difference engineer, London: Routledge: 1- 22.

Appadurai, A. (1990) Disjuncture and Difference in the Global Political Economy, Public Culture 2(2): 1- 24.

Appadurai, A. (1996) Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalistion, Minneapolis: University of Minneasota Press.

Aronson, S.H. (1971) The sociology of the telephone, International Journal of Comparative Sociology 12: 153- 167.

Arthur, W.B. (1994a) On the Evolution of Complexity, in Cowan, G., Pines, D. and Meltzer, D. (eds) Complexity: Metaphors, Models and Reality, Reading, MA:Addison-Wesley: 65- 77.

Arthur, W.B. (1994b) Increasing Returns and Path Dependence in the Economy, Ann Arbor: University of Michigan Press.

Arthur, W.B. (1996) Increasing Returns and the Two Worlds of Business, Harvard Business Review July: 100 -109.

Atkins, P.J. (1993) How the West End was won: the struggle to Remove street barriers in Victorian London, Journal of Historical Geography 19:265- 277.

Audirac, I. and Shermyen, A. (1994) An Evaluation of Neotraditional Design's Social Prescription: Postmodern Placebo or Remedy for uburban Malaise, Journal of Planning Education and Research 13(3):161- 173.

Austin, J.L. (1955) How to Do Things with Words, Cambridge, MA: Harvard Univerdsity Press.

Bachelard, G. (1964) The Poetics of Space (trans. Maria Jlas), New York: Orion Press.

Bakhtin, M. M.(1984) Problems of Dostoevsky's Poetics (ed. And trans. C. Emerson), Manchester: Manchester University Press.

Bal, M. and Bryson, N. (1994) Semiotics and Art History, in Bal, M. (ed.) On Making Meaning Essays in Semiotics, Sonoma, CA: Polebridge Press.

Baldwin, F.G.C. (1925) The History of the Telephone in the United Kindom, London: Chapman and Hall.

Bangemann, M. (1994) Europe and the Global Information Society: recommendations to The European Council, Brussels.

Bannister, N. (1994) Networks tap into low wages, The Guardian, 15 October: 40.

Barry, A., Osborne T. and Rose, N. (eds)(1996) Foucault and Political Reason: Liberalism, neo-liberalism and rationalities of government, Chicago: University of Chicago Press.

Barthes, R. (1975) S/Z (trans. R. Miller), London: Cape.

Bataille, G. (1988) The Accursed Share, Vol. 1 (transe. Robert Hurly), NY: Zone Books.

Batty, M. (1996) Simulating reality, Environment and Planning B: Planning and Design, 23: 253- 254.

Batty, M. (1997a) Urban systems as cellular automata, Environment and Planning B: Planning and Design, 24: 159- 164.

Batty: M. (1997b) Virtual Geography, Futures 29: 337- 352.

Batty, M. and Longley, P. (1995) Fractal Cities, London: Academic Press.

Baudrillard, J. (1983) Simulations, New York: Semiotexte.

Baudrillard, J. (1986) The year 2000 will not take place, in Groze, E. A., Threadgold, T., Kelly, D., Cholodenko, A. and Colles, E. (eds) Future* Fall: excursions into post-modernity, Annandale: Meglamedia, Annandale: 18- 28.

Baudrillard, J. (1990) Revenge of the Crystal: selected writings on the object and Its destiny, 1968- 1983, Foss, P. and Pefanis, J. (eds) London: Pluto Press.

Baudrillard, J. (1993) Symbolic Exchange and Death, London: Sage.

Baudrillard, J. (1994a) Simulacra and Simulation, Ann Arbor: University of Michigan Press.

Baudrillard, J. (1994b) The Illusion of the End, Cambridge: Polity.

Baudrillard, J. (1995a) The virtual illusion: or the automatic writing of the World Theory, Culture & Society 12: 97- 107.

Baudrillard, J. (1995b) Symbolic exchange: taking theory seriously. An Interview with Jean Baudrillard by Roy Boyne and Scott Lash, Theory, Culture & Society 12: 79- 95.

Baudrillard, J. (1996) The Perfect Crime, London: Verso.

Bauer, M. (ed.) (1995) Resistance to the New Technology: nuclear power, information technology, and biotechnology, Cambridge: Cambridge University Press.

Bauman, Z. (1991) Modernity and Ambivalence, Cambridge: Polity.

Bauman, Z. (1993) Postmodern Ethics, OxFord: Blackwell.

Bauman, Z. (1997) Postmodernity and its Discontents, Cambridge: Polity.

Beamish, A. (1996) Communities on Line: Community-based computer networks, (anneb@mit.edu).

Beauregard, R. (1993) Voice of Decline: The Postwar Fate of US Cities, Cambridge, MA: Basil Blackwell.

Beck, U. (1992) Risk Society, London: Sage.

Belgrave, J. (1993) Public Utilites and Light Handed Regulation. Speech to Institute of Policy Studies Symposium, Wellington, 6 October.

Bellah, R. (1985) Habits of the Heart, Berkeley, CA: University of California Press.

Bellinghausen, H. (1997) El domingo, movilización internacional en apoyo a Zapatistas, La Jornada 15 February.

Benedikt, M. (1991) Cyberspace: Some Proposals, in Benedikt, M. (ed.) Cyberspace, First Steps, Cambridge, MA: MIT Press.

Beniger, J. (1986) The Control Revolution: Technological and Economic Origins Of the Information Society, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Benjamin, A. (ed.) (1995) Complexity. Architectur/Art/Philosophy, journal of Philosophy and the Visual Arts no. 6.

Benjamin. T. (1989) A Rich Land, a Poor Peodle: Politics and society in modern Chiapas,Albuquerque: University of New Mexico Press.

Benjamin, W. (1968) The Work of Art in the Age of Mechanical Reproduction, Illuminations (trans. H. Zohn), New York: Harcourt, Brace and World.

Benjamin, W. (1978) Paris, Capital of the Nineteenth Century, Reflections (trans. E. Jephcott), New York: Schocken Books.

Benjamin, W. (1979) One-Way Street and Other Writings (trans. E. Jephcott And K. Shorter), London: NLB.

Berger, P. and Luckmann, T. (1966) The Social Construction of Reality: A Treatise in the Sociology of Knowledge, Garden City, NY: Doubleday.

Berman, M.(1991) All That is Solid Melts into Air: The Experience of Modernity, London: Verso.

Bernstein, M.A. (1994) Foregone Conclusions. Against Apocalyptic History, Berkeley, CA: University of California Press.

Bersani, L. (1995) Homos, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Bijker, W.E. (1995) of Bicycles, Bakelites, and Bulbs: Toward a Theory of Sociotechnical Change, Cambridge, MA:MIT Press.

Bijker, W. E., Hughes, T.P. and Pinch, T.J. (eds) (1987) The Social Construction of Technological Systems: New Directions in the Sociology and History of Technology, Cambridge, MA: MIT Press.

Bingham, N. (1996) Object-ions: From Technological Determinism Towards Geographies of Relations, Society and Space 14 (6): 635- 657.

Biocca, F. and Lanier, J. (1992) An insider's view of the future of virtual Reality, Journal of Communications 42(4): 150- 172.

Birkerts, S. (1994) The Gutenberg Elegies: The Fate of Reading in an Electronic Age, Boston, MA: Faber and Faber.

Bleeker, J. (1992) Vision Culture: Information Management and the Cultural Assimilation of VR, Afterimage October.

Bloque, 7 (1997) Temáticas transversales y relacionadas con la red. Discussion Papers, 2nd Encounter for Humanity and against Neoliberalism, Spain.

Blumenberg, H. (1993) Light as a Metaphor for Truth: At the Preliminary Stage of Philosophical Concept Formation (trans. J. Anderson), in Levin, D.M. (ed.) Modernity and the Hegemony of Vision, Berkeley, CA: University of California Press.

Boddy, T. (1992) Underground and Overhead: Building the Analogous City, in Sorkin, M. (ed.) Variations on a Theme Park: The New American City and the End of Public Space, New York: Hill and Wang.

Bogard, W. (1996) The Simulation of Surveillance: Hypercontrol in Telematic Societies, Cambridge: Cambridge University Press.

Bogue, D. (1989) Deleuze and Guattari, London: Routledge.

Borch-Jacobsen, M. (1994) The alibis of the subject, in Shamdasani, S. and Münchow, M. (eds) Speculations after Freud: psychoanalysis, philosophy and Culture, London: Routledge: 77- 96.

Borges, J.L. (1971) The Aleph and Other Stories: 19331969-, New York: Bantam Books.

Borges, J.L. (1974) The book of imaginary beings, Harmondsworth: Penguin.

Borgmann, A. (1995) The Nature of Reality and the Reality of Nature, in Soulé, M. and Lease, G. (eds) Reinventing Nature: Responses to Postmodern Deconstruction, Washington, DC: Island Press.

Boundas, C. V. and Olkowski, D. (1994) Gilles Deleuze and the Theatre of Philosophy, London: Routledge.

Boyer, C. (1992) Cities for Sale: Merchandising History at South Street Seaport, in Sorkin, M. (ed.) Variations on a Theme Park: The New American City and the End of Public Space, New York: Hill and Wang.

Boyer, C. (1996) Cybercities: Visual Perception in the Age of Electronic Communication, New York: Princeton University Press.

Bradley, D. (1995) Situating cyberspace, Public 11: 9- 19.

Braidotti, R. (1994) Nomadic Subjects: embodiment and sexual difference in Contemporary feminist theory, New York: Columbia University Press.

Brail, S. (1996) The Price of Admission: Harassment and Free Speech in the Wild, Wild West, in Cherny, L. and Weise, E.R. (eds) Wired Women: Gender and New Realities in Cyberspace, WA: Seal Press.

Brandt, J. (1997) Geopoetics. The Politics of Mimesis in Poststructuralist French Poetry and Theory, Stanford, CA: Stanford University Press.

Brewster, D.(1832) Letters on Natural Magic, addressed to Sir Walter Scott, Bart, London: John Murray.

Brewster, D. (1856) The Stereoscope: Its History, Theory, and Construction, London: John Murray.

Briggs, A. (1968) Victorian Cities, Harmondsworth: Penguin Books.

Brill, T. B. (1980) Light: Its Interaction with Art and Antiquities, New York: Plenum Press.

Brook, J. and Boal, I. A. (eds) (1995) Resisting the Virtual Life: the culture and politics of information, San Francisco: City Lights.

Brosseau, M. (1995) The City in Textual Form: Manhattan Transfer's New York, Ecumene 2: 89114-.

Bruckman, A. (1996) Gender Swapping on the Internet, in Ludlow, P. (ed.) High Noon on the Electronic Frontier: Conceptual Issues in Cyberspace, Cambridge, MA: MIT Press.

Bryson, N. (1983) Vision and Painting: The Logic of the Gaze, New Haven, CT: Yale University Press.

Buck-Morss S. (1989) The Dialectics of Seeing: Walter Benjamin and the Arcades Project, Cambridge, MA: MIT Press.

Bukatman, S. (1993a) Gibson's Typewriter, South Atlantic Quarterly 92: 627- 645.

Bukatman, S. (1993b) Terminal Identity: The virtual subject in postmodern Science fiction, Durham and London: Duke University Press.

Bukatman, S. (1995) The Artificial Infinite, in Cooke, L. and Wollen P. (eds) Visual Display: Culture Beyond Appearances, Seattle, WA: Bay Press: 254 - 289.

Burgess, J. Harrison, C. and Goldsmith, B. (1990) Pale Shadows for Policy:The role of qualitative research in environmental planning, in Burgess, R. (ed.) Studies in Qualitative Methods, Vol. 2, London: JAI Press.

Burgess, J., Limb, M. and Harison, C. (1988a) Exploring Environmental Values through the Medium of Small Groups: 1. Theory and practice, Environment and Planning A 20: 309- 326.

Burgess, J., Limb, M. and Harison, C. (1988b) Exploring Environmental Values through the Medium of Small Groups: 2. Illustrations of a group At work, Environment and Planning A 20: 456- 476.

Burgin, V. (1988) Geometry and Abjection, in Tagg, J. (ed.) The Cultural Politics of Postmodernism, Binghamton, NY: Department of Art and Art History, SUNY Binghamton.

Burnstein, D. and Kline, D. (1995) Road Warriors: Dreams and Nightmares Along the Information Highway, New York: Dutton.

Burrows, R. (1997) Virtual culture, urban social polarisation and social science fiction, in Loader, B. (ed.) The Governance of Cyberspace: Politics, Technology and Global Restructuring, London: Routledge: 38- 45.

Butler, J. (1990) Gender Trouble, London: Routledge.

Butler, J. (1993) Bodies that Matter, London: Routledge.

Byrne, D. (1996) Chaotic cities or complex cities, in Westwood, S. and Williams, J. (eds) Imagining Cities, London: Routledge: 50- 70.

Callon, M. (1991) Techno-economic networks and irreversibility, in Law, J. (ed.) A Sociology of Monsters: Essays on power, technology and domination, London: Routledge.

Calvino, I. (1992) Six Memos For The New Millennium, London: Jonathan Cape.

Campion Smith, B. (1996) Highway 407: Tolls but no jams, Toronto Star 29 July: 4 - 8.

Carey, J. (1989) Communication as Culture: Essays on Media and Society, London: Unwin Hyman.

Carlyie, T. (1835) [1829] Signs of the Times, in Cross, M. (ed.) Selections From the Edinburgh Review Comprising the Best Articles in that Journal from Its Commencement to the Present Time, Paris: Baudry's European Library.

Carr, B. (1996) Crossing Borders: Labor Internationalism in the Era of NAFTA, in Otero, G. (ed.) Neoliberalism Revisited: Economic Rrstructuring And Mexico's Political Future, Boulder, CO: Westview Press: 209- 232.

Carruthers, M. (1990) The Book of Memory: A Study of Memory in Medieal Culture, Cambridge, MA: Cambridge University Press.

Carter, P. (1987) The Road To Botany Bay: an essay in spatial history, London And Boston: Faber and Faber.

Casey, C.(1995)Work, Self and Society after Industrialism, London: Routledge.

Castells, M. (1985) High Technology, Economic Restructuring, and the Urban-Regional Process in the United States, in Castells, M. (ed.) High Technology, Space and Society, London: Sage.

Castells, M. (1989) The Informational City: Information Technology, Economic Restructuring and the Urban-Regional Process, Oxford: Blackwell.

Castells, M. (1996) The Information Age: Economy, Society and Culture Vol. 1: The Rise of the Network Society, Oxford: Blackwell.

Castells, M. and Hall, P. (1994) Technopoles of the World, London: Routledge.

Castel, T. (1995) The Female Thermometer: Eighteenth - Century Culture and the Invention of the Uncanny, New York: Oxford University Press.

Cavell, S. (1971) The World Viewed, New York: Viking.

Certeau, M. de (1984) The Practice of Everyday Life (trans. Steven Randall), Berkeley, CA: University of California Press.

Ceruzzi, P. (1991) When Computers were Human, Annals of the History of Computing 13(3): 237- 244.

Chaitkin, S. (1996) Untitled, unpublished paper, Vassar College.

Chant, C. (ed.)(1989) Science, Technology and Everyday Life 1870-1950, London: The Open University.

Chartier, R. (1997) On the Edge of the Cliff: History, Language, Practices, Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press.

Chermayeff, S. and Alexander, C. (1963) Community and Privacy: Toward a New Architecture of Humanism, Harmondsworth: Penguin.

Chernaik, L. (1996) Spatial Displacements: transnationalism and the new Social movements, Gender, Place and Culture 3: 3: 251275-.

Cherryh, C. J. (1983) Downbelow Station, London: Methuen.

Chitty, G. (1995) 'A great entail': The historic environment, in Wheeler, M. (ed.) Ruskin and Environment: The Storm Cloud of the Nineteenth Century, Manchester: Manchester University Press.

Clark, J. (1995) Managing Consultants: Consultancy as the Management of Impressions, Milton Keynes: Open University Press.

Clark, T.J. (1985) The Painting of Modern Life: Paris in the Art of Manet and his Followers, Princeton, NJ: Princeton University Press.

Clark, D.B. and Doel, M. A. (1994) Transpolitical geography, Geoforum 25: 505524-.

Cleaver, H. (1994) Introduction. In Zapatistas! Documents from the New Mexican Revolution, 1124-, Brooklyn, NY: Autonomedia.

Cleaver, H. (1996) Zapatistas and the Electronic Fabric of Struggle, Internet: http://www.eco.utexas.edu/faculty/Cleaver/zaps.html

Clegg, S. and Palmer, G. (eds) (1996) The Politics of Management Knowledge, London: Sage.

Clerc, S. (1996) Estrogen Brigades and 'Big Tits' Threads: Media Fandom Online and Off, in Cherny, L.and Weise, E.R.(eds)Wired Women: Gender And New Realities in Cyberspace, Seattle, WA: MIT Press.

Coddington, D. (1993) Turning Pain into Gain: The Plain Person's Guide to the Transformation of New Zealand 1984 - 93, Auckland: Alister Taylor Publishers.

Cohen, B.M. (1996) The Edge of Chaos: Financial Booms, Bubbles and Crashes, New York: John Wiley.

Collier, G. with Lowery Quaratiello, E. (1994) Basta! Land and the Zapatista Rebellion in Chiapas, Oakland, CA: Food First Books.

Collins, H.M. (1990) Artificial Experts: Social Knowledge and Intelligent Machines, Cambridge, MA: MIT Press.

Collins, J. (1995) Architectures of Excess: Culturl Life in the Information Age, New York: Routledge.

Conley, T. (1993) Translator's Foreword: A Plea for Leibniz, in Deleuze, G. The Fold: Leibniz and the Baroque, Minneapolis: University of Minnesota Press: ix-xx.

Cooper, R.(1992) Formal Organisation as Representation: Remote Control, Displacement and Abberviation, in Reed, M. and Hughes M. (eds) Rethinking Organisation: New Directions in Organisational Theory and Analysis, London: Sage: 254272-.

Cosgrove, D.E. and Daniels, S.J. (eds)(1988) The Iconography of Landscape: Essays on the symbolic representation, design, and use of past environments, Cambridge: Cambridge University Press.

Couch, H.N. and Geer, R.M. (1961)Classical Civilization, Greece (2nd edn), Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

Coveney, P. and Highfield, R. (1995) Frontiers of Complexity, New York: Fawcett Columbine.

Coyne, R. (1994) Heidegger and Virtual Reality, Leonardo 27(1): 65- 73.

Crang, P. (1994) It's showtime: on the workplace geographies of display in A restaurant in southeast England, Society and Space 12: 675- 704.

Crary, J. (1994) Techniques of the Observer: On Vision and Modernity in the Nineteenth Century, Cambridge, MA: MIT Press.

Crary, J. and Kwinter, S. (eds) (1992) Incorporations. Zone 6, New York: Zone Books.

Crawford, M. (1992) The World in a Shopping Mall, in Sorkin, M. (ed.) Variations on a Theme Park: The New American City and the End of Public Space, New York: Hill and Wang.

Crawford, M. (1995) Contesting the Public Realm: Struggles over Public Space in Los Angeles, Journal of Architectural Education 49: 1: 4- 9.

Crawford, R. (1996) Computer-assisted crises, in Gerbner, G. Mowlana, H. and Schiller, H. (eds) Invisible Crises: What Conglomerate Control of Media Means for America and the World, Boulder, CO: Westview: 4781-.

Cronon, W. (ed.) (1995) Uncommon Ground: Toward Reinventing Nature, New York: W. W. Norton.

Crowther, P. (1989) The Kantian Sublime: From Morality to Art, Oxford: Clarendon Press.

Crowther, P. (1993) Critical Aethetics and Postmodernism, Oxford: Clarendon Press.

Csicsery-Ronay Jr, I. (1991a) Cyberpunk and Neuromanticism, in McCaffery, L. (ed.) Storming the Reality Studio, Durham, NC: Duke University Press.

Csicsery-Ronay Jr, I. (1991b) The SF of Theory: Baudrillard and Haraway, Science Fiction Studies 18: 387- 404.

Cubitt, S. (1996) Reviews of Featherstone, M. and Burrows, R. (eds) Cyberspace, Cyberbodies, Cyberpunk and Shields, R. (ed.) Cultures of Internet, Sociology 30(4): 832- 853.

Curtis, P. (1996) MUDding: Social Phenomena in Text-based Virtual Realities, in Ludlow, P. (ed.) High Noon on the Electronic Frontier: Conceptual Issuse in Cyberspace, Cambridge, MA: MIT Press.

Czitrom, D. (1982) Media and the American Mind: From Morse to McLuhan, Chapel Hill: University of North Carolina Press.

Daly, G. (1991) The Discursive Construction of Economic Space: Logics Organization and Disorganization, Economy and Society 20(1): 79- 102.

Daniels, S. and Rycroft, S. (1993) Mapping the Modern City: Allan Sillitoe's Nottingham Novels, Transacttions of the Institute of British Geographers New Series 18: 460480-.

Datel, R. E. (1990) Southern Regionalism and Historic Preservation in Charleston, South Carolina, 1920- 1940, Journal of Historical Geography 16(2): 197- 215.

Davies, S. (1994) They've got an eye on you, The Independent 2 November.

Davies, S. (1995) Big Brother: Britain's Web of Surveillance and the New Technological Order, London: Pan.

Davies, E. (1993) Techgnosis, Magic, Memory, in Dery, M. (ed.) Flame Wars: The Discourse of Cyberculture, (South Atlantic Quarterly, Fall), Durham, NC: Duke University Press.

Davis, L. (1987) Resisting Novels: Ideology and fiction, New York and London: Methuen.

Davis, M. (1992) Fortress Los Angeles: The militarization of urban space, In Sorkin, M. (ed.) Variations on a Theme Park: The New American City and The End of Public Space, New York: Hill and Wang.

Davis, M. (1992) Beyond Blade Runner: Urban Control, the Ecology of Fear, Open Magazine, Westfield, NJ.

Davison, G. (1978) The Rise and Fall of Marvellous Melbourne, Carlton, Victoria: Melbourne University Press.

De Boer, M. (1993) Public Interiors, in Kloos, M. (ed.) Public Interiors, Amsterdam: Architectura & Natura Press.

de Lauretis, T. (1987) Technologies of Gender: Essay on Theory, Film and Fiction, Bloomington, IN: Indiana University Press.

Dean, M. (1994) Critical and Effective Histories: Foucault's Methods and Historical Sociology, London: Routledge.

Debord, G. (1977) Society of the Spectacle, Detroit: Black and Red.

Debord, G. (1991) Comments on the Society of the Spectacle, London: Verso [Sheffield: Pirate Press].

DeLanda, M. (1991) War in the Age of Intelligent Machines, New York: Zone Books.

DeLanda, M. (1994) Virtual Environments and the Emergence of Synthetic Reason, University Press: 263- 285.

DeLanda, M. (1996) Markets and Anti-Markets, in Aronowitz, S. et al.(eds) Technoscience and Cyberculture, New York: Routledge: 181- 194.

Deleuze, G. (1983) Plato and the simulacrum, October 27: 45- 56.

Deleuze, G. (1988a) Postscript on the societies of control, October 59: 3- 7.

Deleuze, G. (1988b) Spinoza: Paractical Philosophy, San Francisco: City Lights Books.

Deleuze, G. (1990a) Expressionism in Philosophy, New York: Zone Books.

Deleuze, G. (1990b) The Logic of Sense, New York: Columbia University Press.

Deleuze, G. (1991) Bergsonism, New York: Zone Books.

Deleuze, G. (1992) The Fold: Leibniz and the Baroque, Minneapolis: University of Minnesota Press.

Deleuze, G. (1993) The Deleuze Reader (Boundas, C.V. (ed.)) New York: University of Columbia Press.

Deleuze, G. (1994) Defference and Repetion, London: Athlone.

Deleuze, G. and Guattari, F. (1987) A Thousand Plaeaus: Capitalism and Schizophrenia (trans. Brian Massumi), Minneapolis: University of Minneasota Press.

Department of the Environment/ MAFF (1995) Rural England: a nation Committed to a Living Countryside, London: HMSO.

Derrida, J. (1981) Dissemination, Chicago: University of Chicago Press.

Derrida, J. (1982) Choreographies, Diacritics 12 (2): 66- 76.

Derrida, J. (1994) Specters of Marx: the work of mourning, the state of the debt, And the New International, London: Routledge.

Derrida, J. (1995) On the Name, Stanford: Stanford University Press.

Dery, M. (1992) Cyberultue, South Atlantic Quarterly 91: 501- 523.

Dery, M. (1996) Escape Velocity: cyberculture at the end of the century,New York: Grove.

Deutsche, R. (1991) Boys Town, Art and Spatial Politics, Cambridge, MA: MIT Press.

Dibble, J. (1996 [1993]) A Rape in Cyberspace; or How an Evil Clown, a Haitian Trickster Spirit, Two Wizards, and a Cast of Dozen Turned a Database into a Society, in Ludlow, P. (ed) High Noon on the Electronic Frontier: Conceptual Issues in Cyberspace, Cambridge, MA: MIT Press.

Dieberger, A. (1996) Browsing the WWW by interacting with a technical Virtual environment-A framework for experimenting with navigational Metaphors, in Hypertext '96: The Seventh ACM Conference on Hypertext, New York: ACM Press.

Also at http://www.lcc.gatech.edu/faculty/dieberger/HT96.paper.html

Dienst, R. (1994) Still Life in Real Time, Durham, NC: Duke University Press.

Doel M.A.(1995)Bodies without organs: schizoanalysis and deconstruction, in Pile, S. and Thrift, N. (eds) Mapping the subject: geographies of cultural Transformation, London: Routledge: 226-240.

Doel, M. A. (1996) A hundred thousand lines of flight: a machinic Introduction to the nomad thought and scrumpled geography of Gilles Deleuze and Felix Guattari, Environment and Planning D: Society and Space 14: 421- 439.

Doel, M. A. (forthcoming) poststructuralist Geographies: The diabolical art of Special science, Edinburgh: Edinburgh University Press.

Donaldson, H. (1994) Recent Developments in the Regulatory Environment. Speech to the New Zealand Telecommunications Summit, Wellington, 2 March.

Douglas, S. (1986) Amateur Operators and American Broadcasting:

Shaping The Future of Radio, in Corn, J. (ed.) Imagining Tomorrow: History, Technology and the American Future, Cambridge, MA: MIT Press.

Driver, F. (1984) Power, space and the body: A critical reassessment of Foucault's Discipline and Punish, Society and Space 3: 425- 446.

Droege, P. (ed.) (1997) Intelligent Environments, North Holland: Amsterdam.

Druckrey, T.(ed.) (1994a) Electronic Culture: Technology and Visual Representation, New York: Aperture.

Druckrey, T. (1994b) Introduction, in Druckrey, T. (1994a) (ed.) Electronic Culture Technology and Visual Representation, New York: Aperture: 13- 26.

Dyrkton, J. (1996) Cool runnings: the contradictions of cyberreality in Jamaica, in Shields, R. (ed.) Cultures of Internet: Virtual Spaces, Real Histories, Living Bodies, London: Sage: 49- 57.

Eco, U. (1986a) Function and Sign: Semiotics of Architecture, in Gottdiener, M. and Lagopoulos, A. Ph. (ed.) The City and the Sign: An Introduction to Urban Semiotics, New York: Columbia University Press. Originally appeared in Italian in 1973.

Eco, U. (1986b) Travels in Hyperreality (trans. W. Weaver), San Diego: Harcourt Brace Jovanovich. Originally appeared in Italian in 1975.

Eco, U. (1989) The Open Work (trans: Anna Cancogni), Cambridge, MA: Harvard University Press.

Economist (1991) Telecommunications: The New Boys, 5 October.

Economist (1996) The Hitchhiker's Guide to Cybernomics: A Survey of the World Economy, 28 September.

Elliott, E. and Kiel, L.D. (eds) (1997) Chaos Theory in the Social Sciences. Foundation and Application, Ann Arbor: University of Michigan Press.

Elloriaga, J. (1997) Del sumense al construyamos: el zapatismo a parter de sus cuatro Declaraciones de la Selva Lacandona, Internet: http://spin.com.mx/~ floresu/fzln/

Emery. F. (ed.) (1969) Systems Thinking, London: Routledge.

Engwall, L. (1992) Mercury Meets Minerva, Oxford: Pergamon.

Escobar, A. (1994) Welcom to Cyberia – Notes on the Anthropology of Cyberculture, Current Anthropology 35(3): 211- 232.

Esteva, G. (1994) Cronica del Fin de una Era, Mexxico City: Editorial Posada.

European Commission (1988) The Future of Rural Society, Brussels.

Fabric, F. (1990) Information Landscapes, in Ambron, S. and Hooper, K. (eds) Learning With interactive Multimedia, Microsoft Press.

Falk, T. and Abler, R. (1980) Intercommunications, distance and geographical theory, Geografiska Annaler Series B: 59- 67.

Featherstone, M. and Burrows, R. (eds) (1995) Cyberspace, Cyberbodies, Cyberpunk: Cultures of Technological Embodiment, London: Sage.

Ferguson, N. (ed.) (1997) Virtual History: Alternatives and Counterfactuals, London: Picador.

Fernback, J. and Thompson, B. (1995) Computer-mediated Communications and the American Collectivity: the dimensions of community within cyberspace. Paper presented at the annual

convention of the International Communi- cations Association, Alberquerque, NM, May.

Fischer, C. (1998) 'Touch Someone': The Telephone Industry Discovers Sociability, Technology and Culture 29(I): 3261-.

Fischer, C. (1992) America Calling: A social history of the telephone to 1940, Berkeley, CA: University of California Press.

Fischer, C. (1997) Technology and Community: Historical Complexities, Sociological Inquiry 67(1): 113- 118.

Fishman, T C. (1995) The Bull Market in Fear, Harper's Magazine ctober: 55- 62.

Fiske, J. (1989) Reading the Popular, Boston: Unwin Hyman.

Flanagan, B. (1996) Cause to Celebrate?, Metropolitan Home 28(4): 54- 60.

Flynn, E. A. and Schweickart, P. P. (eds)(1986) Gender and Reading: Essays on readers, texts, and contexts, Baltimore and London: Johns Hopkins University Press.

Foucault, M. (1977) Discipline and Punish, New York: Pantheon.

Foucault, M. (1980) Power/ Knowledge: selected interviews and other writings, 1972- 1977 (ed. and trans. C. Gordon (et al.)), New York: Pantheon.

Foucault, M. (1982) The Archaeology of Knowledge, New York: Pantheon.

Foucault, M. (1986) Of Other Spaces, Diacritics 16(1):22- 27.

Francaviglia, R. (1996) Main Street Revisited: Time, Space, and

Image-Building in Small-Town America, Iowa City: University of Iowa Press.

Friedberg, A. (1993) Window Shopping: Cinema and the Postmodern, Berkeley, CA: University of California Press.

Frieden, B. and Sagalyn, L. (1989) Downtown Inc: How America Rebuilds Cities, Cambridge, MA:MIT Press.

Froehling, O. (1997) A War of Ink and Internet, Geographical Review 87(2): 291307-. Special Issue on Geographical Views of Computer Networking.

Frow, J. (1997) Time and Commodity Culture. Essay in Cultural Theory and Post-modernity, Oxford: Oxford University Press.

Garbade, K.D. and Silber, W.L. (1978) Technology, communication and the performance of financial markets: 1840- 1975, Journal of Finance 33(3): 819- 832.

Gelerntner, D. (1991) Mirror Worlds: The Day Software Puts the Universe in a Shoebox . . . How It Will Happen and What It Will Mean, New York: Oxford University press.

Gell, A. (1992) The Anthropology of Time, Oxford: Berg.

Genosko, G. (1994) Baudrillard and Sign: signification ablaze, London: Routledge.

Gibson, A (1996) Towards a Postmodern Theory of Narrative, Edinburgh: Edinburgh University PRESS.

Gibson, W. (1984) Neuromancer, London: Grafton.

Gibson, W. (1986/ 7) Count Zero, London: Grafton.

Gibson, W.(1986 /8) Burning Chrome, London: Grafton.

Gibson, W. (1986/ 9) Mona Lisa Overdrive, London: Grafton.

Gibson, W. (1991) Academy Leader, in Benedikt, M. (ed.) Cyberspace, First Steps, Cambridge, MA: MIT Press: 27- 29.

Gibson, W. (1996) Idoru, New York: Putnam.

Giedion, S. (1948) Mechanization Takes Command: a contribution to anonymous History, New York: Oxford University Press.

Godwin, J. (1979) Athanasius Kircher: A Renaissance Man and the Quest for Lost Knowledge, London: Thames and Hudson.

Goheen, P.G. (1994) Negotiating access to public space in mid-nineteenth century Toronto, Journal of Historical Geography 20: 430- 449.

Goldhill, S. (1996) Refracting Classical Vision: Changing Cultures of Viewing, in Brennan, T. and Martin, J. (eds) Vision in Context: Historical and Contemporary Perspectives on Sight, New York: Routledge.

Gomez Pena, G. (1995) The Subcommandante of Performance, in Katzenberger, E. (ED.) First World, Ha Ha Ha! The Zapatista Challenge, San Francisco: City Lights: 89- 98.

Goodchild, P. (1996) Deleuze and Guattari: An Introduction to the Politics of Desire, London: Sage.

Goodwin, B.C. (1963) The Temporal Organisation of Cells, London: Academic Press.

Goodwin, B.C. (1979) Generative and cognitive models of biological pattern formation, in Cullen, I.G. (ed.) Analysis and Decision in

Regional Policy. London Papers in Regional Science 9, London: Pion: 20- 25.

Goss, J. (1996) Disquiet on the Waterfront: Reflections on Nostalgia and Utopia in the Urban Archetypes of Festival Marketplaces,Urban Geography 17(3): 221247-.

Gowdy, V. (1994) Alternatives to prison, The Futurist January-February, 53.

Graham, S. (1996) Imagining the Real-Time City: Telecommunications, Urban paradigms and the future of cities, in Westwood, S. and Williams, J. (eds) Imagining Cities: Scripts, signs and memories, London: Routledge.

Graham, S.(1998a) The end of geography or the explosion of place? Conceptualising space, place and information technology, Progress in Human Geography 22 (2).

Graham, S. (1998b) The Spaces of surveillant-simulatios: New technologies, Digital representations, and material geographies, Environment and Planning D: Society and Space 16: 483- 503.

Graham, S. and Marvin, S. (1996) Telecommunications and the City: Electronic Spaces,Urban Places, London: Routledge.

Graham, S., Brooks, J. and Heery, D. (1996) Towns on the Television: Closed Circuit TV in British Towns and Cities, Local Government Studies 22(3):3- 27.

Gregory, D. (1993) Geographical Imagination, Oxford: Blackwell.

Gregson, N. (1995) And now it's all consumption? , Progress in Human Geography 19(1): 135141-.

Grewal, I. and Kaplan, C. (eds) (1994) Scattered Hegemonies, Minneapolis: University of Minnesota Press.

Griffith, V. (1996) I Know that face, Financial Times, 14 May: 10.

Grimes, J. and Warf, B. (1997) Counter-Hegemonic Discourses and the Internet, Geographical Review 87(2): 259- 274. (Special Issue on Geography Views of Computer Networking).

Grint, K. and Woolgar, S. (1995) On some Failures of Nerve in Constructivist and Femminist Analyses of Technology, in Grint, K. and Gill, R. (eds) The Gender- Technology Relation: Contemporary Theory and Research, London: Taylor& Francis.

Grint, K. and Woolgar, S. (1997) The Machine at Work. Technology, Work and Organisation, Cambridge: Polity Press.

Griscom, J. (1845) The Sanitary Condition of the Laboring Population of New York, New York: Harper.

Grosz, E. (1990) Inscriptions and body-maps: representations and the Corporeal, in Threadgold, T. and Cranny-Francis, A. (eds) Feminine/ Masculine and Representation, London: Allen & Unwin: 62- 74.

Grosz, E. (1994) Volatile Bodies: toward a corporeal feminism, Indianapolis: Indiana University Press.

Grosz, E. (1995a) Space, Time and Perversion, London: Routledge.

Grosz, E. (1995b) Women, chora, dwelling, in Watson, S. and Gibson, K. (eds) Postmodern Cities and Spaces, Oxford: Blackwell: 47- 58.

Gruen, V. (1957) Main Street 1969, American Planning and Civic Annual: 16- 22.

Gruen, V. (1964) The Heart of Our Cities. The Urban Crisis: Diagnosis and Cure, New York: Simon and Schuster.

Guattari, F. (1995) Chaosmosis: an ethico-aesthetic paradigm, Sydney: Power Publications.

Guattari, F. (1996) The Guattari Reader (ed. G. Genosko), Oxford: Blackwell. Habermas, J. (1989) The Structural Transformation of the Public Sphere, : Cambridge: Polity Press.

Habermas, J. (1992) The Normative Content of Modernity, The Philosophical Discourse of Modernity, Twelve Lectures, Cambridge, MA: MIT Press.

Hall, K. (1996) Cyberfeminism; in - Herring-,S.-(ed.) Computer-Mediated - Communication: Linguistic, Social and Cross-Cultural Perspectives, Amsterdam: John Benjamins.

Hall, P. and Preston, P. (1988) The Carrier Wave: New Technology and the Geography of Innovation, London: Unwin.

Hall, S. (1993) Mapping the Next Millennium, New York: Vintage.

Halperin, D. (1995) Saint - Foucault, Oxford: Oxford ;University Press.

Hannah, M. (1997) Imperfect panopticism: Envisioning the construction. of normal lives, in Benko, G. and Stohmayer, U. (eds) Space and Social Theory, Oxford: Blackwell: 344- 359.

Hannerz, U. (1987) The world in creolisation, Africa 57(4):546- 559.

Hannerz, U. (1989) Notes on the global ecumene; Public Culture-1(2): 66- 75.

Hannerz, U. (1992) Cultural Complexity: Studies in the Social Organization of Meaning, New York: Columbia University Press.

Hannerz, U. (1996) Transnational Connections: Culture, People, Places, London: Routledge. Hansard (1986) New Zealand Parliamentary Debates, State-Owned Enterprises Bill,

Hansard (1987) New Zealand Parliamentary Debates, State Enterprises Restructuring Bill, Report of Commerce and Marketing Committee, 9 June. Vol. 477: 9326 - 9336.

Hansard (1990) New Zealand Parliamentary Debates.. Finance Bill, 20 March. Vol. 506:802- 861

Haraway, D. (1989) Primate Visions: Gender, Race and Nature in the. World of Modern Science, New York: Routledge.

Haraway, D. (1991 a) Simians, -Cyborgs, and Women.:. -the-: Reinvention of Nature, London: Free Association Books.

Haraway, D. .(19916) :Cyborg _at Large, Interview; and The Actors are. Cyborg, Nature is Coyote and the Geography is Elsewhere, both in Penley, C. and Ross, A. (eds) Technoculture,-I,VIinneapolis: University..of Minnesota Press.

Haraway, D: (1997) Modest. Witness@Second. Millennium. FemaleMan Meets OncoMouse, London: Routledge.

Harding, S. (1992) Whose Science, Whose Knowledge, Ithaca: Cornell University Press. Hardt, M. and Negri, A. (1994) Labor of Dionysus: a critique of the state form, Minneapolis: University of Minnesota Press.

Harpold, T. (1991) Contingencies of the Hypertext Link, Writing on the Edge 2(2) Spring: 126- 137. Also on-line as http:// www.lcc.gatech. edu/ faculty / harpold/papers/ contingencies/ index.htmls.

Harpold, T. (1996) Author's Note to web version of `Contingencies of the HypertextLink', http://www.lcc.gatech.edu/faculty/harpold/ papers/ contingencies / index. html

Harvey, D. (1982) The Limits to Capital, Oxford: Blackwell.

Harvey, D. (1989) The Condition of Postmodernity: An Enquiry into the Origins of Cultural Change, Oxford: Basil Blackwell.

Harvey, D. (1990) Between space and time: reflections on the geographical imagination, Annals of the Association of American Geographers 80(3): 418- 834.

Harvey, D. (1993) From space to place and back again: reflections on the condition of postmodernity, in Mapping the-Futures: Local Cultures, global¨change; -London: Routledge:

Harvey, D. (1996) Justice, Nature and the Geography of Difference, Oxford: Blackwell.

Harvey, N. (1996) Rural Reforms and the Zapatista Rebellion: Chiapas 19881995-, in Otero, G. (ed.) Neoliberalism, Revisited. Economic Restructuring and Mexico's Political Future, Boulder, CO: Westview Press: 187- 208.

Hayden, D. (1984) Redesigning the American Dream: The Future of Housing, Work and Family Life, New York: W.W. Norton.

Hayles, N. K, (1993)=Virtual bodies and flickering signifiers, October 66: 69- 91.

Hayles, N.K. (1995) Simulated Nature and Natural Simulations: Rethinking the Relation Between- the Beholder and the World, in Cronon, W. (ed.) Uncommon Ground, Toward Reinventing Nature, New York: W.W. Norton.

Hayles,- N: K. (1996) Narratives of artificial life, in Robertson, G. et al. (eds) Future Natural: Nature, Science, Culture, London: Routledge: 146- 164.

Headrick, D.R. (1981) The Tools of Empire: Technology and

European Imperialism in the Nineteenth Century, New York: Oxford University Press.

Heaney, S. (1990) Selected Poems 1966- 1987, New York: The Noonday Press, Farrar Straus and Giroux.

Heelas, P. et al. (eds) (1996) De-traditionalization, Oxford: Blackwell.

Heim, M. (1993) The Metaphysics of Virtual Reality, New York: Oxford University Press.

Held, R. and Durlach, N. (1991) Telepresence, Time Delay and Adaptation, in Ellis, S. (ed.) Pictorial Communication in Virtual and Real Environments, New York: Taylor and Francis.

Hepworth, M. (1989) The Geography of the Information. Economy, London: Belhaven.

Hepworth, M. and Ducatel, K. (1992) Transport in The Information Age: Wheels and Wires, London:: Belhaven Press. .

Herbert, F: (.1965/ 84) Dune, London: New English Library.

Herring, S. (1996) Posting in a Different Voice: Gender and Ethics in Computer Mediated Corrimunication, in -Ess, C. (ed.) Philosophic Perspectives in Computer Mediated Communication, Albany, NY: State University of New-York Press.

Hetherington, K. (1996) Identity formation, space and social centrality, Theory Culture and Society 13: 33- 52.

Hillis, K. (1994) The Power of Disembodied Imagination: Perspective's Role in Cartography, Cartographica 31(3): 1- 20.

Hillis, K. (1998) Human. language. machine, in Pile, S. and Nast, H. (eds) Mapping The Body, London: Routledge.

Hillis, K. (forthcoming) Digital Sensations: Identity, Embodiment and Space in Virtual Reality, Minneapolis: University of Minnesota Press.

Hiss, T. (1990) The Experience of Place, New York: Knopf.

Hobsbawm, E.J. (1968) Industry and Empire, Harmondsworth: Penguin Books.

Hofstadter, A. and Kuhns, R. (eds) (1976) Philosophies of Art and Beauty, Chicago: University of Chicago Press.

Holquist, M. (1990) Dialogism: Bakhtin and his world, London: Routledge.

Hoy, D. (1986) Foucault: A Critical Reader, Oxford: Blackwell University Press. Huczynski, A. (1993) Management Gurus: What Makes Them and How to Become One, London: Routledge:

Hughes, T. (1983) Networks of Power: Electrification in Western Society, 1880- 1930, Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Hugo, V. (1963) Les Miserables, Paris: Garnier Freres. Originally published in 1862.

Huxtable, A. (1997) The Unreal America: Architecture and Illusion, New York: New Press.

Information Society Forum (1995) Information Society Forum Papers, http: //www.ispo. cec.be/infoforum/pub.html

Ingold, T. (1995) Building, dwelling, living: How animals and people make themselves at home in the world, in Strathern, M. (ed.) Shifting Contexts: Trans formations in Anthropological Knowledge, London: Routledge: 5780-.

Jackson, P. (1989) Maps of Meaning, London and New York: Routledge..

Jackson, P. and Holbrook, B. (1995) Multiple Meanings: shopping and the cultural politics of identity, Environment and Planning A 27(12): 1913- 1923.

Jackson, P. and Holbrook, B. (1996) Shopping around: focus group research in North London, Area 28(2): 133- 139.

Jackson, R. (1981) Fantasy: The literature of subversion, London and New York: Routledge.

Jacobs J. (1961) The Death and Life of Great American Cities, New York: Vintage Books.

Jacobsen, R. (1994) Virtual worlds capture spatial reality, GIS World December: 36- 39.

James, W. (1907) On Pragmatism, London: Longmans.

Jameson, F. (1991) Postmodernism, or the Cultural Logic of Late Capitalism, London: Verso.

Jameson, F. (1995) Marx's purloined letter, New Left Review 209: 75- 109.

Jammer, M. (1969) Concepts of Space: The History of Theories of Space in Physics (2nd edn), Cambridge, MA-: Harvard University Press.

Janelle, D.G. (1968) Central place development in a time-space framework, The Professional Geographer 20: 5- 10.

Jenkins, H. (1992) Textual Poachers: Television fans and participatory culture, London and New York: Routledge.

Johannessen. N. (ed.) (1991)' Ring Up Britain': The Early Years

of the Telephone in the United Kingdom, London: British Telecommunications PLC.

Johnson, C. (1993) System and Writing in the Philosophy of Jacques Derrida, Cambridge: Cambridge University Press.

Jonas, H. (1982) The Phenomenon of Life, Chicago: University of Chicago Press.

Joseph, R. (1993) The Politics of Telecommunications Reform: A Comparative Study of Australia and New Zealand. University of Wollongong Science and Technology Analysis Research Programme.

Joyce, M. (1996) (Re)Placing the Author: A Book in the Ruins, in Nunberg, G. (ed.)The Future of the Book, Brepols: University of California Press.

Kellner, D. (ed.) (1994) Baudrillard: A Critical Reader, Oxford: Blackwell. Kelly, K. (1994a) Hive Mind, Whole Earth Review 82.

Kelly, K. (1994b) Out of Control: The New Biology of Machines, London: Fourth Estate.

Kendall, L. (1996) MUDder? I Hardly Know' Er! Adventures of a Feminist MUDder, in Cherny, L. and Weise, E.R. (eds) Wired Women: Gender and New Realities in Cyberspace, Seattle, WA: Seal Press.

Kendall, L. (forthcoming) Hanging Out in the Virtual Pub: Identity and New Relationships Online. Unpublished Ph.D thesis, Department of Sociology: University of California, Davis.

Kern, S. (1983) The Culture of Time and Space 18801918-, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Keyes, R. (1973) We, the Lonely People; searching for community. New York, Harper and Row.

King, G. (1996) Mapping Reality: An Exploration of Cultural Cartographies, Basingstoke: Macmillan.

Kircher, A.-(1646) Ars Magna-Lucis et Umbrae, Rome: Ludovici Grignani.

Kirsch, S. (1995) The Incredible Shrinking World - Technology and the Production of Space, Society and Space 13(5): 5 29- 5 5 5 .

Kitto, H.D.F. (1964) The Greeks, Harmondsworth: Penguin.

Knorr-Cetina, K. (1997) Sociality with objects: Social relations in postsocial know l- edge societies, Theory, Culture and Society 14: 1- 30.

Koch, R. (1995) The Case of Latour, Configurations 3(3): 319347-.

Kogut, B. and Bowman, E.H. (1996) Redesigning for the 21st century, Financial Times, _22 March: 13- 14.

Koyre, A. (1957) From The Closed World to The Infinite Universe, Baltimore, MD: John! Hopkins University Press.

Kristeva, J. (1991) Strangers to Ourselves (trans. L.S. Roudiez), New York: Columbilt University Press.

Kroker, A. and Weinstein, M.A. (1994) Data Trash: the theory of the virtual class, New York: St Martin's Press.

Kunstler, J. (1993) The Geography of Nowhere: The Rise and Decline of America's Man Made Landscape, New York: Simon and Schuster.

Kunze, D. (1995) The Thickness. of the Past: The Metonymy

of Possession, Intersight3 The Online Journal of the School of Architecture and Planning, State University of New York University at Buffalo http://www.arch.buffalo.edu/intrsght/archives/intersight3/kunze/kunze .html

Lacan, J. (1977) Erits: a selection, London: Tavistock/Routledge.

Lacan, J. (1979) The Four Fundamental Concepts of Psycho-analysis, Harmondsworth: Penguin.

Laidlaw, M. (1993) Virtual Reality: our new romance with plot devices, South Atlantic Quarterly 92: 647- 668.

Laidlaw, M. (1996) The Egos at i-D, in Wired 4.08, August 1996:122-189-127,186. Landes, D.S. (1969) The Unbound Prometheus: Technological Change and Industrial Development in Western Europe from 1750 to the Present, Cambridge: Cambridge University Press.

Lanier, J. and Biocca, F. (1992) An insider's view of the future of virtual reality, Journal of Communications 42 (4): 150- 172.

Larkham, P. (1996) Conservation and the City, London: Routledge.

Larner, W. (1996)'The' New Boys': Restructuring in New Zealand-198495-, Social Politics: Special Edition on Gender Inequalities in Global Restructuring 3(1): 32- 56. Larner, W. (1997a) The Legacy of the Social: Market Governance and the Consumer, Economy and Society 2G(3): 373- 339.

Larner, W. (1997b) 'A Means to an End': Neo-liberalism and State Processes in New Zealand, Studies in Political Economy 52: 738-.

Larner, W. (1997c) Hitching a Ride on a Tiger's Back. Globalization and Spatial Imaginaries. Paper presented to the American Sociological Association, 9- 13 August, Toronto.

Latour, B. (1987) Science in Action, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Latour, B. (1988a)´ Opening one eye while closing the other' ... .'a note on some religious paintings, in Fyfe, G. and Law, T. (eds) Picturing Power: Visual Depiction and Social Relations, London: Routledge: 15- 38.

Latour, B. (1988b) The politics of explanation: an alternative, in Woolgar, S. (ed.) Knowledge and Reflexivity, London: Sage: 155- 177.

Latour, B, (1990) The Enlightenment without the Critique: A Word on Michel Serre's Philosophy, in Griffiths, A. (ed.) Contemporary French Philosophy, Cambridge: Cambridge University Press.

Latour, B. (1991) Technology is society made durable, in Law, J. (ed.) A. Sociology of Monsters, London: Routledge: 103- 132.

Latour, B, (1993) We Have Never Been Modern, London: Harvester Wheatsheaf.

Latour, B. (1996a) Aramis, or the Love of Technology, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Latour, B. (1996b) Social Theory and the Study of. Computerised Work. Sites, in Orlikowski, W., Walsham, G., Jones M. and DeGross, J. (eds) Information Technology and Changes in Organisational Work, London: Chapman & Hall.

Latour, B. (1997) On Actor-Network Theory: A Few Clarifications, http://www. keele.ac.uk/depts/stt/stt/ant/latour.htm.

Latour, B. and Woolgar, S. (1979, 1986) Laboratory of Life, Princeton, NJ: Princeton University Press.

Law, J. (1994) Organising Modernity, Oxford: Blackwell.

Law, J., and Mol, A. (1995) Notes on materiality and sociality, Sociological Review 24: 641- 671.

Law, J. and Mol, A. (1996) Decision's. Paper presented to the Centre for Social Theory and Technology Seminar, November, 1996.

Le Bot, Y. (1997) Subcomandante Marcos: El sueno Zapatista, Mexico: Plaza & Janes. Lee, R: and Wills, J. (eds) (1997) Geographies of Economies, London: Arnold.

Lenoir, T. and Ross, C. L. (1996) The Naturalized History Museum, in Galison, P.and Stump, D. (eds) The Disunity of Science: Boundaries, Contexts, and Power, Stanford: Stanford University Press.

Levy, P. (1996) Collective Intelligence and its Objects: Many-to-Many Communication in a Meaning World, http://www.design-inst.nl/doors/ doors3/ transcripts/levy.html.

Levy, S. (1992) Artificial Life, New York: Pantheon.

Liebes, T. and Katz, E. (1990) The Export of Meaning: Cross-Cultural Readings of Dallas; Oxford: Oxford University Press.

Light, J: (1996) Editorial: Developing the Virtual Landscape, Environment and Planning D: Society and Space 14(2): 127- 131.

Light, J. (1997) The Changing Nature of Nature, Ecumene: A journal of Environment, Culture, Meaning 4(2): 181- 195.

Lilley, R. and Knapper, P. (1993) The corrections-commercial complex, Crime and Delinquency 39(2) April: 150- 166.

Lippard, L. (1983) Overlay, New York: Pantheon Books.

Lister, M. (1995) (ed.) The Photographic Image in Digital Culture, Routledge: London.

Littlewoods (1997) Spring/ Summer Catalogue, Liverpool: Littlewoods Home Shopping Group Company.

Livingstone, D. (1992) The Geographical Tradition, Oxford: Blackwell.

Lofland, L. (1973) A World of Strangers: order and action in urban public space, New York: :Basic Books.

Lowe, P., Murdoch, J. and Ward, N. (1995) Networks in Rural Development: Beyond exogenous and endogenous models, in van der Ploeg, J. D. and Van Dijk, G. (eds) Beyond Modernization: the impact of endogenous rural development, Assen: Van Gorcum.

Ludwig, M. (199G) Virtual Catastrophe: Will Self-Reproducing Software Rule the World?, in Leeson, H. (ed.) Clicking In: Hot Links to a Digital Culture, Seattle, WA: Bay Press: 238- 246.

Luhmann, N. (1997) Die Gesellschaft der Gesellschaft, Frankfurt am Main: Suhrkamp.

Lukas, G. (1971) History and Class Consciousness: studies in Marxist dialectics, London: Merlin.

Lupton, D. (1994) Panic computing: the viral metaphor and computer technology, Cultural Studies 8: 5 5 G-5 68.

Lupton, D. (1995) The embodied computer/user, in Featherstone, M. and Burrows, R. (eds)Cyberspace, Cyberbodies, Cyberpunk:' Cultures. of Technological Embodiment, London: Sage: 97- 112.

Lynd, R. and Lynd, H. (1956) Middletown: A Study in American Culture, New York: Harcourt.

Lyon, D. (1994) The Electronic Eye: The Rise of Surveillance Society, Cambridge: Polity.

Lyotard, J.-F. (1984) The postmodern condition: a report on knowledge, Manchester: Manchester University Press.

Lyotard, J.-F. (1990) Duchamp's TRANSIformers, Venice: Lapis.

Lyotard, J.-F. (1994) Libidinal Economy, Bloomington, IN: Indiana University Press.

McCaffery, L. (ed.) (1991) Storming the Reality Studio, Durham, NC: Duke University Press.

McDonough, J. P. (forthcoming). Designer selves: construction of technologically mediated identity within graphical, multiuser virtual environments, Journal of the American Society of Information Science.

McDowell, L. (1991) Life Without Father and Ford: The New Gender Order of Post Fordism, Transactions of the Institute of British Geographers 16: 400- 419.

MacKenzie, D. and Wajcman, J. (1985) The Social Shaping of Technology: How the Refrigerator Got its Hum, Milton Keynes: Open University Press.

McKenzie, E. (1994) Privatopia: homeowner associations and the rise of residential private government, New Haven, CT: Yale University Press.

McKie, R. (1994) Never mind the quality, just feel the collar, The Observer, 13 November: 1.

McLuhan, M. (1964) Understanding Media: the extensions of man, New York: McGrawHill.

McRae, S. (1996) Coming Apart at the Seams: Sex, Text and the Virtual Body, in Cherny, L. and Weise, E.R. (eds) Wired Women: Gender and. New Realities in Cyberspace, Seattle, WA: Seal Press.

Maffesoli, M. (1996) The Time of the Tribes, London: Sage.

Makin, A. (1994) With Clear You're More than just. a Number, Proceedings of T UANZ '94 Conference, Auckland.

Malin, H. (1998) Contour and Consciousness, Eastgate Review of Hypertext, Watertown, MA: Eastgate Systems.

Malmgren, C. D. (1991) Worlds Apart: Narratology of science fiction, Bloomington and Indianopolis, IN: Indiana University Press.

Malmgren, C. D. (1993) Self and Other in SF: Alien encounters, Science Fiction Studies 20: 15- 33.

Manovich, L. (1992) Virtual Cave Dwellers: Siggraph '92, Afterimage October. Marcos (1994) ; Zapatistas! 1994, Brooklyn, NY: Autonomedia.

Marcos (1997a) 7 Preguntas a quien corresponda. Imagenes del Neoliberalismo en el Mexico de 1997, La Jornada 24 de Enero de 1997.

Marcos (1997b) Statement of Subcomandante Marcos to the Freeing the Media Teach-In organized by the Learning Alliance, Paper Tiger TV and FAIR in cooperation with the Media and Democracy Congress, 31 January and 1 February 1997.

Marcus, G. (1989) Lipstick Traces: A Secret History of the Twentieth Century, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Martin, M. (1991) Hello Central?: Gender, Technology, and Culture in the Formation of Telephone Systems, Montreal and Kingston: McGill-Queen's University Press.

Marvin, C. (1988) When Old Technologies were New: thinking about electric communica tions in the late-nineteenth century, New York: Oxford University Press.

Marx, K. (1993) Grundrisse: Foundations of the Critique of Political Economy (trans. Martin Nicolaus), New York: Penguin.

Marx, L. (1964) The Machine in the Garden: Technology and the Pastoral Ideal in America, New York: Oxford University Press.

Marx, L. (1994) The Idea of 'Technology' and Postmodern Pessimism, in Marx, L. and Smith, M.R. (eds) Does Technology Drive History? The dilemma of technological determinism, Cambridge, MA: MIT Press.

Marx, L. and Smith, M. R. (1994) Does Technology Drive History? The dilemma of technological determinism, Cambridge, MA: MIT Press.

Mason, R. and Morris, M. (1986) Post Office Review, Wellington: Government Printer.

Massey, D. (1993) Power-geometry and a progressive sense of place, in Bird, J., Curtis, B., Putnam, T., Robertson, G. and Tickner, L. (1993) Mapping The Futures: Local Cultures, Global Change, London: Routledge: 59- 69.

Massey, D. (1997) Spatial disruptions, in Golding, S. (ed.) Eight Technologies of Otherness, London: Routledge.

Massey, J. (1996) Keeping the customer satisfied, Information Age, July/August: 22- 24.

Massumi, B. (1992) A user's guide to Capitalism and Schizophrenia: deviations from Deleuze and Guattari, London: MIT Press.

Massumi, B. (1996) The evolutionary alchemy of reason. http://www. telefonica.es/fat lemassumi.html

Matthew Gallery, University of Edinburgh (1996) Strangely Familiar: Narratives of Architecture in the City. Exhibition.

Maturana, H. (1991) Response to Jim Birch, Journal of Family Therapy 13: 375- 393.

Maturana, H. and Varela, F. (1980) Autopoiesis and Cognition: the Recognition of the Living, Dordrecht: Reidel.

Meier, R.C. (1962) A Communications Theory of Urban Growth, Cambridge, MA: MIT Press.

Merleau-Ponty, M. (1962) Phenomenology of Perception (trans., Smith C.) London: Routledge and Kegan Paul.

Meyrowitz, J. (1984) No Sense of Place: The Impact of Electronic Media on Social Behavior, New York: Oxford University Press.

Michie, R.C. (1997) Friend or foe? Information technology and the London Stock Exchange since 1700, Journal of Historical Geography 23(3): 304- 326.

Miller, D. (1995) Acknowledging Consumption: A Review of New Studies, London: Routledge.

Miller, D. (1997) Capitalism: An Ethnographic Approach, Oxford: Berg.

Miller, D. (1998) A theory of virtualism, in Carrier, J. and Miller, D. (eds) Virtualism and its Discontents, Oxford: Berg.

Miller, L. (1995) Women and Children First: Gender and the Settling of the Electronic Frontier, in Brook, J. and Boal, LA. (eds) Resisting the Virtual Life: The Culture and Politics of Information; San Francisco: City Lights.

Miller, P. and Rose, N. (1995) Production, Identity, and Democracy, Theory and Society 24: 427- 467.

Ministry of Commerce (1995) Telecommunications Reform in New Zealand: 1987- 1995, Telecommunications Information Leaflet No. 5, Communications Division: Wellington.

Mitchell, D. (1995) The End of Public Space? People's Park, Definitions of the Public, and Democracy, Annals of the Association of American Geographers 85(1): 108- 133.

Mitchell, W. J. (1992) The Reconfigured Eye: visual truth in the post photographic era, London: MIT Press.

Mitchell, W. J. (1996) City of Bits: Space, Place, and the Infobahn, Cambridge, MA: MIT Press.

Moeschin, F. (1931) America vom Auto aus, Zurich: Erlenbach.

Mol, A. and Law, J. (1994) Regions, Networks, and Fluids - Anaemia and Social Topology, Social Studies of Science 24(4): 641- 671

Morford, H. (1867) Paris in '67; or The Great Exposition, its Side-shows and Excursions, New York: G. W. Carleton and Co.

Moulthrop, S. (1991) Reading from the Map: Metonymy and--Metaphor in the Fiction of Forking Paths, in Delany, P. and Landow, G. (eds) Hypermedia and Literary Studies, Cambridge, MA: MIT Press.

Mowshowvitz, A. (1996) Social control and the network marketplace, in Lyon, D. and Zuriek, E. (eds) Computers, Surveillance, and Privacy, Minneapolis: University of Minnesota Press: 79- 103.

Mumford, L. (1934) Technics and Civilisation, New York: Harcourt, Brace and Company.

Murdoch, J. and Pratt, A. C. (1993) Rural Studies: Modernism, Postmodernism and the 'Post-rural', Journal of Rural Studies 9 (4): 411- 427.

National Business Review (1993) Telecom Puts Away. Rainy Day Profits as Staff Gets Drenched, 19 February.

Nesbitt, M. (1992) In the absence of the parisienne ..., in Colomina, B. (ed.) Sexuality and Space, Princeton, NJ: Princeton Architectural Press.

New Zealand Herald (1993) Telecom Shares Hit Peak with -Record Earnings, 17 February.

Nietzsche, F. (1968) Twilight of the Idols and The Anti-Christ, Harmondsworth: Penguin.

Nixon, N. (1992) Cyberpunk: Preparing the ground for revolution or keeping the boys satisfied?, Science Fiction Studies 19: 2- 19.

Norris, C. and Armstrong, G. (1997) Categories of Control. The Social Construction of Suspicion and Intervention in CCTV Systems. Report to the ESRC.

Norris, C., Moran, J. and Armstrong, G. (1996) Algorithmic Surveillance - the future of automated visual surveillance. Mimeo.

Novak, M. (1991) Liquid Architectures in Cyberspace, in Benedikt, M. (ed.) Cyberspace: First Steps, Cambridge, MA:.MIT Press: 225- 154.

Novak, M. (1996) Trans Terra Form: Liquid Architectures And The Loss of Inscription, http://www.t0.or.at/-krcf/nlonline/nonMarcos.html or http://flux.carleton.ca/ SITES/PROJECTS/LIQUID/Novak 1 .html

Nowotny, H. (1994) Time: The Modern and Postmodern Experience, Cambridge: Polity Press.

Nye, D.E. (1990) Electrifying America: Social Meanings of a New Technology, 18801940-, Cambridge,- MA: MIT Press.

Nye, D.E. (1994) American Technological Sublime, Cambridge, MA: MIT Press.

Oldenburg, R. (1989) The Great Good Place: cafes, coffee shops, community centers, beauty parlors, general stores, bars, hangouts, and how they get you through the day, New York: Paragon House.

Olson, C. (1947) Call Me Ishmael, San Francisco: City Lights.

Openshaw, S. (1994) Computational human geography: towards a research agenda, Environment and Planning A 26(4): 499- 505.

Ormrod, S. (1995) Feminist Sociology and Methodology: Leaky Black Boxes in Gender/Technology Relations, in Grint, K. and Gill, R. (eds) The Gender Technology Relation: Contemporary Theory and Research, London: Taylor & Francis.

Osborne, P. (1995) The Politics of Time, London: Verso.

O'Tuathail, G. (1994) Shadow Warriors and the Electronic Jury: Mexico and Chiapas Revolt in the Geo-Financial Panopticon, Ecumene 4(3): 300- 317.

Owen, J.J. (1996) Chaos theory, marxism and literature, New Formations 29: 84- 122. Pall-Mall-Gazette, 20 January 1893.

Parkes, D. and Thrift, N.J. (1980) Times, Spaces, Places. A Chronogeographic Perspective, Chichester: John Wiley.

Pascal, A. (1987) The Vanishing City, Urban Studies 24: 597- 603.

Pascale, T. (1991) Managing on the Edge, Harmondsworth: Penguin.

Patton, P. (1994) Anti-Platonism and Art, in Boundas, C. V. and Olkowski, D. (eds) Gilles Deleuze and the Theatre of Philosophy, London: Routledge: 141- 156.

Pepperell, R. (1995) The Post-human Condition, Oxford: Intellect.

Perkin, H. (1969) Origins of Modern English Society, London: Routledge.

Perlez, J. (1996) Few Forints to Spend, but Hungarians Like the Mall, New York Times, 146, 1224/: D1.

Perniola, M. (1995) Enigmas: the Egyptian Moment in Society and Art, London: Verso.

Perrella, S. (1996) Being@Home... as Becoming Information and Hypersurface,http://www.mediamatic.nl/doors/Doors2lPerrella/Perrella-Doors2-E.html Perry, C.R. (1977) The British experience 18761912-: the impact of the telephone during the years of delay, in Pool, I. de Sola (ed.) The Social Impact of the Telephone, Cambridge, MA: MIT Press: 69- 96.

Perry, C.R. (1992) The Victorian Post Offie: The Growth of a Bureaucracy, Woodbridge, Suffolk: The Boydell Press.

Pesce, M. (1995) VRML: Browsing and Building Cyberspace, Indianapolis: New Riders Publishing: Philo, C. (1992) Foucault's geography, Society and Space 10: 137- 161.

Philo, C. (1993) Postmodern Rural Geography? A reply to Murdoch and Pratt, Journal of Rural Studies 9 (4): 429- 436.

Pickles, J. (1991) Geography, GIS and the surveillant society, Papers and Proceedings of Applied Geography Conference 14: 80- 91.

Pickles, J. (1995) Representations in an Electronic Age, in Pickles, J. (ed.) Ground Truth: The Social Implications of Geographic Information Systems, New York: Guilford Press.

Pike, R.M. (1989) Kingston adopts the telephone: the social diffusion and use of the telephone in urban central Canada, 1876 to 1914, Urban History Review 18(1): 32- 47.

Pile, S. (1994) Cybergeography: 50 years of Environment and Planning A, Environment and Planning A, 26: 1815- 1823.

Pile, S. and Thrift, N. (1996) Mapping the subject, in Pile, S. and Thrift, N. (eds) Mapping the Subject: Geographies of Cultural Transformation, London: Routledge: 13- 51.

Pimentel, K. and Texeira, K. (1993) Virtual Reality: through the new looking-glass, New York: Intel/Windcrest, McGraw Hill.

Pineda, F. (1996) La guerra de baja intensidad, in Barreda, A. et al. (eds) Chiapas 2, Mexico D.F.: Instituto de Investigaciones Economicas: 173- 196.

Plant, S. (1995) The future looms: weaving women and cybernetics, in Featherstone, M. and Burrows, R. (eds) Cyberspace, Cyberbodies, Cyberpunk: Cultures of Technological Embodiment, London: Sage: 45- 64.

Plant, S. (1996) On the Matrix: Cyberfeminist Simulations, in Shields, R. (ed.) Cultures of Internet: Virtual Spaces, Real Histories, Living Bodies, London: Sage.

Plant, S. (1997) Zeros and Ones: Digital Women and The New Technoculture, London: Fourth Estate.

Platt, H.L. (1991) The Electric City: Energy and the Growth of the Chicago Area, 1880- 1930, Chicago: University of Chicago Press.

Pool, I. de Sola (ed.) (1977) The Social Impact of the Telephone, Cambridge, MA: MIT Press.

Porta, G. (1658) Natural Magick, London: Thomas Young and Samuel Speed.

Post 84, BT Archives (BTA) (1984) Telecommunications: telephones, private companies 1879- 1915.

Post 86, BT Archives (BTA) (1986) Telecommunications: telephones, inland 1880- 1938.

Poster, M. (1990) The Mode of Information: poststructuralism and social context, Cambridge: Polity.

Poster, M. (1995) The Second Media Age, Cambridge: Polity.

Postman, N. (1992) Technopoly: the surrender of culture to technology, New York: Knopf.

Potter, E. (forthcoming) Making gender/making science, in Spanier, B. (ed.) Making a Difference, Bloomington, IN: Indiana University Press.

Putnam, R. (1995) Bowling Alone: Declining Social Capital, Journal of Democracy 6(1): 6578-.

Rabinow, P. (1996) Essays on the Anthropology of Reason, Princeton, NJ: Princeton University Press.

Radway, J. (1984) Reading the Romance: Women, patriarchy, and popular literature, Chapel Hill, NC: Universitys of North Carolina Press.

Rarnasubramanian, L. (1996) Building communities: GIS and participatory decision making, Journal of Urban Technology 3(10): 67- 79.

Ray, C. (1996a) The Dialectic of Local Development: the case of the E. U. LEADER I rural development programme, Working Paper 23, Centre for Rural Economy, University of Newcastle upon Tyne.

Ray, C. (1996b) Local, Rural Development in the Western Isles, Skye and Lochalsh, and Brittany, unpublished PhD thesis, Welsh Institute of Rural Studies, University of Wales.

Ray, C. and Woodward, R. (1998)´ Voluntary Organisations: status and role', Environment & Societe 20: 27- 33.

Reid, E.M. (1996) Text-based Virtual Realities: Identity and the Cyborg Body, in Ludlow, P. (ed.) High Noon on the Electronic Frontier: Conceptual Issues in Cyberspace, Cambridge, MA: MIT Press.

Relph, E. (1987) The Modern Urban Landscape, Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press.

Rheingold, H. (1991) Virtual Reality, New York: Simon and Schuster.

Rheingold, H. (1993) The Virtual Community: homesteading on the electronic frontier, Menlo Park, CA: Addison-Wesley.

Richards, C. (1995) Virtual bodies, Public 11: 35- 39.

Richardson, R. (1994) Back officing front office functions - organisational and locational implications of new telemediated services; in Mansell, R. (ed.) Management Of Information And Communication Technologies, London: ASLIB: 309- 335.

Robberson, T. (1995) Mexican Rebels Using A High-Tech Weapon; Internet Helps Rally Support, The Washington Post, 1995 February 20.

Robins, K. (1991) Into the image: visual technologies and vision cultures, in Wombell, P. (ed.) Photo Video: photography in the age of the computer, London: Rivers Oram: 52- 77.

Robins, K. (1995) Collective Emotion and Urban Culture, in Healey, P. et al. (eds) Managing Cities: The New Urban Context, Chichester: John Wiley.

Robins, K. (1996) Into the Image: Culture and Politics in the Field of Vision, London: Routledge.

Robins, K: and Hepworth, M. (1988) Electronic Spaces: new technologies and the future of cities, Futures, 20 (2): 155- 176.

Robson, B. (1973) Urban Growth: An Approach, London: Methuen.

Ronell, A. (1994) Video/Television/Rodney King: Twelve Steps Beyond the Pleasure Principle, in Bender, G. and Druckney, T. (eds) Culture on the Brink: Ideologies of Technology, Dia Center for the Arts 9, Seattle, WA: Bay Press.

Rose, G. (1993) Feminism and Geography: the limits of geographical knowledge, Cambridge: Polity Press.

Rose, N. (1996) Inventing Our Selves: Psychology, Power and Personhood, Cambridge: Cambridge University Press.

Rosello, M. (1994) The Screener's Maps: Michel de Certeau's 'Wanders mdn net' and Paul Auster's Hypertextual Detective in Landow, G. (ed.) Hyper/ Text/ Theory, Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press.

Rosen, F. (1996) Zapatistas' New Political Organization prompts Realignments on the Left, NACLA Report on the Americas XXIX(5) March/April: 2- 3.

Ross, A. (1991) Strange Weather: Culture, science, and technology in the age of limits, London and New York: Verso.

Ross, J. (1995a) Rebellion from the Roots: Indian uprising in Chiapas, Monroe, ME: Common Courage Press.

Ross, J. (1995b) The EZLN, a History: Miracles, Coyunturas, Communiques, in Shadows of Tender Fury- The Letters and Communiques of Subcommandante Marcos and the ZrJpatista Army of National Liberation, New York: Monthly Review Press.

Roszak, T. (1994) The Cult of Information, Berkeley, CA: University of California Press.

Rubin, B. (1979) Aesthetic Ideology and Urban Design, Annals of the Association of American Geographers 69(3): 339- 361.

Ryan, lf-L. (1994) Immersion vs. interactivity: virtual reality and literary theory, Postmodern Culture 5(1). http://jefferson.village. virginia. Edu / pmc/.

Sack, R. (1976) Magic and Space, Annals of the Association of American Geographers 66(2): 309- 322.

Said, E. (1978) Orientalism, Harmondsworth: Penguin.

Samuelson, D. N. (1993) Modes of Extrapolation: The formulas of hard SF, Science Fiction Studies 20: 191- 232.

Sandoval, C. (1991) US Third World Feminism: The Theory and Method of Oppositional Consciousness in the Postmodern World, Genders 10: 1- 24.

Sauer, C.O. (1963) The Education of a Geographer, in Leighly, J: (ed.) Land & Life, A Selection from the Writings of Carl Ortwin Sauer, Berkeley, CA: University of California Press.

Sauer, C.O. (1968) Northern Mists, San Francisco: Turtle Island Foundation.

Schiller H. (1989) Culture Inc. The Takeover of Corporate Expression, New York: Oxford University Press.

Schivelbusch, W. (1986) The Railway Journey: the industrialization of space and time in the nineteenth century, Berkeley, CA: University of California Press.,

Schmidt, G. (1996) Der Indio-Aufstand in Chiapas, Munchen: . Droemersche Verlagsanstalt Th. Knaur Nacht.

Schroeder, R. (1997) Networked Worlds: Social Aspects of Multi-User Virtual Reality Technology, Sociological Research Online 2: http:// www. socresonline. org.uk/socresonline/2I45/.html

Schwartz, R. (1994) Vision: Variations on some Berkeleian Themes, London: Blackwell.

Schwartz, V. (1994) The Morgue and the Musee Grevin: Understanding the Public Taste for Reality in Fin-de-Siecle Paris, Yale Journal of Criticism 7(2): 151- 173.

Scottish Office (1995) Rural Scotland. people, prosperity and partnership, Edinburgh: HMSO.

Select Committee on Telephone Charges (1920) BPP, vol. 8.

Select Committee on Telephones (1898) BPP, vol. 12.

Select Committee on the Telegraphs Bill (1892) British Parliamentary Papers (BPP),vol. 17.

Select Committee on the Telephone Service (1895) BPP, vol. 13-. ,

Select Committee on the Telephone Service (1921) BPP, vol. 7.. Select Committee on the Telephone Service (1922) BPP, vol. 6.

Serres, M. (1982) Hermes: Literature, Science, Philosophy, Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press.

Serres, M. (1995) Genesis, Michigan: University of Michigan Press.

Serres, M. with Latour, B. (1995) Conversations on Science, Culture, and Time, Michigan: University of Michigan Press.

Sexton, R. (1995) Parallel Utopias: Sea Ranch and Seaside: The quest for community, San Francisco: Chronicle Books.

Shade, L.R. (1996) Is there free speech on the net? Censorship in the global information infrastructure, in Shields, R. (ed.) Cultures of Internet: Virtual Spaces, Real Histories, Living Bodies, London: Sage: 11- 32.

Shapin, S. (1994) A Social History of Truth: Civility and Science in Seventeenth-Century England, Chicago: University of Chicago Press.

Shapin, S. and Schaffer, S. (1985) Leviathan and the Airpump, Princeton, NJ: Princeton University Press.

Shapiro, A. (1985) Housing the Poor of Paris, 1850- 1902, Madison: University of Wisconsin Press.

Shields, R. (ed.) (1996) Cultures of internet: virtual spaces, real histories, living bodies, London: Sage.

Shirtcliffe, P. (1993) Letter to Philip Bowyer, General Secretary, PTTI, 9 March.

Silverstone, R. (1994) Television and Everyday Life, London: Routledge.

Silverstone, R. et al. (eds) (1992) Consuming Technologies: Media and Information in Domestic Spaces, London: Routledge.

Slouka, M. (1996) War of the Worlds: Cyberpsace and the High-Tech Assault on Reality, London: Abacus.

Smith, J. (1992) The Frugal Gourmet Whole Family Cookbook, New York: William Morrow.

Soja, E. (1989) Postmodern Geographies, London: Verso.

Soja, E. (1993) History, geography, modernity, in During, S. (ed.) The Cultural Studies Reader, New York: Routledge.

Soja, E. (1996) Thirdspace: Journeys to Los Angeles and Other Real-and-Imagined Places, Cambridge, MA: Blackwell.

Sontag, S. (1977) On Photography, New York: Farrar, Straus and Giroux.

Sorkin, M. (1992a) Scenes from the Electronic City, I.D. Magazine May: 70- 77.

Sorkin, M. (1992b) See You in Disneyland, in Sorkin, M. (ed.) Variations on a Theme Park: The New American City and the End of Public Space, New York: Hill and Wang.

Sorkin, M. (1993) Meeting Spaces, Progressive Architecture 74(4): 106- 107.

Spinoza, Benedict/Baruch (1955) The Ethics (trans. Elwes), New York: Dover Press.

Springer, C. (1991) The Pleasure of the Interface, Screen 32: 303- 323.

Spufford, F. and Uglow, J. (eds) (1996) Cultural Babbage. Technology, Time and Invention, London: Faber and .Faber.

Squires, J. (1994) Private lines, secluded places: privacy as political possibility, Society and Space 12: 387401-.

Squires, J. (1996) Fabulous Feminist Futures and the Lure of Cyberculture, in Dovey, J. (ed.) Fractal Dreams: New Media in Social Context, London: Lawrence & Wishart: 194- 216.

Stabile, C.A. (1994) Feminism and the Technological Fix, Manchester: Manchester University Press.

Stallabrass, J. (1995) Empowering Technology: The Exploration of Cyberspace, New Left Review 211: 3- 32.

Starr, P. (1994) Seductions of Sim, American Prospect 17: 19- 29.

Star, S.L. (1989) The structure of ill-structured solutions: boundary objects and heterogeneous distributed problem solving, in Gasser, L. and Huhn, N. (eds) Distributed Artificial Intelligence, New York: Morgan Kauffman: 37- 54.

Star, S. and Ruhleder, K. (1996) Steps towards an Ecology of Infrastructure: Design and Access for Large Information Spaces, Information Systems Research 7(1): 111- 134.

Stephenson, N. (1992) Snowcrash, New York: Bantam.

Stephenson, N. (1993) Snow Crash, New York: Spectra. Stephenson, N. (1994) Spew, Wired 2(10): 91- 95, 142- 147.

Steuer, J. (1992) Defining virtual reality: dimensions determining telepresence, Journal of Communications 42 (4): 73- 93.

Stone, A. R. (1991) Will the Real Body Please Stand Up? Boundary

stories about virtual cultures, in Benedikt, M. (ed.) Cyberspace: First steps, Cambridge, MA: MIT Press: 81- 118.

Stone, A.R. (1994) Preface, in Druckrey, T. (ed.) Electronic Culture: Technology and Visual-Representation; New York: Aperture: 610-.

Stone, A. R. (1995) The War of Desire and Technology at the Close of the Mechanical Age, Cambridge, MA: MIT Press.

Stone, R. J. (1990) Virtual reality in telerobotics, in Computer graphics, proceedings of the Conference held in London, November 1990, Pinner: Blenheim Online: 32.

Strathern, M. (1992) Reproducing anthropology, in Wallman, S. (ed.) Contemporary Futures. Perspectives on Social Anthropology, London: Routledge: 172- 189.

Strathern, M. (1996) Cutting the Network, Journal of the Royal Anthropological Institute NS2 : 517- 585.

Strum, S. and Latour, B. (1987) The Meanings of the Social: From Baboons to Humans, Social Science Information 26: 783- 802.

Sui, D. (1997) Reconstructing urban reality: From GIS to electropolis, Urban Geography 18(1): 74- 89.

Swett, G(1995) Strategic Assessment: The Internet. Report. Office of the Assistant Secretary of Defense for Special Operations and Low-Intensity Conflict (Policy Planning). Internet: hrtp://www.fas.org/cp/swett.html

Swyngedouw, E. (1993) Communication, mobility and the struggle for power over space, in Giannopoulos, G. and Gillespie, A. (eds) (1993) Transport And Communications in the New Europe, London: Belhaven: 305- 325.

Tabbi, J. (1995) Postmodern Sublime: Technology and American Writing from Mailer to Cyberpunk, Ithaca, NY: Cornell University Press.

Talbot, H. (1997a) Telematics for the Rural North, Sunderland: Northern Informatics.

Talbot, H. (19976) Rural Telematics in England. strategic issues. Research Report, Centre for Rural Economy, University of Newcastle upon Tyne.

Tarr, J.A. and Dupuy, G. (eds) (1988) Technology and the Rise of the Networked City in Europe and North America, Philadelphia: Temple University Press.

Tarr, J.A., Finholt, T. and Goodman, D. (1987) The city and the telegraph: urban telecommunications in the pre-telephone era, Journal of Urban History 14(1): 38- 80.

Taylor, C. (1994) Multiculturalism, Princeton, NJ: Princeton University Press.

Telecom NZ (1991) Annual Report.

Telecom NZ (1993) Annual Report.

Telecom NZ (1994) Annual Report.

Telephone Development Association (1930) The Stranglehold on Our Telephones: A Practical Remedy, London: The Telephone Development Association.

Terry, J. and Calvert, M. (1997) Introduction: Machines/Lives, in Terry, J. and Calvert, M. (eds) Processed Lives: gender and technology in everyday life, London: Routledge.

Thompson, J.B. (1990) Ideology and Modern Culture: Critical

Social Theory in the Era of Mass Communication, Cambridge: Polity Press.

Thompson, J.B. (1995) The Media and Modernity: A Social Theory of the Media, Cambridge: Polity Press.

Thrift, N. (1995) The Hyperactive World, in Johnston, R. Taylor, P. and Watts, M.(eds) Geographies of Global Change, Oxford: Blackwell: 18- 35.

Thrift, N. (1996a) New urban eras and old technological fears: reconfiguring the goodwill of electronic things, Urban Studies 33(8): 1463- 1493.

Thrift, N. (1996b) Spatial Formations, London: Sage.

The Times (1883- 1993) various issues.

Todorov, T. (1973) The Fantastic: A structural approach to a literary genre, Ithaca, NY: Cornell University Press.

Toffler, A. (1980) The Third Wave, New York: William Morrow.

Tomas, D. (1991) Old Rituals for a New Space: Rites de Passage and William Gibson's Cultural Model of Cyberspace, in Benedikt, M. (ed.) Cyberspace, First Steps, Cambridge, MA: MIT Press: 31 -47.

Tuan, Y. (1978) Literature and Geography: Implications for geographical research, in Ley, D. and Samuels, M. (eds) Humanistic Geography: Prospects and Problems, London: Croom Helm.

Turkle, S. (1984) The Second Self: Computers and the Human Spirit, New York: Simon & Schuster.

Turkle, S. (1995) Life on the Screen: Identity in the Age of the Internet, New York: Simon and Schuster.

Ullman, E. (1996) Come In CO: The Body on the Wire, in Chermy, L. and Weise, E.R. (eds) Wired Women: Gender and Nw Realities in Cyberspace, Seattle, WA: Seal Press: 3- 23.

Ulmer, G. L. (1989) Teletheory: Grammatology in the Age of Video, New York: Routledge.

Urry, J. (1994) Time, leisure and social identity, Time and Society 3: 131- 150.

Van der Ploeg, J.D. and Van Dijk, G. (1995) Beyond Modernization: the impact of endogenous rural development, Assen: Van Gorcum.

Vidler, A. (1978) The Scenes of the Street: Transformations in Ideal and Reality 1750- 1871, in Anderson, S. (ed.) On Streets, Cambridge, MA: MIT Press.

Villiers de l'Isle Adam, A. (1879) L'Eve Future, Paris: M. de Brunhoff.

Virilio, P. (1986) Speed and Politics (trans. Mark Polizzotti), New York: Semiotext(e).

Virilio, P. (1987) The Overexposed City, Zone 1(2): 14- 31.

Virilio, P. (1992) The third interval: a critical transition, Art & Design 7(1/ 2): 78- 85.

Virilio, P. (1993) The Third Interval: A critical transition, in Andermatt-Conley, V. (ed.) Rethinking Technologies, London: University of Minnesota Press: 3- 10.

Virilio, P. (1994a) The Third Interval: A critical transition, in Andermatt-Conley, V. (ed.) Rethinking Technologies, London: University of Minnesota Press: 3- 10.

Virilio, P. (1994b) The vision machine, Bloomington, IN: Indiana University Press.

Virilio, P. (1995) Red alert in cyberspace, Radical Philosophy 74: 2- 4.

VNX Matrix (1998) All New Gen, in Broadhurst Dixon, J. and Cassidy, E.J. (eds) Virtual Futures: Cybererotics, Technology, and Post-Human Pragmatism, London: Routledge.

Voloshinov, V. (1973) Marxism and the Philosophy of Language (trans. L. Matejka and I. R. Titunik), New York: Seminar Press.

Wakeford, N. (1995) Sexualised Bodies in Cyberspace, in Chernaik, W. and Deegan, M. (eds) Beyond the Book: Theory, Text and the Politics of Cyberspace, London: London University Press.

Wakeford, N. (1997a) Cyberqueer, in Medhurst, A. and Munt, S.R. (eds) Lesbian and Gay Studies: A Critical Introduction, London: Cassell.

Wakeford, N. (1997b) Networking Women and Grrls- with Information/ Communication Technology: Surfing Tales of the World Wide Web, in Terry, J. and Calvert, M. (eds) Processed Lives: gender and technology in everyday life, London: Routledge.

Wakeford, N. (1998) Urban culture for virtual bodies: comments on lesbian´ identity´ and´community´ in San Francisco Bay Area cyberspace, in Ainley, R. (ed.) New Frontiers of Space, Bodies and Gender, London: Routledge.

Wakeford, N. (forthcoming) Networks of Desire: Gender, Sexuality and Computing Culture, London: Routledge.

Waldrop, M.M. (1993) Complexity, New York: Viking.

Waller, P.J. (1983) Town, City and Nation: England 1850- 1914, Oxford: Oxford University Press.

Walter, E. V. (1988) Placeways, Chapel Hill, NC: The University of North Carolina Press.

Wark, M. (1994a) Third Nature, Cultural Studies 8(1): 115- 132.

Wark, M. (1994b) Virtual geography: living with global media events. Indianapolis, IN: Indiana University Press.

Warren, S. (1996) Popular Cultural Practices in the `Postmodern City', Urban Geography 17(6): 545- 567.

Watson, R. (1995) When Words are the Best Weapon, Newsweek 27 February: 36 - 40.

Wehling, J. (1995), Netwars and Activist Power on the Internet, Internet: http://www.teleport.com/-jwehling/Netwars.html

Welsh Office (1995) A Working Countryside for Wales, London: HMSO.

Wertheim, M. (1997) Pythagoras' Trousers. God, Physics and the Gender Wars, London: Fourth Estate.

Westwood, S. and Williams, J. (eds) (1997) Imagining Cities: Scripts, Signs, Memories, London: Routledge.

Whyte, W. (1988) City: Rediscovering the Center, New York: Doubleday.

Wigley, M. (1993) The architecture of deconstruction: Derrida's haunt, London: MIT Press.

Williams, R.H. (1973) The Country and the City, New York: Oxford University Press. Williams R.H. (1990) Notes on the Underground: An Essay on Technology, Society, and Imagination, Cambridge, MA: MIT Press.

Williams, R.H. (1991) Notes on the Underground, Cambridge, MA: MIT Press.

Wilson, E. (1995) The Invisible Flaneur; in Watson, S. and Gibson, K. (eds) Postmodern Cities and Spaces, Oxford: Blackwell.

Wilson, E. (1997) Nostalgia and the City, in Westwood, S. and Williams, J. (eds) Imagining Cities: Scripts, Signs, Memory, New York: Routledge.

Wilson, K. (1986) The Videotext Revolution: Social Control and the Cybernetic Commodity of Home Networking, Media, Culture And Society 8: 7- 39.

Wincapaw, C. (forthcoming) Lesbian and Bisexual Women's Electronic Mailing Lists as Sexualised Spaces, journal of Lesbian Studies.

Winckler, M. (1991) Walking Prisons: The Developing Technology of Electronic Controls, The Futurist July-August: 34- 36.

Winner, L. (1996) Who Will Be in Cyberspace, The Information Society 12: 63- 71.

Winston, B. (1995) Tyrrell's Owl: The Limits of the Technological Imagination in an Epoch of Hyperbolic Discourse, in Adam, B. and Allan, S. (eds) Theorising Culture, London: UCL Press: 225- 235.

Winter, J. (1993) London's Teeming Streets 1830- 1914, London: Routledge.

Winterson, J..(1992) Sexing the Cherry, London: Vintage.

Wired (1995) Godzone, November: 164- 167, 230- 236.

Wolmark, J. (1993) Aliens and Others: Science fiction, feminism and postmodernism, Hemel Hempstead: Harvester Wheatsheaf.

World Economic Forum (1996) World Competitiveness Report, Lausanne. Wright, G. (1980) Moralism and the Model Home:

Domestic Architecture and Cultural Conflict in Chicago: 1873- 1913, Chicago: University of Chicago Press.

Wright, R. (1996) Art and science in Chaos: contested readings of scientific visual isation, in Robertson, G. et al. (eds) Future natural. Nature, Science. Culture, London: Rourledge: 218- 236.

Yeatman, A. (1990) Bureaucrats, Technocrats, and Femocrats: Essays on the contemporary Australian state, Sydney: Allen and Unwin.

Youngblood, G. (1989) The new renaissance: art, science and the universal machine, in Loveless, R. L. (ed.) The Computer Revolution and the Arts, Tampa, FL: University of South Florida Press.

Zapatistas! Documents from the New 'Mexican Revolution (1994) Brooklyn, NY: Autonomedia.

Zimmerman, J. (1986) Once upon the Future: A Woman's Guide to Tomorrow's Technology, New York: Pandora.

Zisek, S. (1989) The Sublime Object of Ideology, London: Verso.

Zisek, S. (1993) Tarrying with the Negative, Durham, NC: Duke University Press.

المساهمون في الكتاب

نك بينغهام Nick Bingham:

يعمل حالياً مساعد بحث في جامعة شيفيلد يعمل على مشروع مموَّل من ESRC تحت إشراف الدكتور جيل فالنتين حول استعمال الفضاء السايبري من قبل الأطفال .

لورا تشرنيك Laura Chernaik:

محاضرة في الدراسات الأمريكية في جامعة نوتنغهام . نشرت مقالات في **الجنوسة، المكان والثقافات، المجلة النسوية، النهضة والدراسات الحديثة وأدب أمريكا. تنجز كتاباً بعنوان الفضاء الاجتماعي والافتراضي: تعدي الحدود القومية والحركات الاجتماعية الجديدة.**

ديفيد ب. كلارك David B. Clarke:

محاضر في الجغرافية البشرية وعضو منتسب في معهد دراسات الاتصالات في جامعة ليدز؛ هو أيضاً زميل بحث ESRC .

نشر على نطاق واسع حول الاستهلاك ، الوسائط ، الحداثة ، ما بعد الحداثة والفضاء. حرر مؤخراً كتاب **المدينة السينمائية** The Cinematic City ((Routhedge 1997 .

يعمل حالياً على كتاب حول مكانية المجتمع الاستهلاكي بعنوان: السلعة والعلامة والفضاء (Commodity, sign and space (Black well .

ماركوس أ. دويل Marcus A. Doel:

محاضر في الجغرافية البشرية في قسم الجغرافية، جامعة لوغبورو. كتب بشكل واسع حول المقاربات ما بعد البنيوية وما بعد الحديثة للعلم المكاني، وحول الجغرافيات والسياسات الثقافية للفيلم والأدب، والذاتية والهولوكوست. يكتب حالياً كتاباً بعنوان **الجغرافية ما بعد البنيوية**.

اوليفر فرولينغ Oliver Froehling:

مرشح لنيل شهادة الدكتوراه في قسم الجغرافية، جامعة كنتوكي، وينهي حالياً أطروحة حول الحكم الذاتي الأهلي في اوكساكا المكسيك. إنه أيضاً عضو في الـ

Centro Intercultural de Encuentros Y Dialogos (CIED)in Oaxaca.

ستيفن غراهام Stephen Graham:

يعمل في مركز التكنولوجيا المدينية في قسم تخطيط المدن والريف بجامعة نيوكاسل. ينكب بحثه على العلاقات المتبادلة بين الاتصالات البعيدة وتقانات المعلومات والنظرية المدينية، والتنمية والسياسة. إنه مؤلف مشترك لكتب:

الاتصالات البعيدة والمدينة: الفضاءات الالكترونية، الفضاءات المدينية (١٩٩٦) و**تمزيق الشبكات، تجزيء المدن: البنية التحتية والتنمية المدينية في عصر عالمي – محلي** (١٩٩٩)، (بالاشتراك مع سيمون مارفين ومنشورات راوتلدج).

كن هيليس Ken Hillis:

بروفسور مساعد في قسم دراسات الاتصال، جامعة شمال كارولينا في تشابل هيل. نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة في الجغرافية البشرية من جامعة ويسكونسن، ماديسون ونشر في مجلات Cartographica Urban History Review, Progress in Human Geography, Ecumene

وفي الأنطولوجيات: **ثقافات الشابكة وترسيم الجسد.**

كتابه: **الإحساسات الرقمية: الفضاء، الهوية والتجسيد في الواقع الافتراضي** (مطبعة جامعة مينيسوتا).

اوتو ايمكن Otto Imken:

أكمل شهادة دكتوراه في الفلسفة في قسم الفلسفة في جامعة واروِيك. نظم مؤتمرات حول إمكانيات الفضاء السايبري وهو مهتم بتحول الفكر والخبرة التي تُجعل ممكنة من خلال ذلك.

مايكل جويس Michael Joyce:

يدرّس في القسم الانكليزي بكلية فاسار. تتضمن أحدث تخييلاته المفرطة كتاب Twelve Blue لأجل الشبكة وكتاب Twilight، **سيمفونية على** CD ROM.

جيمس نيل James Kneale:

محاضر في الجغرافية البشرية في جامعة إكستر. تتضمن اهتماماته البحثية جغرافيات الوسائط والثقافة الشعبية وخصوصاً التخييل الشعبي.

وندي لارنر Wendy Larner:

محاضرة في علم الاجتماع بجامعة اوكلاند، اوتياروا/ نيوزيلاندا. نشرت مقالات مختلفة وفصول كتب حول العولمة وإعادة الهيكلة والهوية في اوتياروا/ نيوزيلندا. يتضمن مشروعها الحالي مخطوط كتاب حول حكم السوق في صناعة الاتصالات البعيدة.

جنيفر س. لايت Jennifer S. Light:

تنهي عملها لنيل شهادة الدكتوراه في جامعة هافارد في تاريخ العلم.

حائزة على شهادات سابقة من كلية هارفارد وجامعة كمبردج. تدرس أطروحتها التاريخ الحديث للتقانات المنزلية بما فيها أنظمة الأمن المنزلي، وأجهزة أتمتة "البيت الذكي" ووحدات التحكم البيئية لأجل الأشخاص ذوي العاهات. المقالة التي تظهر هنا تمخضت عن منهاج قامت بتدريسه في جامعة إدنبره في خريف ١٩٩٦.

كريستوفر راي Christopher Ray:

زميل بحث في مركز الاقتصاد الريفي، جامعة نيوكاسل على تاين. باستخدام المقاربات السوسيولوجية الأنثروبولوجية يُدخل البحث في الأشكال التشاركية للتنمية المحلية وفي العلاقة بين الهوية الثقافية والتنمية الريفية.

جيريمي شتاين Jeremy Stein:

زميل بحث في وحدة أبحاث إدارة الابتكار (IMRU) في مدرسة الأعمال بجامعة برمنغهام، انكلترا. يركز بحثه بشكل رئيس على الصلات بين الحداثة والمضمون الاجتماعي للتكنولوجيا في القرنين التاسع عشر والعشرين في المدن البريطانية والكندية.

يعمل حالياً على مشروع ممول من ليفرهيوم، "معضلات التكنولوجيا الآخذة في النضوج"، الذي يدرس الابتكار التكنولوجي والتنظيمي وإدارة المعرفة وفشل الأعمال في صناعة هندسة الطاقة البخارية في القرن التاسع عشر في بريطانيا.

هيلاري تالبوت Hillary Talbot:

مديرة البحث في مركز الاقتصاد الريفي في جامعة نيوكاسل على تاين. عملها مع المنظمات في شمال انكلترا لاستنباط استراتيجية لأجل إدخال الاستعلام البعيد في المنطقة الريفية يشكل دراسة الحالة لأجل الفصل "الريفي" من هذا

الكتاب. أكمل أيضاً في الآونة الأخيرة دراسة لحاجات معلومات المجتمع الريفي المرتبطة بالفرص لتحسين إمداد المعلومات إلكترونياً.

نينا ويكفورد Nina Wakeford:

هي محاضرة صندوق التأسيس ي علم الاجتماع وعضو مركز أبحاث العالم الرقمي [http://www.surrey.ac.uk/dwrc].

في جامعة ساري. تحمل حالياً زمالة ESRC ومنحة ESRC حول خبرات النساء في الاتصال بوساطة الحاسوب. تقوم بالتحرير المشترك مع بيتر ليمان من جامعة كاليفورنيا، بركلي، لمجلد حول المنهجيات الافتراضية بعنوان، **تحليل المجتمع الافتراضي: اتجاهات جديدة في المنهج** (ساغ، يصدر قريبياً)، وتكمل حالياً كتاباً بعنوان **شبكات الرغبة: الجنوسة والجنسانية وثقافة الحوسبة**، ستنشره دار راوتلدج.

الفهرس

الصفحة

المترجم: عدنان (خليل) حسن

- من مواليد محافظة اللاذقية ١٩٥٨ .

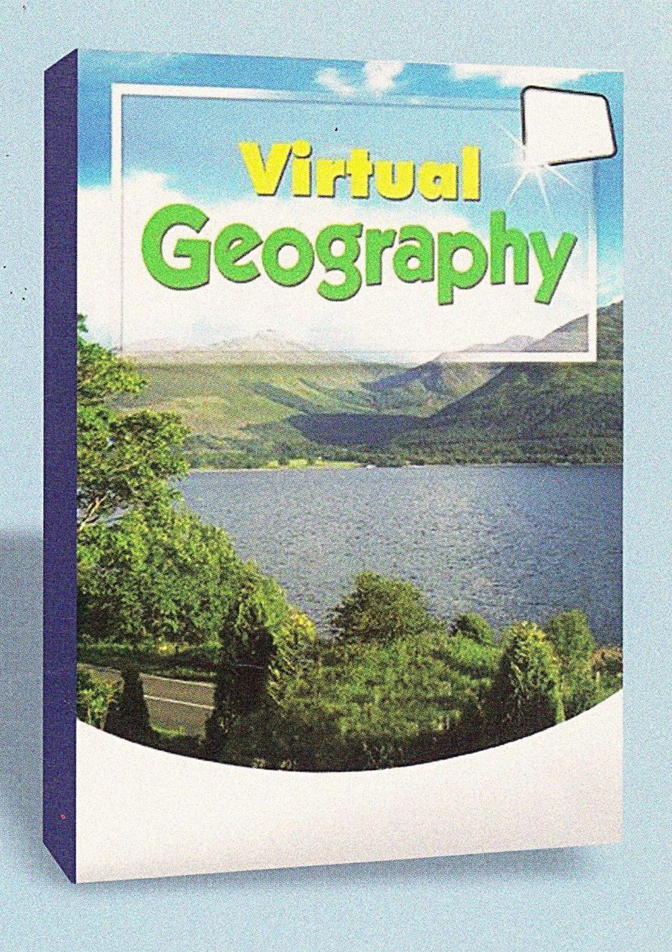
- حائز على إجازة في اللغة الانكليزية وآدابها من جامعة تشرين .

- يعمل مترجماً في إحدى مؤسسات القطاع العام .

- ترجم العديد من الأعمال العلمية والأدبية والفكرية والمقالات المنشورة في الصحف والمجلات .

الطبعة الأولى / ٢٠١١م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة







www.syrbook.gov.sy
مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١١م

[redacted]